



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 - أ.ب.و القاسم سعد الله

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

مدرسة الدكتوراه: علم الاجتماع المتنامي والمناجحة والموازي البترية والاتصال (الدرجة الأولى)

وراسة مكملة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم بعنوان:

التخطيط السكاني ومجتمع إيبيو هاغ الريفي

(دراسة سوسيو-إثنوغرافية لطوارق تاهيفت - تافرفاست بتامنغست)

إشراف:

من إشراف والطالبة:

أ.د. مقراني الهاشحي

داميرنة فاطمة

أعضاء لجنة المناقشة

الترتيب	الألقاب والألقاب	الرتبة	الجامعة (الأصلية)	الصفة
01	حميد جبر اللادي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيس
02	الهاشمي مقراني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مقرر ومترجم
03	حرلا بيرة حنيقة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضو
04	بوكر بوط عز الدين	أستاذ التعليم العالي	جامعة زيانا عاتور الجلفة	عضو خارجي 1
05	ورديش حلي	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للإسائنة (الأخو لطر)	عضو خارجي 2

الدرجة (الجامعة) 2020-2021



إِلَهِي رُوحٌ وَاللَّيْلُ رَحْمَةٌ وَاللَّهُ وَأَسْكَنْهُمَا

فَسَبِّحْ جَنَانَهُ

شكر وعرفان



الحمد والشكر للمولى عز وجل الذي منحني القوة والصبر للإتمام هذا العمل ثم الشكر وكل الامتثال لوالدي ووالدي رحمهما الله، كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذ الفاضل "الهائمي مقراني" ليس فقط على إشرافه على هذا العمل بل وإشرافه على مدرسة الدكتوراه كذلك، أطال الله في عمره وخمره بولافرا الصحة والعافية.

والشكر موصول أيضاً لكل من ساندنا وشجعنا على إتمام هذا العمل بصفتهم مؤسسين، أساتذة، زملاء ورفاق لأنمي وأساتذتي الأفاضل: الرقاني موللي محمد وقدي علي رحمه الله.

جزيل الشكر لكل أستاذ وأستاذة مر في مسيرتنا الدراسية منذ 1995 إلى غاية يومنا هذا

كل الامتثال والشكر للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة القراءة لقبولهم قراءة هذا العمل، كما لا يجب أن أنسى القائمين على صفحة *Article* في الفضاء الأزرق لجهدهم لخدمة البحث العلمي ومساعدة الباحثين والطلبة.

و. فاطمة

فهرس المحتويات



الصفحة	الموضوع
I-IV	ملخص الدراسة (باللغة العربية، الفرنسية، الإنجليزية)
6-1	مقدمة

45-7	الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة
8	تمهيد
9	1. أسباب اختيار الموضوع
11	2. أهمية وأهداف الدراسة
13	3. الطرح الإشكالي
17	4. تحديد المفاهيم
24	5. المنهج والتقنيات
24	أ. المنهج الاستقرائي
27	ب. تقنيات الدراسة
33	ج. الطريقة المتبعة لمعالجة المعطيات الإمبريقية
38	6. الدراسات السابقة
45	خلاصة
78-46	الفصل الثاني: مجتمع إيموهاغ الريفي
47	تمهيد
48	1. تحليل سوسيولوجي لمعنى "إيموهاغ" Imouhagh
48	أ. إيموهاغ Imouhagh
50	ب. "أماهغ" انعكاس سوسيوثقافي
59	2. طبيعة مجتمع إيموهاغ الريفي
59	أ. طبيعة المجتمعات الريفية
63	ب. الطبيعة لدى مجتمع إيموهاغ والنسيج القرابي

73	ج. سوسيولوجيا المرح ومجتمع إيموهاغ الريفي
77	خلاصة
78	الفصل الثالث: اقتصاد المجتمعات التقليدية والعادات المكتسبة
78	تمهيد
79	1. اقتصاد مجتمع إيموهاغ التقليدي
79	أ. ماهية الاقتصاد عند المجتمعات التقليدية
84	ب. الغزو وديناميكية التبادل التجاري عند إيموهاغ كيل أهفار قديماً
89	ج. إيموهاغ نهفار والتوجه نحو التعامل النقدي - السلعي
94	2. الطرح المعاصر للكسب وسوسيولوجيا العادات المكتسبة
94	أ. رؤية (Marcel Mauss) للكسب الهبوي
98	ب. الهبة عند المجتمع القبائلي بمنظور (René Maunier) و (Pierre Bourdieu).
103	3. عمليات البيع وما يسمى بـ"سعر الأصدقاء" عند (Alain Testart)
103	أ. نماذج تُبرز ارتباط الهبة بعمليات البيع والشراء
111	ب. الطرح المعاصر للكسب عند (Jacques.T.Godbout) و (Alain Caillé)
113	خلاصة
115	الفصل الرابع: مجتمع إيموهاغ بتافرفاست ووصف نشاط آلياته التفاعلية
115	1. شرح لأهم الآليات التفاعلية عند مجتمع إيموهاغ
115	أ. مورفولوجيا منطقة تافرفاست
125	ب. أنماط العطاء المختلفة عند إيموهاغ كمحفز للآليات تفاعلية
129	ج. الآليات التفاعلية ذات الأصل الماكرو والميكروي
142	2. وصف نشاط الآليات التفاعلية وتحليل نماذج من الشبكات التفاعلية
143	أ. نشاط الآليات التفاعلية ضمن الشبكات التفاعلية الصغرى (أقل من عشرة أفراد)
149	ب. نشاط الآليات التفاعلية ضمن الشبكات التفاعلية الكبرى (من عشرة أفراد فما فوق)
156	ج. نشاط الآليات التفاعلية ضمن الشبكات التفاعلية غير المعروفة الحجم
164	خلاصة ومقارنة

166	الفصل الخامس: عملية التخطيط المرن عند إيموهاغ تافرفاست
166	1. كفيّة تحقيق الآليّات التفاعليّة مكاسب في العادة المكسبة
166	أ. وصف العادة المكسبة عند إيموهاغ
167	ب. مراحل العادة المكسبة واستخدام مجموعة من الآليّات التفاعليّة
170	ج. اختلاف الآليّات المستخدمة حسب نطاق العادة المكسبة
170	د. كفيّة توزيع المانحين لمكاسب العادة المكسبة على أفراد الأسرة
173	هـ. تدهوت ومشاركة مكاسب العادة المكسبة مع آخرين
174	و. العادة المكسبة وعامل الزمن
176	ز. كفيّة تحقيق الآليّات التفاعليّة الماكرويّة للكسب في العادة المكسبة
177	ح. كفيّة تحقيق الآليّات التفاعليّة الميكرويّة للكسب في العادة المكسبة
186	خلاصة ومقارنة
190	2. كفيّة تحقيق الآليّات التفاعليّة مكاسب في عمليات البيع الصغيرة
190	أ. وصف عمليات البيع الصغيرة عند إيموهاغ (أشكالها ومصادرها الماليّة)
193	ب. الآليّات التفاعليّة كطرق ترويجيّة لعمليات البيع الصغيرة
194	ج. استخدام الآليّات التفاعليّة الميكرويّة لتحقيق الكسب في عمليات البيع الصغيرة
204	د. العطاء المادي كمحفز لاستخدام الآليّات التفاعليّة في عمليات البيع
207	هـ. حالات غياب استخدام الآليّات التفاعليّة في عمليات البيع الصغيرة
208	خلاصة ومقارنة
213	الفصل السادس: الكسب التقليدي والممارسة التديريّة عند إيموهاغ تافرفاست
213	1. نقد تعميم الطرح الأنجلوساكسوني للتدبير
213	أ. إبراز حقيقة التدبير
219	ب. التدبير ومبدأ اللاتماثل بين البيئات الثقافيّة

225	ج. إمكانية ربط الممارسة التديريّة بالظاهرة غير الرسميّة
230	3. العمليّة التديريّة عند إيموهاغ
231	أ. فعاليّة العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة كطرق كسب تقليديّة عند إيموهاغ تاأرفاست
246	ب. تداخل وتكامل الممارسات التديريّة المختلفة عند إيموهاغ
255	الاستنتاج العام
261	الخاتمة
276-267	قائمة المراجع
الملاحق	

ملخص * الدراسة باللغة العربية:

تُعالج الدراسة بشكل غير مباشر وعلى المستوى النظري مشكلة تعميم الطرح الأنجلوساكسوني الذي غالبًا ما لا يتناسب وقراءة الواقع الخاص بالمجتمعات التقليدية هذا من جهة ومن جهة أخرى الدراسة تطرح مشكلة عدم وجود إطار نظري تستند عليه دراسة الممارسة التدبيرية للظاهرة غير الرسمية على غرار التدبير المنزلي وعليه تخوض الدراسة في الممارسة التدبيرية عند مجتمع إيموهاغ، إذ تسعى الدراسة بشكل عام لمعرفة الكيفية التي تستطيع بها الآليات التفاعلية المختلفة تحقيق مكاسب لأفراد مجتمع إيموهاغ بمنطقة "تافرست" وذلك من خلال العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة.

وتكمن أهمية الدراسة في أنها تُحاول الوصول إلى رؤية حول الممارسة التدبيرية ومجتمع إيموهاغ الريفي من خلال عملية التخطيط المرن (استخدام الآليات التفاعلية لتحقيق الكسب) التي تجمع بين طريقتين من طرق الكسب التقليدية، كما أن الدراسة تُبرز قدرة الأفراد على خلق أنماط كسبية مختلفة تتناسب مع بيئاتهم الثقافية، مما يعني المساهمة في منح فرصة للمجتمع العلمي للتعرف على ما سبق ومن زاوية جديدة. استخدمت الدراسة "المنهج الاستقرائي" وذلك بتوظيف الملاحظة بمختلف أشكالها والمقابلات، ولتسهيل عملية "جمع البيانات وتفسيرها" تم توظيف طريقة المعالجة اليدوية وطريقة المقارنة المستمرة للمعطيات.

توصلت الدراسة إلى أن عملية التخطيط المرن عند مجتمع إيموهاغ الريفي هي عملية معقدة، فالكيفية التي يتحقق بها الكسب من خلال الآليات التفاعلية المختلفة في كل من (العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة) تتدخل فيها عدة عوامل كما تتسم بالعفوية والقصدية في الآن نفسه، وتجدر الإشارة إلى أن الطريقة التي تُحقق بها الآليات التفاعلية الكسب في العادة المكسبة يختلف عن الكيفية التي تُحقق بها الكسب في عمليات البيع الصغيرة، كما نجد بأن هناك تكاملاً بينها وبين باقي الممارسات التدبيرية عند مجتمع إيموهاغ الريفي قيد الدراسة وإن أخذنا بعين الاعتبار المعطيات

* يمكنك الاطلاع على ملخص الدراسة باللغة الأمازيغية (تماهق) في الملاحق، الملحق رقم (2).

الإمبريقيّة السابقة وما توصل له المجتمع العلمي حول "التدبير" يمكن القول بأنّ التخطيط المرن عند مجتمع إيموهاغ الريفي هو ممارسة تدبيرية غير رسمية غير أنّه يتفرد بمعطيات خاصة تحمل عدة أبعاد تاريخية، ثقافية، اجتماعية، اقتصادية، إنسانية.

الكلمات المفتاحية: تخطيط؛ مرن؛ إيموهاغ؛ ريفي؛ تامنغست؛ تدبير؛ ممارسة.

ملخص الدراسة باللغة الفرنسية:

Résumé:

L'étude aborde indirectement au niveau théorique le problème de la proposition anglo-saxonne, qui n'est souvent pas appropriée pour lire la réalité des sociétés traditionnelles ,d'une part, et d'autre part, l'étude pose le problème de l'absence de cadre théorique sur lequel l'étude de la pratique managériale du phénomène informel est basée sur le modèle du ménage , et d'autre part l'étude est menée la pratique de la gestion de la société Imouhagh passe par un processus de planification flexible (l'utilisation de mécanismes interactifs pour obtenir des revenus) qui combine deux méthode de méthodes traditionnelles de revenus ,car l'étude cherche en générale à découvrir comment les différents mécanismes interactifs peuvent apporter des avantages aux membres de la société Imouhagh dans la région Tagarfast ,à partir de pendant l'habitude gagnante et les petites ventes.

L'importance de l'étude réside dans le fait qu'elle met en évidence la capacité des individus à créer différents modèles positifs qui conviennent à leur environnement culturel ,ce qui signifie contribuer à donner à la communauté scientifique l'occasion d'apprendre davantage sur ce qui précédé et sous un nouvel angle.

L'étude a utilisé « l'approche inductive » en employant diverses formes d'observation et l'entretiens pour faciliter le processus de « collecte et interprétation des données ont été utilisées.

L'étude a révélé que le processus de planification flexible dans la communauté rurale d'imouhagh est un processus complexe ,car la manière dont le profit est réaliser grâce aux différents mécanisme interactifs dans les deux (habitude gagnée et petites ventes)est impliquée dans plusieurs facteurs car elle est caractérisée par la spontanéité et l'intentionnalité en même temps, et il convient de le noter la manière dont les mécanismes interactifs réalisent l'habitude de gagner diffère de la manière dont le profit est réalisé dans les petites ventes ,et nous constatons qu'il existe une complémentarité entre eux et le reste des pratiques de gestion de la société rurale d'imouhagh à l'étude ,même si l'on prend en compte les données empiriques obtenues ce que la communauté scientifique et parvenu à propos de la « management »peut être dit que la planification flexible dans la société rurale d'imouhagh est une practice managérial informelle , mais elle est unique avec des données spéciales portant plusieurs dimensions historiques, culturelles, sociales, économiques et humains.

Mots clés : planification ; Imouhagh ; rurale ; Tagarfast ; Tamanghasset ; management ; pratique

Abstract:

The study indirectly deals with the theoretical level the problem of generalizing the Anglo-Saxon proposition ,which is often not appropriate to read the reality of traditional societies , on the one hand, and on the other hand ,the study raises the problem of the lack of a theoretical framework upon which the study of the managerial practice of the informal phenomenon is based on the model of housekeeping ,and on the other hand the study is conducted the management practice of the Imouhagh society is through a flexible planning process(the use of interactive mechanisms to achieve earnings)that combines two methods of traditional earning method ,as the study seeks in general to find out how the different interactive mechanisms can achieved benefits for the members of the Imouhagh society in the “Tagarfast” region ,from during the winning habit and small sales.

The importance of the study lies in the fact that it high the ability of individuals to create different positive patterns that suit their cultural environment ,which means contributing to providing an opportunity for the scientific community to learn about the about the above and from a new angle .

The study used the “inductive approach “by employing various forms of observation and interviews.to facilitate the process of “data collection and interpretation “, the manual treatment method and the continuous data comparison method were employed.

The study found that the flexible planning process in the rural community of Imouhagh is a complex process, as the manner in which profit is achieved through the various interactive mechanisms in both (earned habit and small sales) are involved in several factors as well as spontaneous and intentional at the same time .The way in which the interactive mechanisms achieve the earning habit differs from the way in which the profit is achieved in small sales operations ,and we find that there is complementarity between them and the rest of the management practices of the rural community of Imouhagh under study ,even if we take into account the empirical data obtained what the scientific community has reached about “management” can be said that flexible planning in rural Imouhagh society is an informal management practice ,but it is unique with special data bearing several historical , cultural ,social, economic and human dimensions.

Key words: planning; flexible; Imouhagh; rural; Tagarfast; Tamanghasset; management; practice

مقدمة



مقدمة:

ترتبط المرونة عند المجتمعات المتقدمة صناعياً بالعامل التقني في حين تتعلق المرونة لدى المجتمعات التقليدية بالعامل الثقافي، إذ يُعد من سمات المجتمعات التقليدية بروز العوامل الثقافية فبفضل هذه الأخيرة تتمكن من تحصيل اللحمة الاجتماعية؛ مما يُصعب عليها التكيف مع بعض المتغيرات كالصناعة التي تعتمد على منطق الربحية والفردية في حين يكون العكس تماماً بالنسبة للمجتمعات المتقدمة تقنياً، فالمرونة التي أفرزها التقدم التقني الهائل فيها نتجت عنها مشاكل عدة فقد جعلت الأفراد يتساءلون عن مصدر كسبهم الجديد وذلك بسبب ضعف تدخل الدولة في علاقات العمل وتعاضم الليبرالية الجديدة رغم محاولة الأفراد في تلك المجتمعات إيجاد حل لمشكلتهم من خلال استغلال "العمل المرن" و"الوقت المرن".

أثيرت احتمالية أن تنتقل العدوى للمجتمعات المتخلفة تكنولوجياً إلا أن هناك من يرى أن تلك الاحتمالية ضئيلة؛ لأن المجتمعات التقليدية قد تتعلم الكثير من نظيرتها عن طريق استعارة التكنولوجيا، لكن لا يمكنها تجاوز ذلك، فمثلاً تؤثر الصناعة والرأسمالية في منطق الفرد الغربي، بالمقابل تؤثر البيئة الثقافية في ذهنية الفرد في المجتمعات التقليدية.

بناءً عليه، فإن الطرح الأنجلوساكسوني لمفهوم "التدبير" يُعد قاصراً في فهمه للممارسات التدبيرية التي تتفرد بها المجتمعات التقليدية؛ لأنها لا تتلاءم والواقع الخاص بها علاوةً على أن ذات الطرح يركز على دراسة الظاهرة الرسمية (كالمؤسسات)، مما ساهم في ضعف -إن لم نقل -انعدام إطار نظري تعتمد عليه الدراسات التي تهتم بالممارسات التدبيرية للظاهرة غير الرسمية، ونظراً للملاحظات النظرية حول قصور مفهوم التدبير الذي يتم إسقاطه -غالباً- في دراسات علم الاجتماع المنظمات والمناجمنت وليس هذا فقط بل ومن خلال الملاحظات الميدانية حول ابتداء أفراد مجتمع إيموهاغ الريفي لممارسات كسبية غير نمطية - لذلك وجب طرح موضوع يربط النقاط السابقة.

يُعد مبدأ اللاتماثل البيئات الثقافية من أهم النقاط المثيرة للاهتمام التي أشارت لها

بعض الدراسات والبحوث فقد قدم مجموعة من الباحثين إشكالية عدم توثيق معارف الشعوب الأصلية الخاصة بالممارسة التديرية في جنوب إفريقيا وتانزانيا كما دعت لاكتشاف الطريقة المثلى لاستغلال تلك المعارف، أما عن النقطة الثانية وهي أنّ للمجتمع الأمازيغي بنية اتصالية خاصة ومنه لديه طريقته المتفردة في التفاعل بين أفرادهِ. ثالثاً، أشار (Marc Augé) و (JeanPaul Colley) إلى أنّه في الكسب الهبوي ما يُثير اهتمام الباحثين في علم التدبير وفي ذات السياق ومن خلال الدراسة النظرية التي قام (François Athané) بحيث تطرق للعديد من المجتمعات على مستوى العالم، بيد أنّه لم يتم التطرق للكسب الهبوي عند مجتمع إيموهاغ، لذلك دعا الأدب النظري- رغم قلته - إلى ضرورة القيام بدراسات تتعلق بالجماعات المختلفة حول الطرح البراغماتي للعلاقات والروابط بين الأفراد، كما أشارت الدراسات السابقة إلى تعقد الكسب الهبوي ومنه ضرورة دراسته الأهم من ذلك (حسب الاطلاع) لم تفرد أي دراسة حول الكسب الهبوي عند مجتمع إيموهاغ.

انطلاقاً ممّا سبق فإنّ الدراسة تُحاول الوصول إلى رؤية حول الممارسة التديرية عند مجتمع إيموهاغ الريفي وذلك من خلال التخطيط المرن (استخدام الآليات التفاعلية المختلفة لتحقيق الكسب) والذي يندرج ضمن محاولة المساهمة في تكوين إرث نظري حول الممارسة التديرية للظاهرة غير الرسمية وفي الآن نفسه معرفة الكيفية التي تتدخل بها العادات والتقاليد لتشكيل ماهية الكسب لدى جماعة معينة.

استناداً إلى ما سبق، فإنّ الدراسة تساهم في تغيير النمطية في أغلب البحوث في ميدان علم الاجتماع المنظمات والمناجمنت وبالتالي إعطاء فرصة للمجتمع العلمي للتعرف على الممارسات الكسبية لأفراد مجتمع إيموهاغ الريفي بمنطقة تافرفاست بتامنغست ومنه منح فرصة أخرى للقيام بدراسات أعمق وأشمل؛ ممّا يعني إمكانية الكشف عن ممارسات كسبية جديدة ومنه ممارسات تديرية في مجتمعات أخرى كانت بعيدة عن البحث العلمي السوسولوجي وذلك من خلال البحوث ذات الطابع الكيفي والتي تساهم في التخفيف من معضلة تعميم الطرح الأنجلوساكسوني للتدبير وليس هذا فحسب فإنّ للبحوث القدرة على الكشف عن مواضيع متعددة الجوانب وذلك بفضل

البيانات الكيفية والتي تحقق مبدأ "وحدة العلوم"، إذ يمكن للمجتمع العلمي في تخصصات شتى الاستفادة منها بدل محاولة إسقاط نظريات غريبة على الدراسات السوسولوجية الذي أصبح عرفاً أكاديمياً في التخصص؛ مما ولد سيطرة التحليل الفرضي - الاستنباطي.

ولمعالجة ما سبق تم طرح موضوع "التخطيط المرن ومجتمع إيموهاغ الريفي" كدراسة سوسيو - إثنوجرافية حول أفراد مجتمع إيموهاغ بمنطقة تافرفاست تامنغست - أقصى الجنوب الجزائري والذي تم تناوله من خلال ستة فصول ونظراً لطبيعة الموضوع المدروس لم يتم الفصل بين الجانب النظري والجانب الميداني بحيث استلزمت طبيعة الدراسة الدمج بين الجانبين، إذ نجد في الفصلين الثاني والثالث تم تغليب الجانب النظري على الميداني في حين جاءت الفصول الثلاثة الأخيرة ميدانية أكثر ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ كل فصل من الفصول الستة للدراسة له هدف يتفرع من الهدف الرئيسي للدراسة.

ففي الفصل الأول من هذه الدراسة الذي تقوم فيه الباحثة بتقديم الإطار المنهجي الذي تستند إليه الدراسة وذلك حسب العرف الأكاديمي وذلك بتعريف أسباب وأهمية الموضوع والأهداف التي تُحاول الدراسة بلوغها وتجدر الإشارة إلى أنه في عنصر "تحديد المفاهيم" تم توضيح كيفية استقاء المفهوم المحوري للدراسة "التخطيط المرن" من الواقع وذلك وفقاً للتحليل الاستقرائي الذي يركز أساساً على الميدان وقد تم توضيح دوافع إتباع المنهج الكيفي - الإثنوجرافي بالإضافة إلى الإشارة إلى الطريقة التي تم إتباعها لمعالجة المعطيات الإمبريقية ولأنّ الدراسة تتبّع طريقة المقارنة المستمرة في جمع وتفسير المعطيات الميدانية المختلفة ومن أجل إعطاء فرصة للمجتمع العلمي لنقدها وتقييمها، فقد تم وصف كل مرحلة من مراحل المقارنة المستمرة بحيث تم ذكر أهم العناصر في كل مرحلة كعدد الزيارات الميدانية للمنطقة قيد الدراسة مع ذكر تواريخها وفي آخر هذا الفصل تم عرض الأدب النظري السابق ذو العلاقة بالدراسة الحالية والذي يُظهر مدى قلة المعطيات المباشرة حول الموضوع المدروس.

أُفرد الفصل الثاني والمعنون بـ "مجتمع إيموهاغ الريفي" والذي يهدف إلى التعرف

على طبيعة مجتمع إيموهاغ الريفي وبنوع من الإيجاز وباعتبار أنّ مفهوم التخطيط المرن المستقى ميدانياً يستند على التفاعل فقد تم التركيز على العناصر ذات الصلة كالتبقيّة والنسيج القرابي بالإضافة إلى ما جاء به العالم الأنثروبولوجي الفرنسي (Paul Paudolfi) حول علاقات الحذر والاحترام عند مجتمع إيموهاغ.

في حين جاء الفصل الثالث ذو الطابع الاقتصادي -التاريخي بهدف طرح السيورة التاريخية للممارسات الكسبية لمجتمع إيموهاغ قديماً بدءاً بممارسة الغزو كنشاط اقتصادي والتجارة القوافلية في القرن السابع عشر وصولاً إلى توجه مجتمع إيموهاغ نهضار نحوى التعامل النقدي - السلعي؛ ممّا يعني أنّ أهميّة هذا الفصل تكمن في إبراز البعد التاريخي لموضوع الدراسة ولو بشكل موجز وغير معمق، كما يهدف هذا الفصل من خلال المبحث الثاني إلى إبراز الكسب الهبوي المعاصر والتبادل غير التجاري بهدف إبراز ارتباط "الكسب الهبوي والتبادل غير التجاري" بالعصر المعاصر وليس فقط المجتمعات التقليدية وفي الآن نفسه تبيان الفرق بينهما بشكل غير مباشر، كما أنّ الإشارة لبعض الدراسات والأبحاث الرائدة يُعد احتراماً لتاريخ العلم ومن ثم قد تم التركيز على ما جاء به أشهر العلماء والباحثين من أهمهم (Mauss Marcel) والذي يُعد الرائد في موضوع "الكسب الهبوي" وذلك من خلال عمله الشهير (Essai sur le don)، كما تم التركيز وبشكل موجز أيضاً على ما جاء به كل من (René Maunier) و(Pierre Bourdieu) ذلك نظراً لدراستهما للهبّة عند المجتمع القبائلي الذي يُعتبر الأقرب من حيث خصائصه لمجتمع إيموهاغ باعتبارهما مجتمعات أمازيغيّة، كما أنّه لم يدرس فقط المجتمع القبائلي في الجزائر بل وبعض المجتمعات في شمال إفريقيا كالمجتمع المصري.

أما الفصل الرابع الذي يُعد فصلاً ميدانياً بالدرجة الأولى فمن الصعوبة بمكان معرفة الكيفيّة التي تستطيع بها الآليات التفاعليّة المختلفة تحقيق مكاسب لأفراد مجتمع إيموهاغ الريفي في عمليات كسبهم التقليديّة والمتمثلة في العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة دون محاولة معرفة الكيفيّة التي تنشط بها تلك الآليات التفاعليّة أساساً ضمن الشبكات التفاعليّة المختلفة، خاصةً مع نقص المعطيات حولها وبالشكل الدقيق،

المطلوب، لذلك فقد تم تخصيصه أولاً للتعريف بمنطقة تافرفاست من عدة نواحي: جغرافياً، سكانياً، تعليمياً، اقتصادياً، واجتماعياً، فلكل عنصر من العناصر السابقة أهميته في الإجابة على السؤال الرئيسي للدراسة وقد تم من خلال هذا الفصل وصف لأهم الآليات التفاعلية عند مجتمع إيموهاغ الريفي وذلك من خلال تعريفها وترجمة بعضها (للعربية)، غير أنه تعذرت ترجمة بعضها الآخر، كما تم وصفها وتصنيفها أيضاً من خلال تحليل نماذج مختلفة من الشبكات التفاعلية حيث يتم لاستخدام الآليات التفاعلية المختلفة (من حيث التنوع والعدد) بالاعتماد على جداول كيفية وتم اختتام الفصل بخلاصة ومقارنة للمعطيات وتفسيرها في المراحل الثلاث من عملية المقارنة المستمرة وذلك بوضع خلاصة لكل مرحلة ومن ثم مقارنتها ببعضها البعض.

الفصل الخامس المعنون بـ "عملية التخطيط المرن عند إيموهاغ تافرفاست" والذي يمثل محور الدراسة فمن خلاله تم وصف العديد من المواقف الإستراتيجية التي تصف الكيفية التي يستخدم بها أفراد مجتمع إيموهاغ الريفي بالمنطقة قيد الدراسة الآليات التفاعلية المختلفة لتحقيق الكسب في كل من العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة وعليه جاء الفصل الخامس في بحثين: بحيث تم تخصيص كل واحد منها لإحدى الطريقتين بدءاً بوصفها وتعريفها ومن ثم وصف المواقف الإستراتيجية المختلفة والحالات المنبثقة منها والتي يستخدم فيها الأفراد الآليات التفاعلية لتحقيق الكسب وفي نهاية كل مبحث خلاصة لكل مرحلة من مراحل عملية المقارنة المستمرة ومن ثم مقارنتها ببعضها البعض.

يعتمد الفصل السادس والأخير من هذه الدراسة على ما تم التوصل له من خلال الفصول السابقة بالإضافة على ما جاء به المجتمع العلمي حول التدبير، إذ تم التركيز على ما جاء به كل من (Henry Mintzberg) و (Meryem Le saget) وبالأخص نقد الطرح الأنجلوساكسوني للتدبير ولو بشكل غير مباشر والتأكيد على أهمية اللاتماثل بين البيئات الثقافية وبالتالي رفض تعميم الأطر النظرية على كافة المجتمعات تماماً كرفض المنطلقات الفكرية لما بعد الحداثة لمسألة التعميم، إذ تم الاستدلال بدراسات حديثة (فرنسية، كندية، هندية، إفريقية) تدعم ذات السياق، كما يسعى هذا الفصل إلى

إبراز تعقد عمليّة التخطيط المرن التي تم وصفها في الفصل الخامس وكذلك إجراء مقارنة بين كل من العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة بالإضافة إلى الإشارة إلى علاقة التكامل الموجودة بين العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة كممارسات تديرية بباقي الممارسات التديرية عند مجتمع إيموهاغ الريفي التي تجمع بين الأسلوب التقليدي والكسب الرسمي المتذبذب وفي الأخير تم التوصل لاستنتاج عام ومن ثم خاتمة.

الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة



تمهيد

1. أسباب اختيار الموضوع
2. أهمية وأهداف الدراسة
3. الطرح الاشكالي
4. تحديد المفاهيم
5. المنهج والتقنيات
 - أ. المنهج الاستقرائي
 - ب. تقنيات الدراسة
 - ج. الطريقة المتبعة لمعالجة المعطيات الإمبريقية
6. الدراسات السابقة

خلاصة

تمهيد

إنّ ما يسمى بالثغرة العلميّة لدى المجتمع العلمي في جانب من جوانبها تتمثل في الشق المنهجي للبحث؛ لذلك كانت الدعوة إلى القيام ببحوث ميدانيّة نوعيّة للكشف عن أطر نظريّة جديدة تتناسب والبيئات الثقافيّة المتمايضة والمختلفة هذا من جهة ومن جهة أخرى دعا رواد الفكر التنظيمي لما بعد الحداثي إلى ضرورة الاستعانة بالعلوم المختلفة ومنه تشجيع الإبداع في البحث العلمي الإمبريقي ومنه تكريس مبدأ "موسوعيّة العلم"؛ لذلك فالبحث السوسيولوجي والإطار المنهجي على وجه الخصوص يفرض تعاملاً خاصاً للباحث مع موضوع بحثه فقد يتم استخدام طرق بحث كانت حكرًا في الأوس القريب على علوم أخرى كالأنثربولوجيا على سبيل المثال. وعليه فإنّ هذه الدراسة اعتمدت على الطريقة الاستقرائيّة في البحث أو ما يسمى بـ "Démarche inductive".

1. أسباب اختيار الموضوع

تتخصص دوافع اختيار الباحثة لموضوع بحثه الموسوم بـ "التخطيط المرن ومجتمع إيموهاغ الريفي"، فيما يلي:

1. اهتمام الباحثة بالفئة غير المتعلمة من الأفراد (من مرحلة الماجستير*) ومنه جاء الاهتمام بمجتمع إيموهاغ الريفي ومن خلال العمل الأكاديمي للباحثة تولد الاهتمام بعلم الاجتماع التأويلي وبسوسيولوجيا المعاش اليومي، فالتفاصيل الصغيرة في حياة الأفراد قد تكشف عن تفاصيل أكبر.

3. تُعد منطقة "تامنغت"، منطقة سياحية وفيها مزيج من الأفراد من مجتمعات مختلفة؛ فقد لاحظنا اختلاف تفاعل إيموهاغ مع غيرهم من الأفراد حتى أنّ بعض الأفراد يطرحون أسئلة حول بعض الآليات التفاعلية لديهم والتي تبدو لهم "معقدة".

4. كتابية لمبدأ التواصل بين الباحثين وباعتبار البحث العلمي عملية حيوية مستمرة تم اختيار الموضوع، إذ أنّ الآفاق البحثية للدراسات السابقة دعت إلى القيام بدراسات جديدة حول الجماعات المختلفة وكذلك تقديم تفاصيل دقيقة أكثر حولها على طريقة التفاعلية الرمزية ومن وجهة نظر برغماتية، كما أنّ إحدى نتائج الدراسات السابقة أشارت إلى غموض وتعقد الهبة والمفاهيم المرتبطة بها، هذا من جهة.

5. ومن جهة أخرى، في كتابهما المعنون بـ (Anthropology) ذكر كل من (Marc Augé) و (JeanPaul Colleyn) بأنّ "... بعض المؤسسات الضرائبية مثل الهبة المقدسة والكولا (...) كان لها ما يفاجئ المراقبين الأوروبيين المولعين بالإدارة .."¹، ممّا يدل على أنّ في ما اصطلحنا عليه بـ "العادة المكسبة" هناك جانب تدبيري يمكن تناوله ضمن تخصص علم الاجتماع المنظمات والمناجمنت، وفضلاً عن ذلك ومن خلال إطلاعنا على بعض المراجع التي تناولت مجتمع إيموهاغ لم يتم طرحها رغم أهميتها فهي لا تقل أهمية عن الـ (Kula) والـ (Potlach)، خاصة إن أخذنا عامل وجوديتها إلى حد الساعة.

*لمزيد من التفاصيل حول علاقة الدراسة الحالية برسالة الماجستير يمكنك الاطلاع على الملحق رقم (3).

¹. مارك أوجيه، جان بول كولانين، الأنثروبولوجيا، ترجمة جورج كتورة، بيروت-لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008، ص.37.

6. هناك العديد من الدراسات الحديثة التي أثبتت بأنّ التدبير لا يسير وفق خطة ممنهجة أثناء القيام بنشاطات المختلفة، ممّا يدل على وجوديّة التخطيط الحدسي وبالتالي إمكانية تناول التدبير كفن.

7. تنقسم الملاحظات العلميّة التي قادت الباحثة لموضوع الدراسة إلى ملاحظات متعلقة بمجتمع الدراسة وأخرى متعلقة بالجانب النظري، فمن الناحية الأولى، لاحظنا وفي الآونة الأخيرة انتشار عمليات البيع الصغيرة لدى النسوة على مستوى مدينة تامنغست ومن ثم انتقالها إلى القرى، بحيث أضحى من أهم طرق الكسب على الإطلاق-كما لاحظنا-بأنّ العملية التفاعليّة لدى أفراد مجتمع إيموهاغ تختلف عن غيرها، وفي ذات السياق توصلت دراسة في ميدان علوم الإعلام والاتصال حول المجتمع القبائلي بأنّ له بنية اتصاليّة خاصة، أما من الناحية النظرية، فقد لاحظنا قصور مفهوم "التدبير"، إذ لاحظنا أنّ توظيفه غالباً لا يتناسب وبعض المجتمعات المحليّة غير الصناعيّة، خاصةً إن أخذنا بعين الاعتبار أنّه مازال مفهومًا يثير النقاش فغالبًا ما نجد في المراجع عبارة "هو علم وفن"، أو مفردات كـ"الممارسة"... الخ

8. الدراسة تُركز على طريقتين فقط من طرق الكسب التقليديّة* من أجل التحكم المنهجي والحقلي وذلك راجع إلى أنّ العمليتين السابقتين تجمع جل أفراد المجتمع، ففي "العادة المكسبة" يساهم فيها جل أفراد المجتمع رجالاً ونساءً في حين نجد في "عمليات البيع الصغيرة" أغلبها نساء والأطفال يشاركون بشكل موسمي فيها، فنجد بذلك بأنّ القاسم المشترك بينهما هن "النسوة"، فنظراً لبعض الطابوهات لدى مجتمع إيموهاغ الريفي وكذا مسألة الجندر نجد من الصعوبة بمكان خاصة وأنّ المنهج كفي-إثنوغرافي التوصل إلى نتائج فيما يخص نشاطات يقوم بها العنصر الرجالي كالصيد على سبيل المثال كونه أحد طرق الكسب التقليديّة غير المشروعة، كما أنّ مسألة الجندر لا تسمح بالمشاركة التامة في الشبكات التفاعليّة الخاصة بالرجال والأهم من ذلك وحسب الإطلاع لم نصادف أية دراسة حول عمليات البيع الصغيرة عند مجتمع إيموهاغ، وحسب تفسيرنا الأمر راجع إلى أنّ "عمليات

* طرق الكسب التقليديّة كالرعي والفلحة.. الخ مشبعة من الدراسة، إطلع على الملحق رقم (17).

البيع الصغيرة خاصة لدى النسوة هي حديثة الظهور، أما عن ما اصطلحنا عليه بالعادة المكسبة فلم تُفرد لها دراسة خاصة بمجتمع إيموهاغ.

2. أهمية وأهداف الدراسة

أ. أهمية الدراسة

لكل دراسة أهمية خاصة بها تكتسبها من الجوانب التي تقوم بدراستها وعليه فإن للبحث الذي نقوم بإنجازه أهمية نظرية وتطبيقية:

■ الأهمية النظرية للدراسة

✓ الدراسة تُعالج على المستوى النظري مشكلة قصور مفهوم "التدبير"، إذ لا يأخذ بعين الاعتبار اللاتماثل بين الأفراد والمجتمعات، خاصة وأن بيئة مولدها رأسمالية صناعية تختلف تماماً عن طبيعة مجتمعاتنا التقليدية المحلية.

■ الأهمية التطبيقية للدراسة

✓ المرونة التي يتّصف بها المنهج الكيفي وطبيعة مجتمع الدراسة قد تدفعان الباحثة لإيجاد طرق جديدة لجمع المعلومات.

✓ الدراسة بمثابة قراءة سوسيو- مادية للشبكات التفاعلية فهي تُعتبر كمحاولة للكشف عن الآليات التفاعلية ذات الخلفيات الاقتصادية والتي يتميز بها مجتمع إيموهاغ؛ دون أن ننسى بأن موضوع "التفاعل" يُعد محور علم الاجتماع بشكل عام.

✓ الدراسة تنطلق من ثنائية الأهداف والوسائل، وعليه الدراسة تحاول إبراز موضوع عدم تجانس الأساليب لدى الأفراد، ففي الوقت الذي يتموقع بعضهم في المؤسسات الرسمية والبعض الآخر يسعى إلى بناء مؤسسات خاصة...، هناك فئة أخرى من الأفراد وفي وقتنا المعاصر تتبّع الطرق التقليدية للكسب وتحقق المكاسب الاقتصادية الاجتماعية على حد سواء هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد أنها تحاول المزج بين ما هو معاصر وما هو تقليدي في آن واحد.

✓ في التناول النظري نجد العديد من المفاهيم المغزية-إن صح القول-التي تجعل الباحثة يتحمس ل طرحها على المستوى الميداني وبالمقابل الواقع يرفضها؛ لأنّ لتلك المفاهيم واقع خاص بها، فقد نتساءل هل يجوز لنا الحديث عن "المؤسسة اليوتوبيا" في مجتمع تقليدي؟ لذلك كان الميدان هو من يصنع الفارق وبالتالي بفضلها يمكننا طرح مفاهيم تتناسب وواقعنا ومن هنا جاءت أهمية البحوث النوعية.

✓ الدراسة تُحاول إثبات بأنّ تناول موضوع قيم العمل من مجتمع لآخر ومن زمن لآخر تجعلنا نوظف مفاهيم جديدة كاستخدامنا لمفهوم "طرق الكسب التقليدية" -على سبيل المثال، ووفقاً للمماثلة الأيكولوجية الأمر شبيه بالاختلاف خصائص الحيوانات من منطقة جغرافية لأخرى.

✓ الدراسة تربط بين عدة تخصصات في ميدان علم الاجتماع فهي تربط بين علم الاجتماع المنظمات والمناجمنت، كعلم الاجتماع الثقافي، علم الاجتماع الريفي، علم الاجتماع العائلي وكذا علم الاجتماع العام وهي تقتحم ميدان الأنثروبولوجية الاقتصادية أيضاً، كما أنّ الدراسة لا تخلو من الخلفية اللغوية وعليه فإنّ بحثنا هذا يحاول إثراء البحث العلمي في التخصص وذلك بتنوع مواضيعه المطروحة للبحث النوعي.

ب. أهداف الدراسة

تسعى دراستنا إلى بلوغ الأهداف التالية:

✓ عدم إبراز الدراسات السابقة للخلفية المادية- البرغماتية للتفاعل والعلاقات بين الأفراد وعليه الدراسة في المقام الأول تُحاول فهم الكيفية التي تساهم فيها الآليات التفاعلية التي يمتاز بها مجتمع إيموهاغ عن غيره من المجتمعات في تكوين التخطيط المرن هذا الأخير الذي يساعدهم في النهاية على الظفر بمرودية اقتصادية واجتماعية، فالدراسة بذلك لا تهتم بعدد تكرار الظاهرة بل تسعى للفهم وبالتالي التعمق في جزئية معينة، وعليه الدراسة تُحاول تقديم قراءة مادية للعلاقات والتفاعل عند مجتمع إيموهاغ الريفي.

- ✓ ذهبت إحدى الدراسات السابقة إلى أنّ "...الأفراد (...)" لا يُفكرون دائماً على نحو واف فيما يفعلون "مما يعني أنّ أفعالهم تتسم بنوع من التلقائية والمرونة وعليه فالدراسة تُحاول الخوض في هذا المعترك ذو الطابع الفلسفي.
- ✓ محاولة إثبات مشروعية إدراج طرق الكسب التقليدية (العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة) ضمن الممارسة التدييرية وفق مبدأ "اللاتماثل" في البيئات الثقافية أولاً والأهداف والوسائل لدى الأفراد، ثانياً.
- ✓ محاولة المساهمة في تكوين إرث ميداني حول مجتمع إيموهاغ الريفي وبالتالي التمهيد لدراسات أخرى تخص ذات المجتمع.
- ✓ الاستفادة من ما يسمى بـ"وحدة العلوم" والاستعانة بالمخيلة السوسولوجية للوصول إلى رؤية حول الممارسة التدييرية والمجتمع إيموهاغ الريفي وذلك من خلال "التخطيط المرن".
- ✓ معرفة الكيفية التي تتدخل بها العادات والتقاليد لتشكيل ماهية الكسب لدى مجموعة معينة.

3. الطرح الإشكالي

إنّ مسألة استهلاك الباحث السوسولوجي للمفاهيم المختلفة؛ تقتضي عمليات إنتاج وإعادة إنتاج مستمرة لمفاهيم جديدة تتناسب وواقع الجماعات المتميزة قيد الدراسة ضمن النقاط الزمنية والمكانية المختلفة، وذلك من منطلق اهتمام علم الاجتماع بدراسة ما هو كائن، فأغلب المقاربات النظرية التي تعتمد عليها سوسولوجيا المنظمات والمناجمت جاءت من بيئة مختلفة لا تُلائم في كثير من الأحيان الدراسات على المستوى المحلي لذلك ظل فهم مجتمعاتنا التقليدية عالماً خاصة مع نقص الإقبال على البحوث النوعية في علم الاجتماع المنظمات والمناجمت.

يمكن القول ومن خلال ما سبق ذكره بأنّ ما أكدّه (Michel Foucault) ومفكري ما بعد الحداثة بالقول أنّ المجتمعات الحالية ذات طبيعة هولامية-إن جاز القول -فهي عرفت ومازالت تعرف عدد لا يُحصى من الأساليب الثقافية والاختيارات لذلك أضحت فكرة إيجاد تفسير للمجتمع الإنساني

أقرب منه للحلم للحقيقة وعليه وحسب ما ذهب إليه هؤلاء لا يمكن التسليم بأن المداخل النظرية المختلفة تستطيع إيجاد تفسير للمجتمع الإنساني ككل.¹ وعليه فإنّ المداخل التديريّة المعروفة قد لا تقي بالغرض لفهم المجتمع الإنساني برمته، فمازالت محاولات فهمه مستمرة ويمكن وصفها وبطريقة فلسفيّة بأنها سرمدية؛ لأنّ الإنسان كائن لا يكتمل تحوله ونضجه وتناقضاته؛ لذلك فممارسة نوع من التعصب المعرفي لنظرية ما هو نوع من السذاجة.

أثبتت الدراسات الحديثة (Henry.M, Maryem .L.S) بأنّ التدبير يجمع بين العلم والفن لذلك فهو لا يقتصر على دراسة الظاهرة الرسميّة (كالمؤسسات) بل وعلى الظاهرة غير الرسميّة أيضًا بيد أنّ هذا الأخير يفتقر لوجود إطار نظري متين خاص به فبالإضافة إلى التدبير المنزلي الذي يهتم بالمنزل كمؤسسة غير رسميّة هناك عدد لا حصر له من الأشكال المؤسسيّة غير الرسميّة للتدبير حسب (Françoi Athané) فإنّ بإمكان الأفراد خلق أشكال اجتماعيّة مؤسسيّة عديدة يصعب تصورها عملياً، فمهمة الباحث السوسولوجي تتمثل في محاولة كشف أكبر عدد ممكن من تلك الأشكال وفهمها وبالتالي تحديد ما إذا كانت وظيفيّة أو غير وظيفيّة للمجتمع.

كما أثبتت الدراسات أيضًا بأنّ المجتمعات الحديثة والتقليديّة تعتمد على الظاهرة غير الرسميّة على غرار الظاهرة الرسميّة في حياتها فالمجتمع إيموهاغ الذي مثل منذ الفترة الاستعماريّة موضع اهتمام باحثين (أجانب وجزائريين) في فروع العلم المختلفة كعلم الآثار، التاريخ، الأنثروبولوجيا، الموسيقى، اللغات... الخ، إذ تم تناول العديد من المواضيع المختلفة كممارسة التجارة القوافليّة نشاط الرعي... العادات والتقاليد... الخ.

يدخل "التخطيط المرن" عند مجتمع إيموهاغ الريفي ضمن تدبير الظاهرة غير الرسميّة والذي يعتمد على استخدام الآليات التفاعليّة المختلفة لتحقيق الكسب في كل من العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة، فقد مرت الحياة الاقتصاديّة لمجتمع إيموهاغ بمراحل عدة وقد حظيت أغلبها بالدراسة بدءً بممارسة الغزو كنشاط اقتصادي عند مجتمع إيموهاغ البدوي قديماً ومروراً بممارسته

¹. طلعت إبراهيم لطفي، علم الاجتماع التنظيم، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، ص.128.

التجارية القوافلية إبان القرن السابع عشر وصولاً إلى التوجه نحو التعامل النقدي السلعي وذلك في بداية تشكل ولاية تامنغست حيث عرف مجتمع إيموهاغ البدوي النقد من خلال بفضل ورشات العمل بمنطقة "إنكر" والتجار الوافدين للمنطقة من مناطق مختلفة (متيلي الشعانية، أولف، عين صالح... الخ)، كما عرف عمليات بيع بشكل محتشم.

لم يحظ الكسب الهبوي عند مجتمع إيموهاغ بالاهتمام على غرار الدراسات التي أقيمت حول شعائر التبادلات في شمال أفريقيا الذي لقي اهتمام باحثين من أمثال (René Maunier)، (Pierre Bourdieu) والذان تمحورت اهتماماتهما حول المجتمع القبائلي على وجه الخصوص، أما عن عمليات البيع الصغيرة التي تقوم بها النسوة - غالباً - ووفقاً للسيرورة التاريخية - حديث المعرفة بها مقارنة بالعادة المكسبة.

مادامت البيئة الثقافية من صنع الإنسان ولديها القوانين والنظم الخاصة بها فهي كفيلة بأن يستمد منها الأفراد طرقاً للكسب والعمل، فالإنسان في النهاية كائن مبدع، فرغبته في تلبية حاجاته والتي بإشباعها يتمكن من تحقيق مطلب أساسي ألا وهو التكيف مع البيئة الفيزيائية والثقافية وربما مع عدد لا يحصى من البيئات المختلفة والمتناقضة في آن واحد، فليس جل الأفراد يرتادون المؤسسات أو التنظيمات المختلفة للعمل وقت محدد أو كل الأفراد يمتلكون رأسمال يسمح لهم بإنشاء مؤسسات مصغرة فهناك فئة منهم يختارون العمل الحر المتذبذب أو طريقة كسب تقليدية تتبع من ثقافة مجتمعاتهم وبالمقابل هناك من يمكننا إدراجهم ضمن خانة الأنومي الاجتماعي كالذين يقومون بأعمال غير مشروعة على سبيل المثال، إذ يعتبر هؤلاء ذلك عملاً بغض النظر عن المنظور الشرعي - القانوني لذلك العمل.

تعتبر المجتمعات الريفية حسب علماء الآثار من أقدم المجتمعات؛ والتي حافظت على استمراريتها وأسلوب حياتها، كما أنها تُعد مجتمعات جزئية نظراً لاعتمادها على مجتمع المدينة على عكس المجتمعات البدوية والتي تعد مكثفية بذاتها، غير أنّ المجتمع الريفي مازال يحافظ على رواسب الذهنية البدوية؛ لذلك هو يحتل منطلق وسط بين المدنية والبدوية ومنه لا يمكن - في وقتنا المعاصر - الحديث عن مجتمع إيموهاغ بنوع من العمومية بحيث وجب التفريق بين

مجتمع إيموهاغ الحضري ومجتمع إيموهاغ الريفي، فعلى المستوى الاجتماعي يختلط أفراد مجتمع إيموهاغ الذين يقطنون المدينة مع أفراد من ثقافات عديدة أكثر من أفراد مجتمع إيموهاغ الريفي؛ مما أثر على سلوكياتهم وطرق تفاعلهم وبالتالي تخليهم كلية على رواسب البداوة القديمة، كما أنه لا تتاح فرصة للتعليم في مجتمع إيموهاغ الريفي لجميع الإناث؛ نظراً لعدة عوامل.

إنّ اعتماد مجتمع إيموهاغ الريفي بمنطقة "تافرغاست" على طرق الكسب التقليديّة كالاكتطاب، الرعي، الزراعة، العادة المكسبة، عمليات البيع الصغيرة... الخ، من جهة يرتبط بعامل الطموح والرغبة في زيادة المكاسب الاقتصاديّة والاجتماعيّة أيضاً ومن جهة أخرى -وهي الأهم على الإطلاق- يتعلق بطبيعة مجتمع إيموهاغ الريفي ونظرته لكل ما هو ذو طابع رسمي -تنظيمي بالإضافة إلى ماهيّة الزمن الاجتماعي عنده.

يميل المجتمع التقليدي في شتى مناحي الحياة الاجتماعيّة، الثقافيّة، السياسيّة، الاقتصاديّة إلى الاعتماد على الأعراف والعادات والتقاليد فغالبا ما يتم اقحام هذه الأخيرة بوعي أو بغير وعي من أفراد المجتمع التقليدي حتى إن بدت عليهم بعض مظاهر التمدن، إذ لا تضمن الأعراف والعادات والتقاليد الترابط والتكامل بين الأفراد فحسب بل وبالدرجة الأولى التساند والتكامل بين الجوانب (السياسيّة، الاجتماعيّة والاقتصاديّة).

دعا الأدب النظري -الميداني الذي تناول بعض عناصر الدراسة الحاليّة للقيام بالعديد من الدراسات والأبحاث حول طرق الكسب التقليديّة غير الروتينيّة؛ أي تلك الطرق الكسبيّة التقليديّة التي لا يمارسها الأفراد بشكل يومي -اعتيادي، بالإضافة إلى دراسة الوجه البرغماتي لعمليات التفاعل الخاصة بالجماعات المختلفة ومن منطلق مبدأ تراكميّة البحث العلمي واستمراريته وبصفة العلم ظاهرة حيويّة كان لابد من القيام بدراسة حول "التخطيط المرن" بمفهومه الإمبيريقى؛ كونه -بالدرجة الأولى- يعكس الخلفيّة النفعيّة (الاقتصاديّة) للتفاعل عند إيموهاغ.

تُحاول الدراسة بصفتها دراسة ميكروسوسيولوجيّة-إثنوغرافيّة وفي ظل المؤشرات السابقة - معرفة الكيفيّة التي تتدخل فيها العادات والتقاليد لشكل ماهيّة الكسب عند جماعة معينة ومنه محاولة إثبات مشروعيّة إدراج استخدام أفراد مجتمع إيموهاغ للآليّات التفاعليّة لتحقيق الكسب في

طرق الكسب التقليدية غير الروتينية (العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة) ضمن الممارسة التديريّة وفق مبدأ اللاتماثل في البيئات الثقافية أولاً والأهداف الوسائل بين الأفراد ثانياً. وعليه نتساءل عن الكيفية التي تتدخل بها الآليات التفاعلية المختلفة ك: السرية والممازحة، ضمن أشكال الشبكات التفاعلية المختلفة عند مجتمع إيموهاغ الريفي بمنطقة "تافرفاست" في عمليات كسبهم التقليدية والمتمثلة في العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة وكيف يمكن اعتبار طرق الكسب السابقة ممارسة تديريّة؟

ويمكن أن نستخلص من التساؤل السابق التساؤلات الفرعية التالية:

■ كيف تنشط الآليات التفاعلية (الكثرة والتنوع) ضمن الشبكات التفاعلية المختلفة عند مجتمع إيموهاغ الريفي؟

■ كيف تستطيع الآليات التفاعلية المختلفة ك: السرية والممازحة تحقيق مكاسب لأفراد مجتمع إيموهاغ الريفي عمليات بيعهم الصغيرة والعادة المكسبة؟

■ ما المؤشرات التي يمكن الاعتماد عليها لاعتبار عمليات الكسب التقليدية والمتمثلة في (العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة) عند مجتمع إيموهاغ بتافرفاست ممارسة تديريّة؟

4. تحديد المفاهيم

أشار (Marc-Adélar Tremblay) إلى أنّ البحوث الإمبريقية بحاجة إلى مفاهيم ومصطلحات تتناسب والواقع المدروس، خاصةً في الدراسات ذات المنهج الاستقرائي¹؛ لأنه وكما تمت الإشارة سابقاً الدراسات الكيفية الاستقرائية تنطلق من الخاص إلى العام وعليه فإنّ المفاهيم تُستمد من الواقع* المدروس.

¹ Marc-Adélar Tremblay, Initiation à la recherche en sciences humains, Montréal, Mc Graw –Hill Editeur, 1968, p.8.

*أشار "بشير محمد" في مؤلفه "علماء الاجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر (الرعيّل الأول) لنتائج مهمة توصلت لها أطروحة الدكتوراه التي أشرف عليها للباحثة "بن هامل جميلة" حول "علم الاجتماع التنظيم والعمل في الجزائر(حالتا جامعة وهران وتلمسان) ومن أهم تلك النتائج أنّ المعرفة التي ينتجها علم الاجتماع التنظيم والعمل لا ترتبط بالواقع إلا بنسبة 33.30% فهي تقوم بنسخ المفاهيم الغربية بنسبة %70 وبالتالي الاعتماد على أعمال الباحثين الجزائريين بنسبة 10% فقط، صحيح بأنّ النسب السابقة تخص جامعتين فقط من جامعات الجزائر، لكنها تمنحنا فكرة عن "علاقة بحوثنا بالواقع".

وفي ذات الشأن أكد "جمال غريد" (1943-2013) ((على صعوبة مقارنة الواقع الجزائري بالمفاهيم المعتادة"))¹

أ. التخطيط المرن

➤ مفهوم التخطيط المرن (لغوياً)

مفهوم "التخطيط المرن" هو مفهوم مركب من مفهومين التخطيط والمرونة، كل منهما يكتسي أهمية بالغة؛ لذلك وجب التطرق لكل منهما من الناحية اللغوية؛ على حدى.

التخطيط: من الناحية اللغوية التخطيط (Planification) من الفعل خطط (Planifier) والذي يعني نظم، وهو التنبؤ الذي يخص مخطط معين، ففعل التخطيط يعني بذلك تنظيم الوسائل والأهداف لسياسة اقتصادية.²

المرونة: لغوياً المرونة من الفعل "مَرَنَ (مرونة ومروناً ومرانه)، لان في صلابه، على الأمر تعود عليه، الجدل لينه من عدوه: هرب منه"³

المعنى اللغوي السابق يحوي خلفيةً سوسولوجيةً بحيث أنّ "التعود على الأمر"، يجعله يجري بانسيابية، أما من الناحية الاصطلاحية فقد تعددت استخدامات المفهوم من علم لآخر، إلا أنه غالباً تُجمع التعاريف على أنه "القدرة على التكيف".

➤ المفهوم الإجرائي للتخطيط المرن

نقصد "بالتخطيط المرن" في هذه الدراسة استخدام أفراد مجتمع إيموهاغ لآليات تفاعلية مختلفة كالسرية والممازحة بهدف تحقيق مكسب* في كل من العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة؛ لأنّ تلك الآليات هي أساساً جزء من ثقافتهم، وعليه يتّضح بأنّ التخطيط المرن في هذه الدراسة يركز أساساً على عنصر التفاعل.

¹ بشير محمد، نقلاً عن جمال غريد، علماء الاجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر (الرعيّل الأول)، تلمسان-الجزائر، دار كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، 2018، ص. 130-131.

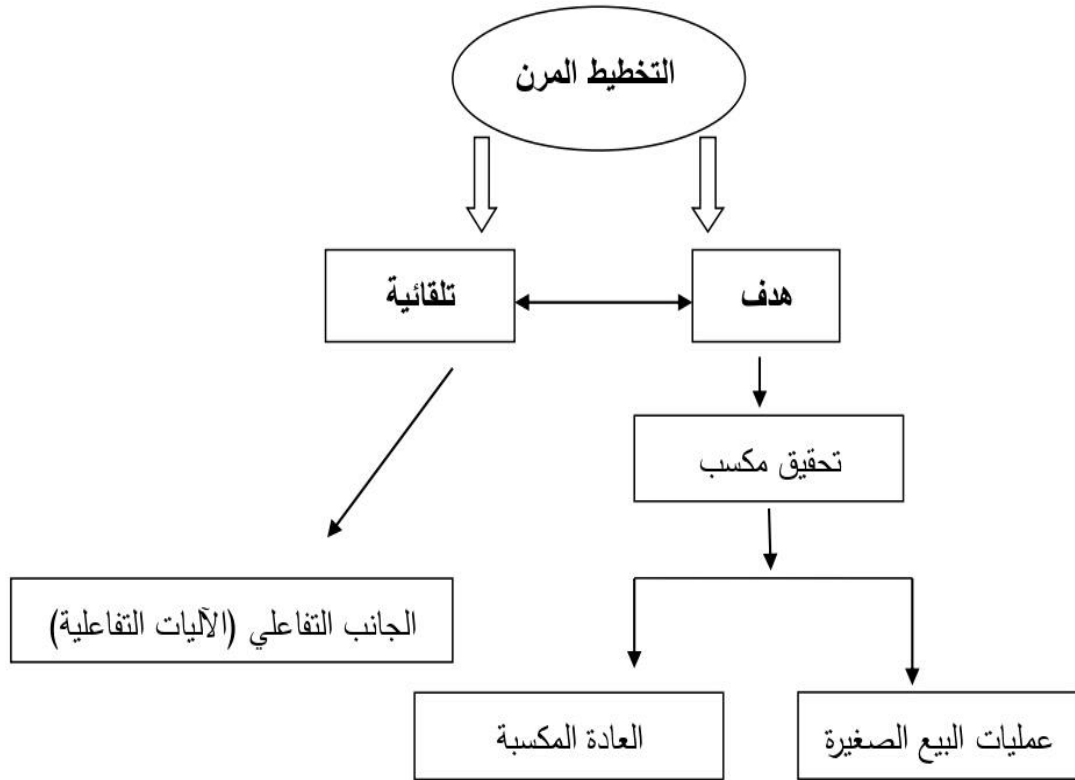
² Françoise Dubois-charliet al, Dictionnaire de la langue Française (40000 mots définitions, Exemples d'emplois), S.L, Hachette, 1993, p.413.

³ هيئة الأبحاث والترجمة، الأداء (القاموس العربي الشامل عربي-عربي)، بيروت، دار الراتب الجامعية، 1997، ص. 536.
* يجب الإشارة إلى أنّ المكاسب لا تتحقق لصاحب عملية بيع فقط أو المستفيد من العادة المكسبة فقد تتحقق لأفراد آخرين في الآن نفسه.

والشكل رقم (1) يقوم بشرح مفهوم "التخطيط المرن"* لأهم عناصر الدراسة، فمفهوم "التخطيط" يستلزم وجود هدف، هذا الأخير الذي يتحقق من خلال طرق الكسب التقليدية (عمليات البيع الصغيرة والعادة المكسبة والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً)، في حين صفة "المرونة" تعني التلقائية والانسيابية والتي تكون من خلال نمط البيانات الحية والتي يُقصد بها التفاعل بين الفاعلين ضمن الشبكة التفاعلية.

ومن خلال ما سبق تُصبح التلقائية أي ما اصطلحنا عليه بالآليات التفاعلية طريقة لتحقيق مكاسب من عمليات البيع الصغيرة والعادة المكسبة (الهدف).

الشكل رقم (1): يشرح مفهوم التخطيط المرن



* من خلال الشكل رقم (1) والشرح تتضح شمولية مفهوم التخطيط المرن ومنه سبب اختياره كعنوان للدراسة الحالية "التخطيط المرن ومجتمع إيموهاغ الريفي".

➤ توضيح كفيّة استقاء مفهوم "التخطيط المرن" من الواقع الخاص

يُمكن القول بأنّ مفهوم "التخطيط المرن" المستمد من الواقع الخاص مر بمراحل، إذ انتقل المفهوم من المستوى الأكبر إلى المستوى المصغر "الميكرو" وذلك بعد عدة ملاحظات واستنتاجات متسلسلة.

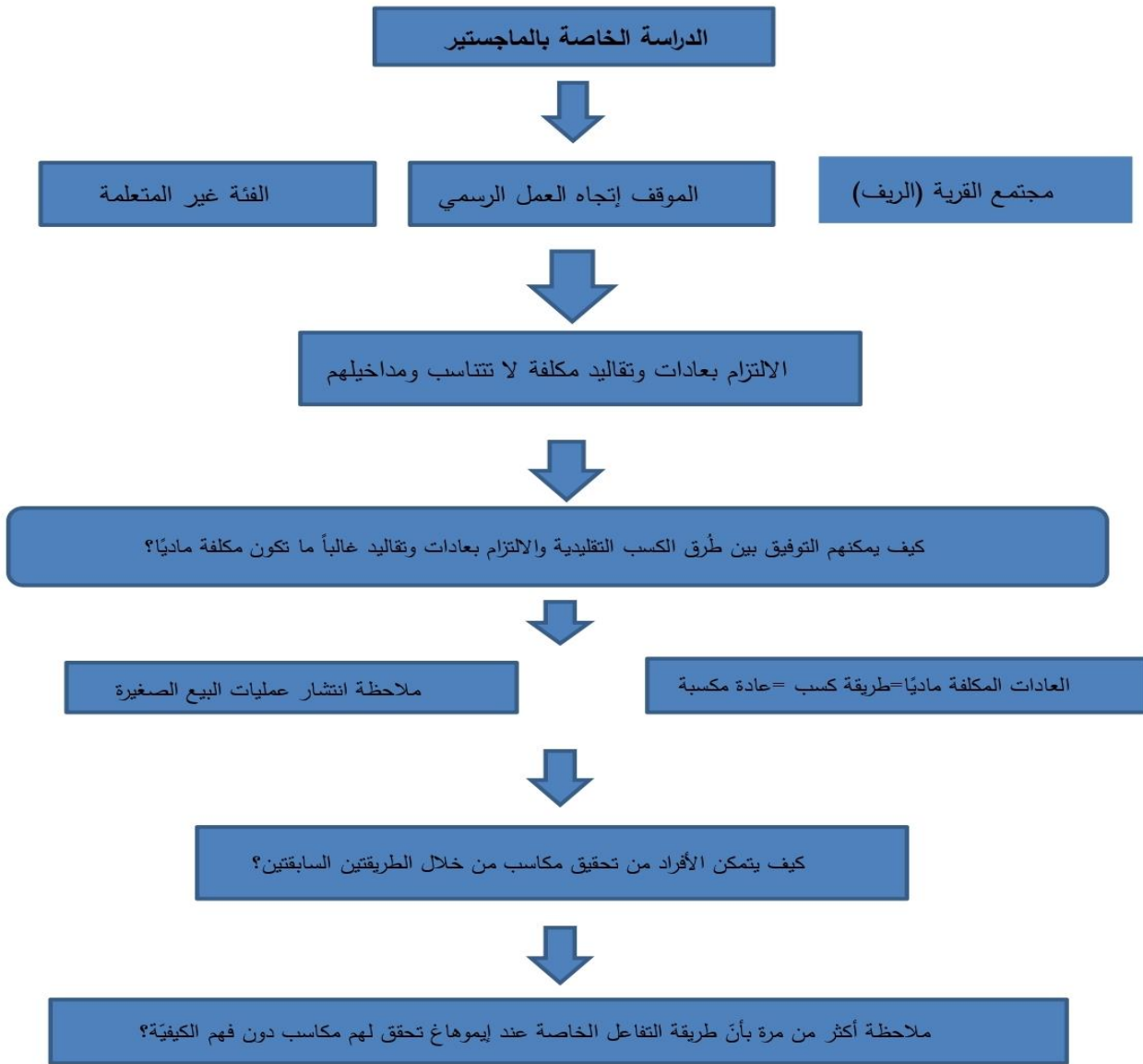
لفتت رسالة الماجستير* انتباهنا لمجتمع القرية أو الريف وإلى الفئة غير المتعلمة من الأفراد. لاحظنا عدم ميل أغلب أفراد مجتمع الدراسة الحالي بشكل عام نحو العمل الرسمي، ففئة الشباب تميل إلى العمل المتذبذب، أغلبهم يعمل بورشات العمل بولاية "إليزي" بعقد عمل محدود المدة وقد يبقى أغلبهم مدة من الزمن بدون أي عمل بعد انتهاء المدة القانونيّة للعقد وذلك ليس لضعف مستواهم التعليمي بل لعدم رغبتهم في مزاوله العمل الرسمي كعامل مهني، حارس بأحد المؤسسات.. الخ، جل ما سبق ينتج عنه دخل متذبذب، غير مستقر، هذا من جهة ومن جهة أخرى الإناث نجد أنّ مستواهن الدراسي ضعيف فأغلبهن لم يرتدن المدارس وغالبًا ما يتفرغن للأنشطة الاقتصادية التقليديّة كالرعي وبرغم ممّا سبق ذكره نجد أنّ أفراد مجتمع الدراسة يلتزمون بعادات وتقاليد مكلفة لا تتناسب ومداخلهم رغم اعتمادهم على طرق كسب تقليديّة روتينيّة كالرعي والفلاحة ومنه جاء سؤال الانطلاقة: كيف يمكنهم التوفيق بين طرق الكسب التقليديّة والإلتزام بعادات وتقاليد غالبًا ما تكون مكلفة ماديًا؟

وبعد التفكير والربط بين عدة معطيات وجدنا أنّ ما اصطّلحنا عليه بـ"العادات المكلفة ماديًا" هي في حد ذاتها تُشكل "طريقة كسب" وتُعد "العادة المكسبة" عند إيموهاغ "أهمها على الإطلاق ونظرًا لاهتمامنا بطرق الكسب التقليديّة لاحظنا انتشار "عمليات البيع الصغيرة" عند إيموهاغ، مؤخرًا وبشكل ملحوظ وتعد مصدر دخل لأغلب النساء بالمنطقة وعليه فُمنّا باستبعاد طرق الكسب التقليديّة المألوفة من حيز الدراسة؛ لأنّها مشبعة بالدراسة.

* من خلال دراسة سابقة فمنا بإجرائها (رسالة الماجستير 2016) تم التوصل إلى أنّ ما نسبته 49.3% من مجتمع الدراسة موطنهم الأصلي القرى ونسبة 64.2% لا يقرأ ولا يكتب وقد كان من بينهم أفراد مجتمع الدراسة الحالي (قرية تاهيفت)، والذين يميلون إلى تحويل مناصبهم أو الاستقالة للتفرغ لطرق الكسب التقليديّة.

وبعد تحديد ما اصطلحنا عليه بـ"طرق الكسب التقليدية غير الروتينية" والمتمثلة في "العادة المكسبة" و"عمليات البيع الصغيرة" تساءلنا عن الكيفية التي تحقق بها أفراد مجتمع إيموهاغ مكاسب من خلالها؟ فوجدنا أنّ مجتمع إيموهاغ بشكل عام لديه طريقة خاصة في التفاعل تساعده على تحقيق مكاسب في العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة؛ لذلك اصطلحنا عليها بـ"التخطيط المرن".

الشكل رقم (2): يوضح كيفية استقاء مفهوم "التخطيط المرن" من الواقع الخاص



ب. الشبكة التفاعلية

➤ الشبكة

الشبكة من "شبكة" (..) يشبكُ شبكاً شبكت الأمور: تداخلت واختلطت والتبست و-الشيء، أنشب بعضه في بعض /وشبكه عنه: شغله عنه /و-الشيء: شبكه-شابك بين الأصابع أدخل بعضها بعضاً....¹

من خلال ما سبق نستنتج أنّ التشابك من مفردة شبكة يأتي أساساً من كثرة الشيء، وسوسيولوجياً نجد أنّ هناك العديد من الاستخدامات لمفهوم الشبكة (réseau)، فالشبكة الفردية (réseau individuel) هي مجموعة من الروابط أو العلاقات الفرد مع أفراد آخرين²، أما عما يسمى بالشبكة الاجتماعية (réseau social) فهي تعني بشكل أوسع، مجموعة من الفاعلين مرتبطين بعلاقات مباشرة وغير مباشرة، وبناءً على ما سبق فإنّ العبارة تعني حقائق اجتماعية مبتذلة...³

إنّ مفهوم الشبكة لا يرتبط بالمكان الفيزيقي خاص بل يستدعي نوعاً من الانسيابية في الانتماء وبالتالي يسمح لنا للحديث عن علاقات شخصية ضمن سياق المرونة، والشبكات هي عكس الجماعات تُعرف بوجود أكثر عدد ممكن من الروابط القويّة والضعيفة، وبالتالي تخلق روابط بين مختلف الدوائر الاجتماعية، كما تعطي مدخل للعديد من الموارد والأفكار.... الخ.⁴

➤ التفاعل

التفاعل من الفعل "تفاعل، يتفاعل، تفاعلاً: شئئين أثر كل واحد منهما في الآخر، مواد الكيمياء أثر كل واحد منهما على الآخر بما ينتج تغيراً في أجسامها"⁵

التفاعل بصفته عملية حيوية، نشطة، ينقسم إلى مستويات فنجد ما يسمى بالتفاعل وجه لوجه وهو حين يتواجد الأفراد ضمن فضاء واحد وزمن واحد إذ تتمكن أفعالهم وإيماءتهم من التقابل

¹. إبراهيم فلاتي، قاموس عربي-عربي، عين مليلة-الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بدون سنة نشر، ص.339.

². Gilles Ferréol et al, Dictionnaire de sociologie, 4 éme édition, Algérie, édition Mahdi, 2013, p.266.

³. Jean Etienne et al, Dictionnaire, S.L, Hatier, S.d, p.506.

⁴.Maude Gauthier, Intimité au Québec : étude ethnographique d'un réseau personnel, thèse du grade philosophie Doctor(Ph-D)en communication ,université de Montréal,Octobre2014,p.35.

⁵. الجيلاني بن الحاج يحيى وآخرون، القاموس الجديد الألفبائي (عربي-عربي)، ط12، بدون بلد نشر، سراس للنشر، 2003، ص.172.

والملاحظة، وهو ما يسمى بـ"التفاعل المركز" وعكسه التفاعل غير المركز وهو الذي يُصطلح عليه بـ"لغة الجسد".¹

وهناك من يرى أنّ التفاعل هو علاقة شخصيّة مباشرة بين فردين على الأقل، وقد تأتي على أحد الصور الثلاث: لغويّة، فزيولوجيّة أو بصريّة (كتبادل النظرات) أي التفاعل الرمزي.² أما عن المفهوم الإجرائي للشبكة التفاعليّة في هذه الدراسة فهي تعني تلك التجمعات للأفراد من ثلاث أفراد فما فوق، وما يسمى بالتماهق بـ"تدوكليث وأجماث*" وما اصطلحنا عليه بـ"سوسيولوجيا المرح"، جلاها تُعتبر كأشكال للشبكات التفاعليّة أين يمكن ملاحظة العديد من الآليّات التفاعليّة بحكم أنّها تنشط أكثر ضمن تلك الشبكات.

ت. طرق الكسب التقليديّة

مفردة كسب في اللغة العربيّة من الفعل "كَسَبَ وكَسَباً الرجل الشيء، أصابه وجمعه والمال: ربحه والإثم: تحمله ولأهله: سعى في طلب الرزق وأكسب الرجل صاحبه مالاً أو علماً: أنّ إله إياه وأعانه على كسبه..."³

في هذه الدراسة نقصد بها تلك الطرق التقليديّة التي يعتمد عليها أفراد مجتمع إيموهاغ الريفي بمنطقة تافرفاست من أجل الكسب وهي متعددة إلا أنّه من خلال هذه الدراسة سيتم التركيز على طريقتين: العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة. وفيما يخص اعتبارها عمليات بيع تقليديّة صغيرة ذلك نظراً لكون طريقة جمع المال تكون تقليدية (ليست قرصاً من مؤسسة)، كما أنّ عمليات البيع تلك تتم على نطاق ضيق نسبياً يراعى فيه النسيج القرابي غالباً.

¹. جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الأول، تر: محمد الجوهري وآخرون، ط2، بدون بلد نشر، بدون دار نشر، 2007، ص 391.

².Frédéric Lebaron, La sociologie de A à Z (250 mots pour comprendre), Paris, DUNOD, 2009, p.72.

*بمعنى تجمع مجموعة من الأشخاص وتبادل أطراف الحديث.

³. المعتمد (قاموس عربي -عربي)، ط3، بيروت -لبنان، دار صادر، 2004، ص.578.

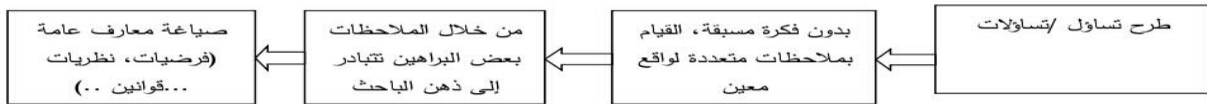
5. المنهج والتقنيات

يرى "أ.د. محمد بشير" بأن ما ينطبق على الأنثروبولوجيا ينطبق على علم الاجتماع، إذ حسب ما ذهب إليه "عادل فوزي" و"عبد القادر لقجع" -رحمه الله- بأن البحث الأنثروبولوجي في الجزائر بحاجة للاهتمام ليس فقط بخصوصية الموضوع بل وخصوصية الطريقة العلمية¹. لذلك فإن هذه الأخيرة لا تقل أهمية عن الموضوع وعليه فإن الدراسة تتبّع:

أ. المنهج الاستقرائي

نظراً لتعدد الظواهر في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، توصل المجتمع العلمي إلى ثلاثة طرق كبرى من أجل فهم الباحثين لتلك الظواهر والتي تمثلت أولاً؛ في الطريقة الكلاسيكية في البحث أي المسعى "الفرضي-الاستنباطي"، ثانياً الطريقة الاستنباطية وأخيراً الطريقة الاستقرائية في البحث وهي أحد الطرق العلمية التي تمكننا من معرفة الواقع انطلاقاً من فهم الخاص وذلك من خلال الملاحظات العلمية لذلك الواقع الخاص².

الشكل رقم (3): يوضح خطوات الطريقة الاستقرائية في البحث:



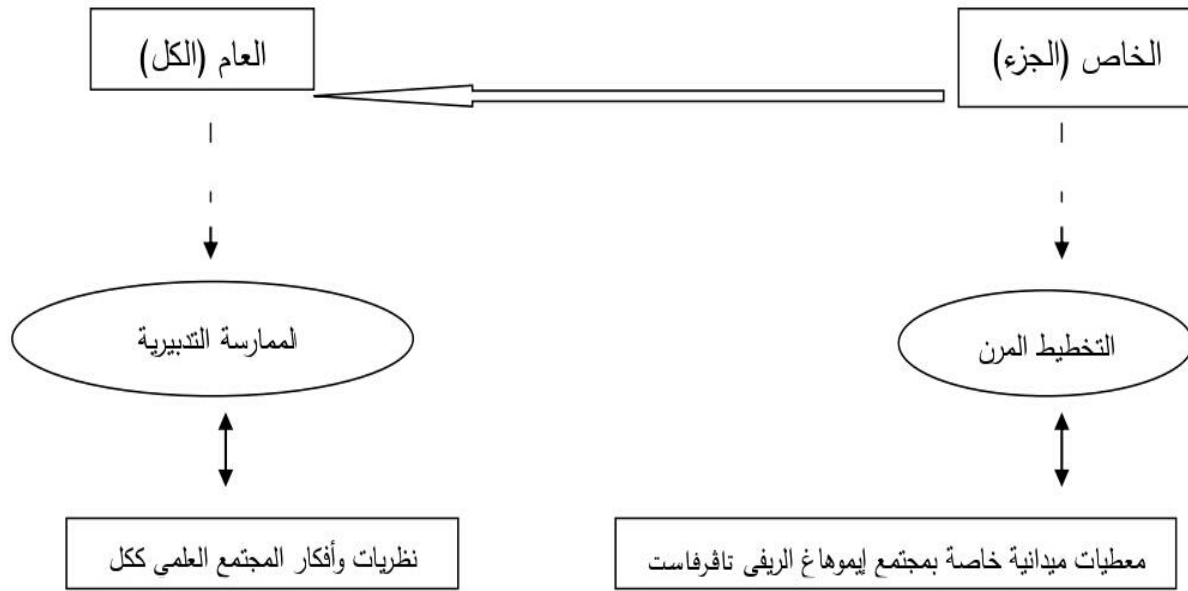
المصدر: François Depelteau, La démarche d'une recherche en sciences humains (de la question de départ à la communication des résultats), collection méthodes s en science humaines, Les presses de la université Laval, Canada, 2000, p.58.

¹.بشير محمد، علماء الاجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر (الرعيّل الأول)، تلمسان-الجزائر، دار كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، 2018، ص.130.

².François Depelteau, La démarche d'une recherche en sciences humains (de la question de départ à la communication des résultats), collection "méthodes s en science humaines", Canada, Les presses de la université Laval, 2000, p.55-56.

وعليه فإنّ الطريقة الاستقرائية في البحث تنطلق من الخاص إلى العام* وليس العكس. ومن خلال ما سبق فإنّ البحوث الاستقرائية هي بحوث إمبريقية مستنبطة من الطبيعة الاستطلاعية للبحوث تنطلق من ملاحظة الواقع ويكون الهدف منها - غالباً - تجميع المعلومات حول ظاهرة غير معروفة أو غير معروفة بشكل جيد (لقلة المعلومات عنها)؛ وهي غالباً تكون دراسات وصفية وبالتالي تقوم بوصف الواقع على طريقة الإثنوغرافيين، كما أنّ هذا النوع من الدراسات يبني على كثير من التخمينات والمجازفة؛¹ لذلك فالمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الكيفي - الإثنوغرافي.

الشكل رقم (4): يوضح كيفية الانتقال من الخاص إلى العام في الدراسة



*لذلك مادام البحث إمبريقياً بالدرجة الأولى فهو لا يتبع الطريقة الكلاسيكية في البحث فالأولوية للميدان ومن ثم يتم توظيف النظري؛ فلا يتم فرض النظرية على التحليل وتجدر الإشارة إلى أنّ الجانب النظري حول مجتمع إيموهاغ بشكل عام يعد مسألة ثانوية بالنسبة للتخصص؛ لكنها مهمة لتجميع أجزاء الصورة - إن جاز القول - فالنظري الأهم في هذه الدراسة هو ما يخص ما جاء به المجتمع العلمي حول الممارسات التدبيرية.

¹ Marc-Adélar Tremblay, op. cit., p. 66-68.

تم استخدام المنهج الكيفي الإثنوغرافي*؛ نظراً لطبيعة الموضوع ومجتمع الدراسة (مجتمع ريفي تقليدي).

ويُعتبر المنهج الكيفي، منهجاً تأويلياً؛ لذلك توصف الدراسات الكيفية بالعمق وذلك لاعتمادها على الملاحظة بالمعايشة.¹

إنّ علاقة خاصية "العمق" بالملاحظة بالمعايشة تتحدد من خلال القرب من أفراد الجماعة المدروسة سواء باستغلال علاقات موجودة أساساً أو بتكوينها، ممّا يُساعد الباحث على فهم أفراد مجتمع الدراسة عن كثب حتى أنّه قد يكون لدى الباحث القدرة على التعبير عن دوافع وأسباب الأفراد أكثر منهم، فالعديد منهم يجد صعوبة في التعبير عنها.

تعود جذور البحوث الكيفية إلى مدرسة (Chicago) الاجتماعية، حيث اشتهرت هذه الأخيرة بالأبحاث الإمبريقية في العشرينيات من القرن العشرين، حيث ارتبطت تلك الدراسات الإمبريقية بمجال علم الاجتماع التطبيقي.²

لا طالما عرف علم الاجتماع الأمريكي الإمبريقية، إذ سعى الباحثون الأمريكيون لفهم مجتمعهم ومن ثم إحداث تغيير فيه (كمعالجة مشاكل الانحراف) ومن ثم كانت لبحوثهم الكيفية غاية مجتمعية قبل بناء نظريات تفيد المجتمع العلمي في أمريكا.

أشار عالم الاجتماع البريطاني المعاصر (Anthony Giddens) إلى أنّ الدراسات الإثنوغرافية الناجحة تقدم "...ثروة من المعلومات والبيانات حول الحياة الاجتماعية وتتفوق في هذا المجال على أساليب البحث الأخرى، فهي تدرس الجماعة البشرية من الداخل ومن ثمّ تستطيع تقديم نظرة ثابتة على أنشطتها ومقاصد الأفعال والقرارات التي تتخذها..."³

*تتّصف البحوث الكيفية الإثنوغرافية بأنها مرنة تتيح للباحث استخدام طرق وتقنيات مختلفة قد يستوحي بعضها من مجربات وكواليس الميدان، اطلع على الملحق رقم (16).

¹. خميس طعم الله، مناهج البحث وأدواته في العلوم الاجتماعية، تونس، مركز النشر الجامعي، 2004، ص.69.

². شاقا فرانكفورت-ناشميارودافيد ناشميار، طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة ليلي الطويل، سوريا-دمشق، بتر للنشر والتوزيع، 2004، ص.282.

³. أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005، ص.681.

إنّ البحوث النوعية هي أشبه برسم ثلاثي الأبعاد يسمح للباحث برؤية شاملة بحيث تسمح بتدفق عالٍ للمعطيات ومن ثم للخيال السوسولوجي؛ ممّا قد يُصعب ربط عناصر الصورة بعضها ببعض والتي غالبًا ما لا يجد الباحث علاقة بينها للوهلة الأولى وذلك راجع لكثرة المعلومات وتنوعها.

تجدر الإشارة إلى أنّ سبب اختيار الباحثة للمنهج الإثنوغرافي-الكيفي يعود إلى أسباب موضوعية بحتة، وقد تم الحديث أو طرح بعضها في مبررات اختيار الموضوع (الذاتية والموضوعية) وسنشير لاحقًا (في التقنيات) إلى بعضها الآخر.

ب. تقنيات الدراسة

يُعتبر كل من الموضوع المطروح للدراسة وكذا نوع المنهج المتّبع وطريقة طرح الباحث أو رؤيته لموضوع بحثه متغيرات تحدد نوع أدوات البحث العلمي المناسبة لجمع المعلومات وتحليلها ووفقًا لما سبق فإنّ الدراسة اعتمدت على الأدوات التالية:

■ الملاحظة العلمية

تُعرف الملاحظة بصفة عامة على أنّها "مشاهدة الوقائع على ما هي عليه في الواقع أو في الطبيعة بهدف إنشاء الواقعة العلمية".¹

حين يتعلق الأمر بالبحوث النوعية فإنّ الملاحظة تُعد بمثابة منهج قائم بحد ذاته؛ نظرًا لما تحتاجه من إجراءات فهي أقرب من المراقبة للملاحظة العلمية البسيطة.

تُعد الملاحظة بالمعايشة من أهم الأدوات البحث التي يمكن استخدامها على الإطلاق في بحث ذو طبيعة سوسيو-إثنوغرافية، نظرًا لما تُتيح للباحث للتعمق أكثر فأكثر لفهم مجتمع الدراسة خاصته، بحيث تُصبح في بعض الحالات نشاطات الباحث نفسه وعلاقاته مع الآخرين التي يُظهرها جزء أساسي لإنشاء المعرفة حول موضوعه.²

¹صلاح الدين شروخ، منهجية البحث العلمي، الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2003، ص.29.

²Serge Pangam, L'enquête Sociologique, 2em édition, Paris, PUF, 2012, p.147

والملاحظة بالمعايشة هي تلك الملاحظة التي يُصبح فيها الباحث جزء من مجتمع دراسته بحيث يتمكن من معايشة ومراقبة الأفراد عن كثب؛ لذلك تدخل ضمن نطاق ما يسمى "بالتحقيق الطبيعي"، إذ لا تؤثر على الحياة الطبيعية لمجتمع الدراسة فهي لا تعيقهم لممارسة حياتهم اليومية بشكل طبيعي، وهي نوعان: صريحة ومضمرة إذ في النوع الأول يصرح الباحث بأهدافه وغاياته للمجتمع المراد معايشته في حين تكون المضمرة عكس ذلك، ومن أهم قواعد ما يلتزم الباحث بتكتيك الحصول على الأجوبة دون طرح أسئلة بشكل مباشر.¹

ونظرًا إلى طبيعة "مجتمع إيموهاغ والريفي" على وجه الخصوص سيتم إتباع الملاحظة بالمشاركة النصف الصريحة وذلك لتفادي أي تحسس من قبل بعض أفراد مجتمع الدراسة. فحسب (Bronislaw Malinowski) فإنّ الهدف من الملاحظة بالمشاركة هو تحويل الفوضى والتعقيد إلى قواعد دقيقة وواضحة²، فعلى سبيل المثال علاقة الآليات التفاعلية بطرق الكسب التقليدية تبدو غامضة معقدة ومتداخلة ومن خلال الملاحظة بالمشاركة يمكن ترتيبها؛ لأنه في النهاية لاشيء اعتباطي.

ومن الجدير بالذكر أنه إبان الزيارة الميدانية الأولى التي قامت بها الباحثة بتاريخ 16 جويلية 2017 للمنطقة قيد الدراسة (تافرغاست) إتضح أنه من الصعوبة بمكان -وخاصة أنها الزيارة الميدانية الأولى- استخدام دفتر ملاحظات فتمت بذلك الاستعانة بالهاتف النقال لتدوين الملاحظات الفورية*؛ للحيلولة دون إزعاج الأفراد في بعض الأوقات خاصة أين تكون الباحثة ليست مجرد ملاحظة مراقبة إنما ملاحظة مشاركة.

ومن خلال ما سبق ونظرًا لعدة اعتبارات موضوعية وجب الإشارة إلى نقطتين هامتين ضمن الجانب الإمبريقي للدراسة:

¹. صلاح الدين شروخ، مرجع سبق ذكره، ص.30-30.

². Robert Deliège, une histoire de l'anthropologie (écoles, auteurs, théories), S.L, Edition du Seuil, 2006,p243.

*إلا أنه يتم إعادة التدوين بعدها ورقياً حين تتاح الفرصة لذلك؛ لأنّ التدوين الفوري باستخدام الهاتف ضروري في البداية لتفديد بعض التفاصيل المهمة.

✓ كرونولوجية الملاحظة

نظرًا للمرونة والمجازفة المنهجية -إن جاز القول- اللتين تبنى عليهما البحوث الكيفية ومن خلال ما تم التوصل إليه بعد الزيارة الميدانية الثالثة (مارس 2018)، وجدت الباحثة بأن المعطيات كانت شحيحة نوعًا ما؛ لذلك تم الاعتماد بعد الزيارة الميدانية الثالثة على تكتيك رصد المناسبات الاجتماعية الكبيرة في المنطقة وذلك من أجل الظفر بكم معلوماتي أكبر باعتبار أن الشبكات التفاعلية ومنه التفاعل يعد محور ارتكاز هذه الدراسة وكذلك ربحًا لعامل الوقت بيد أنه من الصعوبة بمكان مراقبة كم هائل من الشبكات التفاعلية في آن واحد وعليه تم اعتماد ما يسمى بـ"كرونولوجية الملاحظة"* بمعنى تحديد الباحثة لما يتوجب عليه ملاحظته أولاً.

✓ توسيع مجالات الملاحظة

قبل الحديث عن مسألة "توسع مجالات الملاحظة"؛ يجب توضيح ما معنى "مجال ملاحظة"؛ ببساطة نقصد به ماذا ألاحظ وأين ألاحظ بالضبط؟ ويُعتبر تحديد مجالات الملاحظة ذو أهمية بالغة في البحث الكيفي، نظرًا لمرونته وكم المعطيات الإمبريقية التي يصادفها الباحث ومن أجل التركيز أكثر على موضوع بحثه يجب تحديد مجالات الملاحظة بدقة ولكل سؤال من أسئلة بحثه.

*وكذلك لاقتماد الوقت، كما أن كثافة وتنوع الملاحظات يزيد من وفرة المعلومات وكذلك من مصداقيتها أكثر. وتجدر الإشارة إلى أن هذا

المفهوم (كرونولوجيا الملاحظة) تم استقاؤه من Marc-Adélar Tremblay, Initiation à la recherche en sciences

humain

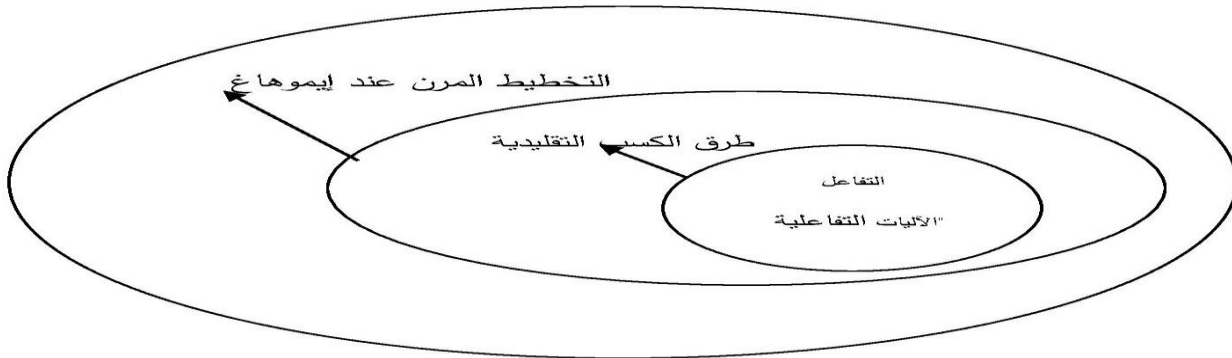
ومن خلال الجدول رقم (1) الذي سنوضح مجالات الملاحظة التي تتمحور حولها الدراسة:

مجالات الملاحظة	الأسئلة
<ul style="list-style-type: none"> ▪ ملاحظة الشبكات التفاعلية ومراقبتها بغض النظر ما إذا كانت هناك عمليات بيع وشراء أم لا؛ وذلك راجع إلى السرية التي تمتاز بها العادة المكسبة " تيرفتين " مما يحتم توسيع مجال الملاحظة. ▪ التركيز أكثر على المنطقة المدروسة. 	<p>كيف تنشط الآليات التفاعلية (الكثرة والتنوع) ضمن الشبكات التفاعلية المختلفة عند مجتمع إيموهاغ الريفي؟</p>
<ul style="list-style-type: none"> ▪ ملاحظة مجتمع إيموهاغ بشكل عام؛ أي حتى خارج نطاق المنطقة المدروسة؛ وذلك راجع إلى السرية التي تمتاز بها العادة المكسبة " تيرفتين " مما يحتم توسيع مجال الملاحظة. 	<p>كيف تستطيع الآليات التفاعلية المختلفة كالسرية والمزاح تحقيق مكاسب لأفراد مجتمع إيموهاغ الريفي فيما يسمى بـ " تيرفتين والبغوشرا "؟</p>
<ul style="list-style-type: none"> ▪ نفس المجالات السابقة مع الاعتماد على ما جاء به المجتمع العلمي حول التدبير. 	<p>ما المؤشرات التي يمكن الاعتماد عليها لاعتبار عمليات الكسب التقليدية والمتمثلة في (العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة (تيرفتين والبغوشرا) عند مجتمع إيموهاغ بتأقرفاست ممارسة تدييرية ؟</p>

نظراً للاحتكاك ببعض أفراد مجتمع الدراسة في المدينة (تامنغست) وليس بمكان إقامتهم الأصلي فقط لرصد بعض الأمور قامت الباحثة باستخدام الملاحظة العلمية خارج منطقة تأقرفاست وبالتالي جاء هذا النوع من الملاحظة في دراسة سوسيو-إثنوغرافية تجسيدا لمبدأ أحد الأنثروبولوجيين " إذا كنت تدرس لا تنسى أنك تعيش وإن كنت تعيش لا تنسى أنك تدرس"؛ أي أنّ الباحثة ضمن حياتها اليومية وحين لا تكون بصدد زيارة ميدانية للمنطقة قيد الدراسة تقوم باستغلال فرصة الالتقاء ببعض أفراد المجتمع المدروس لصالح الدراسة المراد إنجازها.

وعليه نجد أنّ مجالات الملاحظة أو موضوع الدراسة بشكل عام يتمحور حول ثلاث نقاط وتشكل النقطة الأولى محور الدراسة ألا وهو "التفاعل" وذلك ما سنوضحه من خلال الشكل التالي:

الشكل رقم (5): يوضح كيف يكون التفاعل كمحور أساسي للدراسة



■ الملاحظة غير المباشرة (تقنية تحليل المضمون)

الملاحظة غير المباشرة هي الملاحظة التي يتم فيها استخدام وسائل وسيطة من أجل جمع المعطيات حول موضوع معين أو ظاهرة معينة وعليه فإنّ الملاحظة من خلال تسجيل صوتي يمكن اعتبارها من أنماط الملاحظة غير المباشرة وقد يتم الحصول على التسجيل الصوتي بالاستعانة بمساعد¹.

وعليه فإنّ تقنية تحليل المضمون تُعد ملاحظة غير مباشرة وهي تقنية تُستعمل لتحليل الرسائل المكتوبة أو المسموعة أو المرئية² أي أنّها تقنية يلجأ إليها الباحث من أجل الاستفادة القصوى والدقيقة في آن واحد من البيانات التي تم جمعها وقد تم استخدام هذه التقنية من أجل الاستفادة من التسجيلات الإذاعية المتعلقة بالموضوع.

يفصل عامل الزمن بين الملاحظة المباشرة وغير المباشرة حين يتعلق الأمر بالوثائق المسموعة والمرئية؛ ممّا يكسب (أي الملاحظة غير المباشرة) قيمة تاريخية؛ لأنّ تلك الوثائق التي يعمل الباحث على تحليلها قد مرت عليها فترة زمنية معتبرة (سنوات).

¹ Hiroko Norimatsu et Nathalie Plgem ,Les techniques d' observation en sciences humaines, Paris, Armand Colin, 2008,p.10-14.

² سعيد سبعون، الدليل المنهجي (في إعداد المنكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع)، ط2، الجزائر، دار القصة للنشر، 2012، ص.229.

يُعتبر (François Depelteau) تقنية "تحليل المضمون ملاحظة غير مباشرة"؛ نجد أنّ ما ذهب إليه منطقي؛ إذ يتم ملاحظة موضوع الدراسة بشكل غير مباشر¹ وليس كما هو الوضع في الملاحظة المباشرة كالملاحظة بالمعايشة التي تم التطرق لها سابقاً إذ يلاحظ الباحث عن كثب.

■ المقابلات الجماعية والفردية

المقابلة بشكل عام هي تلك المحادثة التي يجريها الباحث وجها لوجه مع أفراد مجتمع الدراسة، إلا أنّ المقابلة المتعمقة تحتاج إلى وقت أطول نسبياً مقارنةً بالمقابلة بشكلها العادي وهناك من يرى بأنّ المقابلة المتعمقة شبيهة بتلك التي يجريها الشخص العامي الذي يمتاز بالفضول إلا أنّ الفرق يكمن في أنّ المقابلة العلمية المتعمقة في أنّ الباحث يسجل ملاحظاته واستنتاجه بشكل علمي واعي ويقوم في الأخير بعرضها عرضاً علمياً يستند إلى المفاهيم والنظريات في مجال تخصصه.²

تم الاعتماد على المقابلات المتعمقة ليس فقط نظراً لملائمتها مع البحوث النوعية إنّما أيضاً وكما سبق وأنّ أشرنا نظراً لتحسس بعض أفراد المجتمع إيموهاغ الريفي لكل ما هو رسمي، فملاءمة الاستمارات على سبيل المثال سيثير قلق البعض وتحفظ البعض الآخر، وقد لاحظنا في مرحلة الماجستير بأنّ (فئة الرجال) يُصرح بأرائه بصعوبة وذلك يعود حسب تفسيرنا إلى ما يدعوه المجتمع إيموهاغ بـ"أشك*" وذلك نظراً إلى مسألة الجندر (باحثة وليس باحث) وانتماءاته العرقية المماثلة. فمن خلال فتح باب النقاش والحوار الفضايف يمكن الكشف عن آراء الأفراد أو على الأقل التعمق ومن ثم يتسنى للباحثة التحليل والتأويل.

أما عن المقابلات ذات الطابع الفردي، فقد تمت صياغة أسئلتها كتابياً (تسع أسئلة مفتوحة) باللغة الأمازيغية (تماهق).

¹. François Depelteau, op. cit, p.296.

². محمد الجوهري وعبد الله الخريجي، طرق البحث الاجتماعي، ط5، القاهرة، بدون دار نشر، 2008، ص.121.

*ترتبط بقيم المروءة والحياء؛ فهي التي تُحدد للفرد الأماهغ ما يتوجب عليه فعله في المواقف المختلفة.

➤ تكتيك أولوية استغلال تقنيات الدراسة

تجدر الإشارة ضمن هذه النقطة بأنه تم استخدام التقنيات بشكل منتظم أي تقديم الملاحظات العلمية على تحليل المحتوى (البرنامج الإذاعي) ومن ثم المقابلات الحرة المعمقة وذلك راجع لعدة أسباب:

✓ المحور الرئيسي للدراسة هو "التفاعل" الذي يُعد عنصراً دقيقاً جداً؛ فقد لاحظنا أنه لا جدوى من صياغة دليل مقابلة، فالملاحظة تأتي في المرتبة الأولى أولاً؛ لأنها المرتكز الأساسي للطريقة الاستقرائية، كما أنه تم التوصل بأن دليل المقابلة أو المقابلات لا يفي بالغرض (وهناك أسباباً أخرى متعلقة بطبيعة مجتمع الدراسة تم التطرق لها سابقاً).

✓ تخوف الباحثة من تدخل الذاتية في توجيه المقابلات لذلك تم الاعتماد عليها بالدرجة الثالثة.

✓ أما عن وضع تحليل برنامج إذاعي بالدرجة الثانية للاعتماد عليه في هذه الدراسة لذات السبب السابق الذي يمكن الإشارة إليه "حرصاً على التقليل من تدخل ذاتية الباحثة"، لذلك فقد صنفت الباحثة (Sharlene Hesse-Biber) تحليل المضمون "ضمن التقنيات أو الطرق غير تفاعلية" أو "غير التدخلية في البحث".¹

✓ لا يمكن الاستغناء على تحليل المضمون للبرنامج الإذاعي ولا المقابلة والسبب يعود المرونة التي يتّصف بها هذا النوع من الدراسات أو البحوث وكما أشرنا سابقاً، كما أنّ التقنيتين تزيدان من كثافة وتنوع مصادر المعطيات الميدانية.

د. الطريقة المتبعة لمعالجة المعطيات الإمبريقية

تم إتباع المعالجة اليدوية -الدلالية للمعطيات الإمبريقية وذلك راجع إلى أنّ إتباع البرامج الحاسوبية غير قادرة على الفهم والتأويل.

¹ شارلين هس -بيير وسارتر بيشياليف، مرجع سبق ذكره، ص.469.

من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ مسألة استعانة الباحث الكيفي بالمعالجة الإحصائية لمعطيات بحثه الإمبريقية أو المعالجة اليدوية* أثار جدلاً؛ لأنّ المسألة وكما أشارت (Sharlene Hesse-Biber) يبنى على الكثير من المجازفة: "...برامج الكمبيوتر سوف تفصل الباحث الكيفي عن (..) العملية الإبداعية (في التحليل والتفسير) (...). من هنا يساور البعض الخوف من أنّ البحث الكيفي يتم اختزاله إلى بحث كمي (...). الخط الفاصل بين التحليل الكمي والتحليل الكيفي سوف ينطمس بسبب فرض منطق البحث المسحي على البحث الكيفي ..."¹

انطلاقاً ممّا سبق وبالإضافة إلى عامل اللغة (الأمازيغية - تماهق) رأينا أنّ الاستعانة بالمعالجة اليدوية أفضل.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّه قد تمّ إتباع "طريقة المقارنة المستمرة" وهي طريقة إثنوغرافية في تحليل المعطيات وهي التي تتمثل في تجميع المعلومات ثم تفسيرها ثم تجميعها مرةً أخرى ومن ثم تتم المقارنة؛ رؤية ما إذا كان التفسير الأول يتناسب مع المادة المجموعة الثانية ثم تفسيرها مرةً أخرى وهكذا دواليك.²

تعتبر عملية المقارنة المستمرة عملية حيوية في البحث الكيفي إلا أنّه يمكن القول بأنّ توقعها في هذا البحث -مرتبط بشرطين:

أولاً: إذا تمّ التوصل بعد كل عملية (تجميع - تفسير - ثم تجميع - تفسير) إلى ذات المحاور أو النتائج:

للقيام بعملية المقارنة بين المرحلة الأولى من مراحل المقارنة المستمرة سنقوم بالاعتماد على الجداول لكل عنصر من عناصر الإجابة على التساؤلات (الأول والثاني) وإظهار ثلاث نقاط رئيسية حول المقارنة وهي:

*تجدر الإشارة إلى أنّ الشبكات التفاعلية وعمليات البيع والمواقف الإستراتيجية التي تتم على مرأى من الباحثة يتم تدوينها ووصفها كما هي على شكل جداول ورسومات توضيحية، أما عن الملاحظات الفورية، المقابلات، الوثائق السمعية البصرية فقد تم توضيح الكيفية التي تمت بها معالجتها يدوياً في الملحق رقم (8).

¹. شارلين هس -بيير وسارتر بيشاليف، مرجع سبق ذكره، ص.447.

². نفس المرجع، ص.593-594.

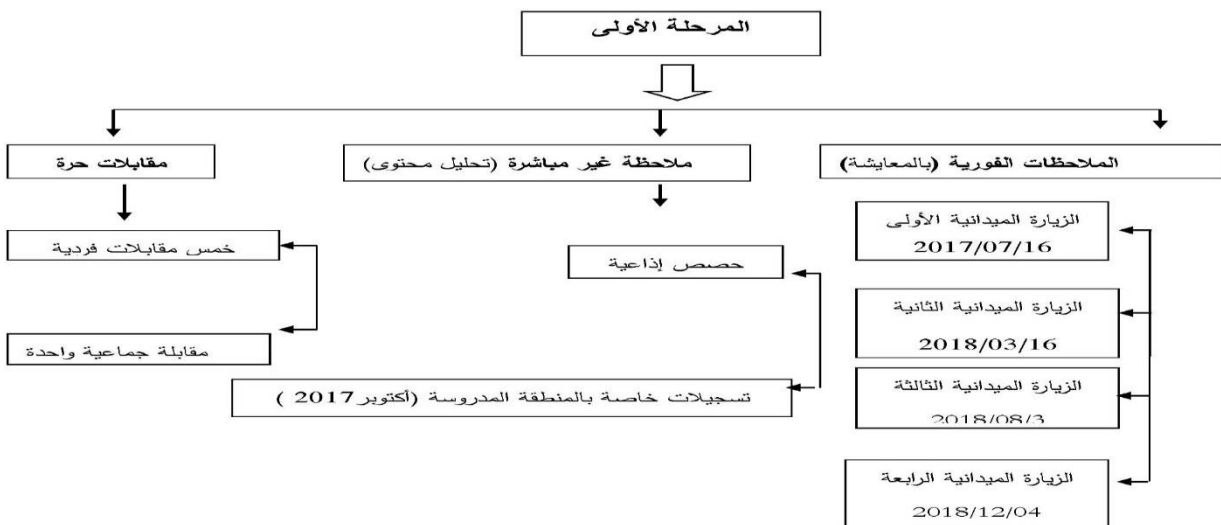
- **التكامل في التفسير؛** بحيث يكون هناك علاقة تكامل بين التفسير في المرحلة الأولى، الثانية، الثالثة من مراحل عملية المقارنة المستمرة.
- **التطابق؛** بحيث يكون هناك علاقة تطابق بين التفسير في المرحلة الأولى، الثانية، الثالثة من مراحل عملية المقارنة المستمرة؛ أي هو ذاته.
- **التناقض؛** أي تضاد تفسير المعطيات الإمبريقية في المراحل الثلاث من عملية المقارنة المستمرة.

ثانياً: المدة المحددة قانونياً لنهاية البحث.

سنحاول من خلال الشكل الموالي توضيح مراحل عملية المقارنة المستمرة بعد كل مرحلة سيتم إضافة ما تم استخدامه في التحليل والتفسير من معطيات ميدانية بمختلف مصادرها:

➤ وصف عام للمرحلة الأولى من عملية المقارنة المستمرة

الشكل رقم (6): يوضح المرحلة الأولى من مراحل عملية المقارنة المستمرة



تضمنت الزيارات الميدانية الأربعة وكما هو تم الإشارة لها في الشكل السابق والتي كانت ضمن فترات زمنية متباعدة، تميزت الزيارات الميدانية الأولى بنوع من الضبابية -إن جاز القول -على عكس الزيارات الميدانية الثلاثة وتجدر الإشارة إلى أنّ الزيارتين الميدانيتين الأولى والثانية جاءت بطريقة غير مخطط لها إلا أنه بعد الزيارة الميدانية الثانية تمكن الباحث من القيام بالزيارات

الميدانية بالتزامن مع المناسبات الاجتماعية المختلفة بالمنطقة المدروسة وذلك بهدف مراقبة وملاحظة أكبر قدر ممكن من الشبكات التفاعلية*، في الزيارتين الأولى والثانية كانت الصدفة عامل أساسي بالتواجد في المنطقة بالتزامن مع بعض المناسبات والأحداث.

تجدر الإشارة إلى أنّ الزيارات الميدانية اشتملت على العديد من الملاحظات الفورية ومذكرات بحثية لأنشطة وأحداث اجتماعية بالمنطقة إذ قمنا بتدوين كل من: (رقم المذكرة، النشاط أو الحدث، التاريخ والساعة) على سبيل المثال: المذكرة رقم (1)، النشاط: الرعي، التاريخ 2017/07/18، الساعة حوالي الساعة التاسعة صباحاً)*، كما تضمنت الملاحظات الفورية مخططات توضيحية (فورية) وصفية للكيفية التي كانت تتم بها بعض عمليات البيع والشراء من خلال توظيف الآليات التفاعلية.

أما عن طرق البحث غير تفاعلية والمتمثلة في استخدام "الوثائق المسموعة"، فقد تم في المقام الأول تحليل محتوى باستخدام المعالجة اليدوية، تحليل محتوى لواحد وثلاثون عدد لبرنامج الإذاعي "الأهفار حضارة وتاريخ" (11 حصة لسنة 2016 و20 حصة لسنة 2017)؛ غير أنّه بعد التحليل تم فرز ثلاث حصص فقط لها علاقة مباشرة بموضوع الدراسة، بالإضافة إلى ما سبق فقد تم الاعتماد أيضاً على حصة إذاعية واحدة من إذاعة الجزائر القناة الثانية، دون أن ننسى وثيقة مسموعة التسجيلات التي تخص مناسبة بالمنطقة المدروسة (بداية شهر أكتوبر 2017).

أما عن المقابلات وبصفتها من بين طرق البحث التفاعلية والتي تسمح بتدخل الباحثة فلم يتم التركيز عليها بصفة أكبر وقد تم إجراء خمسة مقابلات (أربعة منها فردية وواحدة جماعية، كما هو موضح بالشكل)؛ تجدر الإشارة إلى أنّ المقابلة الفردية الأولى التي تم إجراؤها ضمن هذه الدراسة كانت لهدف التعرف أكثر على تاريخ المنطقة، طبيعة أفرادها، نشاطاتهم الاقتصادية قديماً (خاصةً العنصر النسوي)*، في حين مقابلتين فقد تمّتا باستخدام "دليل المقابلة"؛ إلا أنّه تم

*باعتبار أنّ الدراسة أساساً تركز على "التفاعل".

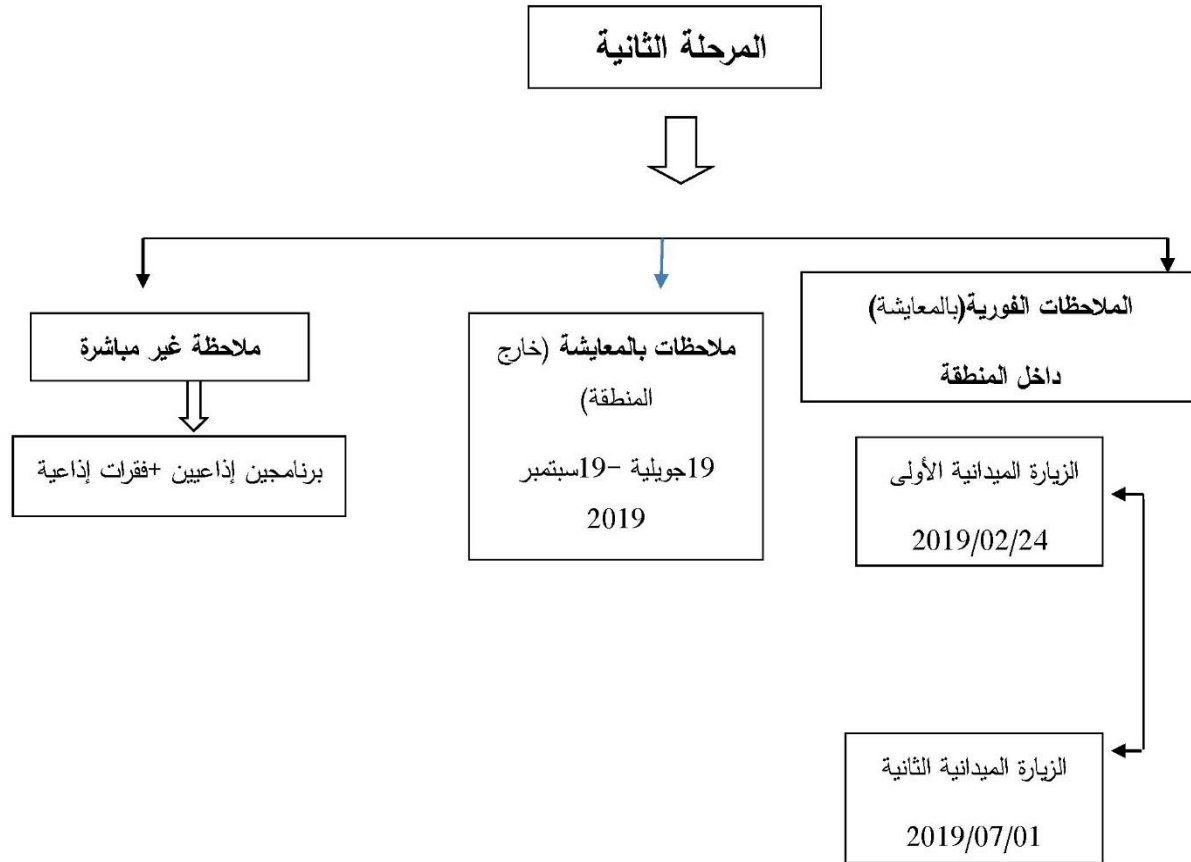
*أنظر للملحق رقم(4).

*لأنّ الدراسة في جزئها المتعلق "بعمليات البيع الصغيرة ترتبط بالعنصر النسوي".

التوصل إلى عدم جدوى الاستعانة بدليل مقابلة؛ وعليه تمت الاستعانة بعدها بعامل "الصدفة" لتكون المقابلات طبيعية أكثر و عفوية.

➤ وصف عام للمرحلة الثانية من عملية المقارنة المستمرة

الشكل رقم (7): يوضح المرحلة الثانية من مراحل عملية المقارنة المستمرة



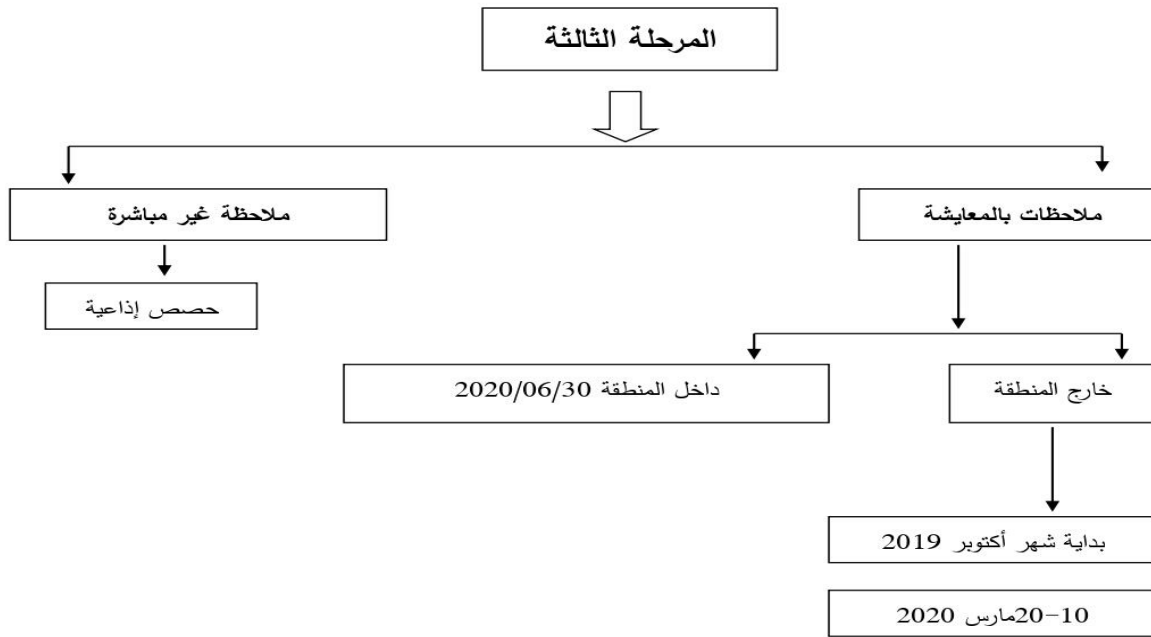
تمت الاستعانة في هذه المرحلة من طريقة المقارنة المستمرة بالملاحظات الفورية وذلك من خلال زيارتين ميدانيتين وكما هو موضح في الشكل بالإضافة إلى استخدام الملاحظة بالمعايشة؛ لكن خارج منطقة تافرواست لنفس الأفراد المبحوثين وذلك باستغلال فرصة تواجد أغلبهم مع الباحثة طيلة شهرين كاملين من 19 جويلية إلى غاية 19 سبتمبر 2019.

بالإضافة إلى الملاحظات تم الاطلاع على البرامج وال فقرات الإذاعية: برنامج حضارة وتاريخ لعام 2018 وشهرين من عام 2019؛ أي 25 حصة من البرنامج وبرنامج "أكالين*" لعام 2012 و2013، أما عن الفقرات فقد تم الاطلاع على فقرتي "جولة في بلادي(2012-2019) وتراث بلادي.

أما عن المقابلات فقد تم الاستغناء عنها في هذه المرحلة نظراً للأسباب التي سبق ذكرها ضمن وصف المرحلة الأولى من هذه الدراسة.

➤ وصف عام للمرحلة الثالثة من عملية المقارنة المستمرة

الشكل رقم (8): يوضح المرحلة الثالثة من مراحل عملية المقارنة المستمرة



6. الدراسات السابقة

إنّ الهدف من البحوث الكيفيّة -الاستقرائيّة هو تجميع معلومات عن ظاهرة غير معروفة أو غير معروفة بشكل جيد بسبب قلة المعلومات عنها، فالأدب النظري حول الموضوع قيد الدراسة يُظهر بأنّ هناك معطيات "شحيحة" عنه؛ ممّا تسبب في عدم قدرة الباحث على صياغة فرضيات.

*كلمة أمازيغية (تماحق) تعني بلادي.

جاءت أغلب الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة أجنبية بالإضافة إلى دراسة جزائرية واحدة، كما أنها تتنوع من ناحية التخصصات التي تنتمي إليها: المناجمت، الفلسفة وعلوم الإعلام والاتصال؛ لذلك نجد أن الدراسات تتنوع من ناحية منهجيتها وفقاً للتخصص الذي تنتمي إليه، وقد تم اختيارها بناءً على عدة أسباب ومن أهمها: اهتمام أحدها بنفس المسار البحثي الذي تهتم به الدراسة الحالية والذي يتمثل في مراعاة خصوصية المجتمعات التقليدية المحلية في التدبير والتدبير ومبدأ اللاتماثل بين البيئات الثقافية، بالإضافة إلى تطرقها لبعض عناصر الدراسة وإن كان ذلك بصورة غير معمقة في بعض الدراسات، أو بشكل مختلف عن تناولنا لتلك العناصر (كما سنتطرق لاحقاً)، وثالثاً التقارب من ناحية مجتمع الدراسة (مجتمع أمازيغي).

الدراسات من ناحية مداها الزمني نجد أن جدتها نسبية، فقد كانت في الفترة الممتدة من 2007 إلى 2018 وسنحاول عرضها مع مراعاة الترتيب الكرونولوجي بدءاً من الأحدث إلى الأقدم:

أولاً: الدراسة الموسومة بـ: **in Introduction : Indigenous Management practices**

Africa نشرت في أوت 2018 ، من إعداد مجموعة من الباحثين "Sarafa UchennaUzo,Olamide, AbelKinoti Meru Shittu deen"، تناولت الدراسة إشكالية امتلاك المجتمعات المحلية التقليدية لنظام معرفي متطور، بيد أن تلك المعارف غير موثقة بحيث يمكن الاستفادة منها في ممارساتهم المناجمنية، لذلك الدراسة سعت للبحث عن نموذج مناسب لخلق المعرفة لمنظمات الشعوب الأصلية في جنوب إفريقيا وتنزانيا وذلك من خلال تطبيق نموذج "مايرز" وقد توصلت الدراسة إلى أن نموذج "مايرز" قد نجح جزئياً في شرح ممارسات إدارة المعارف التي تتبناها منظمات الشعوب الأصلية في جنوب إفريقيا وتنزانيا، كما كشفت الدراسة على أنه من الصعوبة بمكان على منظمات الشعوب الأصلية أن تحفز الأفراد على تبادل المعارف؛ لأنّ معارف الشعوب الأصلية ذات طابع فردي وتستخدم كمصدر للسلطة والمركز والدخل في المجتمعات المحلية، لذلك كان لابد من إدماج معارف الشعوب الأصلية مع نظم المعرفة الأخرى وذلك بتدريس المفاهيم المتعلقة بمعارف السكان الأصليين في جل مراحل التعليم وفي ذات الوقت تجنب الاعتماد على

الفكر الغربي؛ للوصول إلى نمو اجتماعي واقتصادي والدعوة إلى إحداث تغيير في الهياكل المؤسسية.¹

ثانياً: دراسة (François Athané) والمعنونة بـ "Le don ,histoire du concept, évolution des pratique" وهي أطروحة دكتوراه في الفلسفة (2008).

هدف الدراسة الأساسي توضيح مفهوم الهبة وعليه قد تمت الاستعانة بالتحليل المفاهيمي وتحليل المعطيات الإمبريقية الجاهزة الخاصة بدراسات معينة وذلك من خلال الاستعانة بأهم الكتب حول موضوع الهبة من الإثنوغرافيين، الأنثربولوجيين والمختصين في التاريخ واللغة.² وباعتبار أن الدراسة تهتم بتاريخ المفهوم وتطور ممارساته فقد استندت إلى الطرح التطوري، ومن أهم ما تناولته الدراسة طرح (Marcel Mauss)؛ لأنه يتناول أساساً تطور أشكال الاقتصاد وأيضاً تطور حق دوران الثروات.³

جاءت الدراسة مهمة بأزمة شتى فهي تناولت الهبة ضمن أزمة الخاصة بالباحثين وذلك لمعرفة الإرث النظري الفكري حول المسألة ونقده، أزمة تشكل الكيانات السياسية والاقتصادية للمجتمع الأوروبي الغربي أي من سقوط الإمبراطورية الرومانية إلى غاية العصر المعاصر، أما الزمن الثالث فيتجلى في الاهتمام برؤية علماء الآثار والإثنوغرافيين وذلك لدراسة الهبة لدى مجتمعات الصيد والقطف القديمة، أما عن أطروحة (Marcel Mauss) فهي كلية ليس لها زمن معين، إذ ترى أن الهبة ليست مجرد نظام اجتماعي ثقافي، إنما هي نظام طبيعي.⁴

وفي الأخير توصل الباحث على مستوى نظري إلى الاستنتاجات أهمها⁵:

▪ القدرة المدهشة للأفراد على اختراع الأشكال الاجتماعية والمؤسسية المدهشة تماماً، والتي لا يمكن تصورها بشكل مسبق.

¹U, Uzo.,Shittu, O.S., Meru, A, « Introduction : Indigenous Management practicesinAfrica»,*Indigenous Management practicesin Africa(Advanced Series in Mamnagement)*,vol.20,August2018,p1-7.<http://doi.org/10.1108/S1877-636120180000020001>

² François Athané, Le don (histoire du concept,évolution despratiques), thèse doctorat en philosophie, Université Paris X,4 Décembre 2008,p.1-6.

³ *Ibid.*, p.6.

⁴ *Ibid.*, p.12-13.

⁵ *Ibid.*, p.464-471.

- وجود تناقض بين استخدامات مفاهيم كـ"الإعارة"، "الدين"، "التبادل"، والتناقض لا يوجد من كاتب لآخر لكن في العمل الواحد للكاتب نفسه.
- الفاعلون يتصفون من ناحية بخطابهم الواضح، واجتماعياً مصطنع وممارساتهم الفعالة وبالتالي الأفراد لا يعبرون دائماً على نحو واف على ما يفعلون ولا يفكرون دائماً على نحو واف فيما يفعلون.

ثالثاً: دراسة رضوان بوجمعة، بعنوان "أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل" محاولة تحليل أنثربولوجية، وهي دراسة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، (2007). انطلقت الدراسة من فكرة أنّ ثقافة المجتمع الجزائري ثقافة شفوية وبالتالي هل الإقرار بشفوية الثقافة الجزائرية للإقرار بشفوية الاتصال، فقد أشار الباحث إلى أنّ هناك مواضيع منهكة من الدراسة في حين نجد أنّ الاتصال الإنساني المباشر المشبع بالمعاني الاجتماعية والثقافية لم يحظ بالقدر الكافي من الدراسة، وعليه كان السؤال الجوهرى للدراسة: ماهي الأشكال التي أوجدها المجتمع القبائلي للاتصال في غياب وسائل الاتصال الجماهيري؟¹ وقد تفرع منه العديد من الأسئلة الفرعية وأهم تساؤل من بينها:

- ماهي أهم التطورات التاريخية في مجال الأشكال التقليدية للاتصال التي أوجدها المجتمع في الفترة الزمنية المدروسة من منتصف القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين² ؟
- ومن أجل التوصل إلى إجابات لتساؤلات السابقة اعتمد الباحث على المنهج التاريخي وبالتالي استغلال تقنيتي الملاحظة والمقابلة، كما اعتمد الباحث على المقاربة الأنثربولوجية الاتصالية كإطار نظري للدراسة بالإضافة إلى المسح الشامل للوثائق والكتب التي تناولت بالدراسة منطقة القبائل، أما عن الميدان فقد اشتمل مجتمع الدراسة على عدد من القرى التي تتوزع على أربعة ولايات (سطيف، تيزي وزو، بومرداس، بجاية).

¹. رضوان بوجمعة، أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل "محاولة تحليل أنثربولوجية"، دراسة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، 2007، ص. 21-24.

². نفس المرجع، ص. 25.

ومن أهم ما توصلت له الدراسة:¹

- للمجتمع القبائلي بنية إتصال خاصة به كمجتمع تقليدي تتميز عن الأنساق الأخرى في الإتصال فهي بنية تُشكل نسقاً متفرداً، له قواعده وثقافته ومنطقه.
- سلطة القرية المتمثلة في "ثاجماعت" شكلت سلطة ضبط هذا النسق فهي تُنتج مدونة الإتصال عبر تنظيمها لفضاءات الإتصال وتقوم بتعديلها وتطويرها وإلغائها.
- للنسق ستة أسس وهي:
 - ✓ بنية الرسالة "سلطة الكلمة"، ويتجلى ذلك من خلال الأمثال والحكم.
 - ✓ الفصل بين الجنس في تقسيم العلاقات الفضائية وتحديد الفضاء طبيعة الإتصال.
 - ✓ تحديد أنساق القرابية لبنية الإتصال وصيرورته.
 - ✓ تحديد الإنتماء لهوية الرسالة والمرسل وبنية الكتمان في الإتصال.

نقد تقييمي للدراسات

إنّ من أهم نقاط الاختلاف بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية من الناحية المنهجية، المنهج المستخدم في أغلبها وتقنياته فأغلبها لم تعتمد على المنهج الكيفي، ممّا ينفي أهمية البحث على معطيات إمبريقية عميقة، دقيقة.

وعليه في دراستنا هذه سنحاول توظيف مفهوم التخطيط المرن مع مراعاة طبيعة المجتمع المحلي ومن ثم العمل وفقاً لما اصطلحنا عليه بمبدأ "اللاتماثل بين الأفراد".

تراوحت الأطر النظرية للدراسات السابقة بين المقاربات التطورية التحليلية، المقاربة الأنثروبولوجية، استخدام نموذج في المناجمنت "مايرز"، في حين الدراسة الحالية تعتمد على المنهج الإثنوغرافي-الكيفي؛ ممّا يعني اعتمادها على المقاربة الإثنوغرافية التأملية باعتبارها منهجية بالدرجة الأولى وهي المقاربة التي تعمل على دراسة مجموعة من الناس وإعطائهم تركيز تام وتأمل من قبل الباحث، وتجدر الإشارة إلى أنّ المبدأ الذي تمت الإشارة له هو عام؛ لأنّه من الأحسن في الدراسات الإثنوغرافية عدم التحيز لنظرية أو مقارنة معينة.

¹. رضوان بوجمعة، مرجع سبق ذكره، ص. 235-251.

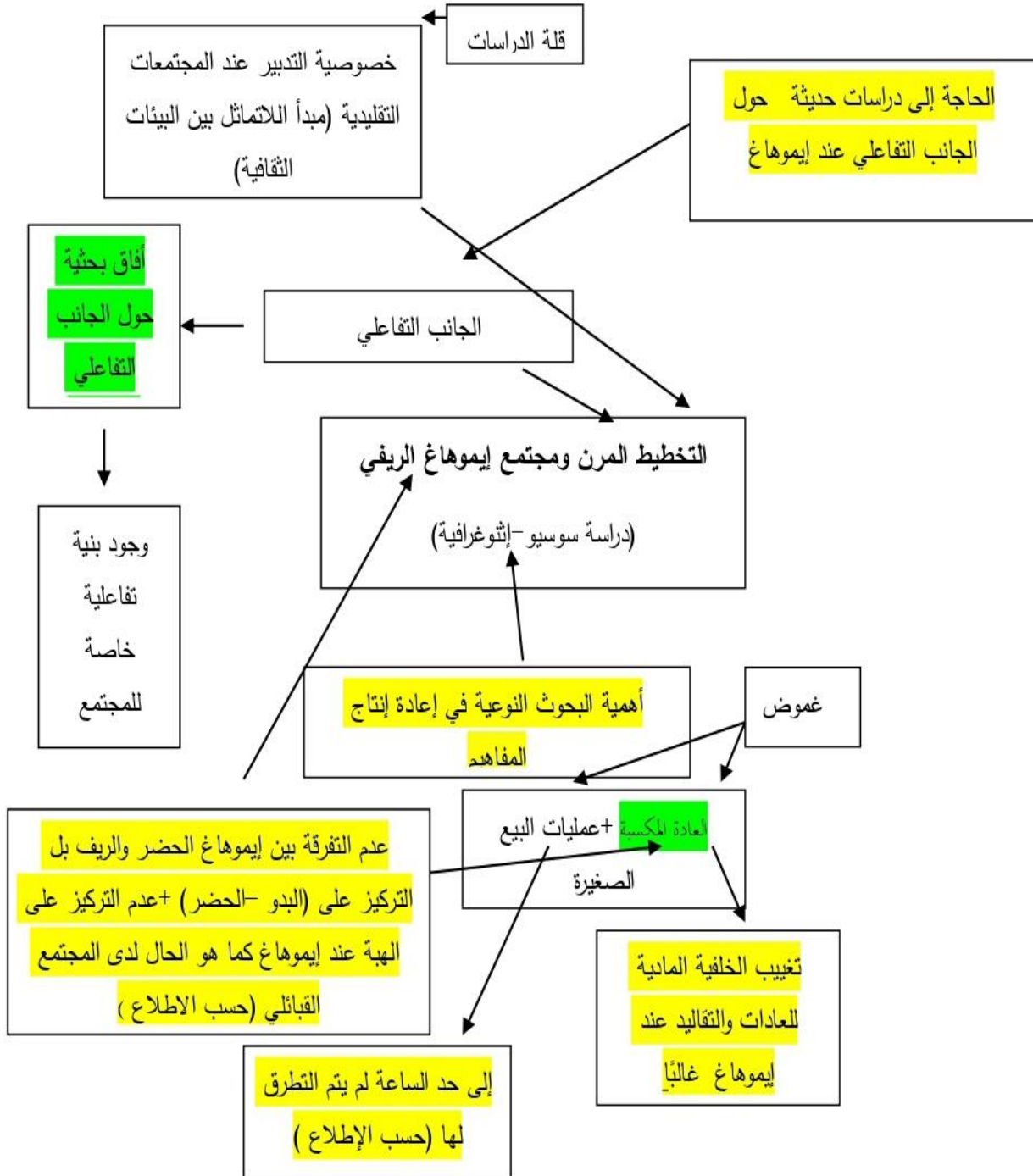
أما عن الهبة فنجد أنّ إحدى الدراسات السابقة تطرقت لها؛ لكن بشكل نظري نقدي إذ لم تتوفر الدراسة على جانب إمبيريقى خاص بها، بالإضافة إلى ميل الباحث لتناول "الهبة" كإجراء مؤسسي ضمن المجتمعات الحديثة، كما أنّ الباحث تناول أغلب المجتمعات وفي أزمنة مختلفة إلى حد الوصول إلى المجتمع القبائلي في شمال إفريقيا بيد أنّه لم يتطرق إلى الهبة والعطاء عند مجتمع إيموهاغ وحين توفر الجانب الميداني في أخرى فقد جاء تناول الموضوع بشكل سطحي دون الإلمام به بشكل واف وعليه سنحاول من خلال هذه الدراسة الاهتمام بإبراز تلك الخلفيّة- إن جاز القول- وفق طرح تدبيري-مجتمعي وذلك من خلال عمليتي الكسب التقليديّة إذ لم ترد إحداها مطلقاً في الدراسات السابقة (حسب الاطلاع).

وأخيراً وجب القول بأنّ الاستفادة من الدراسات السابقة جاءت متنوعة على قدر تنوع تخصصاتها ومناهجها وأطرها النظرية، كما تُعد إحدى الدراسات موسوعيّة في موضوع "الهبة" فقد تطرقت بشكل شامل إلى الأدب النظري حول الهبة وبالتالي تمكنا من أخذ منظور كلي حول الموضوع، كما أنّ إحدى الدراسات قامت بطرح موضوع بحثها ضمن مبدأ اللاتماثل بين البيئات الثقافيّة في ما يخص موضوع "التدبير" بالمفهوم الأنجلوساكسوني وقد أشارت إلى قلة الدراسات في ذات المسار البحثي.

ومن الأهميّة بمكان الإشارة إلى أنّ للدراسات السابقة دور في صياغة عنوان الدراسة الحاليّة وكذلك المنهج المتّبع فيها، وبالتفاعل مع دوافع الدراسة التي تطرقنا لها سابقاً والمستمدة أساساً من الواقع الخاص، وخلال الآفاق البحثيّة لبعضها "الثغرات العلميّة" وعليه جاء عنوان الدراسة "التخطيط المرن ومجتمع إيموهاغ الريفي" والشكل رقم (9) يوضح هذه النقطة.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنّ النتائج المتوصل لها في بعض الدراسات السابقة أعطتنا دافعاً للمضي في هذه الدراسة، أي الثقة بإمكانية تناولها إمبيريقياً.

الشكل رقم (9): يبرز العلاقة بين عنوان الدراسة والثغرات والآفاق البحثية للدراسات السابقة



خلاصة

تُعد الخلفية الأكاديمية والواقع عاملان أساسيان لتشكل مواضيع دراسة معينة لدى أي باحث ومن أجل ذلك الواقع الخاص قد لا يجد الباحث مفاهيم أو أدوات تتناسب والواقع المحيط به، فيجد الباحث نفسه بين خلفية أكاديمية نظرية وواقع ملموس قد لا يتفقان في العديد من الأوجه؛ مما يقوده-أي الباحث-إلى استخدام طرق غير روتينية في البحث- كما هو الحال في بحثنا هذا -كالاعتماد على الطريقة الاستقرائية في البحث، خاصةً أنّ التراث العلمي حول الموضوع الدراسة لم يتم تناوله بشكل مباشر؛ مما شكل نقص في المعلومات حول الموضوع وبالتالي وجود ثغرة معرفية وجب سدها.

وانطلاقاً مما سبق يمكن القول بأن أهمية الدراسة بشكل عام تتمثل في سد الثغرة العلمية من الناحية المنهجية والنظرية والمتمثلة في محاولة البحث في جانب الممارسة التدبيرية غير المؤسسية.

الفصل الثاني: مجتمع إيموهاغ

الريفي



تمهيد

1. تحليل سوسيولوجي لمعنى "إيموهاغ" Imouhagh

أ. إيموهاغ (Imouhagh)

ب. "أماهغ" انعكاس سوسيوثقافي

2. طبيعة مجتمع إيموهاغ الريفي

أ. طبيعة المجتمعات الريفيّة

ب. الطبقية لدى مجتمع إيموهاغ والنسيج القرابي

ج. سوسيولوجيا المرح ومجتمع إيموهاغ الريفي

خلاصة

تمهيد

مما لا شك فيه بأن مجتمع إيموهاغ من المجتمعات التقليدية التي استقطبت الفضول العلمي لكثير من الباحثين في علوم مختلفة خاصة التاريخ، الأنثروبولوجية وعلم الآثار من أمثال (Dida، Paul Paudolfi، Henri Lhote، Henry Duveyrier، Gast Marceau، Badi) بالإضافة إلى ابن خلدون وآخرون؛ لذلك يُعد تقليداً علمياً طرح أهم ما جاء به هؤلاء؛ نظراً للقيمة العلمية خاصة من الناحية التاريخية، إذ لا يفصل التاريخ عن الجانب السوسيو-ثقافي، وانطلاقاً مما سبق فإن هذا الفصل والمعنون بـ"مجتمع إيموهاغ الريفي" يهدف أساساً إلى طرح ما اصطلحنا عليه بـ"تموهغة" وبالتالي تناول السمة السوسيو-ثقافية والأيدولوجية لمجتمع إيموهاغ الريفي وذلك من خلال أخذ خصوصية مجتمع الدراسة "قرية تاهيفت" بعين الاعتبار، وتجدر الإشارة إلى أنّ تلك السمة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالجزء الأهم من هذه الدراسة "التخطيط المرن".

تعددت الروايات حول حقيقة اسم "إيموهاغ"؛ إلا أنّ الهدف من ذكرها ضمن هذه الدراسة هو من أجل استجلاء الأبعاد التي ترتبط بها تلك الروايات، كالبعد الديني، الاقتصادي، الثقافي،.. الخ

1. تحليل سوسولوجي لمعنى "إيموهاغ"

وفقاً لعلم الدلالة الأسماء لها معنى معين، هذا الأخير له أهميته في التأويل السوسولوجي؛ وعليه ما الدلالة اسم "إيموهاغ"؟

أ. إيموهاغ

أشار (E.Masqueray) في عام 1890 في مقال له حول إيموهاغ بأنّ مجتمع إيموهاغ هو عبارة عن تبلورات اجتماعية فهو بمثابة عينات للعالم الذي نسيناه (...). فالسؤال عنهم؛ أي عن أصولهم، هو سؤال عن النحن، فهو على حد قول (Paudolfi) هو مجتمع شاهد عن الحضارات القديمة، كما يُعتبر تقليد إثنوغرافي.¹ فإيموهاغ وكما هو معروف ينتمون إلى العرق البربري هم ينقسمون إلى أربعة جماعات كبيرة:²

- إيموهاغ تاسيلي ناجر
- إيموهاغ كيل أهشار
- كيل آير (كيل إيوي) kel eway
- كيل آضاغ.

مسألة الانقسام الجغرافي للجماعات الأربعة السابقة والتي كثيراً ما تطرقت لها العديد من المؤلفات التاريخية تجدر الإشارة إلى أنّ عامل النسب والمصاهرة ألغتها، إذ لم يعد بالإمكان القول بأنّ جماعة من الجماعات الأربعة السابقة الذكر مرتبطة بالمطلق بمنطقة جغرافية معينة؛ ممّا نتج عنه تأثير وتأثر بين الجماعات الأربعة في عدة جوانب كاللغة وبعض العادات والتقاليد خاصة في منطقة الأهشار التي تعتبر

* أنثروبولوجي فرنسي، قضى سنوات عديدة في البحث الأنثروبولوجي والتاريخي حول الصحراء.

¹. Paul Paudolfi, «Les Touaregs et nous: une relation triangulaire», *Ethnologies comparées*, n°02 printemps 2001, p.7.

². Henry Duveyrier, *Les Touaregs et leur pays*, Paris, L.Martinet, 1863, p.12.

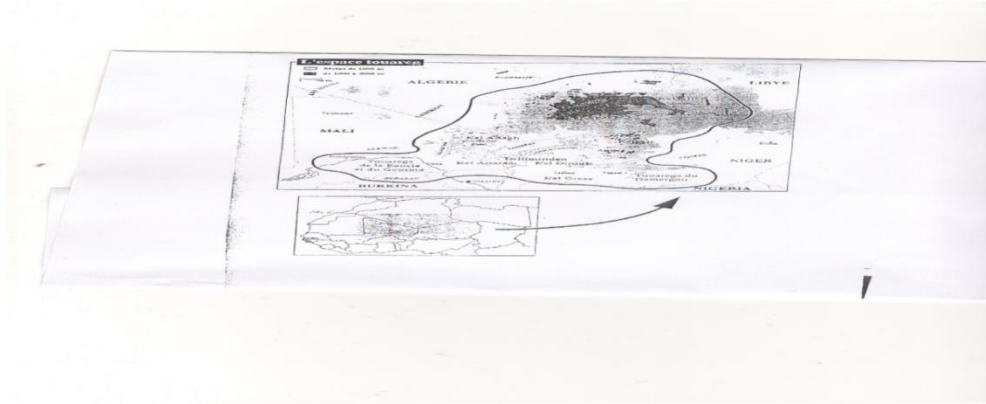
منطقة "كوزمبوليتانية" تختلط فيها الجماعات الأربعة لإيموهاغ. تمثل الاختلاط الذي يجمع الجماعات الأربعة لإيموهاغ في منطقة تامنغست على وجه التحديد نقطة جوهرية للفرق بين مجتمع إيموهاغ الحضري والريفي، إذ يعتبر هذا الأخير بعيداً عن ذلك التأثير الناتج عن الاختلاط مقارنة بالمجتمع إيموهاغ الحضري. يُطلق إيموهاغ على أنفسهم عادةً اسم "إيموهاغ" وقد أثار جدلاً بين الباحثين حول معناه؛ لغوياً نجد أناسم "إيموهاغ" مستنبط من الفعل "يوهاغ" والمصدر "أهاغ" والذي يعني سلب، نهب؛ أي: النهابون، الغزاة؛ ممّا يعني بأنهم سموا بذلك الاسم نظراً لعمليات الغزو التي عرفوا بها قديماً وبعد أن تخلو عن مجرى تلك العادة أطلق عليهم العرب اسم "توارق" (Touaregs) وهذا حسب ما ذهب إليه بعض الباحثين من أمثال Henry Duveyrier*E.Masqueray¹.

أشار الأنثروبولوجي الفرنسي (Henri Lhote) (1903-1991) في مؤلفه (Les Hoggar du Touaregs) بأن فعل "يوهاغ" يعني حر أو مستقل.² تفسير (Henri Lhote) لفعل "يوهاغ" على أنه "حر" مستقى من فكرة أنّ عملية السلب والنهب توحى بإنعدام القيود، فمثلاً الكلمة الفرنسية (franc) في القواميس من معانيها العربية (فرقة غير نظامية)؛ وبالتالي تعكس العمل في الهواء الطلق باستخدام الغزو وعليه تم الربط بين البعدين؛ البعد السيكلوجي والاقتصادي لطبيعة أماهغ. تجدر الإشارة إلى أنّ هناك أسماء موازية لاسم "أماهغ" مثل "أماجغ" "إيموجاغ" عند إيموهاغ كيل آير و"أماشغ" "إيموشاغ" في آضاغ، كما أنّ هناك عبارات أخرى لدى إيموهاغ كيل آضاغ "Kel-Tamahaq"³، وهذا راجع أساساً إلى اختلاف لفظ المفردات لدى إيموهاغ المناطق المختلفة: أهقار، آير، آضاغ، كما تستخدم كلمة "إماجغن" عند إيموهاغ كيل آير وغالباً ما يقصدون بها "أماهغ أو إيموهاغ الأحرار"، ونجد أنّ البعض

* Emile Masqueray (1843-1894) يدعى أيضاً بـ Honotean Masqueray أنثروبولوجي، أثري، لغوي وعالم اجتماع، فرنسي، كان مهتماً بدراسة المغرب العربي، وقد قام بالتدريس في الجزائر.

* Henry Duveyrier (1840-1892) عالم بالجغرافيا فرنسي ومستكشف لشمال إفريقيا، متأثر بالفيلسوف Saint-Simon.
¹ Maurice Benhazera, six mois chez les Touaregs du Hoggar, Alger, S.N, 1908, p.83.
² Henri Lhote, Les Touaregs du Hoggar, deuxième édition, Paris, Payot, 1955, p.90.
³ Paul Paudolfi, Les Touaregs de l'ahaggar (Sahara algérien) parenté et résidence chez les dag-ghàli, Paris, édition Karthala, 1998, p.37.

من كيل أهفار يستخدمون ذات الاسم، لكن بشكل نادر جداً.
خريطة رقم (1): توضح التوزيع الجغرافي لجماعات إيموهاغ الأربعة



Dida Badi ,les Touaregs de l'ahaggar et du Tassili n'azjer(réalité d'un mythe),Rouïba ,Edition ANEP,2004,p.43.

يمكن الاستنتاج من خلال ما سبق بأنّ التفسيرات والروايات المختلفة حول اسم "إيموهاغ" تنتزع على أربعة أبعاد وهي: البعد الاقتصادي، السايكولوجي، الديني والتاريخي، وتجدر الإشارة إلى أنّ تلك الأبعاد تحمل دلالات سوسيوثقافية. فقد أشار (Paul Paudolfi) بأنّ كلمة "أماهغ" هي بمثابة رمز ثقافي وله علاقة بنظام السلوكيات لدى أماهغ.¹

ب. "أماهغ" انعكاس سوسيو-ثقافي

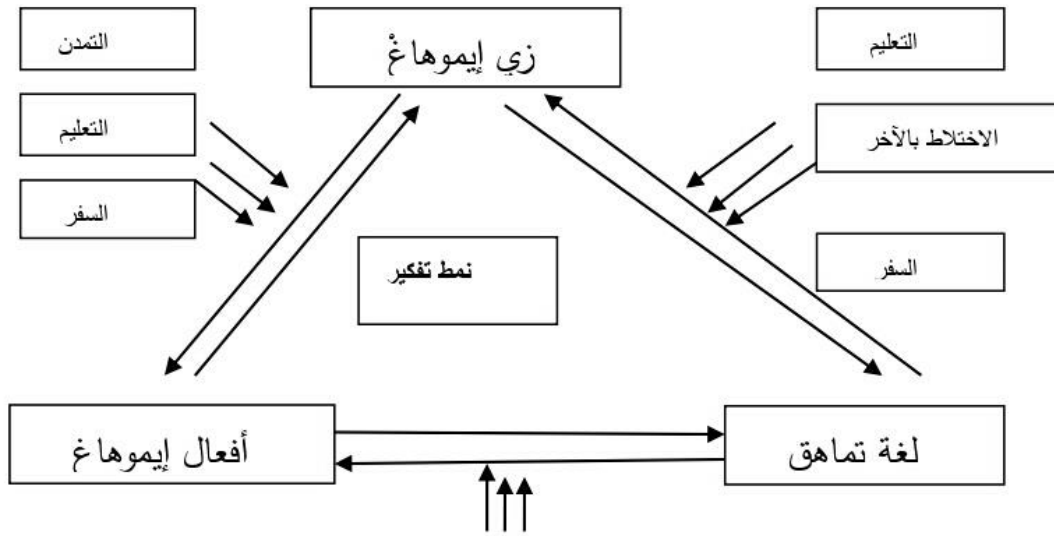
حسب ما ذهب إليه (Henry Duveyrier) فإنّ إيموهاغ يتميزون عن غيرهم بثلاثة أمور:²

- لباسهم وعلى وجه الخصوص اللثام.
- لغتهم تماهق.
- لديهم أفعال خاصة بهم.

¹.Paul Paudolfi, «Les Touaregs et nous: une relation triangulaire», op. cit.,p.38.

².Henry Duveyrier,op. cit.,p.11

الشكل رقم (10): يوضح عناصر تموهغة والعوامل المؤثرة فيها



أولت الأنثروبولوجية وعالمة الاجتماع الجزائرية (Chaulet Claudine) (1931-2015) اهتمامًا بالغًا للتأثيرات الخارجية على المجتمع المحلي لذلك يقتضي التعامل مع هذا الأخير التركيز على الكيفية التي يتفاعل بها مع تلك التأثيرات وكذلك التعامل معه على أنه جزء من الكلي¹.

لذلك يُعتبر غير كافٍ -من خلال الشكل- أن تتواجد تلك الميزات الثلاثة في مجموعة من الأفراد لنقول عنهم إيموهاغ بل ويجب أن تتفاعل مع بعضها وبقوة، فكلما خف التفاعل بينها؛ كلما ابتعدنا عن "تموهغة"، وبالتالي يقتضي المحافظة على هذه الأخيرة على إقصاء العوامل الخارجية التي يمكن أن تؤثر على قوة التفاعل بين العناصر الثلاثة بيد أن الأمر أقرب إلى المستحيل؛ لذلك يمكن القول أن ما اصطالحنا عليه بـ"تموهغة" هي أقرب إلى النقصان والاضمحلال مع مرور الزمن.

تم ملاحظة بأنّ هناك استخدام آخر لاسم "إيموهاغ" مثير للاهتمام فإيموهاغ أنفسهم يخصصون هذا الاسم للبعض منهم دون غيرهم للدلالة على تمسكهم بعادات وتقاليد مجتمع إيموهاغ التي شارفت على الزوال لدى البعض الآخر أو لديهم، ممّا يؤكد على

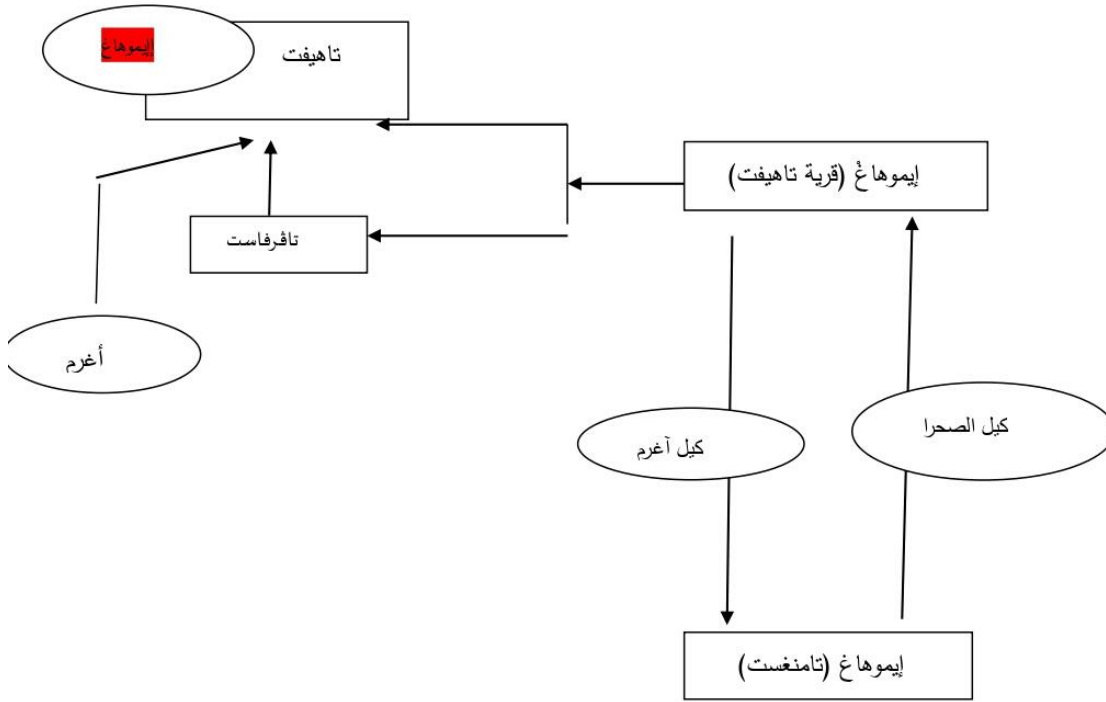
¹ . بشير محمد، مرجع سبق ذكره، ص.169.

أهميّة الميزة الثالثة لدى إيموهاغ.

يمكن القول بأنّ النقطة السالفة الذكر تُفصح على وجود نوع من إعادة الضبط -إن جاز القول -لمن يُقال لهم "نحن إيموهاغ" وغالبًا ما نجد الأمر يجري بين أصحاب المدينة والريف أو في الريف ذاته؛ المسألة تخضع لنوع من التدرج في درجة "تموهغة"، بحيث يطلق اسم "إيموهاغ" من قبل غير إيموهاغ لكل من تنطبق عليه الميزات السابقة وقد يشمل الأمر غير إيموهاغ، فإذا أتقن أحدهم لغتهم و جاء ببعض أفعالهم وارتدى أزياءهم قيل له "أماهغ" أو حسب ماهو شائع "تارثي"، في حين نجد استخدام إيموهاغ للاسم فيه نوع من الدقة والنقد المتبادل أيضاً؛ أي: "إعادة الضبط"، فالذين يندرجون ضمن الدرجة الأعلى من سلم تموهغة -وكما اصطلحنا عليه -ينتقدون الأقل تموهغة؛ لعدم تمسكهم ليس فقط باللباس والعادات والتقاليد إنّما الأهم من ذلك تخليهم على روح أماهغ الأول خاصة في الجوانب التفاعليّة الأكثر دقة؛ أما عن الذين يندرجون في الدرجة الأدنى من تموهغة فهم يوجهون انتقاد للآخرين -ووفقاً لوجهة نظرهم -حول مسألة عدم تغييرهم أو بعبارة أدق استعابهم للتغير بشكل بطيء لا يتناسب وسرعة العصر ومن الأهميّة بمكان الإشارة إلى أنّ النقطة الأولى التي تمس اللباس أو بالأحرى اللثام على وجه التحديد ترتبط بالسلوك وما يسمى بـ"أشك"*.

* ترتبط بقيم المروءة والحياء؛ فهي التي تُحدد للفرد الأماهغ ما يتوجب عليه فعله في المواقف المختلفة.

الشكل رقم (11): يوضح درجات استخدام اسم إيموهاغ



يتّضح من خلال الشكل أنّه يمكن التمييز بين استخدام غير إيموهاغ لاسم "إيموهاغ" والذي قلما يتم استخدامه واستخدام إيموهاغ أنفسهم لذلك الاسم ومن خلال الملاحظات فيما يخص منطقة إجراء الدراسة الحاليّة نجد أنّ هناك تدرج موازي لما اصطلحنا عليه بـ"تموهغة" وهو التدرج الذي يعرفه استخدام كلمة "آغرم" والتي تعني "المدينة" فإيموهاغ قرية "تاهيفت" على سبيل المثال يُطلقون على إيموهاغ تامنغست "كيل آغرم" وفي القرية ذاتها نجد "تاهيفت" مدخل القرية يتميز عن "تافرغاست" بتوفره على محلات تجاريّة صغيرة ومدرسة؛ لذلك "كيل تافرغاست" يسمونه "آغرم"؛ لكن ما يُثير الاهتمام إطلاق "كيل تافرغاست" لبعض الأفراد في منطقة محددة في تاهيفت "إيموهاغ" على الرغم من أنّهم ليسوا إيموهاغ بدو بل لأنّهم آخر من تخطى عن البداوة وأستقر في منطقة تدعى "داق ألوّس" وأغلبهم من "إمغاد"، بمعنى أنّه في الوقت الذي يُعتبر "آغرم" درجات كذلك "تموهغة" هي أيضاً درجات، كما أنّ هناك انعكاس رمزي ثقافي للاسم أكثر دقّة ممّا نقصده من خلال استخدامنا لاسم إيموهاغ؛ يمكن القول بأنّ إيموهاغ وحدهم يستشعرونه، إذ لا يكفي الزي واللغة وحدهما، فالأفعال التي يتميز بها

إيموهاغ هي مزيج لكثير من الأمور المعقدة والدقيقة في آن واحد فالإيمان ببعض الأساطير والخرافات وتفاعلها مع اللغة واللباس ينتج عنه أماهغ، باختصار "تموهغة" هي نمط تفكير؛ لذلك فالتعليم يُغير من التركيبة الأيديولوجية لأماهغ أي ذلك الجانب غير الملموس من أماهغ.

ذهب أغلب الباحثين إلى أنّ اللثام عند الرجل الأماهغ مرتبط بالدرجة الأولى بالعوامل المناخية، ومنهم من رأى بأنّ له علاقة بتمويه العدو؛ باعتبار أنّهم مجتمع عرف الحياة الحربية قديماً وهناك آخرون ربطوا اللثام بما وراء الطبيعة بالقول أنّ اللثام أو "أموال" يقوم بحمايتهم من الجن، إلا أنّ إيموهاغ ذاتهم وذلك حسب ما أشار له (Paul Paudolfi) لا يملكون تفسيراً سوى أنّه إرث أجدادهم.¹

يتميز لثام أماهغ بما يسمى بـ"أموال" وهو الجزء من اللثام الذي يتم طيه على مستوى الفم والأنف بحيث حين يلتقي مع الجزء العلوي يكادان يغطيان كامل الوجه بحيث تظهر العينين بشكل محتشم.

تُجسد طريقة وضع "أموال" والتفاعل معه الحالة النفسية للرجل الأماهغ فهو قد يكون للتعبير عن الحزن والقلق أو الاحترام والتواضع والحياء وإنزاله قليلاً لتحت العينين قد يوحي بالثقة أو السعادة، فقد أشار الطبيب الدكتور (H.Foley) (1871-1956) إلى أنّ الشباب أثناء أحد اجتماعاتهم مع الأمنوكال أخموك قاموا برفع "أموال" * تعبيراً على الاحترام.²

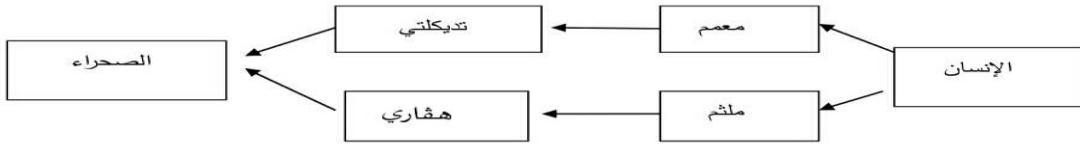
انطلاقاً ممّا سبق نجد أنّ هناك من يفرق بين "المعمم" من "العمامة" والملثم والفرق الجوهرى بينهما هو أموال، وإذا تعمقنا في مسألة أموال فالإضافة إلى ما تمت الإشارة إليه سابقاً حول أهدافه المتعلقة بالعوامل المناخية نجد أنّه ذو بعد ثقافي سوسولوجي.

¹.Paul Paudolfi, «Les Touaregs et nous: une relation triangulaire», op. cit.,p.39.

* وهو ما يطلق عليه إيموهاغ بـ"أسمقس" أو "أسدر"

².H.Foley,Moeurs et médecine des Touaregs de l'ahaggar,Alger,La typo-Litho,1930,p.26.

الشكل رقم (12): يوضح الفرق بين الإنسان المعمم والملثم



المصدر: بن سعد محمد السعيد، المدون والمنطوق في المنتجات الثقافية (في الجنوب الجزائري)، عمان، دار الריابة للنشر والتوزيع، 2015، ص24.

انطلاقاً مما سبق نحن بصدد الولوج إلى ما يمكن تسميته بالتفكير النمطي حول عرق معين، وفي الحقيقة مسألة التفكير النمطي تلك ليست بالجديدة فوفقاً لـ (Ralph Linton* و(Kardiner* Abram) هناك علاقة بين الثقافة والفرد فكل أفراد أي مجتمع في طفولتهم يتشاركون نفس التجارب الحياتية التي تتصل في النهاية بتكوين قاعدة فردية، هذا النوع من الدراسات التي تؤيد الفكرة النمطية حيال عرق أفراد وطن واحد أو ما يسمى بالدراسات المتعلقة بالطبع الوطني تعتبر كتطبيقات للثقافية الأمريكية والتي تقوم على فكرة مؤداها أنّ أفراد الدولة الواحدة يتشاركون الخطوط السيكولوجية نفسها، هذا النمط من الدراسات كانت لها أهميتها خلال الحرب العالمية الثانية؛ وذلك من أجل معرفة طباع العدو، وقد سمحت تلك الدراسات للأمريكان على فهم طباع اليابانيين.¹

ووفقاً لما ذهب إليه (Fromm Ehrich)* بأنّ الياباني في تفسير موافقة سجينان يابانيين للتعاون مع العدو على أنّ السجين الياباني ميت اجتماعياً؛ الياباني إذا كان في الحالة (أ) يتبع قواعد (أ)، لكن إذا أصبح في الحالة (ب) يرجع إلى قواعد بيئية جديدة وفي ذات المسألة يرى بأنّ الألمانين وبفعل نظام هتلر الدكتاتوري لديهم شخصية سلطوية.²

* Ralph Linton (1893-1953) أنثروبولوجي أمريكي، تتلمذ على يد Franz Boas

* Kardiner عالم أمريكي الأصل، نفساني ومتخصص في الأنثروبولوجيا الثقافية.

¹.Robert Deliège, une histoire de l'anthropologie (écoles, auteurs, théories), S.L, Edition du Seuil, 2006, p.164.

* (1900-1980) عالم اجتماع ونفساني أمريكي ذو أصول ألمانية.

².Ibid, p.165.

يُعتبر ما سبق كمحاولة لتناول فكرة التماثل النسبي بين أفراد مجتمع إيموهاغ بشكل عام وهو طرح يسمح بصياغة -وبنوع من الدقة- الخطوط العريضة التي يتوافق فيها أفراد مجتمع إيموهاغ؛ لذلك فالنمطية في التفكير حول جماعة معينة ليس بالخطورة المتصورة، غير أنها لا تسمح غالباً بالتحليل الديناميكي لمواقف اجتماعية راهنة هذا من جهة ومن جهة أخرى تقدم صورة نمطية تسمح بعقد مقارنات بين جماعة معينة في فترات زمنية مختلفة؛ أي انحرافها عن خطها النمطي وأسباب ذلك الانحراف، لذلك فالسؤال الذي يمكن طرحه هو هل من الممكن أن تحتفظ جماعة معينة بالخطوط العريضة لطبعتها أم أنها معرضة للاختفاء وبشكل نهائي بمرور الزمن؟

يمكن القول ومن خلال ما ذكره (P.Paul) بأن الدراسات في حقل علم الاجتماع بكل ميادينها بحاجة إلى دراسات سيكولوجية معمقة حول إيموهاغ بالرغم من الخطورة التي تكتنف تلك المجازفة العلمية، إذ أنها تصور لتفكير نمطي حول عرق معين.

رفض الأنثروبولوجي الأمريكي (Claude Lévi-Strauss) فكرة إصدار الأحكام المسبقة حول الأعراق، فقد استنكر أي محاولة لمقارنة عرق بآخر أو القول بأن هناك عرق يتسم بالعلوية والآخر بالدونية، فسامها بـ "المحاولة العبثية".¹

ذكر (P.Paul) بأن إيموهاغ معتزون بأنفسهم كثيراً وغيورين على حريتهم كبريائهم تخطف كبرياء العرب وقد انعكس ذلك على سلوكياتهم.² ولعل من المناسب القول -في الأخير- بأن ما اصطلاحنا عليه بـ "تموهغة" أو "أماهغ" هو نمط تفكير؛ يتعرض لجملة من العوامل الحديثة المؤثرة.

هناك عامل مهم وجب الحديث عنه؛ نظراً لتأثيره البارز على حياة إيموهاغ في الماضي وحتى الحاضر، لكن نسبة أقل، فقد ذكر أحد كبار السن بأن إيموهاغ قديماً لم يهتموا بالنظم الإدارية وغيرها من المؤسسات ذات الطابع الرسمي، فالانتمية عندهم لا تتجاوز كأس شاي وجلسة سمر مع الرفاق في إحدى الأودية، والادخار لديهم فقط

¹. Claude Lévi-Strauss, Race et Histoire, S.L, Denoel, S.d, p.9.

². Général Pierre Denis, Hoggar (1958-1960), S.L, Gerard Klopp, S.d, p.32.

*تجدر الإشارة إلى أننا نؤكد على مسألة التعليم آخذين بصفة خاصة مجتمع الدراسة الخاص بالدراسة نظراً لعدم توجه أغلبهم لتعليم الإناث ولا نقصد إيموهاغ بشكل عام.

من أجل الحاجات الضيقة الضرورية، فإذا ما قام أحدهم بشراء سيارة رباعية الدفع كان ذلك يثير لديهم العجب الكثير وشراء منزل بالمثل.

روى أحد المبحوثين وقد كان حاضراً آنذاك؛ بأنه بعد أن تم إعلان تامنغست كولاية قدم إلى تجمع فيه العديد من القبائل الأهفار رجل يسمى "كريم الخضير*" ليعلمهم بالنبأ ويحسّسهم بضرورة التعليم، وبأنّ تعليم أبنائهم أمر حتمي تفرضه الظروف، إلا أنّ محاولته باءت بالفشل؛¹ وعليه فهم يتصرفون بشكل أقرب إليه من التخمين من العقلانية في بعض المعاملات وباعتبار التعليم عامل مهم في إحداث التغيير في جماعة معينة.

وجب القول ومن خلال ما سبق بآته حتى وإن زادت نسبة التمدرس لدى أفراد مجتمع إيموهاغ مؤخراً إلا أنّ ذلك لم يكن كافياً نظراً للقلة القليلة التي تعلمت في بدايات تخلي إيموهاغ على غزورهم ونمط حياتهم التقليدي جداً، خاصة مع أهمية تكوين رأسمال ثقافي لجماعة معينة والأهم من ذلك أن يمتاز بأقدميته.

أشار (Gast Marceau) إلى أنّ تجربة التعليم عند بدو الأهفار قديماً خلال فترة الأربعينيات حوالي 1947 لم تكن بالسهلة، فأول ما جاءت المدرسة للبدو الإيموهاغ كانت في إطار برنامج إصلاحي تم اقتراحه من قبل الحاكم العام الفرنسي آنذاك يدعى (Edmond Neagelen) والذي كان يسعى لإنشاء مدارس بدوية مع إجبارية التعليم، كما يسعى البرنامج إلى القضاء على الطبقة لدى بدو إيموهاغ، وبالفعل بدأ التنفيذ وفي أكتوبر 1949 قدم إلى تامنغست معلمين فرنسيين هما: (André Roche) و (Marcel Bobo) وبعد العديد من الإجراءات وصل إلى مخيم الأمنوكال (André)، أما المعلم (Bobo) وصل إلى "تين زواتين" في الحدود الجزائرية المالية أين تتواجد العديد من المخيمات البدوية.²

ذكر الفرنسيون الخطاب التالي لإقناع الأمنوكال بأهمية التعليم الفرنسي: "إذا كنتم

* كان رئيس المجلس الشعبي البلدي في الفترة الممتدة بين 1968-1972 وتجدر الإشارة هذه النقطة لها علاقة بما تم التوصل إليه في رسالة الماجستير حول "الرأسمال الرمزي والثقافي" لمجتمع الدراسة.

¹ ع. د. تامنغست . 2017/10/19. (مقابلة).

² Gast Marceau, «école nomade au Hoggar une drôle histoire», *revue du monde musulman et de la méditerranée*, n° 57, 1990, p.99-101. <http://www.persee.fr/date13/12/2017/h18/25>.

لستم أنتم من سيجب أن يتعلم كيف يحسب، يكتب ويتكلم باللغة الفرنسية سيكون عبيدكم، أكيد، الذين سيتقدمون عليكم أو أبناء التجار وفي غضون عشرون أو ثلاثون عاماً تطورهم سيصبح قادراً، أن تكونوا أنتم أكثر نكاءً، أنتم "النبلاء" نتصل بكم؛ لأنكم كذلك...¹

جاء برنامج التعليم في ظاهره للقضاء على الطبقيّة؛ لكن يتّضح من خلال ما خطاب الفرنسيون لأمنوكال على أهميّة التعليم أنّ البرنامج يُكرس الطبقيّة أكثر وذلك من خلال المقارنة على المدى البعيد بين النبلاء وعبيدهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى يُبرز الخطاب مدى وعي الفرنسيين وفهمهم لمجتمع إيموهاغ وبالتالي التمكن من إقناعهم.

أشار (*Gast Marceau) إلى أنّ العدد الإجمالي في كل الأقسام البدويّة لا يتجاوز عشرون تلميذاً، خاصة وما زاد طين بلة ولم يساعد على فتح شهية التعلم لدى الأولاد، الحياة التشفية في ذلك الوقت؛ ممّا كرس رؤية التعليم بأنّه من دون جدوى، ورغم أنّ العدد كان قليل إلا أنّ (Gast) كان متفائلاً بحيث أنّه كان يرى بأنّ العدد ومع قلته كفيل بإخراج إيموهاغ من عزلتهم الثقافيّة وفتح نافذة جديدة للتعلم الجاد، بيد أنّ الفرنسيون كانوا يطلقون على المدارس البدويّة تلك اسم (le sirque)؛ نظراً لواجهتها الفلكلوريّة الأصليّة، فأصبحت بذلك وجهة للسياح وبعض الأجانب الوافدون على المنطقة وفقدت بذلك طابعها البيداغوجي.²

يتّضح من خلال ما ذهب إليه (Gast Marceau) بأنّ مجتمع إيموهاغ كان يعاني عزلةً ثقافيّة، ولقد أثر النمط التقليدي للمدارس البدويّة سلبياً على التحصيل المعرفي لها.

للمجتمع البدوي سمات لا تتماشى والمعطيات الحديثة إلا أنّ المجتمع الريفي يتميز بتقبل أكبر لتلك المعطيات؛ لذلك سميت بأنّها "مجتمعات جزئية" وذلك بشكل عام؛ ومادام المجتمع الريفي له سماته وبالمقابل مجتمع إيموهاغ له طبيعته المستقلة، على

¹. Gast Marceau, «école nomade au Hoggar une drôle histoire», op.cit.,p103.

* وصل Gast Marceau في 1951 خلفاً لزميله André بمخيم الأمنوكال بمنطقة تيفيرت.

². Ibid., p.105-107

المستوى السوسيولوجي -النظري، كيف يمكن وصف مجتمع إيموهاغ الريفي؟

2. طبيعة مجتمع إيموهاغ الريفي

مازالت تُمثل المجتمعات الريفية أحد مواضيع الدراسات المعاصرة ليس فقط في المجتمعات التقليدية بل وحتى في المجتمعات الغربية الحديثة؛ نظراً لوجوديتها إلى حد الساعة.

أ. طبيعة المجتمعات الريفية

تُعتبر المجتمعات الريفية أقدم التجمعات السكانية التي عرفها الإنسان منذ القدم، فقد أرجعها الباحثون الأثريون إلى أواخر النيوليثي وفجر التاريخ، ومن خلال ما توصل إليه علماء الآثار، فإنّ الأفراد كانوا يقيمون ومنذ القدم باختيار أماكن ذات مميزات معينة؛ إذ كانوا يستقرون في أماكن تواجد الماء وفي الأماكن التي توفر الحماية اللازمة عند اقتضاء الأمر ذلك،¹ مما يجعل دراسة المجتمعات الريفية، أمر في غاية الأهمية؛ ليس لقدم وجودها وعراققتها فقط بل أيضاً بالإضافة إلى ذلك استمرارية ذلك الوجود واحتفاظه ببعض السمات، فالريف هو أسلوب حياة يعتمد فيه الأفراد أساساً على النشاط الزراعي.²

يُعتبر عرفاً أكاديمياً بحثياً الإشارة إلى المجتمعات الحضرية بمقابل المجتمعات الريفية، هذه الثنائية التي انبثقت منها الكثير من النظريات؛ كنظريات المحك الواحد ونظريات المحكات المتعددة إذ يُقصد بالأولى تلك النظريات التي تعتمد على عامل واحد كأساس للمقارنة بين الريف والمدينة ومن بين الباحثين الذين يصنفون ضمن هذه النظرية نجد (Tisdale)، إذ أخذ عامل التركيز السكاني في حين أخذ (Steward*) عامل المهنة التي يمارسوها الأفراد.³

¹ عشون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، الجزائر، دار الهدى، 2008، ص.178.

² محمد عاطف غيث، دراسات في علم الاجتماع القروي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بدون سنة نشر، ص.12.

* الاسم الكامل هو Julian Haynes Steward (1902-1972) أنثروبولوجي أمريكي، كان مهتم بتطور ثقافات الجماعات الريفية.

³ محمود عودة، دراسات في علم الاجتماع الريفي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1983، ص.69-70.

أما عن نظريات المحكات المتعددة فهي عكس النمط الأول من النظريات، إذ أشار كل من (Sorokin Pitirim)* وزميله (Carle C.Zimmerman) في مؤلفهما المشترك والمعنون بمبادئ علم الاجتماع الريفي الحضري "بأنّ أيّة مقارنة بين الريف والحضر يجب أن تشمل على المقارنة في النقاط التالية:

- ((الاختلافات المهنيّة.
- الاختلافات البيئيّة.
- حجم المجتمع.
- كثافة السكان.
- تجانس السكان أو عدم تجانسهم.
- درجة الحراك الاجتماعي واتجاهه.
- اتجاه الهجرة.
- شكل التباين الاجتماعي.
- أنساق التفاعل الاجتماعي.¹

تُعتبر العوامل السابقة الذكر إلى حد ما عوامل شاملة حول نجاح عمليات المقارنة بين كل من الريف والحضر فهي في ذات الوقت تُبرز بعض سمات المجتمعات الريفيّة، فالهجرة على سبيل المثال تقودنا إلى موضوع نزوح أفراد الأرياف إلى المدن بحثاً عن لقمة العيش أو أي شيء آخر من مستلزمات المعيشة اليوميّة.

إنّ تناول الخصائص التي يتميز بها المجتمع الريفي هي لا تتفصل عن أهم المشاكل التي يواجهها ذلك المجتمع، فغالباً ما يتميز بارتفاع نسب الأميّة بفعل عوامل جُمى كالعوامل الاقتصادية والمتمثلة في عدم قدرة بعض الأسر على دفع مستحقات التمدرس والعوامل الثقافيّة والمتعلقة بالعادات والتقاليد، إذ نجد أنّ هناك أعراف لا تُحبذ تعليم الإناث وغيرها من العوامل؛ إذ تقف تلك العوامل عقبةً في طريق التقدم الاقتصادي والاجتماعي، فبدل استغلال الصفات المعرفيّة والفيزيولوجيّة للأفراد تلك

* (Sorokin Pitirim Alexandrovich) عالم اجتماع روسي (1889-1968).

¹. محمود عودة، نقلاً عن سوروكين، مرجع سبق ذكره، ص. 70-71.

المجتمعات فقد تبقى مجرد عقبة في وجه التنمية الاقتصادية.¹

تُعتبر ذهنية المجتمع الريفي كرواسب للذهنية البدوية قبلاً وذلك ما أكده علي فؤاد أحمد من خلال القول: "إنّ الريف العربي ليس هو المجتمع الزراعي وحده لكن أيضاً المجتمع البدوي الذي ارتبط بتاريخ الحضارة العربية أوثق ارتباط (...)(البدوة تعوق خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للموارد الطبيعية والبشرية معاً باعتبارها عاملاً سلبياً أمام مشروعات التنمية في كل مراحلها ذلك أنّ التنمية لا تقوم إلا على قدر من التخطيط الشامل الذي يحصر الموارد، ويحدد والإمكانات ويرصد الحاجات ويقدر التكاليف، ويحسب الزمن ويرتب الأولويات وهذا كله أو بعضه لا يستلزم رقابة كاملة فحسب على المقدرات القومية، الأمر الذي لا يتحقق في حالة البدوة، وإنما يستلزم كذلك وعياً من المجتمع بأهداف التنمية، واستجابة لها، وتعاوناً معها، وهو أمر لا يتحقق بدوه في حالة البدو الذين تقل مشاركتهم القومية نتيجة لعزلتهم الاجتماعية والاقتصادية.."²

ألزمت تلك العزلة الاقتصادية والاجتماعية المجتمع الريفي لاحقاً الاعتماد على مجتمع المدينة في تلبية احتياجاته السلعية، والصحية... الخ؛ لذلك ظل تابعاً، فإنّ افتراضنا أنّ الذهنية التي تحدثنا عنها سابقاً لم تكن بالصورة التي وصفناها، كما أنّ المجتمع الريفي كان واع لأهمية تعليم الذكور والإناث على حد سواء فذلك يعمل على تغيير المجتمع فيكون مكتفياً ذاتياً ويقل اعتماده على مجتمع المدينة.

انطلاقاً ممّا سبق هذا ما يجعلنا نلج الحديث عن فكرة (Redfield)* حول المجتمعات الريفية بالقول أنّ المجتمعات الريفية مجتمعات جزئية بمعنى أنّها بحاجة إلى المدن القريبة إليها، فهي تتخذها كمرجع، فنظرية (Folk Society)، إذ توصل بأنّ المجتمعات البدائية كانت مجتمعات كاملة؛ لأنها لم تكن بحاجة للاعتماد على طرف آخر؛ لتدعيم أسلوب حياتها ولا ربّما كانت الظروف هي التي جعلتها كذلك آنذاك، في حين نجد أنّ

¹ علي فؤاد أحمد، مشكلات المجتمع الريفي في العالم العربي، بيروت، دار النهضة العربية، بدون سنة نشر، ص.60.

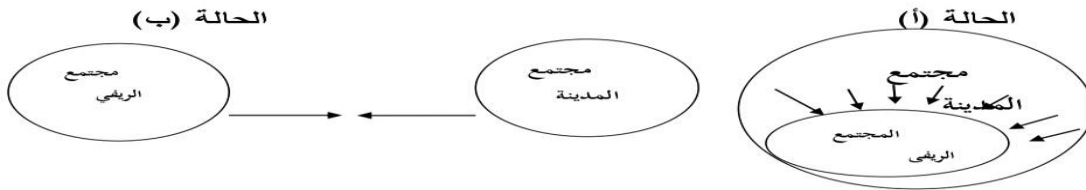
² نفس المرجع، ص.46-47.

* الاسم الكامل هو (Robert Redfield (1897-1958) أنثروبولوجي أمريكي

الريف على العكس من ذلك فهي مجتمعات تابعة.¹ أهم ما يميز الأفكار السابقة لـ (Redfield) أنها ذات أهمية منهجية، إذ من شأنها إحداث تقنضي تغييراً في طريقة تناول المنهجي للمواضيع ذات الصلة بالمجتمع الريفي، أي عدم انتهاج الطريقة الأنثروبولوجية القديمة في الدراسات المجتمعات البدائية، بيد أنه بإمكاننا الاحتفاظ بالمعالم العامة للطريقة مع التركيز على آثار المدينة على الريف باعتبارها جزء منها.

توصل (Redfield) في خضم نظريته إلى نتيجة غاية في الأهمية وذلك بعد الدراسات الميدانية التي أجراها في (Yactan) وفي شيكاغو عام 1930 وهناك دراسات أخرى أجراها ما بين (1934-1950)، من خلال تلك الدراسات توصل إلى أن الثقافة الريفية لا يمكنها أن تستمر إلا من خلال الإمدادات من الخارج؛ لأن الحياة الريفية بكل أبعادها السياسية والاجتماعية، الثقافية، الإدارية، الدينية، الخلقية... الخ هي ناقصة وبالتالي إن قمنا بدراستها بمعزل عن تأثير المدينة أو عدم أخذ ذلك التأثير بعين الاعتبار فإن فهمنا لها سيكون قاصراً.²

الشكل رقم (13): يوضح المقارنة بين الريف والحضر ضمن حالتين متميزتين



تتبلور بعض التساؤلات من خلال ما سبق، فلو اعتبرنا بأن علاقة الريف بالمدينة علاقة الجزء بالكل بأن المجتمع الريفي هو مجتمع جزئي، فمتى تختلف درجة التأثير بين أوجه الحياة المختلفة؟ فقد يبدو التأثير جلياً في مدى استخدام أجهزة الاتصال الجماهيري في حين نجد في بعض الأوجه لم تتعرض للتأثير كالتمسك بالمعرفة الخرافية، وعليه هل يمكن القول بأن حياة المجتمع الريفي في خضم تلك التبعية يحاول جاهداً الحفاظ على استقلاليتها؟

¹. محمد عاطف غيث، مرجع سبق ذكره، ص. 97.

². نفس المرجع، ص 9-97.

في الأخير نجد أنّ طريقة المقارنة التقليدية بين الريف والحضر لا تتفوق على طريقة المقارنة باعتبار إحداهما جزء من الكل، فهذه الأخيرة هي عبارة عن محاولة عملية منهجية، كما أنّه بإمكاننا القول بأنّها سمحت بتبلور نمط جديد غير كلاسيكي للمقارنة أو الربط بين الريف والمدينة، فبدل أن يكون كل من الريف والمدينة قطبان يصبح في الحالة الثانية علاقة الجزء بالكل أي علاقة اتصال وليس انعزال.

ومن خلال ما سبق، الأسر الممتدة ومنه القرابة تعتبر من أهم العناصر المكونة لطبيعة المجتمع الريفي ومنه مجتمع إيموهاغ الريفي، هذا الأخير الذي يتميز بنسيج قرابي معقد؛ ممّا نتج عنه تنوعاً في العلاقات بين أفرادها.

وبالحديث عن مجتمع إيموهاغ الريفي والحضري فهذا الأخير لا يتلف مازال يحتفظ ببعض سمات مجتمع إيموهاغ البدوي الذي كان يتميز بقناعات أفراد المتمثلة إلى حد بعيد، الخضوع التام سلطة الأموكال وشيوخ القبائل في حين حديثاً كان للتعليم والوعي بشكل العام وانتشار استخدام وسائل التكنولوجيا، اختلاط إيموهاغ بأجناس مختلفة تماماً، عصرنه المدارس القرآنية، تغير نمط استهلاكهم، كتلك العوامل وأخرى جعلت الفرد الأماهغ يتبنى أيديولوجيات مختلفة تماماً عن أماهغ البدوي.

ب. الطبقيّة لدى مجتمع إيموهاغ والنسيج القرابي

كغيره من المجتمعات يتميز مجتمع إيموهاغ بسلم اجتماعي والذي يستمد معاييرها أساساً من النظام القبلي والذي عرفه إيموهاغ منذ القدم، كما أثبت وجوديته حالياً من خلال مواقف الحياة الاجتماعية المختلفة.

• الطبقيّة عند إيموهاغ

نجد أنّ النظام القبلي -الطبقي ليس بالتقليدي فحسب بل هو نظام موغل في القدم، فقد عرف الشمال الإفريقي هذا النوع من الأنظمة قديماً جداً، وذلك حسب ما أشارت له النصوص الكلاسيكية الإغريقية واللاتينية، ورغم مرور ملايين السنين إلا أنّ تلك البنى لم تتغير على حد قول باحثين من أمثال (Pierre Bourdieu) فالنظم القبلية التي تم ذكرها ضمن التراث النظري القديم حول شمال إفريقيا لا تختلف بشكل كبير عن البنى

الاجتماعية الحديثة.¹

وانطلاقاً مما سبق نجد أنّ التنظيم القبلي كان سائداً في الريف الجزائري في أواخر العهد العثماني (1791-1830) -على سبيل المثال - إذ عرفت الجزائر حينها ثلاث جماعات ريفية:²

-الجماعة: هي كتلة إنسانية تتكون من أفراد تجمعهم رابطة الدم ويسكنون بما يسمى "الذشرة"؛ تتواجد بالقرب من حوش الزاوية أو المسجد وهي تمثل قاعدة المجتمع القروي آنذاك، وهي تتميز بالبنية المتماسكة والمنظمة.

-الفرقة: وهي عبارة عن اتحاد مجموعة من الجماعات، ومشاعر الانتمائية لنفس الأصل والاهتمامات نفسها وكذا المنافع المشتركة بين تلك الجماعات تزيد وتدعم معنى الوحدة لدى أعضاء الفرقة الواحدة (...). كما أنّ هناك إمكانية أن تتحول الفرقة إلى قبيلة إذا سمحت الظروف بذلك، كما من الممكن أيضاً أن تتقلص لتصبح جماعة، وبذلك تكون الفرقة عبارة عن جماعة متجانسة وغير مستقرة نظراً لإمكانية تحولها كما أنّ وجوديتها ترتبط بديناميكيّتها أو بالتالي هي مرهونة بعوامل مختلفة سياسية، اقتصادية، ديموغرافية، إدارية.

-القبيلة: وهي بدورها تتكون من مجموعة من الفرق وهي في حقيقتها الاجتماعية هي جماعة تجمع رابطة الدم والمصاهرة، متجانسة، كما أنّ أعضاؤها يكونون من نفس الأصل، ومنه فالقبيلة بعيدة كل البعد من أن تكون مجرد دائرة أو حلقة إدارية عادية (..) فهي في غاية التعقيد.

تجدر الإشارة إلى أنّنا تطرقنا لبعض المفاهيم المرتبطة بمفهوم القبيلة في الريف الجزائري أواخر العهد العثماني؛ لإجراء مقارنة بينه وبين القبيلة عند إيموهاغ، أما عن النظام القبلي لدى مجتمع إيموهاغ فهو غاية في التعقيد، وما يجعلنا نطرح هذا العنصر ضمن هذه الدراسة نظراً لانعكاساته الاقتصادية (كما سنتطرق له لاحقاً من

¹ عفون محمد العربي، مرجع سبق ذكره، ص. 166-167.

² Nacerddine Saidouni, L'Algerois Rural à la fin du l'époque ottomane (1791-1830), S.L.Dar Al-charb Al Islami, 2005, p.332-338.

خلال هذه الدراسة) وكذلك تأثير النسيج القري على العلاقات ومن ثم على ما اصطلاحنا عليه في هذه الدراسة بـ"الآليات التفاعلية"؛ لذلك سنكتفي بأخذ نظرة عامة عن النظام القبلي-الطبقي لدى مجتمع إيموهاغ وذلك من خلال عرض الخطوط العريضة فحسب.

ذهب الأنثروبولوجي الفرنسي (Paul Paudolfi) لقول بأن مجتمع إيموهاغ يتكون من طبقتين رئيسيتين وتدرج تحتها العديد من القبائل والطبقات هما: الطبقة الأرستقراطية والتي تسمى بـ (Tahuggara) والتي ترتبط بما يسمى بـ "نظام توارث الحكم" أو "تمنوكلة" وفقاً للنسب الأموي؛ أي: نسبة إلى الأم والطبقة الثانية هي طبقة الأتباع؛ لقد أشار (Le Père Foucauld) إلى أن الفروقات الطبقيّة تظهر في أمور دقيقة كطريقة الكلام.¹

سنعرض بشكل موجز التقسيمات القبليّة لمجتمع إيموهاغ من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم (2): يوضح التنظيم القبلي لإيموهاغ أمغارفي بداية القرن الثامن

عشر

النبلاء الإقطاعيين	كيل أمغار	تايتوق	تفهي-ملت
غير الإقطاعيين	كيل غلا	تايتوق	تفهي-ملت
Issaqqamaren	<ul style="list-style-type: none"> ▪ Ikadeyen ▪ Ikembiben ▪ Ihdanaren 	<ul style="list-style-type: none"> ▪ Ireccumen 	<ul style="list-style-type: none"> ▪ Kel-uhet ▪ Kel-terurit
Imrad	<ul style="list-style-type: none"> ▪ kel-Tazulet ▪ Iheyawen-Hada ▪ Kel-Immidir ▪ Kel-Amegid ▪ Kel-Inrer ▪ Kel-Téfedest 	<ul style="list-style-type: none"> ▪ Kel-In-tunin ▪ Ikuttissen 	
	<ul style="list-style-type: none"> ▪ Dag-arali ▪ Ayt-Loawyen ▪ Aguh-n-tahlé ▪ Relayddin ▪ Iklan-n-Tawsit ▪ Ibettenaten ▪ Iragenaten 	<ul style="list-style-type: none"> ▪ Kel-Ahnet ▪ Téghé-n-Efis ▪ Iwerweren ▪ Ikeccemaden 	

: المصدر Paul Paudolfi, Les Touaregs de l'ahaggar (Sahara algérien) parenté et résidence chez les dag-ghàli, op.,cit.,p.82.

أشار الباحث (Paul Paudolfi) بأن النظام القبلي يتّضح أكثر أثناء التجمعات

¹.Paul Paudolfi, Les Touaregs de l'ahaggar (Sahara algérien) parenté et résidence chez les dag-ghàli, op. cit.,p.47.

الكبيرة التي يكون فيها أغلب القبائل أو على الأقل البعض منها وقد ذكر ذات الباحث بأنه في شهر جوان عام 1988 وأثناء رحلة لزيارة "مولاي عبد الله" بمنطقة تازروك، لاحظ أثناء فترة الاستراحة أن الأفراد الذين ينتمون إلى قبيلة "كيل غلا" النبيلة لا يقومون بأي مساهمة عملية للمساعدة في التخيم سوى إسداء الأوامر والحكم على الأمور في حين كان "كيل أولي" وغيرهم من القبائل التابعة يقومون بجمع الحطب وتنفذ المكان...¹

يحتفظ إيموهاغ برواسب الطبقيّة تلك إلى حد الساعة، إذ يمكن ملاحظتها بشكل واضح وصريح خاصة في حالات رغبة أحد أفراد قبيلة ما بمصاهرة أخرى أو حتى من عرق آخر، فنجد أن البعض مازال يدقق في مسألة العرق والقبيلة، فبالنسبة لهم الحرص على الأمر يحفظ للمرء مكانته الاجتماعية وذلك بالقول ".... awadam waran kayasris..."، كما أنها تظهر فيما يسمى بـ"تمانهيق*" وما يسمى بـ"أشك*؛ ولأن مجتمع الدراسة هو "كيل تاهيفت" أو بالأدق "كيل تافرفاست" والذي يُعتبر أغلبهم من قبيلة "آجوه-أنتهلي*".

• النسيج القرابي والتفاعل في مجتمع إيموهاغ الريفي

من خصائص الأرياف بصفة عامة أن تركيبها الأسرية تجمع بينها علاقات قرابة؛ لذلك فأغلب أنشطتهم تكون ضمن نطاق ضيق جداً؛ لذلك أصبح تقليداً بحثياً إذا تم طرح أي موضوع يخص المجتمعات التقليدية والريفية على وجه الخصوص، ضمن التوليفة التناول النظري نجد "القرابة" فهي نقطة محورية تلتقي عندها أغلب المواضيع المتعلقة بالمجتمع الريفي.

¹.Paul Paudolfi, Les Touaregs de l'ahaggar (Sahara algérien) parenté et résidence chez les dag-ghàli, op. cit.,p.67

* تدل على وجود نوع من المنافسة والحذر بين قبائل إيموهاغ المختلفة. وبالتالي "تمانهيق" تفرض على أفراد كلا القبيلتين توخي الحذر والتعامل مع بعضهم البعض بكامل الاحترام والرقى والحرص على الإتيان بالأفعال الحكيمة في حضرتهم.

* ترتبط بقيم المروءة والحياء؛ فهي التي تُحدد للفرد الأماغ ما يتوجب عليه فعله في المواقف المختلفة.

* ذهب البعض من الباحثين إلى القول بأن أجدادهم سكنوا حوالي ثلاثة عقود في إير Air في منطقة (In Gall) وكانوا يسمون Tégehé-n-Elimen، وهذا ما بدا من خلال استخدام ذات الاسم من قبل الباحث Henry Duveyrier في كتابه Les Touaregs du nord إذ لم يذكر اسم "آجوه-أنتهلي"، وهم حالياً يتوزعون على عدة مناطق من بينهم Kel-Tahifet.

يلعب الحيز المكاني دور مهم في تماسك النسيج القرابي، فمسألة الحراك الجغرافي للأفراد قد تؤثر في صعوبة التواصل مع أفراد القرابة وقد تؤثر أو تتمازج مع أعراق أو أفراد من أصل آخر.

يعمل الحراك الجغرافي للأفراد على تغيير التركيبة المحليّة للجماعة قد يكون ذلك من خلال زواجهم بغيران آخرين ومن ناحية تغييره للعلاقة التي تجمع الأفراد بجماعات أخرى... يمكن أن تغير السلم الاجتماعي خاصتهم وبالتالي تتغير المسافة الاجتماعيّة فالحيز الجغرافي يغير المكانة الاجتماعيّة للأفراد والجماعات، كما أنّ المسألة التباعد الاجتماعي في هذه الحالة يصبح تقارباً مادياً فحسب؛ لكن وجود مسافة اجتماعيّة أو تباعد اجتماعي مع تقارب جغرافي يصبح التقارب جغرافي معنوي.¹

يعكس نمط التجمعات السكانيّة التي تمتاز بها أية منطقة ريفيّة معينة الكثير فيما يخص العلاقات والتفاعل؛ لأنها تؤثر في النسيج القرابي والتجمعات السكانيّة الريفيّة هي ثلاثة أنواع:²

➤ التجمعات المتفرقة: نجد أنّ هذا النوع من التجمعات منتشر أكثر في كل من أوروبا وأمريكا، كما يوجد بعض منها في مصر وهي تمتاز بشساعة مزارعها بحيث يكون منزل المالك بالقرب منها، كما نجد أنّ العاملين بها يعيشون فيها وعليه المنازل ونظراً لشساعة المزارع تكون بعيدة عن بعضها البعض من شأنه أن يؤثر على نشاط التفاعلي بين الأفراد أو الأسر في مثل هكذا نمط من التجمع السكاني الريفي.

➤ التجمعات المتجمعة وهي عكس التجمعات المتفرقة، فنجد الأسر (أي المنازل) تكون متمركزة في مكان واحد والمزارع بعيدة عنها ونجد هذا النوع من التجمعات في عدد من الدول العربيّة.

يمكن القول بأنّ تقارب المسافة بين المنازل من المحتمل أن يزيد من شدة النشاط التفاعلي بين الأفراد نظراً إلى قرب الجوار، كما أنّ بعد المسافة بين المنازل

¹. Achevé D'imprumes sur les presses de l'entreprise nationale des arts graphiques, Méthodes d'approches du monde rural, unité de Raghiaia, 1984, p.56.

². فاروق عباس حيدر، تخطيط المدن والقرى، بدون بلد نشر، بدون دار نشر، 1994، ص. 133-138.

والمزارع بإمكانه أيضاً الزيادة في التفاعلات اليومية وذلك نظراً للالتقاء اليومي وهم في طريقهم للعمل بمزارعهم.

➤ التجمعات النصف متجمعة: هي منطقة وسط بين التجمعات المتفرقة والمتجمعة وقد يكون هذا النوع من التجمع لا يسمح بالتفاعل مع عدد كبير من الأفراد نظراً لوجود ما يسمى بالقرى الصغيرة وذلك لانتهاج طريقة الخدمات الفرعية.

وبناءً على تلك المعطيات، التقارب الأيكولوجي أو التباعد يلعب دوراً مهماً في التأثير على سيرورة العلاقات، إذ أنّ تكون المنازل بشكل متقارب أو العكس مع الأخذ بعين الاعتبار المخططات التي تضعها الجهات الرسمية المتكلفة بالهندسة.

النمط المنزلي والمتمثل في الأكواخ والتي تتميز بها منطقة ريفية معينة تُعزز من التفاعل اليومي بين أفراد المجتمع الريفي، فالأكواخ على سبيل المثال حتى في عملية تشييدها تساهم في تنشيط التفاعل بين الأفراد، فإيموهاغ عرفوا ما يسمى بـ (ékaber) وهو نوع من الأكواخ المبني بالقصب وأغصان الشجر أو ما يسمى "بتاهلي" بلغة "التماهق" وأغلبها نجده ذو شكل تكعيبي.¹

تتشكل نقطتين للتفاعل بفضل المادة الخام التي تشيد بها تلك الأكواخ: الأولى في رحلة جلب المادة الخام، لأنها غالباً تبعد كلومترات عند التجمعات السكانية والثانية تكون أثناء عملية تشييد الأكواخ.

وتجدر الإشارة إلى أنّ نمط من الأسر "من المحتمل أن يعود للظهور مرة أخرى في المستقبل، كما أنه من الممكن أن تتشارك مجموعة من الوحدات في الماضي، وقد لا يسكنون معا في نفس المسكن ولكنهم سوف يحتفظون بعلاقات القرابة من حيث تبادل الزيارات والمساعدات المادية والمعنوية.²

إنّ تعقد الحياة الاجتماعية نتج عنه تواجد عدد هائل من المؤسسات (دور الحضانة، مراكز للترفيه،... الخ) وبالتالي وجد الأفراد أنفسهم مجبرين على التعامل معها وبسبب الإجراءات الرسمية التي يلزم بها هؤلاء الأفراد أثناء تعاملهم مع تلك المؤسسات والتي يجد بعضهم مرهقة ومعقدة. كل تلك العوامل من شأنها أن تجعل

¹. Paul Pandolfi, L'habitat du Hoggar (entre tente et maison : la hutte, Paris, Edition Karthala, S.d, p.11.

². سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، بيروت، دار النهضة العربية، 1984، ص.340.

أنماط الأسر التقليدية كالأسرة الممتدة تعود للظهور من جديد لتؤدي الدور الذي كانت تؤديه سابقاً، إذ كان فرد واحد من أفراد الأسرة الممتدة يقابله مؤسسة المجتمع المعاصر (كدور الجدة على سبيل المثال) فحتى أحفاد الأسرة يساهمون في أداء دور الحضانة. كما نلاحظ بأن الصنف الأول من التجمعات لا يسمح بوجود جيرة، هذه الأخيرة التي تتّصف بالعلاقات وجه لوجه وتقوي أواصر الصداقات والقربان، كما أنّ جماعة الجيران تتوفر وظائف لا يمكن أن توفرها جماعات أخرى كالاستعارات الماديّة الصغيرة بين الجيران.¹

بالفعل نجد أنّ المجتمع إيموهاغ بوصفه مجتمعاً تقليدياً، خاصةً في الريف مازال يحتفظ بنمط الأسر الممتدة من خلال تمركز منازلها في مكان واحد، فذلك يرمز إلى وجود خلية عائلية تتكون من الجد، الجدة، زوجات أزواج البنات، باعتبار أنّ البنت المتزوجة أحياناً تمكث فترة معتبرة إلى جوار والديها قبل ذهابها إلى بيت الزوجية، والمدة قد تكون لمدة عام أو يزيد.

يمتاز المجتمع الريفي بنمط العلاقات الميكانيكية فحسب ما جاء به (Emill Durkheim) بأنّ المجتمعات الريفية العلاقات بين أفرادها تمتاز بالتلقائية والفورية؛² ما يسهل عملية التوقع لدى أطراف العملية التفاعلية وذلك بحكم التعود والتراكم الزمني. تعد الدراسة التي قام بها الأنثروبولوجي الفرنسي (Paul Paudolfi) (نوفمبر 1995) حول مجتمع إيموهاغ والمعنونة بـ "Parenté et Le ventre et le dos, rali residence dans un groupe tributaire de l'ahaggar ; Les Dag –rali الدراسات التي تناولت موضوع التفاعل عند إيموهاغ بكل مختلف، إذ تميزت ببصمة سوسيولوجية تميزها عن غيرها من الدراسات التي كتبت عن مجتمع إيموهاغ.

تركزت الدراسة حول مسألة القرابة عند مجتمع إيموهاغ وقبيلة دقّ أغالي على وجه التحديد، وقد عالج الباحث الجانب العلاقتي بين أفراد مجتمع إيموهاغ، وقد اعتمد في دراسته على المنهج الكيفي الإثنوغرافي وبالتالي استخدم الملاحظة بالمعايشة، إلا أنّ

¹. سناء الخولي، مرجع سبق ذكره، ص.76.

². علي فؤاد أحمد، مرجع سبق ذكره، ص.38.

الباحث فقد وظف المنهج الكمي وذلك من خلال بعض الإحصاءات الجاهزة التي استخدمها في دراسته.

▪ (Paul Paudolfi) وعلاقات الحذر والاحترام عند إيموهاغ

توصل الأنثروبولوجي (Paul Paudolfi) من خلال دراسته بأن طبيعة التفاعل لدى أفراد مجتمع إيموهاغ تختلف حسب الحيز المكاني، فإيموهاغ وهم في الطريق مع أولاد عموماتهم -على سبيل المثال- مستوى الاسترخاء والطمأنينة يختلف فهم يأخذون وضعية تتأرجح بين الخجل والحذر، يحدث تحولاً في الفعل لمجرد زيارة بسيطة فالنساء يعملن على تغطية أذانهن وظفائرهن، فهو تغير في المظهر يمكن مشاهدته وفي أي مناسبة كانت (...). فهذه الهيئة تظهر الحذر من الآخر وفي ذات الوقت تظهر الاحترام أيضاً.¹

أضاف (Paul Paudolfi) بأن تلك السمات (الحذر والاحترام) نجدها في مختلف علاقات القرابة بين الأب والأبناء، بين الحماة وزوج الابن أو البنت... وتعلم قواعد الحذر والاحترام تلك يكون بشكل بسيط جداً وذلك من خلال مفردة (éderouich) وللمؤنت (Téderouicht)؛ أي: الفاقد لرجاحة عقله أو عقلها.²

يمكن القول بأن ما يجعل الشبكة العلائقية في مجتمع إيموهاغ معقدة هو ارتباطها أساساً بالنظام الطبقي -القبلي هذا من جهة ومن جهة أخرى صعوبة المصاهرة بين بعض القبائل، فإيموهاغ لديهم حرص كبير في هذه المسألة، كما أنهم كانوا يرفضون الزواج من بعض الأعراق بعينها.

ولقد توصل الباحث إلى أنّ الشبكة الاتصالية لإيموهاغ تتكون من خمسة قطع متميزة، وما يميز تلك القطع بأنّ الانتقال من واحدة إلى أخرى يكون بطريقة سلسلة وانسيابية، فالأفراد ينتقلون من زاوية التجنب الكلي إلى زاوية الدعابة ونزع الكلفة والممازحة، وعليه تلك القطع تتوزع على فئتين من العلاقات: علاقات متوترة (-) وعلاقات مرتاحة (+)، والقطع الخمس هي:³

¹. Odette Bernezat, op.cit., p.152

². Ibid., p.46-47.

³. Paul Paudolfi, Les Touaregs de l'ahaggar (Sahara algérien) parenté et résidence chez les dag-ghàli, op.cit., p.265-266.

-التجنب الكلي مع مراعاة مسافة معينة كعلاقة الحماة بزواج ابنتها (أضفال بالتماهق).

-الانتقال من الاحترام إلى الاحتفاظ بالعقاب المعلن في بعض الحالات.
من غياب الرسميّة إلى المودة والألفة.

-من الأجواء العائليّة إلى الدعابات الممتعة مع وجود امتيازات.

-من الدعابات الإيجاريّة إلى العلاقات المفتوحة المرحّة.

سمة الحذر نجدها أيضاً في علاقة ابن الأخت بخاله إيموهاغ يرددون ذلك من

خلال مقولتهم الشهيرة* ((agg elet mak ahendju n ehéré nek ahendju n))¹(hendjunek

فالغموض الذي يعتري علاقة الخال بابن أخته هي علاقة ذات خلفيّة ماديّة قد يكون سبب وجود تلك الخلفيّة؛ لأنّ الخال هو المسؤول عن بن أخته في حال غياب والده وعليه من الممكن أن تنشئ نوع من المحبة والألفة بينهما، لذلك يصبح "عدو عدوه"وذلك حسب ما جاء في العبارة السابقة.

تجدد الإشارة إلى أنّ هناك العديد من العبارات التي تتناول ذات الموضوع فعلى سبيل المثال لا الحصر عبارة: " خالينك وليد آر إوانكشيددس*"، وهناك عبارة أخرى تقال إذا إتخذ الفرد وضعيّة تفاعليّة معينة والتي تأتي بأن تتجه قدماه لأحدهم يكون مقابلاً تماماً بالقول: " وركشيغ إهري أن خالينك*..".وهي تعتبر من الوضعيات المعيبة عند إيموهاغ.

السؤال لما نجد غالباً التصاق الخلفيّة الماديّة بعلاقة الابن بخاله ؟؟

ومما يروى أيضاً حول علاقة الخال بابن أخته قصة " Amamallen D Elias"amamln dalias، وانطلاقاً ممّا سبق يتأكد لنا بأنّ التراث اللامادي عند إيموهاغ لا يعد مجرد ثروة أدبيّة فحسب بل هو ثروة تاريخيّة، سوسولوجيّة، وحتى سيكولوجيّة؛

* بمعنى لابن أختك نصيب من مالك وهو عدو عدوك أيضاً.

¹.Ibid.,p.287.

* ليس لك من مال خالك سوى ما ظفرت به.

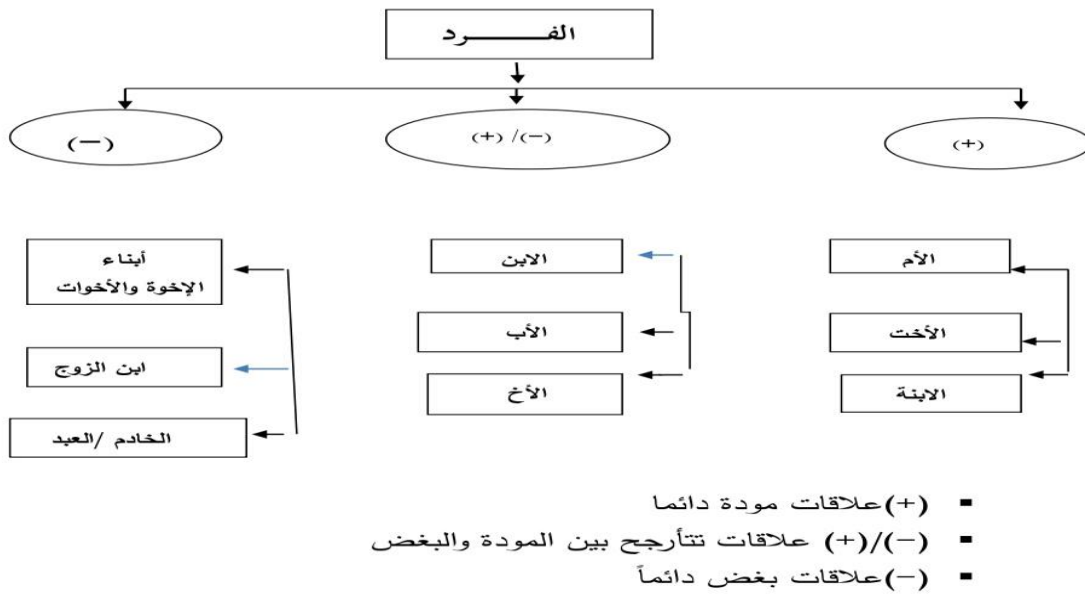
* عبارة تعني "لم أكل مال خالك".

لأنه من خلالها يمكن للباحثين أن يستنبطوا العديد من التحليلات حول إيموهاغ. فعلى سبيل المثال من خلال هذه الأبيات الشعرية يمكننا أن نستنبط بعض القواعد التفاعلية بين الأقارب عند مجتمع إيموهاغ والتي محورها "الحذر والاحترام":

؟Awa dam(imda) il tazza edunet dag tamaddurt ennit))Ma musen
-ilakeradwerkesseninabadah
-ilakaradkessenanrahalen
-ilakaradwerrehhelinabadah
-annannek ,tamadaytennek,tarawtannek(yellik)
-arawnnek,abbannek,amedraynnek
-arananatennek,agulanuck,aklinnekwatasedwaledhundrurik¹.)

سنقوم بترجمة الأبيات السابقة من خلال الشكل التالي:

الشكل رقم (14): يمثل علاقات القرابة وتمايزها عند أماهغ



حسب إيموهاغ لأي إنسان تسع علاقات رئيسية وتنقسم بدورها لثلاث مجموعات:

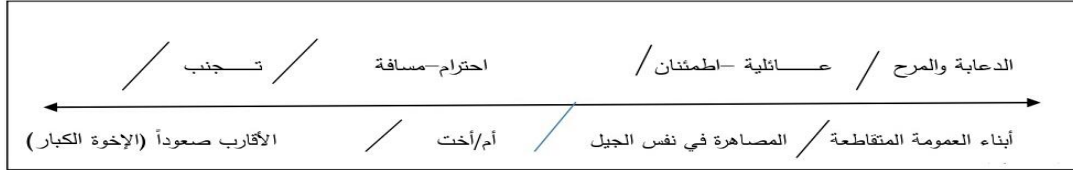
-الأولى: هي علاقات مودة دائماً وهي علاقة الفرد بوالدته، أخته، ابنته.
-الثانية: هي علاقات تتأرجح بين المودة والبغض وهي علاقة الفرد بابنه، والده، أخاه.

-الثالثة: وهي علاقات بغض دائماً وهي أبناء الإخوة والأخوات، ابن الزوج أو الزوجة، والخادم (الذي تمت تربيته كابن).

¹. Paul Paudolfi, Les Touaregs de l'ahaggar (Sahara algérien) parenté et résidence chez les dag-ghàli, op. Cit., p.269.

الحذر والاحترام ليسا المبدأين الأساسيين اللذان يحكمان العلاقات بين أفراد مجتمع إيموهاغ خاصةً إن تعلق الأمر بعلاقات القرابة بين أبناء العمومة والعمات، الذين تجمعهم علاقات المرح والتفاعل التمازحي.

الشكل رقم (15): يوضح العلاقات عند إيموهاغ وفقاً لـ (Paul Paudolfi)



المصدر: Paul Paudolfi, Les Touaregs de l'ahaggar (Sahara algérien) parenté et résidence chez les daghali, op. Cit., p.291.

الشكل السابق يحاول توضيح تغير طبيعة العلاقة وفقاً لنوع القرابة بين أفراد مجتمع إيموهاغ، فحين يكون أطراف العملية التفاعلية أبناء العمومة المتقاطعة على سبيل المثال تمتاز العملية التفاعلية بالمرح والدعابة غالباً، في حين تمتاز العمليات التفاعلية التي بين الحماة أو/والحمو وزوجة ابنهم أو زوج ابنتهم بالتجنب. إن الاحتفاظ بروح المرح تارةً والحذر تارةً أخرى ضمن العمليات التفاعلية لمجتمع إيموهاغ الريفي يجعلنا نتساءل عن الكيفية التي يتمكن بها ذات المجتمع من الاستمتاع بوقته مادامت هناك علاقات تمتاز بالتجنب.

ج. سوسيولوجيا المرح ومجتمع إيموهاغ الريفي

يتميز المجتمع الريفي باستغلاله الخاص للزمن الاجتماعي، هذا الأخير الذي يعني سيطرة البنيات الاجتماعية على التيارات الزمنية (...) وبالتالي فهو الزمن الذي تأخذ فيه الأنشطة المتعلقة بالعرف والعادات والتقاليد قسطاً وقرأً¹.

يُفصح الزمن حسب (Edward T.Hall)* عن الكثير، فهو اللغة الصامتة؛ لذلك

¹.Claude Javeau, Sociologie de la vie Quotidienne, 2em édition, collection ((que sais -je?)), n°7emille, Paris, PUF, S.d, p.13.

* الاسم الكامل هو Edward Twitchell Hall(1914-2009) وهو عالم إنسان أمريكي، حصل على درجة الدكتوراه من جامعة كولومبيا عام 1942 وقام بأبحاث ميدانية عديدة.

تعددت ماهياته لدى الشعوب والحضارات المختلفة، فعند الأمريكيين الزمن لديهم يكتسي قدسيّة، فهم يفكرون بشكل برغماتي حيال الزمن-هذا الأخير-مثبت في الطبيعة والتعامل معه دون احترام له هو أمر غير طبيعي بالنسبة لهم.¹ فنجد بذلك بأنّ النظرة إلى الزمن يختلف كثيراً إذا اتجهنا إلى المجتمعات المتقدمة على عكس المجتمعات التقليدية.

يمارس أفراد المجتمع الريفي الترويح وهو أي نشاط يتصف بالتلقائيّة بدون تسيطر هدف منه سوى إضفاء أجواء مرحة على أوقاتهم وحياتهم اليومية، ومن النادر أن نجد مجتمعاً أياً كان صفته لا يمتلك طرفاً للترويح وذلك نظراً لما لها من أهميّة على الصعيدين الاجتماعي والسيكولوجي، ففي الوسط الحضري تكون هناك مؤسسات تتكفل بالجانب الترفيهي للأفراد، أما عن الوسط الريفي والذي تقل أو ستندم فيه مراكز الترفيه تلك؛ لذلك فالمجتمع الريفي يقوم بإيجاد طرق تقليديّة للترفيه.

يقسم الباحثين النشاط الترويحي إلى ثلاثة أنواع رئيسيّة:²

-النشاط الترويحي الحر: وهو نوع من الأنشطة الترويحيّة الذي يشمل على كل أنواع الترويح المحتملة وغير المحتملة؛ لذلك من الصعوبة بمكان التنبؤ بنتائجه؛ لأنّه يشمل أيضاً الأنشطة السلبية الانحرافيّة كتعاطي الممنوعات وغيرها من الأمور السلبية.

-النشاط الترويحي التجاري: وهو نوع من الأنشطة التي يرمى منها الكسب، ومن أمثله السينما والمسارح... المقاهي، وهذا النوع من الأنشطة يشكل خطراً على الفرد والمجتمع، خاصةً بصورته التنظيميّة، فالقائمين عليه يستخدمون أرخص الطرق لزيادة نسبة الزبائن وبالتالي زيادة المكسب.

لكن ما يمكن ملاحظته بأنّ هذا النوع من النشاط الترويحي هو أقرب إلى المدينة منه إلى الريف، إلا في حالات وصول المجتمع الريفي إلى درجة متطورة من الحياة الترفيهيّة.

¹. إدوارد تي هول، اللغة الصامتة، ترجمة لميس فؤاد اليحي، الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، 2007، ص.23.

². نفس المرجع، ص.193-195.

-النشاط الترويحي الموجه: جاء ليقفل من الآثار التي يخلفها النشاط الترويحي التجاري، وذلك حسب ما توصل له الباحثين في مجال علم الاجتماع، يشمل هذا النوع من النشاط الترويحي المتاحف والمعارض على سبيل المثال.

أما عن ما اصطلحنا عليه بـ "سوسيولوجيا المرح" لدى مجتمع إيموهاغ الريفي فهو يختلف إلى حد كبير عن ما سبق ذكره مع وجود بعض النقاط القليلة المشتركة، فالترويح عن النفس يسمى عند إيموهاغ "تران- مان"، ففي بعض المناطق الريفية يكون المرح دونما سبب، إذ يعتبر كروتين ضمن الحياة اليومية، إلا أنّ إيموهاغ لهم قواعد خاصة مثلاً أنشطة "التندي"، هي ليست مجرد نشاط فلكلوري فإذا نظرنا لها من خلال علم الاجتماع المشاركة في الحضور تستلزم (أي تندي) احترام قانون اللباقة؛ إذ يقتضي ذلك احترام النسوة الحاضرات والمغنيات، واتخاذ وضعيّة فيزيولوجية معينة، الرأس مرفوع والحفاظ على استقامة الجزء الأعلى من الجسم، مع أهميّة التصفيق احتراماً للمجلس.¹

التمظهر هو أهم ما يميز تلك التجمعات المرحّة، بحيث يحرص الجميع على ارتداء أجمل ما لديهم من الملابس والزينة، فكأنّ ما كتبه الفيلسوف (Friedrich Nietzsche) يشبه مجتمع إيموهاغ في هذه النقطة: "ربّما كان علينا أن نمجد أكبر التمجيد الحشمة والوقار الذي يطبع الطبيعة ويجعلها تتستر وراء اللغز وعدم اليقين ربّما كانت الطبيعة امرأة تعرف لماذا لا تفصح عن أسسها ودوافعها؟ عجباً لهؤلاء الإغريق لكم كانوا يعرفون أسباب العيش إنّ ذلك يستلزم البقاء على السطح، عند ثنّايا الثوب، عند القشرة والبشرة، إنّهُ يقتضي عبادة المظهر والإيمان بالصورة والشكل والأصوات والكلمات، الإيمان بأولمب المظهر، هؤلاء الإغريق كانوا سطحيين من شدة عمقهم..."²

بشكل من الأشكال من خلال وجه الشبه الذي نجده بين ما ذكره الفيلسوف (Nietzsche Friedrich) وبين ما يميز مجتمع إيموهاغ، كأنّما الفيلسوف (Nietzsche Friedrich) قد بنى جسراً بين طبيعة مجتمع قديم ومجتمع تقليدي وبعبارة أدق فقد تناول تلك

¹.Marceau Gast, Tikatoutin(+:++E!)un institeur chez les touaregs, itinéraire d'un apprentie ethnologue,Alger,CNRPAH,2004,p.64.

². عبد السلام بنعبد العالي، ميثولوجيا الواقع، الدار البيضاء، دار توفيق للنشر، 1999، ص.109.

الرواسب للمجتمع القديم في مجتمع إيموهاغ الريفي.

كما أنه يمكن اعتبار "الألعاب الاجتماعية المختلفة" نوع من المرح ومن أشهرها "تبلانت" وهي عراك لا يرجى منه أي مكسب سوى الترفيه؛ لذلك ليس من مبادئها العنف والضرب المبرح، المهم أن يطرح الخصم خصمه أرضاً والغرض منه إنشاء جو من المرح وتشجيع المنافسة بين الأقران أحياناً لمعرفة من الفائز وكذلك لإدراك قوة الخصم.¹

قد يتخلل "تبلانت" نوع من التهكم على الطرف الخاسر، وقد عرف مجتمع إيموهاغ هذا النوع من المرح منذ القدم وتكاد لا تخلو أي تجمع منها وتكون أحياناً حتى بين الجنسين المختلفين (ذكر - أنثى)، كما أنّ للعبة طقوس وقواعد خاصة بها، وإذا أردنا رؤيتها بالمنظور السوسولوجي، فسنجد أنّ "تبلانت" تشجع على المنافسة وعلى تكريس مبدأ الأفضلية والفقوية عند أفراد مجتمع إيموهاغ وذلك بنمط غير اعتيادي (أي غير مباشر)، وبالتالي توطد الاعتزاز بالنفس أمام الآخرين، خاصة عند النشء، وهذا على الرغم من أن التهكم والذي يكون في نهاية العراك يكون لغاية المزاح إلا أنه يؤثر في التنشئة الاجتماعية للأفراد.

نستنتج ممّا سبق أنّ الاهتمام بما اصطلحنا عليه بـ"سوسولوجيا المرح" مهم من

عدة جوانب:

- ✓ دراسته تكفل لنا فهم ما يفعله الأفراد بزمهم الاجتماعي.
- ✓ يساعد على فهم ماهية العمل لدى أفراد ذلك المجتمع.
- ✓ يساعد على فهم الشبكة التفاعلية بين الأفراد ذلك المجتمع باعتبارها قطع من الزمن يكون فيها التجمعات الكبيرة للأفراد.
- يساعد على فهم آليات الضبط الاجتماعي في ذلك المجتمع.

¹. Odette Bernezat, Compements Touaregs (moment de vie avec les nomades du Hoggar), S.L, Edition Glénat, 2008, p.126.

خلاصة

إنّ التركيبة التي تجمع بين المجتمع إيموهاغ والمجتمع الريفي عامةً -وعلى المستوى النظري- نتج عنها مجتمعاً هجيناً -إن جاز القول- فما يفرضه "تموهغة" من نمط أيديولوجي -فعلي بالإضافة إلى ما يفرضه نمط حياة الريف ينتج أفراداً ذو خصائص متفردة خاصةً إن أخذنا بعين الاعتبار أنّ المجتمع الريفي، مجتمع جزئي على عكس المجتمعات القديمة والبدائية، بحيث تتناقض ميزة الجزئية تلك مع أهمية الحفاظ على "تموهغة" بصفاتها نمط تفكير كلي، وذلك بسبب تأثير خاصية الجزئية التي تستلزم الاعتماد على مجتمع المدينة والذي يؤثر بدوره على قوة التفاعل بين عناصر تموهغة والمتمثلة في لغة تماهق وانعكاساتها الثقافية وزي إيموهاغ والذي يرتبط بدوره بأهم الآليات التفاعلية عند إيموهاغ "أشك" وأخيراً أفعال أماهغ، وجل ما سبق ينعكس على تفاعلهم مع المعطيات المختلفة، السياسية، الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية.

الفصل الثالث: اقتصاد المجتمعات التقليدية

والعلاقات المكتسبة

تمهيد

1. اقتصاد مجتمع إيموهاغ التقليدي

- أ. ماهية الاقتصاد عند المجتمعات التقليدية
 - ب. الغزو وديناميكية التبادل التجاري عند إيموهاغ كيل أمفار قديماً
 - ج. إيموهاغ نهقار والتوجه نحو التعامل النقدي -السلعي
- ### 2. الطرح المعاصر للكسب وسوسيولوجيا العادات المكتسبة
- أ. رؤية (Marcel Mauss) للكسب الهبوي
 - ب. الهبة عند المجتمع القبائلي بمنظور (René Maunier) و (Pierre Bourdieu).
 3. عمليات البيع وما يسمى بـ"سعر الأصدقاء" عند (Alain Testart)
 - أ. نماذج تُبرز ارتباط الهبة بعمليات البيع والشراء
 - ب. الطرح المعاصر للكسب عند (Jacques.T.Godbout) و (Alain Caillé)
- خلاصة

تمهيد

ذكرنا في الفصل الثاني من هذه الدراسة بأن مجتمع إيموهاغ الريفي هو وليد تركيبة ما اصطلاحنا عليه بـ"تموهغة" وصفة الجزئية التي تتميز بها المجتمعات الريفية؛ مما نتج عنه نمط مميز من التفاعل مع المعطيات المختلفة، الثقافية، السياسية والاقتصادية، هذه الأخيرة التي يندرج ضمنها طرق الكسب التقليدية والتي تكشف عن التكيف كمطلب حيوي لأفراد المجتمع إيموهاغ الريفي، هذا من جهة ومن جهة أخرى تُفصح عن ذلك التمازج الذي أشرنا له سابقاً فهي من جهة نجدها تُفصح عن ذهنية مدنية ومن جهة ثانية يغلب عليها الطابع التقليدي؛ لأنها بالأساس ترتكز على نمط تفكير موغل في القدم وله سيرورة تاريخية تلتقي في بعض النقاط مع مجتمعات تقليدية أخرى كالمجتمع القبائلي بصفته مجتمعاً أمازيغياً، وليس هذا فحسب فحتى المجتمعات الحديثة وما تعرفه من عقلانية مازالت تحتفظ بشيء من العادات المكسبة "الهبات" وبعض أنماط التبادل اللاتجارية.

نظراً لطبيعتها -وكما تطرقنا في الفصل الثاني من هذه الدراسة -أوجدت المجتمعات البدوية وبعدها التقليدية طرقاً غير رسمية للكسب؛ وذلك لعدم قدرة أغلب أفرادها على التكيف مع النمط الرسمي للمؤسسات والذي يستلزم انضباط يتناقض واستخدام الزمن الاجتماعي.

1. اقتصاد مجتمع إيموهاغ التقليدي

عرف الإنسان ما يسمى بالاقتصاد منذ القدم وذلك لأنّ للفرد حاجات متنوعة، فالحاجة إلى استهلاك بمعناه الواسع جعل الفرد يبتكر طرقاً للكسب.

أ. ماهية الاقتصاد عند المجتمعات التقليدية

لا يعني الاقتصاد بمعناه العميق الحاجة إلى استهلاك الحاجات الفيزيولوجية فحسب كالأكل والشرب بل والحاجة إلى التعليم، الأمن، الصحة، ومختلف الخدمات؛ لأنّها مجتمعةً تزيد من نسبة رفاة الفرد، دون أن نغفل عن المزايا المعنوية كالحاجة إلى السمعة والاعتبار الاجتماعيين.¹

ذكر (Guy Rocher*) بأنّ بنية الاقتصاد التقليدي بسيطة فهو يستند أساساً لسد الحاجات الضرورية فحسب وبأنّ الأفراد في المجتمعات التقليدية يميلون إلى الاستهلاك المباشر المستوحى من الطبيعة؛ لذلك يطلق عليه "اقتصاد المعاش"، إذ يتم إنتاج فائض يكفي لمدة وجيزة من الوقت؛ لذلك فمشاكل التموين غالباً ما تكون يومية وهو معرض للتهديد من قبل المشاكل الطبيعية المختلفة كالجدب والقحط، وليس هذا فحسب بل نجد بأنّ فلسفة الكسب تلك لها ما يدعمها في التنظيم السوسيو-ثقافي للمجتمع التقليدي.²

توصل كل من (Franz Boas*) 1909، (Marcel Mauss) 1924،

¹. كريس هان وكيث هارث، الأثنربولوجيا الاقتصادية (التاريخ والإثنوغرافيا والنقد)، ترجمة عبد الله فاضل، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014، ص 24.

* عالم اجتماع فرنسي (1924)، مشارك في مركز البحث CRDP

². Medhar Slimane, Tradition contre développement, S.L, E NAP édition, 1992, p17-18.

* Franz Boas أنثربولوجي ألماني (1858-1942)، كان السباق في استخدام الملاحظة بالمعايشة في المجتمعات البدائية.

(Malinowski*) 1922 من خلال الدراسات التي قاموا بها بأن الاقتصاد البدائي يعتمد على تكتيك متفرد، وعكس ما ذهب إليه التحليل الكلاسيكي للاقتصاد التقليدي، على أنه يتّصف بضعف الإنتاجية وغياب الفائض ومنه يتسم بالبساطة؛ بيد أن فهمه يستلزم فهم التنظيم الاجتماعي ككل.¹

تُعتبر عمليات اقتلاع الأعشاب الضارة لدى شعوب (Bornéo)، على سبيل المثال؛ عمليات تكرث مفهوم التنمية المستدامة، فهي تعني الاهتمام باستمرارية الموارد الطبيعية للأجيال اللاحقة وذلك حسب ما ذهب إليه الأنثروبولوجي البريطاني (Victor King).²

أشار "محي الدين صابر" إلى أن الأعراف والتقاليد مازالت تحافظ على قوتها التأثيرية، فتقسيم العمل في المجتمعات التقليدية يقوم على أسس غير موضوعية، كالعرق، الفئات العمرية، الجنس؛ إذ أنّ الأفراد يحملونها حتى بعد انتقالهم إلى العيش في الحياة الحضرية وعليه يمثل ذلك أحد أهم العوامل التي تؤثر على مسألة اختيارهم لنوع الأعمال التي يفضلون ممارستها وغالباً ما لا يكون المرود المادي له تأثير كبير على اختياراتهم؛ إذ يقومون باختيار أعمال أو طرق كسب تتناسب وطبيعة حياتهم السابقة، فقيادة السيارات على سبيل المثال لدى بدو السعودية، تمثل بالنسبة لهم البديل القوي للجمل؛ ممّا يؤكد على قوة القيم المرجعية لدى تلك المجتمعات (أي المجتمعات البدوية والتقليدية).³

يرى البعض بأنّ للأب سلطة مظهرية في الأسرة الريفية وذلك إذا ما قورنت بسلطة التي تمتلكها الأم فعلياً وبالتالي، فإنّ سلطة هذه الأخيرة هي عكس السلطة التي بيد الرجل إذ رغم كونها تمتلك سلطة إلا أنّها لا تبدو واضحة وضوحاً تاماً وذلك بفعل عوامل اجتماعية متعلقة بالعرف الاجتماعي.⁴

* Bronislaw Kaspar Malinowski (1884-1942) عالم أنثروبولوجيا بريطاني الجنسية، بولندي الأصل.

¹ مارك أوجيه وجان بول كولان، الأنثروبولوجية، ترجمة جورج كتورة، بيروت - لبنان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2008، ص. 36-38.

² Sabrine Rabourdin, Les sociétés traditionnelles au secours des sociétés modernes, Paris, Delachaux et Niestlé, 2005, p.75.

³ محمّد عبده محجوب، الاتجاه السوسيوأنثروبولوجي لدراسة المجتمع، الكويت، وكالة المطبوعات، بدون سنة نشر، ص. 42.

⁴ علي فؤاد أحمد، مرجع سبق ذكره، ص. 125.

مما يعني بأن هناك أدوار تلقي على عاتق الرجل الكثير من المسؤولية وبالتالي ما دام الفرد التقليدي يقوم بأنشطة اقتصادية روتينية جنباً إلى جنب مع الطبيعة وبالتالي الحديث عن تلك الأدوار يقودنا للحديث عن التعامل مع الصعوبات الفسيولوجية.

فإذا بلغ الرجل مستوى عمري معين بحيث يستطيع إعالة الأسرة فيمكننا اعتبارها دورة قابلة للتجديد وباستمرار وذلك راجع إلى أنّ الحاجات الفيزيولوجية مستمرة، وبسبب صعوبة تعامل الفرد التقليدي مع الطبيعة؛ لذلك فالوسائل التي يمكنه من خلالها التأثير في تلك الطبيعة متروكة للصدفة ويبدو الموقف صعباً خاصةً إن تم الأخذ بعين الاعتبار الصعوبة التي تتميز بها الأعمال أو الأنشطة الاقتصادية الضرورية التي يقوم بها رب الأسرة، ورغم ذلك فالأنشطة الأنثوية لها ميزة التستر على الأدوار الذكورية الناقصة، بمعنى أنها غير كافية لوحدها، إلا أنّ النمط الثاني من الأنشطة هو بحاجة إلى تأكيدات سوسيوثقافية لتكون ممارسة.¹

المجتمعات التقليدية الأمازيغية تطلق مفردة (amghar) أو "تامغارت"، على الفرد الذي يحظى بوضعية خاصة في جماعة معينة ويمتلك ميزات خاصة؛ مما ينجر عنه التزامات فهو الذي يقوم بتوجيه الآخرين وقيادتهم؛ فقد يمثل سلطة سياسية، اقتصادية أو كمعيل للأسرة الممتدة و/أو النووية التقليدية وعليه تكمن أهميته في وحدة الجماعة وتماسكها،² مما يعني دور "أمغار" يعكس القدرة على الإنفاق وإدارة الصراعات والقدرة أيضاً على بناء علاقات مع الآخرين.³

تجدر الإشارة أنّ موقف المجتمع إيموهاغ البدوي إتجاه العمل بأجر والعمل اليدوي لم يكن إيجابياً ومع مرور الزمن وتغير متطلبات المعيشة وجد بعض أفراد مجتمع إيموهاغ نفسه ملزماً على الاندماج في المعطى الجديد، في حين بدا موقف البعض الآخر متردداً بفعل عوامل كضعف المستوى التعليمي.

أشار (Henry Duveyrier) إلى ما هو أكثر دقةً بالقول أنّ من يحتقر العمل اليدوي من مجتمع إيموهاغ على وجه الخصوص هم الطبقة النبيلة ((Aucun noble homme ou femme, ne livre au travail manuel)) لأنهم الطبقة الأكثر حظوةً فهم يمتلكون

¹. Sabrina Rabourdin, op. cit.,p59

². Medhar Slimane, op. cit.,p.59-60.

³. Maurice Benhazera,op. cit.,p.88.

العدد الأكبر من الخدم.¹

لا بد من القول بأنّ ضعف عدد المتدربين أو الأفراد الذين تم تعليمهم من قبل الفرنسيين خلال الفترة الممتدة من 1950 إلى غاية 1953 أضعفت فرص ظفر غالبية إيموهاغ آنذاك بمناصب إدارية قاعدية بتامنغست، فمدارس البدو حينها لم تكن فعالة بشكل جيد فقد كان الفرنسيون يطلقون عليها اسم (Le cirque) بسبب دورها الواجهي الفلكلوري الأصلي فأصبحت بذلك وجهة للسياح وبعض الشخصيات، وبذلك فقدت طابعها البيداغوجي وفي ذات الوقت بدأت الحياة لدى إيموهاغ تتغير وذلك بعد اكتشاف المناجم والبتروك في تلك الفترة الفرصة كانت سانحة للظفر بمنصب عمل، فمن استغل فرصة التعلم في المرحلة (1950-1960) أياً كان بدوي، من الحضر المزارعين كان ليحظى بأحد المناصب بولاية تامنغست، كمسؤول محطة، مسؤول على وكالة سياحية، مرشد سياحي... الخ.²

وانطلاقاً مما سبق يتّضح بأنّ التعليم لعب وما زال يلعب دوراً محورياً في مسألة علاقة أفراد مجتمع إيموهاغ الريفي بالعمل وباختيارهم لطرق الكسب هذا من جهة ومن جهة أخرى له علاقة باستمرارية وجود طرق الكسب التقليدية، إذ نجد أنّ بعض الأسر مازالت تجد صعوبة أو ترفض تعليم الإناث؛ فتلك العوامل ساهمت في قلة انخراطهن أو حتى انخراطهم في العمل المؤسساتي الرسمي.

يمكن القول بأنّ تكون ماهية الكسب والعمل لدى الفرد متعلقة بالتنشئة المجتمعية التي يتلقاها الفرد وهذا دون أن نستثني العوامل الأخرى، فقد توصلت الدراسات إلى أنّ الانتكالية على سبيل المثال بأنّها ذات أبعاد اجتماعية ثقافية، فالفرد الذي ينمو في مجتمع يشجع على المنافسة يكون بذلك فرداً ديناميكياً فاعلاً، أما المجتمعات التي تحدد للفرد معالم معينة لضبطه، وبالتالي ينتج عنها أفراداً يهابون السلطة والمنافسة.³ يتميز مجتمع إيموهاغ -وكما أسلفنا الذكر- بعزّة النفس والأنفة ومن أهم مفاهيمه "تاهولت" و"إبرافن" *وعليه من الصعوبة بمكان أن يُقبل بعض أفرادها إلى العمل لدى

¹ Henry Duveyrier, op. cit., p.14.

² Gast Marceau, «l'école nomade au Hoggar une drôle histoire», op. cit., p.107-108.

³ هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، 1981، ص.49.

* "تاهولت" تعني الجرأة على الإقدام بفعل ما سلبي أو إيجابي، أما "إبرافن" تكون سمة من سمات شخصية الفرد (من دون

أسر من ذات القرية وذلك كما هو الحال عند المجتمع القروي المصري. انتقل في مصر التعاون من تعاون غير مشروط، إنساني إلى عمل يقوم به بعض أفراد الأسرة الريفيّة المصريّة لدى أسر أخرى ميسورة الحال، فهناك أفراد يعملون بصفة دائمة لدى تلك الأسر يعملون بشكل موسمي حين يكون العمل متوفر وبكثرة كمواسم الحصاد ويسمى النمط الأول من العمل بـ"القيطون" أو "مربعاً"، أما عن النمط الثاني من العمل فيتقاضى الأفراد في القرية أجورهم بشكل يومي.¹

وتجدر الإشارة وذلك حسب ما أشار له الدكتور عاطف غيث بأن هؤلاء الأفراد سواء كانوا رجالاً أو نساءً لا يعاملون كخدم من قبل الأسر المستخدمة إذ تكون هذه الأخيرة حريصة على ألا تكلفهم إلا بالأعمال الخاصة بالنشاط الزراعي.²

يُبين ما سبق الكيفيّة التي فيها العمل الذي كان ينطوي تحت مظلة التعاون الإنساني الذي تعرفه المجتمعات التقليديّة إلى عمل بأجر وذلك بسبب بعض العوامل الجديدة التي تفرضها الحياة الاجتماعيّة، فهو في طريقه إلى الزوال وذلك ما يحاول الدكتور عاطف غيث الإشارة له من خلال القول: "...التعاون في العمل الزراعي الذي كان يقوم على أساس القرابة لم يصبح له هذه الصفة، ومع أنّه لا يزال هناك بعض الأثر للقرابة في هذا التعاون إلا أنّ علاقة الجوار والمصلحة الخاصة أصبحت تتميز التعاون على اختلاف أنواعه في الحقل أو المنزل على حد سواء..³

بسبب العوامل السالفة الذكر فإنّه من المحتمل جداً أن نجد أفراداً من مجتمع إيموهاغ يشكون الفراغ وعلى الرغم من أنّ المجتمعات التقليديّة والمجتمعات الغربيّة المتقدمة هناك فجوة واختلاف كبيرين بينهما، إلا أنّ بعض القواسم المشتركة للنوع الإنساني حتى وإن كانت ضئيلة من شأنها أن تسمح لنا بأخذ أمثلة من أو الاستفادة من نتائج الدراسات الغربيّة حول آثار البطالة والفراغ على الأسر.

لقد توصلت دراسة سوسيولوجيّة حول خبرة البطالة والتي أجريت عام 1920 في

سبب) وقد تعني التناخر بالمال أو الحسب والنسب أو كلاهما.

¹. محمود عودة، الفلاحون والدولة (دراسات في أساليب الإنتاج والتكوين الاجتماعي للمجتمع التقليدي)، بيروت، دار النهضة

العربيّة، 1983، ص.205.

². نفس المرجع، ص.206.

³. نفس المرجع، ص.207.

مدينة نمساوية صغيرة تدعى (Marienthal) وذلك في مصنع للنسيج الذي عرف وقتها صعوبات في ذات العام قبل أن يقفل أبوابه ويُسبب بطالة فادحة.¹ ولقد كشفت الدراسة على وجود أنماط عديدة من الأسر المتضررة من البطالة والفراغ وذلك على حسب درجة التأثير: ²

- العائلات الثابتة.
- العائلات المستسلمة.
- العائلات البائسة.
- العائلات المنهارة.

توصلت الدراسة إلى أنّ البطالة لا تؤدي إلى إضعاف الجانب الاقتصادي والمادي للأسر فحسب بل وتُضعف أيضاً جانب المشاركة الاجتماعية لتلك الأسر، فهي تؤدي إلى التخلي عن الارتباط بالآخرين، فالبطالون في العديد من الحالات لا يدرون عما يحدث في سائر أيامهم.³

ب. الغزو وديناميكية التبادل التجاري عند إيموهاغ كيل أهفار قديماً

إنّ البداوة ليست بسيطةً كما تبدو عادةً، فهي في حقيقة أمرها لها عدة أبعاد حول الوسط الاقتصادي، فهي تمتلك نموذج لإدارة الموارد، فنمط عيش البدو لديه ميزة ضرورة توفر تقنيات واستعداد للتنقل من مكان لآخر وبالتالي فإنّ نمط عيشهم بحاجة إلى جملة من المعارف الجغرافية، المناخية، الفلكية، الاقتصادية... الخ⁴ يُعتبر الغزو عند إيموهاغ البدو ليس مجرد نشاط سياسي بل ونشاطاً اقتصادياً رئيسياً إلى غاية القرن التاسع عشر، إذ من خلاله يتمكن إيموهاغ المحاربون بجلب العديد من الغنائم،⁵ بالإضافة إلى تكوين رأسمال مادي ورأسمال بشري إن جاز القول.

¹.Didier Demaziere, sociologie des chômeurs, Paris, l'édition Découverte, 1995, p.86-87.

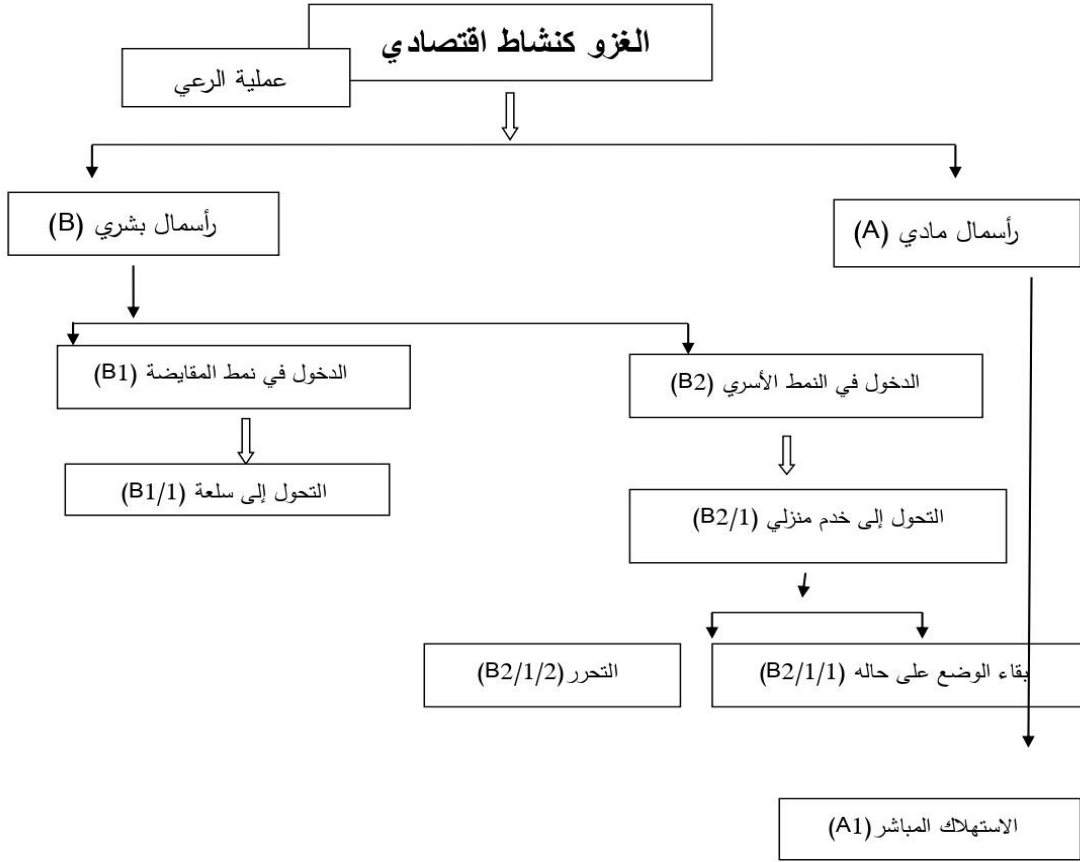
². Ibid.,p.88.

³.Ibid,p89.

⁴.Hélène Claudot –Hawad, «nomadisme chez les Touaregs», *encyclopédie Berbère*,n°34,26nov2012,p.01.<https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-0757429.date10/25/2017..h12:36>

⁵.Museum Michel, «un exemple spécifique D'économie Caravanière : l'échange sel-mil», *journal des africanistes*, Tom47, 1977, p.50./<http://www.persee.fr/date12/12/2018h21/55>.

الشكل رقم (16): يوضح الغزو كمنشاط اقتصادي عند بدو إيموهاغ قديماً



من خلال الشكل رقم (15) يمكن القول بأنّ الرأسمال البشري هو قابل للمرور بمراحل تحويليّة عديدة إن صح القول، فإيموهاغ البدو يستفيدون منه بصفة كليّة لذلك ذكرنا سابقاً بأنّ مسألة العبيد لا تعد مجرد جلب خدم من مكان آخر، فالعبيد هناك احتمالان يمكنهم المرور بها: إما أن يتم إدراجهم ضمن نمط المقايضة وبالتالي يتم استبدالهم تجارياً وبسلعة أخرى، أما الاحتمال الثاني هو دخولهم في النمط الأسري وقد اصطلحنا عليه بـ"النمط الأسري" وذلك نظراً لمنحهم الهوية المفقودة؛ إذ في هذه الحالة تتغير المعاملة أو التوظيف؛ إذ يحظون بجو أسري عادي مع الحفاظ على أنّهم خدم وتحت سلطة رؤسائهم، وضمن هذا الاحتمال نجد أنّ هناك احتمالين: الأول إما بقاء الوضع على ما هو عليه دون تغيير أو قد يتم تحرير الخادم من سلطة رؤسائه ويقول إيموهاغ بذلك عبارة: "أسخركك"؛ أي "منحته حريته .. وبذلك يصبح الخادم مثله مثل الآخرين، يحظى بهوية كأبي فرد آخر من أفراد مجتمع إيموهاغ، وفي الوقت الذي يمر فيه الرأسمال البشري المستقى من الغزو بكل تلك المراحل والاحتمالات، يوجه الرأسمال

المادي والذي قد يتمثل في الماشية والأغذية.... إلى الاستهلاك المباشر. ومن نافلة القول الإحاطة بأنه خلال نهاية القرن التاسع عشر كانت هناك أحداث سياسية وعسكرية غيرت علاقات القوة بعلاقات أخرى اقتصادية بسبب المعركة الطويلة التي جرت بين كيل أهفار وكيل آجر (1872-1878) وأيضاً هزيمة كيل أهفار في معركة تيت في 1902، شيئاً فشيئاً بدأت الأنشطة الحربية تتمحي عند كيل أهفار وقد كانت نهاية عمليات الغزو أحد أهم الأنشطة الاقتصادية لإيموهاغ البدو إبان عهد تمنوكلة الخاص بـ"أمنوكال موسى أقمستان" وكان ذلك من الأسباب الرئيسية لاتجاه كيل أهفار إلى التجارة القوافلية.¹

أما بشأن القبائل التي تنشط* القوافل التجارية نجد في قوافل الملح والذرة كيل غلا، دق أغالي، آيت لوين، آجوه أنتهلي، إكلان أن توسيت، تقي نفيش، كيل إنغر، إرفنتن، ف"كيل غلا" لم يكن لديهم خط سير مستقر فهو يختلف باختلاف نقطة التنقل، أما عن "دق أغالي" فهم القبيلة التابعة الأكثر ثراءً في الأهفار آنذاك إذ كانت تمتلك عدداً كبيراً من النوق والإبل في تمسنا؛ لذلك يستغلون فرصة قافلة الملح لزيارة قطعانهم، أما عن "آيت لوين" التي ترعى بالقرب من المناجم تساهم بالعديد من القوافل الصغيرة (مخيم - منجمي) مخيم من أجل التخزين الملح تذهب إلى تامنغست في قافلة واحدة وذات الشيء بالنسبة لـ"إسقمارن"، إذ كانوا يرعون بـ"تافدست"، أما بالنسبة لكيل "إنغرو" هم جزء مهم من "إسقمرن" و"إرفنتن" ترعى في "تمسنا" وتتكدب مسافة بعيدة للوصول للبحث عن الملح في "أمدغور"، وفيما يخص القبائل الأخرى فهي تشارك بشكل صدفوي في قوافل الملح والذرة ولكن ذلك راجع إلى امتلاكها لعدد قليل جداً من الإبل.²

تقلصت في عام 1968 تجارة الملح والذرة جداً، أما عامي 1970 و1971 تجارة الملح والذرة قد مرت بشكل عادي، بيد أن القوافل الهقارية أصبحت تدفع في الحدود النيجرية مبلغ رمزي في المال كحقوق جمركية هذه الأخيرة التي باتت تختلف من عام

¹.Museur Michel,op. cit.,p.54-55.

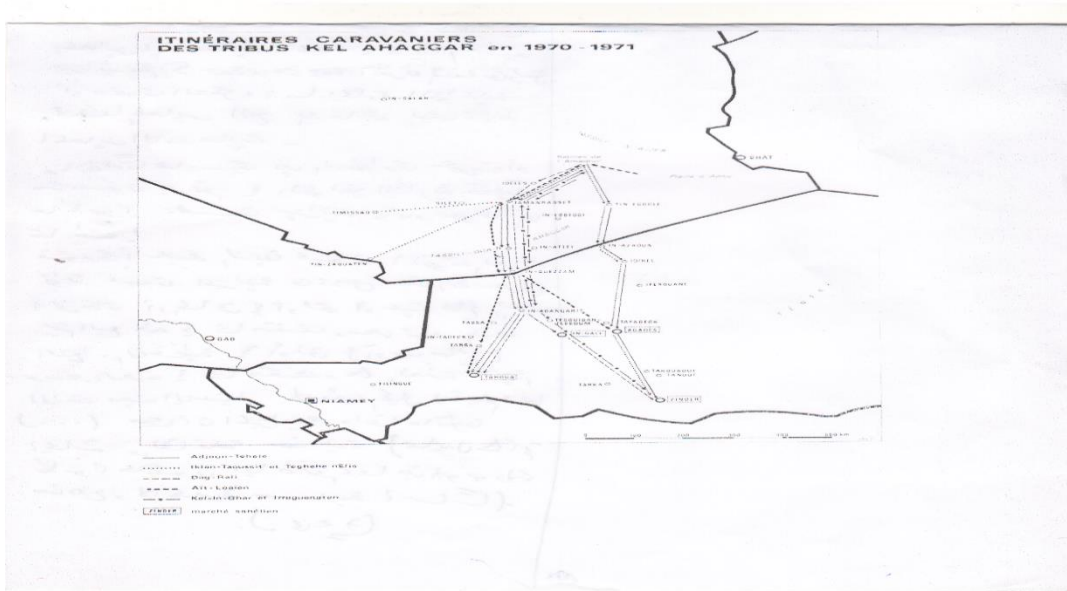
* اطلع على كل من: الملحق رقم (13) والملحق (15).

². Ibid., p. 61-62.

لآخر كما تقوم بأخذ بعين الاعتبار حمولة العام من الملح وبالمقابل التجار النيجريون جاءوا بقوافل محملة بقطعان الكباش والجمال من أجل ذبحها وحين وصول إلى نقطة الجمارك الجزائرية يتم إحصاؤها لكن لم يتم دفع أية حقوق جمركية للدخول وفي طريق العودة جلب التجار بعض المنتجات من أسواق ومحلات تامنغست، في الحدود النيجرية تم فرض ضريبة ما نسبته 1.25% من قيمة تلك السلع.¹

إلا أن عام 1973 كانت الانتكاسة بسبب الجفاف وبالتالي كانت الأزمة الجديدة التي أجبرت كيل أهفار على البحث على مصادر جديدة للغذاء واستغلال مصادر جديدة كالعامل بورشات (SONAREM).²

الخريطة رقم (2): توضح قبائل إيموهاغ المساهمة في التجارة القوافلية 1970-1971.



المصدر: Museur Michel, op. cit., p.72

يمكن القول بأنّ المواصلات أو طريقة النقل ذات دور مهم جدا في عقلنة -إن جاز القول- التجارة القوافلية فالتنقل عن طريق الشاحنات الكبيرة كان يخضع لمعايير اقتصادية بحتة، فالتجار يقومون بحساب ميزانياتهم من جهة ومن جهة أخرى يتم احتساب حقوق السائقون والنقل، أما عن التجارة القوافلية تحكمها المعايير الاجتماعية

¹. Museur Michel, op. cit., p. 70-71.

². Ibid., p. 70.

الثقافية وليس فقط المعايير الاقتصادية وعليه فإن إيموهاغ متمسكون بأعرافهم في تعاملاتهم التجارية القوافلية قليلاً ما كانوا يقومون باحتساب الميزانية وإن قاموا بحسابها فغالباً تكون خاطئة، فهم يقومون بحساب الميزانية من خلال مقارنة مجموعة من الأسعار وبدون أي قانون يحتكمون إليه والمقارنة تلك تتم بين سعر بيع القطعان في أولف وعين صالح والسعر الذي يتم البيع فيه في تامنغست وسعر شراء التمور... إذ لا يتم الأخذ بعين الاعتبار لا تعب الجمال ولا أيام التي تستغرقها القوافل في الرحلة، كما أن الميزانية دائماً تكون إيجابية والقافلة مستفيدة.¹

ومن الجدير بالذكر، بأن مجتمع إيموهاغ عرف النشاط الزراعي فما يسمى بـ"تمنوكل" لا تعكس الجانب السياسي فحسب، إذ من واجبات القائد ليس فقط الدفاع عنهم حربياً، بل والانتصار على معركة الجوع والجفاف، فخلال فترة تمنوكل الخاصة بالحاج أحمد البكري كان هناك حادثين مهمين-وذلك حسب ما ذهب إليه (Père Foucauld) وهما:²

- المعركة مع كيل أجر وكان ذلك من 1850-1900.
- ميلاد أول المراكز الزراعية في أهفار.

فقد "كانت فترة الحكم الأمتوكل الحاج أحمد البكري من أهم فترات الحكم في الأهفار، اقترح الحاج أحمد البكري على "إيكن أوق المسك" قائد شيوخ تاظروك إقامة مشروع فلاحى لكن هذا الأخير رفض الفكرة في أول الأمر كون تاظروك منطقة رعوية على حسب رأيه، فقد عرفت مناطق تاظروك وإدلس ومرتوتك خصوصاً والأهفار عموماً تطوراً اجتماعياً واقتصادياً متمثل في مظاهر أولى بوادر استقرار البدو الرحل في حدود سنة 1855 حيث قام "كرزيكة أوق حمد الله" بغرس أول شجرة تين (الكرمة)

¹. Museur Michel, op. cit., p. 72.

* ففي الهفارسادت الفوضى عقداً من الزمان إلى حين محيء لقب "أمتوكل"، ولقد كان "صالح" كان أول أمتوكل لأهفار وجاء بعده ابنه "محمد الخير" وبعد وفاة هذا الأخير خلفه بدوره ابنه المسمى "سيدي" وهذا الثلاثي كان حوالي 1750 وي بعده جاء ابنه "يونس" وجاء بعده أخوه "أمامة" والذي لقبه Henry Duveyrier بـ"عميد المعمرين في الصحراء" والذي توفي عام 1861 و بعد بعض البلبلة خلفه ابن أخته الحاج أحمد البكري أبوه من قبيلة إفوغاس.

². Paul Paudolfi, «Hadj Ahmed», *encyclopédie berbère*, volume n°21, 01 juin 2011, p1., <http://encyclopédie-berbere.revues.org/1849>, date 2/2/2017.

في المنطقة التي اعتمد في سقيها على الطريقة التقليدية* وبعد دراسة اقتنع الحاج أحمد البكري بنجاح الفلاحة في أهوار وضرورة تشجيع الأهالي على ممارسة هذا النشاط وزراعة الأرض وإنتاج ما يمكن أن يحقق اكتفاء ذاتياً في الغذاء¹ إن تفكير أمنوكال الحاج أحمد البكري يُظهر نوعاً من التخطيط الاقتصادي غير المسبوق عند إيموهاغ البدو.

ج. إيموهاغ نهفار والتوجه نحو التعامل النقدي - السلعي

بدأت حوالي عام 1953 الأبحاث الهيدروكربونية والأبحاث المنجمية (...). رحلات (Barth) في عام 1850 إلى تفجيرات (Lelubre Maurice) استمرت إلى غاية 1953، سلسلة أبحاث حملت أهم الدراسات حول الصحراء عين صالح إلى (Tripoli) والتي كانت تبحث تحت فرضية وجود كميات هيدروكربونية بكميات معتبرة فـ (Kilian Conrad) هو الذي أكد تلك الفرضية والذي توفي عام 1950، وكانت تلك البذور الأولى لميلاد حياة جديدة عند مجتمع إيموهاغ في أهوار كالراديو (radio phare V.O.R) ولادة مشاريع تنموية صغيرة كمحاولة تزويد المدينة والمزارع بالمياه كما بدأ تشييد الطريق السياحي للأتاكور، كما كانت هناك محاولات لتحسين الجانب الخدمات الصحية وذلك بتوافد مجموعة من الأطباء والمرمضات.²

أصبح مكتب الأبحاث المنجمية الجزائري (B.R.G.M) مكتباً للأبحاث الجيولوجية المنجمية (C.G.G) وقد قاموا باستخدام العديد من العمال الذين وزعت عليهم استمارات للتأكد من جودة المنجميين الميدانيين وقد كان المشروع يستحوذ على موارد بشرية عالية ومتنوعة (بنائين، ميكانيكيين، طبّاحين، رؤساء فرق، عمال في المكاتب... الخ)؛ عرف المزارعين كيفية الاستفادة من هذه الترقية الاجتماعية، على عكس إيموهاغ البدو.³

سجلت في عام 1961 مصلحة اليد العاملة للمركز الاجتماعي في تامنغست من

* كان السقي في البداية يعتمد على "أغويد" وهو طريقة تقليدية للسقي بواسطة اليد ولم يكن إنتاجها وفيراً جداً بل يلبي الاحتياجات الخاصة.

¹. سنوسي كرزكية، مجموعة من المصادر الشفوية، ص 1.

². Gast Marceau, Alimentation Population de l'Ahaggar (étude ethnographique), op .cit., p.40-41.

³. Ibid., p. 41.

جانفي إلى أكتوبر الأرقام التالية: 250 عامل لدى المراكز الثقافية (المزارعين القدامى)، تصنيف 144 بدوي التحق بالمهاريست ورغم ذلك فاليد العاملة لم تكن كافية؛ إذ كان هناك عمال من مناطق صحراوية أخرى كالمالي والنيجر والذين يشكلون لوحدهم 723 عامل.¹

تأكد انطلاقاً من عام 1950 إلى غاية 1962؛ ميلاد شبكة تجارية في تامنغست ومنه ميلاد طبقة تجار جديدة وطبقة عاملة وضمن ذلك نجد البدو يعملون بشكل مؤقت، فالمجتمع البدوي بدأ يخسر بعض جوانب طابعه التقليدي فالأمنوكال أصبح يمثل إيموهاغ في مجالس النواب فقد تحول من أمنوكال إلى مواطن مختار في الديموقراطية الشعبية الجديدة، رسمياً لم تعد القبائل ملزمة بدفع "توسي" للأمنوكال، وبالمقابل المزارعين أصبحوا يرفضون الضرائب، والخمس وحتى النصف ولا ملكية الأرض التقليدية، في هذه الأثناء كان المزارعين مرتاحين، ففي عام 1964 جاءت شاحنات محملة بأطنان من القمح لصالح المزارعين القدامى بشكل كلي وفي الوقت الذي كانت ظروف الحياة بالنسبة للمزارعين القدامى في تحسن مستمر فقد أصبحوا يمتلكون وسائل العمل بفضل العمل في الورشات لعشرات السنين وما يعزز ذلك تمكن أبناءهم من الالتحاق بالمدارس، كما عمل أبناءهم كإطارات إدارية محلية؛ ممّا يعني اقتحام طبقة المزارعين القدامى للمجتمع الحديث في حين كانت حالة إيموهاغ في تدهور، فحتى قطعان الماعز في الأهفار كانت في أسوأ حالتها.²

قاعدة (Iniker) تقوم بمص البطالة، في عام 1964 هناك ورشتي عمل (M.O) و(C.E.A) تستخدم 350 و750 عامل بالمتوسط المجموع 1100 منصب عمل وفي الحقيقة هناك من 2000 إلى 3000 منصب عمل يقدم كل شهر، في عام 1961 هناك 775 بدوي يعمل لدى المصالح الإدارية وورشات العمل إلى غاية 1966.³

يمكن تلخيص الحياة الاقتصادية للأهفار وذلك حسب ما ذهب إليه (Gast

¹. Gast Marceau, Alimentation Population de l'Ahaggar (étude ethnographique), op .cit., p. 41.

². Ibid., p.41-42.

³Ibid., p. 42-43.

(Marceau)سجد أنّ هناك بعض النقاط المهمة:¹

- الانعزال الجغرافي للمنطقة.
- غياب تيارات تجارية مهمة.
- الجانب الديموغرافي كان ضعيفاً.

وفيما يخص المشاكل الاجتماعية والسياسية التي أفرزتها الطبقة لدى المجتمع إيموهاغ البدوي، فالضعف الاقتصادي للأهفار يتأكد من خلال:

- غياب موارد منجمية ربحية وبالتالي غياب المنظور الصناعي.
- إنعدام منفذ لمص البطالة خاصة بعد حل ورشات عمل "إينيكور" في نهاية

1966.

وعليه لم يبق في هذا الوضع حسب ما ذهب إليه (Gast Marceau) سوى خيارين

للنهوض بالاقتصاد الهقاري:²

- تدعيم وتطوير القطاع الزراعي تماماً كما قامت الإدارة المحلية بذات الأمر ومنه توفير عمل للبدو الرحل الذين لم يستطيعوا الاستغناء عن الاقتصاد الرعوي، بالإضافة إلى أهمية إنشاء نقاط بيع تعاونية كالمحلات التموينية.

○ تطوير قطاع السياحة، كالفنادق، الطرق للمناطق السياحية، المرشدين

السياحيين... الخ.

كان يستند نمط المقايضة أساساً على القدرة على بناء علاقات وروابط اجتماعية فهي ما كان يركز عليه مجتمع إيموهاغ السؤال هو: هل يمكن أن يؤثر نمط النقد على تلك القدرة في بناء العلاقات لدى إيموهاغ؟

الانتقال من نمط المقايضة إلى النقد فتح الباب أمام تجار المناطق المتجاورة بالمتاجرة في تامنغست، فبعد زمن قليل من استيطان الإدارة العسكرية؛ بعض التجار الأجانب قدموا إلى الأهفار بسياراتهم، وقد كان هؤلاء التجار من جذور متنوعة فقد كان أغلبهم من ماتيلي شعانية، عين صالح، أولف، فقد كانت هناك محلات قد بدأت نشاطها بمنطقة "تغوهاوت" التي يتواجد بها آنذاك مركز عسكري يسمى بـ (Fort

¹. Gast Marceau, Alimentation Population de l'Ahaggar (étude ethnographique), op .cit. , p. 45.

². Ibid, p.45-46.

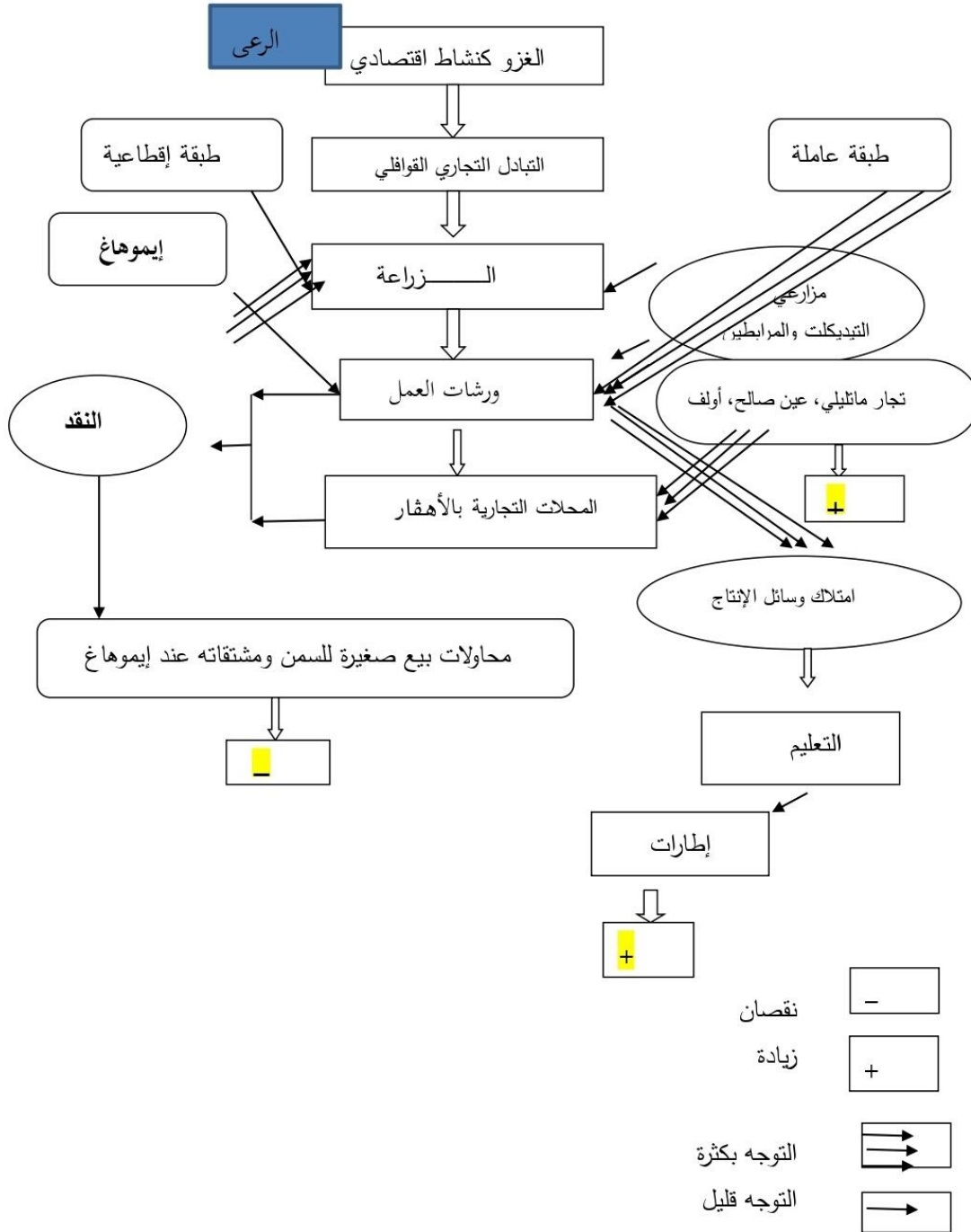
(Motylinski)؛ فقد كانوا يبيعون الأقمشة، القمح، السكر، الشاي، القهوة، تابا، وبعدها تم الاستيطان بتامنغست ففي عام 1929 كان هناك ست محلات بتامنغست وفي عام 1964 تجاوز عدد تلك المحلات خمسون محل، وقد كان أغلب زبائنهم من العساكر المحليين ذوي الدخل المستقر والعمال المدنيين القدامى؛ لا أحد من أفراد مجتمع تامنغست، سواء البدو أو المزارعين الحضريين، يمتلكون النقود، إذ كان يتم شراء عن طريق المقايضة (مقابل شاة، جمل...)، في حين كانت المحلات تسعى للتعامل النقدي، فالمقايضة لا تستحوذ على اهتمامهم وقد مر وقت لا بأس به والبدو وكذا المزارعين الحضريين على هامش تلك التجارة؛ لأنهم كانوا يجهلون قيمة النقود ذاتها إذ لم تكن لديهم دراية بها، فبالكاد يعرفون عدها حتى، كما أنّ احتياجاتهم كانت محدودة لذلك فقد ظهرت بعض عمليات البيع الصغيرة التي عرفها بدو إيموهاغ وذلك من خلال بيع الجبن والسمنة والذرة للمهاريست والإدارة مقابل نقود لكسبها.¹

نستنتج من خلال ما سبق بأنّ المحلات تلك لم تكن توفر السلع والبضائع فحسب بل كانت عاملاً مساهماً في دفع السكان لمعرفة أكثر للنمط النقدي، فهي دفعتهم للتعامل بالنقد بدل المقايضة.

ومن خلال الشكل الموالي يمكن توضيح جل ما سبق ذكره حول مراحل الحياة الاقتصادية عند إيموهاغ.

¹. Gast Marceau, Alimentation Population de l'Ahaggar (étude ethnographique), op, cit. p. 39.

الشكل رقم (17): يوضح مراحل الحياة الاقتصادية عند مجتمع إيموهاغ



يمكن القول بأن بروز النشاط السلعي لدى أفراد مجتمع إيموهاغ كانت له سيرورة تاريخية، غير أنه ورغم بساطته يستدعي الدراسة؛ لفهم وتحليل كيفية التعامل بين الأفراد في خضم تلك الظاهرة، خاصة وأن الطرق البديلة أو الموازية للكسب لا تقتصر فقط على المجتمعات التقليدية، فالمجتمعات الحديثة تعرف بدورها أنماطاً من التبادل

اللاتجاري والهبة النقدية على سبيل المثال والتي تكثر مبدأ التبادل السلعي -النقدي.

2. الطرح المعاصر للكسب وسوسيولوجيا العادات المكسبة

تختلق المجتمعات التقليدية لنفسها آليات تجعل آثار البطالة والفراغ أخف ضراراً على أفرادها؛ لأنها تقوم باستغلال الزمن الاجتماعي كميكانزم ولتعزيز الجانب المادي الاقتصادي.

أ. رؤية (Marcel Mauss) للكسب الهبوي

يُعتبر المجتمع الريفي الهدايا الملزمة من أهم مصادر الكسب المادي والتبادل ففي الريف المصري يتم تبادلها بين عوائل ما يسمى بالبدنة الواحدة وذلك عن طريق تبادل المنتجات الزراعية، وغالباً ما يؤدي عدم المعاملة بالمثل إلى الصراع بين العائلتين إذ يعتبر ذلك نوع من أنواع الإذلال الاجتماعي¹، لذلك نجد أنّ للهبة قيمتان: اجتماعية واقتصادية؛ إلا أنّ انطلاق تبادل الهدايا، في الريف المصري، تغير وذلك حسب ما أشار إليه الدكتور عاطف غيث بالقول: "...أما الهدايا الملزمة فقد ضاق نطاقها لم تعد مقصورة على البدنة، بل تدخل فيها اعتبارات أخرى كالعلاقات الجوار والمصاهرات الخارجية، وتغيرت النظرة إليها وأصبحت ذات أهداف اقتصادية أكثر منها اجتماعية ولهذا يُنظر إليها من حيث الكم والكيف معاً..²"

يُعتبر (Marcel Mauss) صاحب كتاب "مقال في الهبة" (L'essai sur le don) والذي يعتبر حسب ما ذهب إليه بعض المنظرين كمرجع لنقد النفعية والليبرالية الاقتصادية، من خلال "مقال في الهبة" الذي كان يوضح الهبة في الحضارة الإسكندنافية³، لذلك يعد ذلك الإنجاز من أهم ما كتب حول التبادل المادي أو ما اصطلحنا عليه بـ"العادات المكسبة".

تكمن أهمية "مقال في الهبة" في الجزء الأكبر الذي يتم فيه نقد النفعية في اقتصاد يركز على البحث على المنفعة الفردية الخاصة وحول

¹. محمد عاطف غيث، دراسات في علم الاجتماع القروي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بدون سنة نشر، ص.222.

². نفس المرجع، ص.251.

³. Robert Deliége, op. Cit., p.122.

المركنتيلية (Mercantilisme)¹ (وهو نظام اقتصادي نشأ في أوروبا خلال تفسخ الإقطاعية لتعزيز ثروة الدولة بتنظيم الاقتصاد واعتبار المعادن الثمينة ثروة الدولة الأساسية، وهو مذهب التجاريين)²

ذكر (Marcel Mauss) (1872-1950) بأنه في اللغات الجرمانية كلمة (Gift) لديها معنيين، فقد تعني الهبة وأحياناً أخرى تعني "السم"، فهل ممن الممكن أن تكون مجرد صدفة؟؟³

وإن حاولنا قراءة ذلك سوسيوولوجياً بدل القراءة اللغوية، فإنّ تعلق السم بالقتل، فلا شك أنه اغتيال أو قتل بالمعنى اجتماعي ومن الممكن جداً أن يكون القتل سوسيوولوجياً من خلال إذلال الفرد وإهدار كرامته فمن المحتمل أن يكون ذلك ممكناً من خلال العطاء اللامتاهي، خاصة وأنّ الهبة ترتبط بالقيمة الاجتماعية.

بالنسبة لـ (Marcel Mauss) فإنّ أول أشكال العقد الاقتصادية ليس المقايضة إنّما هو الهبة، تعد الهبة الشكل التركيبي للتبادل، فالجماعات المعنية بالتبادل هي ملزمة بثلاث ضروريات: العطاء - الرد - الأخذ، إلزامية العطاء تتميز بها المجتمعات التي لا تعرف الادخار، فتبادل الهبة ليس مجرد عقد اقتصادي عادي بل هو حدث اجتماعي كلي إذ يخلق المعنى بين الأفراد، كما أنّه يؤسس الروابط الاجتماعية من خلال الهبة يتمكن الأفراد من تبادل القيم والمعايير والمكانات الاجتماعية، فهي ذات منظور ديني فهي حاملة للقيم الدينية وذلك ما توصل له (Mauss) من خلال دراسته وهي وفقاً للمنظور (Emill Durkheim) لا تختلف عن القيم الاجتماعية.⁴

ووفقاً لما ذهب إليه رواد نظرية التطورية الأنثروبولوجية فإنّ هناك تشابه بين المجتمعات القديمة والمجتمعات الحالية، فلقد أكد (Lewis Morgan) * بأنّ نماذج العائلة القديمة نجدها حالياً وبذلك فالتطورية منحت فائدة مزدوجة لدراسة المجتمعات البدائية،

¹. Robert Deliége, op. Cit., p.122.

². سهيل إدريس، المنهل (قاموس فرنسي - عربي)، بيروت - لبنان، دار الآداب للنشر والتوزيع، 2007، ص.774.

* ابن أخت Emill Durkheim والدته Rosine Durkheim، لم تكن لديه منشورات عديدة بل اكتف بالنشر في مجلة L'année Sociologique

³. Jacques.T.Godond ,Alain Caillé, l'esprit du don, Montréal, Édition la Découverte, 1992, p.16.

⁴.Robert Deliége,op. cit., p.123.

* Lewis Henry Morgan (1818-1881) أنثروبولوجي أمريكي .

من جهة؛ لأنها مجتمعات قديمة، فالعلم بحاجة إلى فهم نمط حياتها وبالتالي ربطه بالسيرورة التاريخية ومن جهة أخرى لأنّ هناك تقاطعاً بين تلك المجتمعات والمجتمعات الحاليّة.¹ وعليه فإنّ أساليب الكسب التقليديّة أو ما اصطلاحنا عليه بـ"العادات المكتسبة" التي تنشط حالياً لدى بعض الجماعات لها ما يشبهها في المجتمعات القديمة، أو عند مجتمعات أخرى في ذات الخط الزمني، فنجد على سبيل المثال تقارب بين العادة المكتسبة عند مجتمع إيموهاغ و(Kula) و(Potlach).

ولقد ذهب الأنثروبولوجي الأمريكي (Marshall Sahlins) (1930) إلى القول بأنّ نظام العطاء والإرجاع يقوي اللحمة الاجتماعيّة، وإشترك الغنى فمن خلاله يمكن تفادي حالات الندرة، عند المجتمعات التقليديّة العطاء فضيلة والامتلاك لا يعني الغنى، ذلك ما يصطلحه عليه بـ"اقتصاد الجوار" (Economie de Proximité) وذلك على عكس ما تُظهره بعض مجتمعات الصيد التي تنتهج نهج عدم التبادل مع أيّ كان من الشعوب الأخرى.²

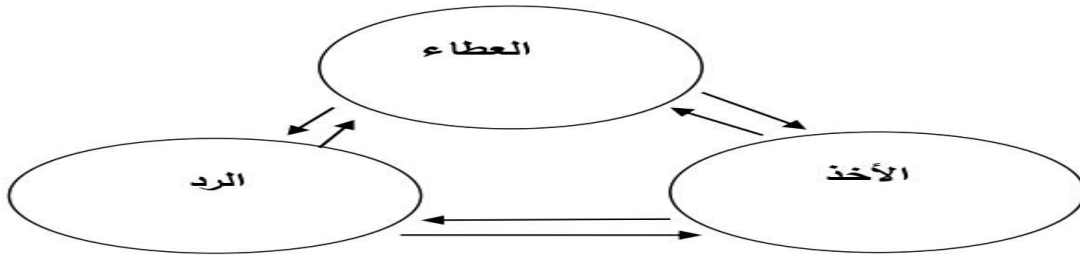
في البولينزيا مثلاً الأشياء التي يتم تبادلها رفيعة المستوى كما أنّ نظام الـ (Kula) وكما أشار (Malinowski) تعبر عن حاجة طبيعيّة وذات الشيء بالنسبة لـ (Potlach)، ومما يُنتقد فيه (Mauss) أنّه المجتمعات التي اختارها كأمثلة مجتمعات تراتبيّة، رغم أنّه يرفض المنفعة إلا أنّه أراد معرفة ما إذا كانت التأسيسات المالنيزيّة والبولينزيا أو الأمريكيّة التي يدرسها لها طبيعة أحياناً تديريّة وصراعيّة تركز على إثارة الفروقات والمنافسات ويجب الإشارة إلى أنّ كل من (Boas) و(Malinowski) لم يتطرقا إلى وجهة النظر هذه.³

¹. Robert Deliége, op. cit., p. 24.

². Sabine Rabourdin, op. cit., p74.

³. Ibid, p. 124.

الشكل رقم (18): يوضح العمليات الحيويّة الثلاثيّة للهبة حسب (Marcel Mauss).



• الـ (Potlach) حرب الملكية!

إثنوغرافيا الـ (Kwakiutl) لدى (Franz Boas) تجسدت من خلال الملاحظة بالمشاركة هذه الأخيرة التي استحوذت على اهتمامه لعشرات السنين وتجدر الإشارة إلى أنها تُعتبر من الدراسات الكلاسيكيّة الأنثروبولوجيّة العريقة والتي تركز على المقاربة السياقيّة والـ (Potlach) هي حفلة؛ أين يقوم الفرد بتوزيع ثروته في أطباق من نحاس واللحاف وأغطيّة الصوف.¹

في نهاية القرن التاسع عشر ارتبك أفراد من قبيلة كندية حين حاول هندي متهم بممارسة الـ (Potlach) في الوقت الذي كان ممنوعاً في كندا، هذا ما جعل الإثنوغرافيين يهتمون بمسألة قانون* منع الـ (Potlach)²؟

لا يمارس الأغنياء الزراعة، ولا الصيد فهم يقومون بالمتاجرة لمدة طويلة مع البعض إذ يقومون ببيع الفرو؛ الهنود في شمال -غرب أمريكا يقسمون السنة إلى فصلين في الصيف يقومون بالتفرغ لصيد السمك وقطف العنب، أما في الشتاء يقومون بتجميع نتائج حصاد اتهم وبالتالي يبدؤون مرحلة الحياة الاجتماعيّة الجادة، الجميع في حالة تحضير واستعداد لممارسة (Potlach) معركة من أجل الغنى "على حد قول (Helen Codere) (1950)، بحيث قائد كل عشيرة يحاول جاهداً إظهار أنه الأكثر سخاءً من الآخرين.³

ومن أهم طقوس الـ (Potlach) أن تُقدّم الهدايا في نحاس مزركش بغلاف غاية في

¹. Robert Deliége, op. cit., p.169.

* يُعتبر الفعل البوتلاشي إن صح التعبير هو أسلوب للهدر من دون فائدة هذا وفقاً لتفكير حكومات وأفراد المجتمع الحديث.

². Jacques.T.Godbout, Alain Caillé, op. cit., p.114.

³. Ibid., p. 115.

الأناقة وبالتالي الاهتمام بقيمة الفخامة فهي مطلب أساسي للتباهي، ومنه فإنّ هناك نقاط تشابه بين الحرب والبوتلاش فهذه الأخيرة هي حرب الملكيّة كما أنّ هناك مبادئ مشتركة بين الـ (Potlach) والأنظمة الليبراليّة: الدين ومفهوم الشرف، إذ لا يتم إرجاع الدين أنياً بل بعد مضي مدة زمنيّة ومع وجود فوائد؛ لأنّ الإرجاع الآني يُعتبر كرفض للهبة فهو يقوم بتقزيم الوعد بالخضوع فهو يُضيق الهبة فتتحول متعتها إلى نتبادل عادي وإلى مقايضة والإرجاع الآني يعني أيضاً انتهاك حُرمة الدين وثقله ممّا يُترجم عدم قدرة الفرد على تحمله؛ ممّا نتج عنه وكما على حد قول (Mauss) رفع المنفعة الربويّة وفي ذات المسألة أشار إلى أنّ تلك المنفعة تتراوح نسبتها بين 30% إلى 100%؛ لذلك يرى (Mauss) بأنّ الـ (Potlach) هو مثال عن ألعاب المصارعة...¹

• الـ (Kula) والعطاء بشكل هيستيري

تُعتبر المشاركة في الـ (Kula) * حدثاً عظيماً بالنسبة لسكان (Trobriandair)، إذ يُكتسبون فيها الأصدقاء والسمعة والصيت في بعض الحالات لا يقتصر الأمر على العطاء والإرجاع فحسب بل والإتلاف أيضاً، وذلك كتعبير على عدم الرغبة امتلاك ذات الأشياء وبالتالي هو أيضاً كتعبير عن الخوف من ضياع التوق متى ما تم الإرجاع؛ ممّا يعني العطاء بشكل هيستيري، وبموجب ذلك يتم إحراق العديد من المنازل والملابس وأشياء أخرى والنحاس ذو الثمن الباهض وبعدها يتم رميه في الماء ليتم سحقه كليّةً؛ لإذلال منافسيهم.²

من خلال ما سبق يتّضح بأنّ مثلما للعمل قيمة ماديّة واجتماعيّة، كذلك الهبة توفر ذات القيمتين وليس مبالغةً إن قلنا بأنّ الأمر أكثر حدةً بالنسبة للهبة.

ب. الهبة عند المجتمع القبائلي بمنظور (Maunier René)

و (Pierre Bourdieu).

يُعتبر المجتمع القبائلي من المجتمعات التقليدية والأمازيغيّة التي درسها أهم

الباحثين من أمثال (Pierre Bourdieu) و (René Maunier*).

¹. Jacques.T.Godbout,Alain Caillé, op. cit., p. 115-116.

* كلمة (Kula) تعني دائرة، الدائرة التي تربط الحقائق المتغيرة بعدد ضخم من الجزر، يشكل نظام للتبادل باتساع كبير.

². Ibid., p.116.

* (1887-1951) رجل قانون فرنسي، اقتصادي، عالم اجتماع، أنثروبولوجي، لديه عدة اهتمامات، كان أحد الشخصيات

• شعائر التبادلات في بلاد القبائل وإفريقيا الشمالية (Maunier René)

تأثر (René Maunier) وعلى غرار العديد من الباحثين الذين كتبوا حول الهبة وبشتى أشكالها بعمل (Mauss) الرائد حول الهبة، فقد قام بنشر أعماله في مجلة (L'Année Sociologique) في عام 1927 وانقسم عمله إلى قسمين: القسم الأول، خصصه لمعالجة حفل "تاوسة" عند القبائل، أما القسم الثاني منه فقد خصصه لتناول أنماط التبادل في إفريقيا الشمالية كالمغرب ومصر، ورغم تأثره الشديد بـ (Mauss) إلا أنه كان حساس جداً لمسألة الزمن وتأثيره على الهبة وبالتالي قد اهتم بمواسم الزراعة والحياة المعيشية على عكس (Mauss).¹

المناسبات الاجتماعية في بلاد القبائل تكون غالباً في فصل الصيف والشتاء، فقد ذكر (René. M) من خلال دراسته الميدانية أنه خلال عام 1921 مكث في قرية (Saint - Pierre) وقرية (Paul - Saint)؛ شاهد سداد هبات في دوار به ستة آلاف ساكن تم منح 115 هبة وكان ذلك خلال أشهر: سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر وربع الهبات يكون في فصل الخريف، وموسم المناسبات هو موسم المصاريف في بلاد القبائل.²

"تاوسة" عند القبائل هي إجراء مناسبة له طقوسه الخاصة وقواعده وأول فعل في هذه المناسبة هو الدعوة، هذه الأخيرة التي تتم بشكل صريح أو بطريقة غير مباشرة أي من خلال إرسال بعض الطعام كالكسكس واللحم في دعوة رمزية غير صريحة وقد يتم الإعلان عن المناسبة من خلال قمة ما، يتم دعوة جل الأقارب والأنساب والقبيلة أو الـ (kharoubas)، كما يتم دعوة القرى المجاورة التي لا تربطهم بأصحاب الحفل أو المناسبة أية صلة دم، حتى أنه يتم دعوة العدو وذلك كتحدٍ للضعيفة أحياناً يصل عدد المدعوين إلى 300 مدعو، والمدعوين هم درجات، كما أن لكل درجة أو مكانة منهم دور معين، فهناك من لهم دور أساسي ومباشر كالذين يقومون بسحب الهبات، صورياً منافسين وفي الحقيقة مكلفين "مول العرس"، وهناك فئة أخرى من الحضور

المركزية في العلوم الاجتماعية في فترة ما بين الحربين.

¹.François Athané, op. cit., p.135-146.

².René Maunier, «recherches sur les échanges rituels en Afrique du nord», *L'Année Sociologique*, Tom II (1924-1923) nouvelle série, Paris, Librairie Félix Alcan, 1927, p.26./http://www.jstor.org/date11/08/2018.h10/04.

وهي التي يمثلها الشيوخ ورجال الدين ووجهاء الدوار ورؤساء القبائل والعائلات هم الشهود، فأصحاب السلطة والتأثير ليسوا شهوداً فحسب بل وكمساعدين على الحفل، فهم يمنحون الحفل والمناسبة نوعاً من الهيبة والوقار.¹

وفقاً للطقوس في "تاوسا" لا يتم استلام الهبات من طرف صاحب الحفل أو المناسبة بشكل مباشر بل هناك وسطاء إذ يتم تسليمها للبشير أو قد يتم تسليمها في بداية الأمر لرجل الدين أو القائد وبعدها يتم تسليمها للمعلن؛ لذلك فعملية الوهب هي ليست عملية بسيطة، كما تبدو فهي تتم وفقاً لأفعال رسمية وأمام العامة، والتسليم يتم بمراعاة القرابة ففي البداية يتم التسليم من قبل الأقارب المقربين ثم بعدها الأقارب البعيدين وبعدها يأتي سكان القرية وأخيراً الأجانب أو الغرباء، الهبة غالباً ما تكون عبارة عن قطع نقدية ليس لها مقدار معين، يبدأ الحفل بالصلاة والدعاء الذي يترأسه رجل الدين، وبعدها يتم تسليم الهبات للوسطاء أو الوسيط يبدأ المعلن بالمناداة والإعلان بصوت عال جداً عن المانحين واحداً تلو الآخر ومقدار ما قام بوهبه كأن يقال: "فلان ابن فلان من قبيلة كذا وهب دينارين" على سبيل المثال و"فلان من قرية الفلانية قام بوهب دينار.... الخ وفي الوقت ذاته تتم كتابة الأسماء وما تم وهبه بالمقابل في ورقة أو سجل خاص أو على لوح خشبي وفي الأخير يتم الاحتفاظ بالوثيقة من قبل صاحب المناسبة² وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما ذكره (René Maunier) بأن الهبة إن كانت سرية فهي هدية أما إن كانت في العلن فهي دين يجب إرجاعه وأحياناً يتم إرجاعه مع الإطالة كما الحال في "يناير"³. وبالتالي مسألة الاحتفاظ بالوثيقة تلك ليس للذكرى فحسب بل عبارة عن "اكتتاب دين".

وفيما يخص الهبات في المغرب ومصر نجد أن هناك عدد لا حصر له من المناسبات التي يتم فيها تبادل الهبات كيوم مجيء مولود جديد يتم وهب مجموعة من المواد الغذائية والتي تتمثل في البيض، قطعة خبز كبيرة، الملح، عود ثقاب وأثناء التسليم يتم ترديد العبارات التالية: "كن جيداً كالخبز، كن حكيماً كالملاح، كن محقاً، منصفاً كما عود الثقاب"، ويقصدون بذلك المولود الجديد، أما عند الجزائريين الاحتفال

¹. René Maunier, op. cit, p. 28-31.

². Ibid., p. 32-36.

³. Ibid., p. 77.

بالمولود الجديد يكون في اليوم السابع وليس الأول، وهناك احتفالات منتظمة كاحتفال بـ"يناير" ففي المغرب وعند قبائل بني سنوس يتم تبادل رأس السنة من خلال توزيع خبز به بيضة واحدة على الأصدقاء وفي ذات اليوم الخماسين يهدون لأسيادهم الحليب وفي العودة يستلمون الفواكه.¹

من خلال ما سبق ذكره يتضح أنّ (René Maunier) قد ربط الهبة عند القبائل بـ²:

▪ قدرتها على التجميع وضم الأفراد، فقد ذكرنا سابقاً أنّه يتم دعوة حتى الأعداء كتحدي للضعيفة، فبرغم من أنّ المسألة لا تخلو من منافسة إلا أنّها مفيدة لضم الأفراد وزيادة قوة الترابط بينهم.

▪ التبريك: والذي يظهر أكثر من خلال هبة المولود الجديد الذي يتم مخاطبته بأن يكون نقيّاً كالبيض والحليب أي أنّ بياضهما هو نوع من الاعتقاد والتبريك في أنّ هبة شيء أبيض ينتج عنه الخير والبركة كما يُبعد السوء.

• طرح (Pierre Bourdieu) للهبة والشرف عند المجتمع القبائلي.

قدم (Pierre Bourdieu) تحليلاً للهبة عند المجتمع القبائلي من خلال عمله الإثنوغرافي المعنون بـ(Le sens de l'honneur) والتي نُشرت لأول مرة عام 1966، فقد صادف ممارسات الهبة عند القبائل يقارنها بالهبات الواردة في كتاب (Mauss)؛ لأنّ الهبة عند القبائل يضي عليها الطابع المصارعي وبالتالي الهبة تمارس كأنّها تحدي.³

الهبات الأكثر تداولاً لدى المجتمع القبائلي هي الهدايا الخاصة بالمناسبات العائليّة الصغيرة والمسماة بـ (Tunt icin-) وهي المناسبات التي يتم فيها تبادل الهدايا ذات الطبيعة الغذائيّة كالطبق الذي يسمى بـ (Tunt ict) والمناسبات الاجتماعيّة تلك تتمثل في ولادة مولود جديد، رجوع مسافر أو في نهاية زيجة معينة.. وأيضاً يتم مشاركتها مع الجيران والأصدقاء في القرية وفي حال استلام تلك الهدية العرف يقتضي أن لا تعود الأواني فارغة فقد يتم وضع القليل من القمح فيها، فإذا كانت الهدية بمناسبة قدوم

¹. René Maunier, op. cit., p. 47-58.

². Ibid., p. 76-85.

³. François Athané, op. cit., p. 179-180.

المولود الجديد فيتم وضع الفواكه المجففة في الصحن وغالباً ما يكون الحليب قيمة رمزية عالية، كما أنّ هناك نوع آخر من الهدايا يسمى (Lehna) و(Lkheir) فهي هدايا تصل من الأقارب والأصدقاء؛ الهدية (Lkheir) تتمثل أساساً في النقود أو البيض أو في بعض الأحيان هما معاً فهي تُمنح من قبل الأقارب المقربين أو الجيران أما عن (Lehna) فهي هدية جد مهمة من قبل الأقارب دائماً وتتمثل في البيض، اللحم، الزيت، وأحياناً تكون بكميات كبيرة.

من خلال تناوله للهبة لدى المجتمع القبائلي تناول (Pierre Bourdieu) أيضاً الفعل الاقتصادي للمجتمعات التقليديّة، بوجه عام والفعل الاقتصادي عند المجتمع الجزائري والقبائلي بوجه خاص، فالسلوك الاقتصادي للمجتمع التقليدي حسب ما ذهب إليه (Pierre Bourdieu) تحكمه المعايير الاجتماعيّة، لذلك وجد المجتمع الجزائري بصفته مجتمعاً تقليدياً صعوبةً في التكيف مع الاقتصاد الرأسمالي هذا الأخير الذي يعتمد على المنفعة البحتة والتي تركز أساساً على العقلانيّة والتوقعيّة في حين تتميز مجتمعات العالم الثالث باليقين الاقتصادي الملموس؛ ممّا يتنافى مع مبدأ العقلانيّة السابق ذكره، والتوقعيّة الحسابيّة تفرض جملة من المعارف الإمبريقية من خلال تعليم خاص ومن ثم اكتساب خبرات تسمح للأفراد ومن ثم المجتمعات باتخاذ قرارات تتّصف بالعقلانيّة.¹

أنتجت المعايير الاجتماعيّة لدى المجتمع القبائلي المثال ما يسمى بالـ (nif)- والشرف، هذا الأخير قد يجعل أحدهم يتخلى على إرثه من أجل أحد أقربائه المهم أن لا تعود ملكيّة أرضه لأحد الغرباء، كما أنّ مسألة التضحية برؤوس الضعيفة وتوزيعها على الآخرين هي إحدى الطرق ليس فقط للواهب وإنّما أيضاً للاقتصاد في الكلاء، أي أنّ الأمور تخضع لآلية الطبيعة وليس الحساب العقلاني، حتى أن الفلاح القبائلي لا يمكنه القيام بأي عملية بيع بسبب الشرف، بيد أنّ الأمر لم يبق على حاله فقد عرف المجتمع القبائلي الريفي تحولاً اقتصادياً في سيطرة المعايير التقليديّة على عمليات البيع والشراء خاصةً في المناطق التي عرفت الهجرة إلى فرنسا فقد بدأ القبائل حينها بشراء

¹.Pierre Bourdieu , «La société traditionnelle : Attitude à l'égard du temps et conduite économique», *Sociologie du travail* ,5em année n°01,Janvier-Mars 1963,p24-26./http/www.persee .fr/doc/sotra date /07/04/2018.h23:14

معتصرات الزيت وطاحنات بمحرك وشاحنات إلا أنّ مسألة الشرف تلك بقيت مسيطرة على طريقة تفكير الفلاح القبائلي.¹

من شدة تمسك المجتمع القبائلي بمنطق الشرف و"النيف" فحتى المؤسسات الخاصة بالقروض والتي جاء بها الاستعمار الفرنسي لم يستطع المجتمع الجزائري الريفي التأقلم معها فالقروض غريبة على الثقافة الاقتصادية في المجمع الجزائري الذي عرف الاتفاق الودي بدل القروض المعقدة والتي تستند على عقد رسمي.

تجدر الإشارة إلى أنّ منطق الكرم المفرط كان له التأثير الواضح على سعر السلع إذ كانت تأخذ سعراً تقليدياً ثابتاً، فالوفاء بالوعد هي بمثابة عقد مكتوب، ومن شدة تمسك المجتمع القبائلي الريفي بتقاليده ومنطقه التقليدي في المسائل الاقتصادية فقد استدعى ذلك استغراب السلطات الاستعمارية من غرار الفلاحين والأفراد من التمسك بتقنياتهم التقليدية التي جعلتهم يستغنون عن القروض المؤسسية، ومن خلال الملاحظات الميدانية لوجد أنّ الفلاح الجزائري ومنه القبائلي لا يكثر كثيراً لمسألة الزمن فالمشاكل الجديدة تبقى دائماً حبيسة حلول تقليدية قديمة، فالماضي والحاضر والمستقبل يلتحمان من خلال عبارات يومية بسيطة كـ"إتبع طريق آباك وجدك" و"من شابه آباه لن يُنقذ..."، كما التوقعات تحكمها قراءة الرموز والمعتقدات.²

3. عمليات البيع وما يسمى بـ"سعر الأصدقاء" عند (Alain Testart)

سبق وأن أشرنا إلى أنّ (Marcel Mauss) اعتبر الهبة "كليّة"، فهي ترتبط بالعديد من المواضيع سواء ما تعلق منها بالمجتمع التقليدي أو الحديث؛ فالهبة ترتبط بمفاهيم حديثة كـ"الاستهلاك" وعمليات البيع كما أنّ هذه الأخيرة قد تتطور فتصبح مشروع صغير؛ أي الدخول إلى عالم المقاولاتية، ومنه الهبة قد تُعزز الذهنية الرأسمالية.

أ. نماذج تُبرز ارتباط الهبة بعمليات البيع والشراء

عمليات البيع والشراء هي عمليات رمزية -اجتماعية وضمن هذه النقطة بالتحديد تتجسد علاقة ما اصطلاحنا عليه بـ"العادات المكسبة" وعمليات البيع الصغيرة على

¹. Pierre Bourdieu, op. cit., p.28-29.

². Ibid., p.31-41.

المستوى النظري.

وعليه وانطلاقاً مما سبق نجد أن الفيلسوف الفرنسي المابعد حدثي (1930-2004) (Derrida Jacques) يرى بأنه لا يمكننا أن نعتبر أية عملية تبادل على أنها هبة إلا إذا توفر شرط أساسي مادام كل من المعطي والممنوح يتوقعان الرجوع أي إعادة العطاء لم تعد المسألة هبة بل هي أقرب منه للدين للهبة، وعليه فهذه الأخيرة لا تدرج ضمن المجانية¹.

ما ذهب إليه (Derrida) يُعتبر ضرب من المثالية؛ لأنّ جل العمليات التبادلية التي تكون بين الأفراد تنبني على نسبة من التوقع فالمسألة لا ترتبط غالباً بالنعمية، فالتوقع والترقب تفرضه البوتقة المجتمعية.

فكل من الهبة، الاستهلاك، الشراء والبيع وبعض التقسيمات التي تتدرج تحتها تخضع لمسألة المعايير الاجتماعية والنعمية، فالمجتمعات التقليدية تعرف الأبعاد الرمزية الاجتماعية للأشياء، فهذه الأخيرة تعمل على صياغة المعاني الاجتماعية، فحتى الأشياء المبتذلة للحياة الاجتماعية اليومية لها معنى ثقافي وتعتبر كفصال في العلاقات الاجتماعية؛ لذلك فالأشياء لا تأخذ قيمة عددية بل كيفية عند المجتمعات القديمة والتقليدية، أما حالياً الحداثة والرأسمالية غيرت علاقة الإنسان بالأشياء فحررت العلاقات الاقتصادية من طابعها الاجتماعي الرمزي فهي جعلت الخدمات والثروة تدور بشكل سلس نافيةً بذلك أبعادها الكيفية، إلا أنه في عام 1979 نشر كل من (Baron Mary Douglas و Isherwood) كتاب بعنوان (The world of goods) قاما بطرح شرح جديد للاستهلاك بحيث نقدا نقائص النظرية الاقتصادية لشرح، الاستهلاك على أنه ليس مجرد مسألة تفضيل فردية، فالتفضيلات تتشكل دائماً في إطار الثقافة، فالأشياء هي الجزء المرئي للثقافة².

وعليه وفقاً لـ (Mary Douglas) وزميلها فالاستهلاك هو عملية حيوية يتم من خلالها إعادة الإنتاج الاجتماعي وأهم نقد وجه لها هو أنها ألغت خصوصية الاستهلاك

¹.Sylvain Dzimira, «une vision du paradigme du don : don, juste milieu et prudence», *Céteil*, le27Juillet2006,p03./w.www.revuedumauss.com.fr/date01/04/2018/h13/22.

².François Gauthier, « Les resorts Symboliques du consumérisme.Au –delà marchandise ,le symbole et le don», *Revue du MAUSS*,2014/2 ,n°44,p.139-141./http/www.cairn.info/revue-du-mauss-2014-2-page-137.htm.date04/30/2018.h12.

لدى المجتمع الحديث هذا الأخير الذي بدأت فيه الخطوط العريضة للاستهلاك في القرن الثالث عشر؛ عصر الأنوار؛ أين بدأت ثورة الاستهلاك إذ تزامنت مع بدايات الثورة الصناعيّة في هذه الأثناء ظهرت الموضة كظاهرة اجتماعيّة مبهمّة في الطبقات البورجوازيّة.¹

جاء (Chrétien René Girard) بمفهوم "التكيفية التنافسيّة" الذي يُعتبر من المفاهيم المهمة التي تعكس تناول الاستهلاك كظاهرة اجتماعيّة رمزيّة والمفهوم يعتمد على ثلاث عناصر مهمة: الأشياء، رغبتنا في امتلاك تلك الأشياء، ورغبة الآخر (المنافس) في نفس تلك الأشياء.²

نجد أنّ التكيف هنا يعكس الرغبة المجتمعيّة أو التوجه المجتمعي لاقتناء تلك الأشياء، على سبيل المثال فقد نجد في مجتمع معين يرتدون المعاطف والقبعات بشكل ملحوظ؛ لذلك من الممكن أن نجد في هذا المجتمع نوع من المنافسة على شرائها وبالتالي في الوقت الذي يتنافس فيه الأفراد على اقتنائها هم يبذرون نوع من التكيف مع بيئة مجتمعهم.

• هبة النقود والمشاركة في عمليات الشراء

الهبة بشكل من الأشكال تعني "شراء وبيع"؛ لأنّ ما يتم تبادلته في الغالب إما أن يكون أشياء أو هبة نقدية.

فمن خلال الدراسة الميدانيّة التي قام بها كل من (Fabrice و Francesca Poglia) أشاروا إلى أنّ هبات النقود التي كانوا يتلقونها وهم في مرحلة الطفولة سجلت دخولهم إلى عالم الاستهلاك وبالتالي تقطن هؤلاء الشباب إلى تأسيس جمعيّة ذات طابع اقتصادي من أجل مرحلة شباب بعيدة عن الاستهلاك المتزايد ومن أهم ما تقوم به الجمعيّة تعليم الشباب الأكبر سناً للأطفال تقنيات لتسيير هباتهم النقدية الصغيرة أحياناً وتتراوح أعمار هؤلاء الأطفال في سن الثمانيّة سنوات فأول ما يفكر الأطفال في شرائه خلال هذه السن هو شراء حلوى أو ما شابه وقد كشفت الدراسة بأنّ المرحلة العمرية

¹ François Gauthier, op. cit., p.142.

² Isabelle Chazot, Valérie Hénaou, «Les lois secrètes du conformisme» ,Revue du MAUSS, 2014, n°44, p104. /http://www.cairn.info/revue-du-mauss-2014-2-page-01.htm.date04/30/2018.h12.

التي تتراوح ما بين (13-14 سنة) هبات النقود ترتفع وبالتالي تلعب دوراً أساسياً إذ تسمح للشباب بمزيد من المساحة الاستهلاكية الجديدة ومنه توصلت الدراسة إلى أنّ الشراء هو الممارسة ضمن الجماعة فهو وسيلة وفرصة للتأكيد على الهوية الفردية والنوعية.¹

أما عن الفئة العمرية (18-25 سنة) يبدأ الصبية في تعلم آداب الإرجاع أو ما اصطلحت عليه الدراسة بـ"الدين الإيجابي" (Dette positive) والذي يعمل على توطيد الروابط الأسرية، وفي نهاية هذه المرحلة العمرية يدخل الشباب في شكل آخر للتبادل وهو "التبادل التناوبي غير المباشر" بحيث يتم الإرجاع لمن لم يسبق لهم العطاء بعد وهذا الشكل يمثل "حالة الدين المولد للهبة"؛ لأنّ الشباب أصبحوا أكثر وعياً بأهمية الهبة وحالة الوعي تلك قد تُرجمت من خلال الإرادة السياسية والاجتماعية للحفاظ على العالم للأجيال المستقبلية وذلك من خلال ترشيد الاستهلاك والاستهلاك بطريقة أخلاقية.²

• التبادل اللاتجاري و"سعر الصديق"

نقد الأنثروبولوجي (*Alain Testart) التقسيم التقليدي للهبة والتبادل وقد أضاف ما يسمى بـ"التبادل اللاتجاري" والذي يستند أساساً على "سعر الصديق" أو بشكل عام حول العلاقة الأخرى التي تعتمد عليها العلاقة التجارية ولشرح ما اصطح عليه بـ"سعر الصديق (d'ami un prix) وبالتالي تفسير الفرق بين التبادل التجاري والتبادل اللاتجاري من خلال المثال التالي هناك صديقين زار أحدهما الآخر وأثناء زيارته تلك وجد لديه شيء كان يبحث عنه منذ زمن ولم يجده في الأسواق والمحلات وغيرها وعليه اقترح على صديقه أن يمنحه إياه مقابل مبلغ رمزي "سعر الصديق" وانطلاقاً من هذا المثال يطرح السؤال هل يمكن القول بأنّ ما حدث بين الصديقين يمكن القول بأنّه "هبة مستترة"³؟

¹.Francesca Poglia Mileti et al, « A l'origine de la consommation, le don !socialisation économique et dette symbolique intergénérationnelle»,*Revue du MAUSS*,2014/2,n°44,p173-177.<http://www.cairn.info/revue-du-mauss-2014-2-page-173.htm.date04/30/2018.h12>.

². *Ibid.*,p. 180-181.

* أنثروبولوجي فرنسي (1945-2013).

³. Alain Testart, «échange marchand, échange non marchand», *Revue française de sociologie*,42-4, 2001,p.720.

وما دام الاقتصاديون يرون أنّ السوق يعني العرض والطلب فهل هذا كافٍ للقول أنّ المثال السابق هو تبادل تجاري؟

وللتوضيح أكثر لابد من تحليل بعض مفاهيم السوق والسلعة ففي المعنى القصير المادي وليس التقني، السوق هو المكان الذي سيتم فيه عرض وطلب السلع المختلفة، أما معناه في الاقتصاد السياسي فهو يأخذ معنى أكبر وأعمق فهو يقصد به دولة أو منطقة بأكملها لذلك نجد ما يسمى بالأسواق الماليّة، أما عن الطلب فهو كميّة من الأشياء أو الخدمات الاقتصاديّة المطروحة لشرائها بسعر معين وبالتالي القدرة الشرائيّة مهمة أما عن السلعة فهي شيء معلق، في الانتظار بين مالكين؛ الأول الذي لا يريدّها والآخر الذي لم يجدها بعد؛ تجدر الإشارة إلى أنّه في العلوم الاجتماعيّة لا يتم تناول قانون الأشياء بقدر ما بقدر ما يتم طرح علاقات الأشياء والتي تقودنا إلى الحديث عن علاقات الأفراد ببعضهم البعض ومن خلال هذه النقطة نكون قد توصلنا إلى النقطة المحوريّة للتحليل التبادلي التجاري.¹

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأنّ في المثال السابق التبادل الذي جرى بين الصديقين ليس تبادلاً تجارياً وذلك راجع إلى سببين:²

▪ ليس هناك عرض فالصديق لم يعرض ما لديه للبيع، كما أنّ إن لم يكنا الطرفين صديقين لما اكتشف الصديق الزائر وجود ذلك الشيء لدى صديقه.

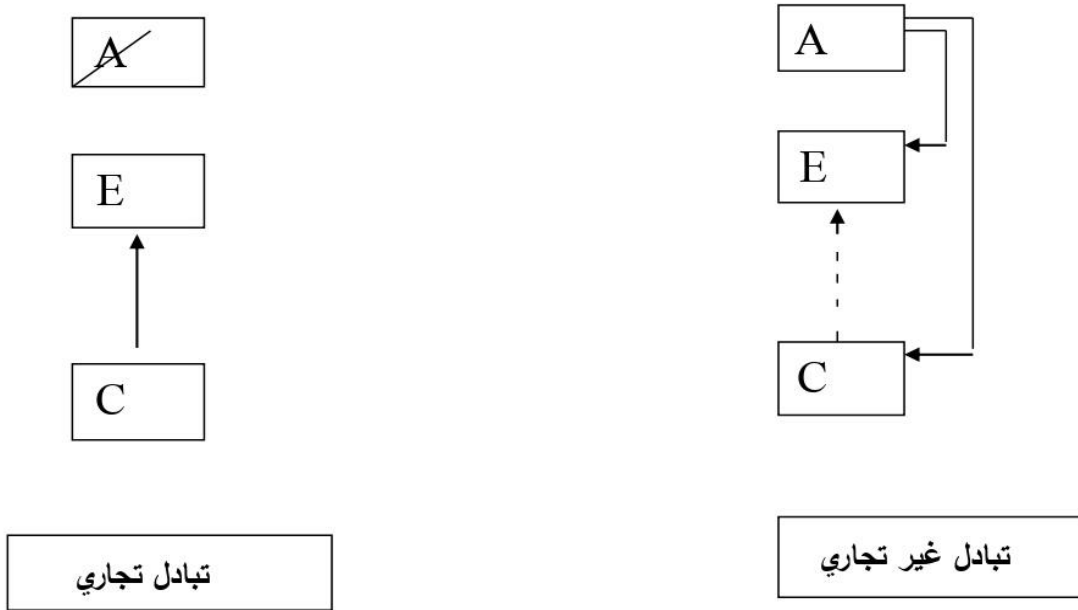
▪ هذا النمط من التبادل غير قابل للتفريق مع علاقة الصداقة وبالتالي علاقة الصداقة تلك كانت سبباً في عملية التبادل.

ومنه يمكننا تعريف التبادل التجاري بأنّه هو كل تبادل نجد فيه أنّ الطرفين ليسوا بحاجة للاحتفاظ بعلاقة أخرى؛ ممّا يعني أنّ التبادل التجاري نجده مكتف بذاته كما أنّ العلاقة التجاريّة هي علاقة قصيرة المدى إلا أنّها تطول ونسبياً في حالة الدين.

¹. Ibid.,p. 725-730.

². Ibid.,p. 735.

الشكل رقم (19): يوضح الفرق بين التبادل التجاري واللاتجاري



المصدر: Alain Testart, op. cit, p.738.

في التبادل التجاري نجد أنّ (A) مشطوبة مما يعني أنّ العلاقة الصداقة غير موجودة في التبادل التجاري؛ لأنّ (A) تمثل علاقة الصداقة، أما عن (E) فهي تمثل علاقة التبادل في حين (C) فهي تمثل مختلف العلاقات التي تدخل ضمنها السلع والأشياء كالسعر وقوانين دورانها ككل، ممّا يعني أنّ (C) في شكل التبادل التجاري مثلاً سعر السلعة تؤثر فيه علاقة الصداقة ومن قيمة الشيء؛ لكن في علاقة الغير تجارية علاقتها ضعيفة بالسعر فعلاقة الصداقة هي السبب الرئيسي لعلاقة التبادل كما أنّ علاقة الصداقة لها تأثير مباشر على السعر "سعر الصديق" وكما اصطلح عليه (Alain Testart) في حين علاقة التبادل التجاري لها علاقة بالسعر فقط؛ لأنها تجارية بحتة.

• الهبة والتجارة في منطقة (Maradi)

كتب في عام (Guy Nicolas 1986) كتاب بعنوان (Don rituel et échange marchand) الهبة والتبادل التجاري" وهو يتضمن دراسة أجريت ما بين عام 1950 إلى 1970 حول النظام الإيثاري لمنطقة (Maradi) في جنوب دولة النيجر، ويعد العمل أحد الأعمال القيمة إلا أنّها لم تلق شهرةً واسعة، ففي عام 1960 كانت منطقة (Maradi) مكتظة بالسكان فقد وصل عدد سكانها إلى 141500 ساكن في أكثر من 20000

في المدينة الواحدة في (Maradi)، نشاطات هؤلاء الاقتصادية تتنوع بين الزراعة للمعيشة وإنتاج الفستق للسوق العالمية وبعض الصناعات التقليدية القطنية. ينقسم سكان منطقة (Maradi) إلى فئتين: سكان أصليون والذين يهتمون بالزراعة والأغلبية هم تجار أرستقراطيون، فهم يمثلون في الدولة إبان القرن الحادي عشر تجار إفريقيا الوسطى، إذ كان عدد التجار فيها خمسة وعشرون مليون تاجر عام 1960، وقد كانوا تجارًا مهمين فلقد كان لكل واحد منهم مؤسسة صغيرة يقوم ببيع المنتجات المتمثلة في الأقمشة، الجلود...، أما عن التركيبة الاجتماعية تتركز على الأسرة المتعددة الزوجات (Gida) وهي المدينة التي تتنافس مع (Gari)، في هذا المجتمع الذي عرف لوقت لا بأس به الملكية الفردية الوراثة بشكل ضيق، كل واحد يحظى باستقلالية فردية كبيرة لكن ذلك مقترن باختيار ديانة من بين العديد من الانتماءات والنظام الديني عندهم جد معقد.¹

أما عن الانقسام الجغرافي فتقسم (Maradi) إلى إقليمين ينقسمان إلى مقاطعات حيث يحمل القائد لقب (Farki)، كل قرية تمتلك قائداً يتم اختياره من قبل الأهالي ويكون من أهم مالكي الأراضي، وتجدر الإشارة إلى أن معروفة فيما يخص الزواج سلسلة من الهدايا، إذ يقال في هدية الخطوبة بأنها "هدية لرؤية النسب" ويتم الرد عليها بأخرى "هبة العقد"، وهناك هدايا تُمنح من أجل الحموم، وقد تأتي الهدايا على شكل حيوانات، ملح، جزر... وهناك هبة لإحضار العروس وأخرى للعبيد، كما تُحضر أم الزوج هدية لشكر والدي العروس، أما عن أهل هذه الأخيرة يقومون بدفع هبة التعويض وهي بمثابة تعزية معنوية في نفس الوقت وتسمى الـ (Hé) وذلك بتحريض من العروس ووالدتها، مما يظهر استقلالية وسلطة المرأة بشكل مشهدي.²

من خلال ما سبق إن أخذنا بعين الاعتبار بأن أغلب أفراد مجتمع (Maradi) أرستقراطيين وتجار فقد انعكس ذلك على قدرتهم المتعاضمة على العطاء فتنوعت بذلك الهبات وحسب (Guy Nicolas) فإن نسبة النفقات المتعلقة بالزواج تصل إلى ما نسبته 72% من نسبة النفقة الإجمالي، ومن الجدير بالاهتمام أن أحياناً وبسبب الخسائر التي

¹. Jacques.T.Godbout, Alain Caillé, op. cit., p.120.

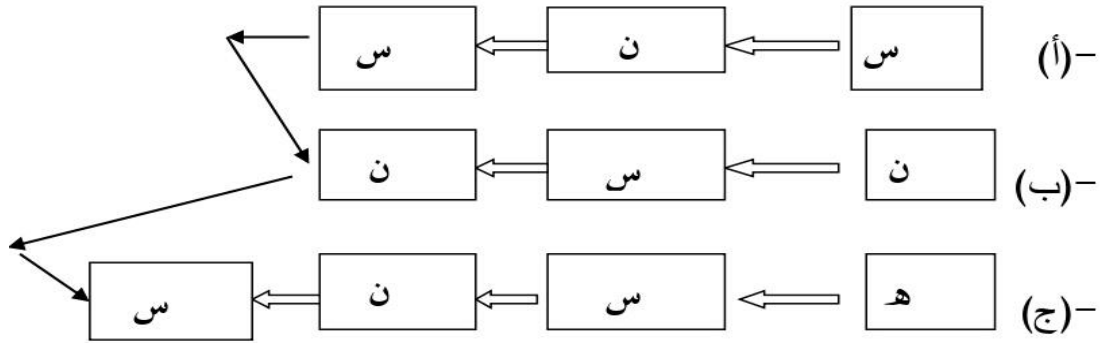
². Ibid., p.121-122.

تسببها الهبة الـ (Hé) فقد يرغب بعض الشباب في النساء الأرامل اللواتي بدورهن يرغبن في تعزيز رأسمالهن المرهق والمنهك بفعل ذلك النوع من الهبات والتي قمن بدفعها فيما مضى لأهل أزواجهن.¹

الاستثمار في الهبة هو استثمار في سلع على حد قول (Guy Nicolas)، فالنظام الإيثاري فرض على التاجر إخضاعه لقانون السوق وعلى المعطي المشاركة في السوق من أجل الحصول على الثروات للمساهمة في مد وجزر الهبات.²

وسنحاول شرح ما سبق من خلال الشكل التالي:

الشكل رقم (20): يوضح العلاقة بين النقود والسلع والهبة.



- س ---- سلعة
- ن ---- نقود
- ه ---- هبة

يمكن المساهمون في البداية في النشاط الهبوي من بيع سلعهم في الأسواق وبالتالي الحصول على نقود أو أموال ويتم استثمار ذات الأموال في سلع أخرى وفي المرحلة الثانية بعد الحصول على الأموال من خلال السلع للمرة الثانية يتم شراء سلع أخرى للاستثمار وبالتالي ضخ أموال ضخمة أو بالأحرى رأسمال ضخم وفي المرحلة الأخيرة يتم توظيف تلك الأموال في النشاط الهبوي وما يتم الحصول عليه من الهبات (أي

¹. Jacques.T.Godbout,Alain Caillé, op. cit.,p.123

². Ibid.,p.123-124.

الردود) يتم استثماره في السلع وبعدها الحصول على نقود مرة أخرى وهكذا دواليك.

ب. الطرح المعاصر للكسب عند (Jacques.T.Godbout) و (Alain

(Caillé)

تدور إشكالية العطاء في الوقت المعاصر حول ماهية الإنسانية ومفهوم "الغيرية"، فالإنسانية لا تعني الخضوع لأيديولوجية معينة بل هي خطوة نحو الوضوح والوعي؛ مما يعني وجود مجهود جماعي لفهم الحقيقة وذلك الوضوح لا يتعلق بنظرة كل فرد إلى نفسه بل وإلى الآخر من هناك جاء مفهوم الغيرية الذي طوره البروفيسور (Eugène.E) حوالي أكثر من ثلاثون عاماً والذي يتمحور أساساً حول رؤية الآخر كموضوع يبحث عن رضا حاجاته وليس كشيء مفيد لإرضاء حاجاتنا.¹

ووفقاً لـ (Jacques.T.Godbout) و (Alain Caillé) ما دمنا نعيش في مجتمع يتنافس المنافسة بمختلف أشكالها، ومادام هناك رابح وهناك خاسر بالمقابل ومنه تشجيع الفردية؛ لذلك يُعتبر التضامن نوع من "السذاجة" رغم أن تقسيم العمل يُعتبر أحد أوجه المعاصرة، والتضامن لا يقوم إلا بوجود حد أدنى من الغيرية والتي تقتضي احترام كرامة العدو ناهيك عن كرامة وعزة نفس الآخر، فالتضامن الاجتماعي الطبيعي يتميز بالمنفعة، أما التضامن الأصلي الحقيقي يتمثل في الهبة.²

أشار كل من (Jacques.T.Godbout) وزميله إلى أنّ الهبة مازالت متواجدة في بعض المجتمعات المعاصرة إذ لم تكن حكراً على المجتمعات القديمة والتقليدية، كما أنّ مسألة التفاعل ومنه المحادثة أثناء عطاء -أخذ الهبة يكشف عن تدخل التحليل السوسيولوجي للسلطة، إذ أنّ القاعدة في المحادثة تقول بأنّ الفرد لا يجب أن يحتكر الكلام؛ لأنّ أحدهم يحتفظ ببعض الوقت من أجل رد الهبة.³

ولقد أضاف الباحثان المعاصران في ذات النقطة بأنّ المحادثة تلك هي شبيهة تماماً (بين الأفراد في المجتمع الحديث بتلك التي كانت تتم في نظام الـ (Kula)، إذ أنّ المفردات والعبارات التي يتم توظيفها لا يجرى منها قيمة نفعية في المقام الأول بل

¹.Albert Jacquard et Fernando Cuevas, «L'altérité : Fondement de l'humanisme», *Humanisme et Entreprise*, n°300-Novembre 2010,p.87.

².*Ibid.*,p.89

³.Jacques.T.Godbout, Alain Caillé, op. cit., p.23

الهدف منها أولاً جعل العملية مستمرة تماماً كما عند (Trobriandair).¹ وقد ذهب (Georges Bataille) إلى فكرة مثيرة للاهتمام وذلك بالقول بأنّ الادخار الرأسمال الاقتصادي قد يكون بمثابة حرب من أجل سلطة العطاء وليس الامتلاك،² إذا كان يقصد هنا تبرعات أصحاب رؤوس الأموال للجمعيات الخيرية أو ما شابه فأحياناً يتنافس هؤلاء في تلك التبرعات وذلك لغرض إشهاري أحياناً، إلا أنه يمكن اعتباره ضرباً من ضروب العطاء في المجتمعات المعاصرة.

ورغم استمرارية وجود الهبة لدى بعض المجتمعات المعاصرة إلا أننا نجد بأنّ أنانيّة الفرد المعاصر كان له الأثر ملحوظ على عمليات الهبة أو التبادل بين الأفراد فالهبة ليست كما تبدو وكما أشرنا سابقاً مجرد استعراض للملكيات ومد جذر بين الأفراد فهي تقوم على نظام صارم؛ لذلك يمكن القول بأنّ الأفراد هم فاعلون ولكل منهم إستراتيجية خاصة به للوصول إلى هدفه والمتمثل في تحقيق مكاسب أكثر.

وفقاً لمبدأ العلوم الاجتماعية فإنّ الرهان الاجتماعي هو نتيجة لإستراتيجيات الفاعلين العقلانيين اللذين يبحثون على قدر أعلى من الرضا من أجل إشباع حاجاتهم المادية.³

وعن أهمية الهبة في الوقت المعاصر أشار كل من الاقتصاديين (Serge Christophe Kolm) و (François Perroux) إلى أنّ الهبة تُعتبر أحد أهم الأنظمة الاقتصادية المتممة⁴، ورغم أهمية الهبة كأحد الموارد الاقتصادية للفرد لدى بعض الجماعات إلا أنّ السوسيولوجيين والاقتصاديين يصرون على وصفها بمفردات كالمنفعة، السلطة، أو الثقافة، العادات والتقاليد الموروثة؛ لكن ليس بمفهوم "الهبة" وحسب ما ذهب إليه (Jacques.T.Godbout) وزميله السبب يعود إلى أنّ موضوع الهبة، صعب المعالجة، وكما ذهب البعض إلى أنّ الموضوع يجب أن يقوم الشعراء والأدباء بطرحه أو كل من يمتلك الوقت في سائر يومه للحديث عن المشاعر المختلفة، لأنه وحسب ما ذهب إليه هؤلاء، المشاعر هي المحرك الرئيسي للهبة.⁵

1. Jacques.T.Godbout, Alain Caillé, op. cit., p. 24

2. Albert Jacquard et Fernando Cuevas, op. cit., p.90

3. Jacques.T.Godbout, Alain Caillé, op. Cit., p.22-23.

4. Ibid., p.23.

5. Jacques.T.Godbout, Alain Caillé, op. cit., p.24-25.

خلاصة

اقتصاد المجتمعات التقليدية يستند على المعايير السوسيوثقافية وليس على العقلانية والحسابية ومنه فالحياة الاقتصادية لمجتمع إيموهاغ بصفته مجتمعاً تقليدياً والذي عرف في البداية كمجتمع بدوي؛ الغزو كنشاط اقتصادي وبفعل العوامل الجيو-سياسية انتقل إلى التبادلات التجارية عن طريق المقايضة والتي عرفت نشاطاً ديناميكياً إبان القرن السابع عشر؛ إلا أنها ضعفت حوالي 1973، فكان ذلك عاملاً لتوجه إيموهاغ لورش العمل كإينكر والعمل بها بشكل متذبذب وقد كانت تلك الورش نقطة مهمة للتعرف أكثر على التعامل النقدي ومما عزز هذا الأخير -أكثر- انتشار المحلات التجارية بتمانغست وولد بدوره التبادل النقدي -السلعي عند إيموهاغ.

تجدر الإشارة إلى أنه بالرغم من الاختلاف بين المجتمعات الحديثة والمجتمعات التقليدية إلا أن ما اصطلحنا عليه بـ"الكسب الهبوي" يُعد عاملاً مشتركاً، الهبات النقدية على سبيل المثال تكون سبباً في الدخول إلى العالم الرأسمالي، بالإضافة إلى وجودية نمط التبادل اللاتجاري والذي يركز على التفاعل والروابط الاجتماعية ولو بشكل نسبي في المجتمعات الحديثة.

ومن خلال المعطيات السالفة ذكرها، يتبين بأن عمليات البيع والعادات المكسبة كطرق للكسب حديثاً وتقليدياً؛ مرتبطتان ببعضهما على المستوى النظري؛ لكن كيف يمكن لمجتمع تقليدي لا يعتمد غالباً على العقلانية والحسابية وعلى مستوى الطرح النظري -زيادة مكاسبه من خلال تلك الطرق؟

الفصل الرابع: مجتمع إيموهاغ بناتق رفاست

وصف نشاط الآليات التفاعلية



1. شرح لأهم الآليات التفاعلية عند مجتمع إيموهاغ

أ. مورفولوجيا منطقة تافرفاست

ب. أنماط العطاء المختلفة عند إيموهاغ كمحفز للآليات تفاعلية

ج. الآليات التفاعلية ذات الأصل الماكرو والميكروي

2. وصف نشاط الآليات التفاعلية وتحليل نماذج من الشبكات التفاعلية

أ. نشاط الآليات التفاعلية ضمن الشبكات التفاعلية الصغرى (أقل من عشرة أفراد)

ب. نشاط الآليات التفاعلية ضمن الشبكات التفاعلية الكبرى (من عشرة أفراد فما فوق)

ج. نشاط الآليات التفاعلية ضمن الشبكات التفاعلية غير المعروفة الحجم

خلاصة ومقارنة

1. شرح لأهم الآليات التفاعلية عند مجتمع إيموهاغ

من الجدير بالذكر -قبل وصف نشاط الآليات التفاعلية التي يتميز بها مجتمع إيموهاغ الريفي- تقديم وصف شامل ومختصر لبعض النقاط المهمة.

أ. مورفولوجيا منطقة

تافرفاست الشكل

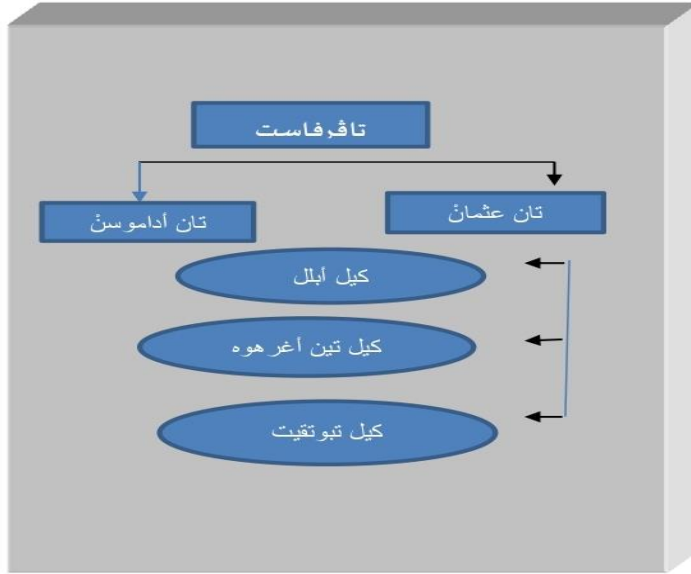
رقم (21): يوضح

منطقة تقسيمات

تافرفاست

■ تافرفاست، الجغرافيا

والسكان



منطقة تافرفاست الكائنة بقرية

تاهيفت التي تبعد حوالي 80 كلم عن

بلدية تامنغست* وتنقسم إلى منطقتين: تافرفاست "تان آدموسن*" وتافرفاست "تان عثمان أو تاملت"؛ لكن غالبًا ما تسمى "بتان عثمان" سميت بذلك الاسم بسبب وجود ضريح لشخصية تحمل ذات الاسم "عثمان" وقيل أنه من قبيلة "كيل غزي" و"تافرفاست تان آدموسن" وهي أيضًا

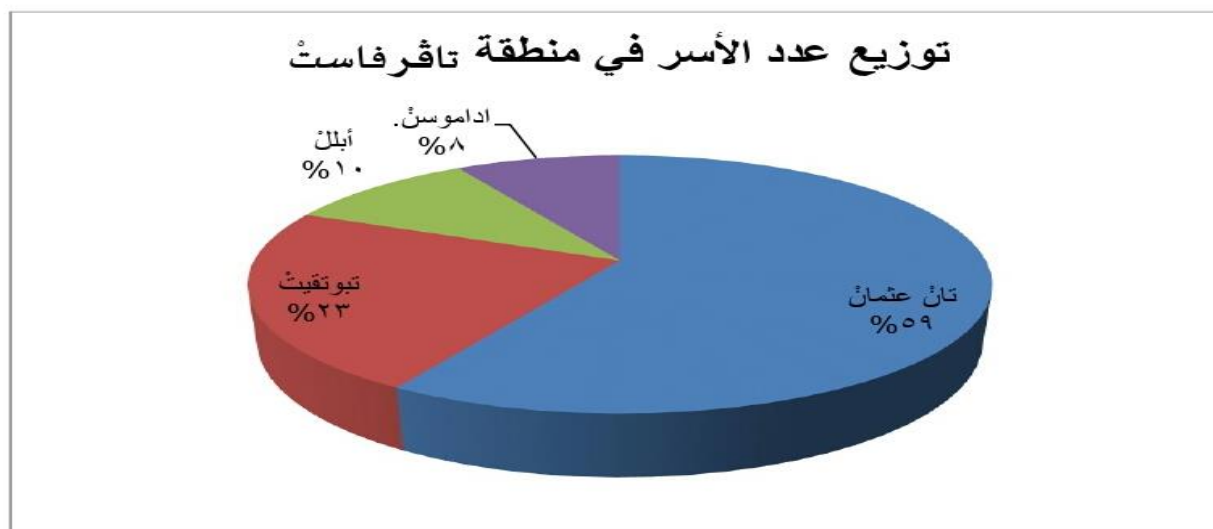
*تبعًا للقرار الرئاسي الصادر بتاريخ 15 جوان 1949 أصبحت تامنغست بلدية أهلية يتم إلحاقها بمقاطعة الواحات بعد فصل الصحراء الجزائرية عن الحكومة العامة للجزائر سنة 1957 حيث حولت إلى مقاطعتين هما السائرة ومقاطعة الواحات بتاريخ 07 جانفي 1959 أصبحت تامنغست دائرة إدارية بتاريخ 03 ديسمبر 1962 ترقت لتصبح دائرة مشكلة من بلديتين هما: بلدية تمنراست وبلدية توارق الأمغار وأصبحت بلدية واحدة تبعًا للمرسوم رقم 189/63 المؤرخ في 16 ماي 1963 وفي سنة 1974 شهدت تمنراست تطورات هامة ما أدى إلى ترقيةها إلى ولاية.

*كلمة "آداموسن" (ⵓⴰⴷⴰⵎⵓⵙⵏ) هي مجموع لكلمة "آداموس" هو أحد طرق تخزين الحبوب والحنطة قديمًا، إذ كان يتم جلبها عن طريق القوافل بكميات معتبرة وآداموس يقوم الناس بتشبيده وهو يشبه حفرة ليست بعميقة مبنية بالحجارة أو بالأحجار محاطة بها، وسمي هذا الحيز الجغرافي من منطقة تافرفاست بذلك الاسم نظرًا لوجود الكثير من "آداموسن" بها، صورته مدرجة ضمن الملحق رقم (19)

الجدول رقم (3): يوضح توزيع عدد الأسر والأفراد على التجمعات السكانية لمنطقة تافرفاست (جويلية 2019)

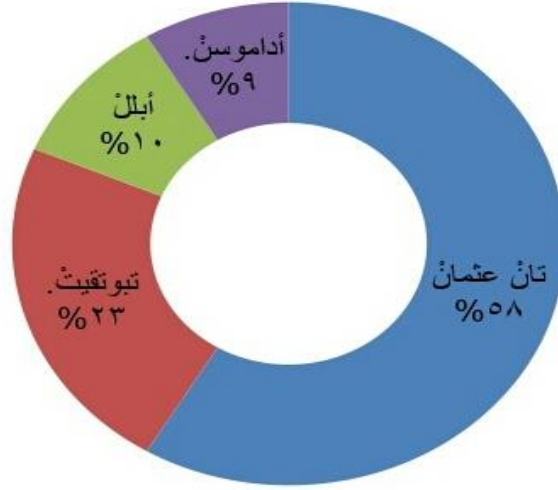
المنطقة	تافرفاست تان عثمان	تبوتقيت	أبلن	تافرفاست تان أداموسن	المجموع
عدد الأسر	16	11	4	3	34
عدد الأفراد	86	55	20	14	175

الشكل رقم (22): دائرة نسبية تمثل توزيع عدد الأسر في منطقة تافرفاست



الشكل رقم (23): تمثل توزيع عدد الأفراد في منطقة تافرفاست

توزيع عدد الأفراد في منطقة تافرفاست



تضاعف عدد الأفراد والأسر خلال إحصائيات 1998* كان عدد الأسر في تاهيفت (دون منطقة تافرفاست) 50 أسرة يقابلها 339 ساكن في حين بلغ عدد الأسر بمنطقة تافرفاست 16 أسرة وعدد السكان كان 80 ساكن وبمقارنة عدد الأسر بمنطقة تافرفاست (2019) نجده قريب من عدد الأسر بقرية تاهيفت (مدخل المنطقة) منذ عشرون سنة.

يُعد العرف والعادة والتقاليد عوامل مساعدة على زيادة عدد الأسر -حتى وإن كان عامل الزمن عامل منطقي -وذلك من خلال دعم فكرة الزواج المبكر في المنطقة.

• التعليم في منطقة تافرفاست

يمكن وصف تعليم الإناث بمنطقة تافرفاست بالمحتشم، إذ تبدو مسألة عدم ميل أغلب أفراد مجتمع إيموهاغ الريفي بمنطقة تافرفاست لتعليم الإناث بارزة، فالأعراف والتقاليد لا ترى أي داع

*إطلع على الملحق رقم (9).

لتعليم الإناث وتختلف الدوافع والأسباب من أسرة لأخرى، ويمكن تقسيم الأفراد حسب توجهاتهم نحوى "تعليم الإناث" لعدة فئات:

- هناك من يرى بأنّه من المستحسن تعليم فتاة واحدة في الأسرة ويعود الأمر إلى المستوى الاقتصادي لبعض الأسر في عدم قدرتها على تغطية تكاليف تدرس عدد أكبر من الأبناء.
 - كما يرى البعض بأنّه لا جدوى من تعليم الإناث؛ لأنّ مهمتن الأساسيّة التدبير المنزلي، الرعي وفي النهاية الزواج، فالأولاد -غالباً- حين يبلغون سن معينة يتركون مهمة الرعي لأخواتهن البنات، خاصة في حالة كانت الأسرة لا تملك أبناء سواء كانوا بنات أو ذكور في عمر يسمح لهم بممارسة نشاط الرعي، بالإضافة إلى أنّ هناك مشكلة عدم وجود متوسطة بالمنطقة، إذ يمانع البعض إرسال بناته للمدينة (تامنغست).
 - فئة لا ترى أي فائدة من تعليم الإناث بالمطلق حتى وإن كن لا يقمن بممارسة نشاط الرعي.
 - فئة لا تهتم أساساً بفكرة إرسال أبنائهن للمدارس سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً.
 - فئة لا تميل إلى تعليم أبنائهن نظراً لتجاربها الأولى غير الموفقة.
 - فئة قليلة جداً يكون عدم امتلاكها لوثائق رسميّة حائلاً بينها وبين تعليم أبنائهن.
- وتجدر الإشارة إلى أنّ المنطقة تشهد ظاهرة التسرب المدرسي، فبعد مرحلة التعليم المتوسط قلما يستطيع البعض مواصلة الدراسة.
- حاولنا من خلال المعلومات التي تم تجميعها، إعداد الجدول التالي:

الجدول رقم (4): جدول يوضح عدد الذكور والإناث في سن التمدرس أو تجاوزو سن التمدرس والذين التحقوا فعليًا بمقاعد الدراسة* (2020)

40	عدد الذكور في سن التمدرس أو تجاوزو سن التمدرس
38	عدد الإناث في سن التمدرس أو تجاوزو سن التمدرس
35	عدد الذكور الذين التحقوا بمقاعد الدراسة
08	عدد الإناث اللواتي التحقوا بمقاعد الدراسة

من خلال الجدول السابق يتضح بأن عدد الذكور الذين استفادوا من فرصة الالتحاق بمقاعد الدراسة* هي أعلى من عدد الإناث بحيث تتحدد نسبة الذكور الذين التحقوا بمقاعد الدراسة بـ 87.5% في حين نسبة الإناث اللواتي التحقوا بمقاعد الدراسة 22.85%.

■ وصف النشاط الروتيني-اليومي للأطفال والنساء (قديمًا وحديثًا)¹

ممارسة الفئات الأصغر سنًا للرعي والمشاركة في النشاط الفلاحي قديمًا*

يبدأ الطفل بالرعي حوالي العام السادس أو السابع من عمره، وقد يدخل في فترة تدريبية وذلك عن طريق مرافقة من هم أكبر منه سنًا وغالبًا يتكفل الأطفال برعي الماعز الصغيرة خاصة في مواسم توفر الكلاء (أكسا)، إذ تتكاثر الماعز وكانت مهمتهم قديمًا تتمثل في طرد العسافير خوفًا

*لاحظنا من خلال الملحق رقم (14) في الجدول الخاص بالمؤسسات الداخلية الابتدائية بأن القدرة بالنسبة لإبتدائية قرية تاهيفت قدرت بـ 200 تلميذ، إلا أن المستفيدين كانوا 177 وكلهم نكور (حسب إحصائيات 1998).

*إطلع على الملحق رقم (9).

اف.ب. تامنغست. 2017/05/10.

*الفترة الزمنية التي تم وصفها (بالتقريب) من خمسون سنة.

من أن تقضي على المحاصيل الزراعيّة (الحبوب) وذلك يتم عن طريق تقسيم الأدوار، إذ يتجه أحد الأطفال إلى الجهة الغربيّة والآخر إلى الجهة الشرقيّة.*
أما عن مهمة الأولاد الفلاحية (بنات وأولاد) الأكبر سنًا، كانت مهمتهم تتمثل في وضع الأسمدة للحقول الفلاحية.

• النشاطات التي تمارسها النسوة

الفئة الفتية من النساء كن يتقن ما تتقنه أمهاتهن إجمالاً، إذ كن يقمن بالتدبير المنزلي (الطبخ، الطحين، جلب الماء، جلب الحطب... الخ)، بالإضافة إلى الزراعة والفلاحة من سقي وتجريب التربة والزرع، كان دور النساء بارزاً أكثر أثناء ترحال (سفر إلى "أفلا" أو توات) رجالهن فهن يتعاونن على السقي والاهتمام بـ(إفلان) -وغالباً- في حالة غياب زوج واحدة منهن فقط يتكفل أصحابه بالسقي.

تقوم المرأة ببيع محتشم للصناعات الجلدية اليدوية إذ يوجه أغلبها للاستهلاك المباشر* ومن أهم تلك المستلزمات: المصنوعات الجلدية ووسائل تخزين الحبوب والحنطة (إسبران، اهكتان، تسوسوين، إبياغ، إفروان، تمهنتين، إمايتلن... الخ) ومن أهم المصنوعات المخصصة للبيع وغالباً ما تكون من أجل القوافل التجاريّة وهي: صناعات خاصة بتزيين الجمال (إهوياف تدارسوين تظقات)، الحبال التي تستخدم من أجل الجمال الضخمة (إهلومن وين هورن)، الحبال الخاصة بالربط بين الإبل في القوافل (إكلان)، بعض المصنوعات للاستخدام المنزلي.

"إسريان" هو الترحال بحثاً عن الكلاً في مواسم الجفاف، قديماً كانت ترتحل الفئة الفتية فقط من الأفراد فيتركون كبار السن في مكان الاستقرار وتجدر الإشارة أنه كان يعتمد على تقنية

* إذ يحملون علب (كعلب الطماطم) ويضعون بداخلها حجارة وبالتالي يقومون بتحريكها لتصدر ضجيجاً يربح العصافير الصغيرة لتبتعد بعيداً وتبدأ العملية من الصباح الباكر إلى حين غروب الشمس وذلك سواء أكان الأمر صيفاً أو شتاءً وغالباً يقوم بالعملية إلى حين أن ينضج القمح.

* وتجدر الإشارة إلى أنّ المرأة تميز الصناعات ذات الجودة الممتازة (أهيف أمترق ويهوسين)؛ ممّا يعني بأنّ المرأة تهتم بإسعاد زوجها أكثر من اهتمامها بالريح المادي.

(أوغون) ويقصد بها وقف جهة معينة من الوادي احتكارها من أجل الماعز الصغيرة، إذ لا يمكنها مجابهة الكبيرة في الأكل، للإسريان فوائد عديدة من بينها أنّ مكان الاستقرار يأخذ راحة وبالتالي يتجدد إخصاره.

تقوم المرأة -وبالتزامن مع عملية الرعي -أيضاً بجني بعض الأعشاب للتداوي ولأجل الحيوانات وبمجرد عودتها وهي تحمل حزمة الحطب -تقوم بطحن أكلها من القمح ونحوه والطبخ وجلب الماء، فالناس قديماً لم يكن هناك ما يروي جوعهم إلى درجة أنّهم كانوا يأكلون الأعشاب البرية وحفنة القمح الجاف.

تُعد عملية الرعي * عملية كسب تقليدية ذات بعد سيكولوجي أيضاً؛ بحيث يتزامن الكسب المادي مع الكسب النفسي، ومن بين ما كانت ترده المرأة أثناء عملية الرعي:

*أمدغ إهيض سرورون ***أمدغ أهل أس ميطنون

تقوم النسوة بطقس (زيارة "أدبني" * "إتصال ما وراء الطبيعة")-حين يطول غياب رجالهن في التجارة القوافلية -وذلك لانعدام وسائل الاتصال ورغم ذلك إتّصف مجتمع إيموهاغ بالعطاء كان الناس قديماً يتعاونون من أجل شراء رأس شاة أو ما شابه، كما أنّهم كانوا يحترمون حق الجوار"...أوايلن القابلتتك يمدا يرماسكي سلحقورتكشد فولس هرت يظيدن* وحين قدوم الرجال(القوافل التجارية) من "أفلا"تعبّر النسوة عن فرحن بالزغاريد ونحوها.

• العمالة الرجالية بمنطقة تافرست

*رغم استغلال المرأة لفترة الرعي في الصناعات التقليدية المختلفة، غير أنّ هناك نوع منها لا تستطيع صنعها (كصناعة "أخميل" وهو نوع من الحبال الكبيرة (وين هوورن)).

*مفردة (إروراون) تعني الهموم الكبيرة والتفكير الذي يرافقه الكلام وهذا البيت يظهر أيضاً الصبر والقدرة على التحمل.

* هو نمط من القبور الجماعية، وتأتي بعدة أشكال.

*عبارة تعني بأنّه يتوجب على المرء مشاركة اللقمة مع جيرانه (خاصة من هم في جهة القبلة).

العدد الاجمالي	يعمل عمل دائم	بدون عمل	عمل متذبذب (بين الرسمي محدد بعقد وغير الرسمي)	متقاعد
48	04	16	20	08

تكمن أهمية المعطيات الرقمية -الدرجة في الجدول رقم(5) أعلاه- في أنها ترتبط بمكانيزم استغلال أفراد المنطقة للزمن الاجتماعي، ففي الوقت الذي لا تمارس فيه النسوة أي عمل رسمي، فإنّ العنصر الرجالي يتوزع على أربع حالات: فئة تعمل بعمل رسمي بصفة دائمة وفئة بدون عمل وأغلبهم الفئة التي تعمل بعمل متذبذب غير مستقر ويتأرجح بين الطابع الرسمي وغير الرسمي وذلك عن طريق عقد محدد المدة وأعمال غير رسمية متنوعة؛ ممّا يعني أنّ لديهم فترات فراغ بين الفينة والأخرى ونجد فئة أخيرة وهي الفئة التي كانت تعمل بعمل رسمي دائم وأحيلت على التقاعد.

ومن أهم النشاطات غير الرسمية التي يزاولها الرجال بالمنطقة:

- البحث عن الإبل والنوق
- الفلاحة، بيع المنتوجات الفلاحية.
- نقل المسافرين بالمركبات الرباعية الدفع، يقوم بعض الرجال الذين يمتلكون مركبات رباعية الدفع بنقل المسافرين (من -إلى قرية تاهيفت وتامنغست المدينة) بمبلغ قدره 500.00دج للفرد الواحد وذلك من خلال استغلال فترة تنقلاتهم وبشكل عشوائي غير مخطط لها أو من خلال منح فرصة استئجار الأفراد للسيارة مقابل 5000.00دج ذهاباً أو إياباً، ينشط هذا النوع من العمل غير الرسمي الخاص بالنقل نظراً لعدم توفر مؤسسات نقل القطاع الخاص أو حتى العمومي بالمنطقة.
- الاحتطاب والمتاجرة بالفحم، ذكر أحد ممارسيه بأنّ ممارسة إيموهاج (بشكل عام) للاحتطاب وبيع الفحم ليس بالجديد، فهو يرى بأنّ الاحتطاب عمل شاق ومتعب لذلك

يُفترض أن يكون مريح وذلك بالقول: "أودم ألويغن...أمونت فولس لويغ أويندغ أتكفيد
دسنت يوكيتند ألويغ ويندغ يفا" وقد أشار أيضاً إلى أهمية المحافظة على الأشجار
والنباتات المخضرة "لازم أدفين تاغرا ياشك ودالين".¹

بالإضافة إلى النشاطات ذات الطابع الرسمي المتذبذب والمتمثلة في:

-الحراسة، سواء كان في المدينة أو في الريف

-العمل بورشات العمل بمنطقة إليزي وعين أمناس.

• أهم المناسبات الموسمية ذات الطابع الاجتماعي -الروحي في منطقة تاقرفاست وما

جاورها

تأتي أهمية المناسبات الموسمية وذات الطابع الاجتماعي -الروحي في المنطقة قيد الدراسة
وما جاورها في أنها تمثل بؤرة لتشكل الشبكات التفاعلية المختلفة، وبما أن التفاعل هو محور
الدراسة فإن هذه المناسبات الموسمية لها أهميتها في الوصف العام لمجتمع إيموهاغ الريفي بمنطقة
تاقرفاست.

¹. حصة "تمدورت نغ"، الإذاعة الجزائرية القناة الثانية، 2017/12/17.

الجدول رقم (6): يوضح أهم المناسبات ذات الطابع الاجتماعي -الروحي بمنطقة تافرفاست وماجاورها

المناسبة	المنطقة
زيارة تينت فوقت	تاهيفت (تينت فوقت)
تكو تاوين تين اشخن	تاهيفت
تكو تاوين تين كيل تارفا	تاهيفت (أسوي أن تين طاطايت)
تكو تاوين تين إماغرن	تاهيفت (تافرفاست)
تكو تاوين تين كيل غزي	تاهيفت
زيارة تغوهاوت	منطقة تغوهاوت
تكو تاوين تين كيل فانت(جانت)	منطقة اظرنن

هناك تجمعات كبيرة تكون داعمة لعمليات البيع الصغير والعادة المكسبة كالزيارات والوعدات الدينية وغالبًا ما تركز تلك التجمعات ذات الطابع القبلي، الديني والروحاني في آن واحد على عمليات جمع الأموال من أجل التعاون على تغطية ميزانيتها وعليه فهي تُعلم الأفراد قيم التعاون والعطاء، كما أنها تكون فرصة للإعلان عن المناسبات الاجتماعية المقبلة وذلك سواء بالإعلان الجماعي أو بشكل سري-إنفرادي (تافهي)، كما أنها تعد بؤرة تشكل الشبكات التفاعلية المختلفة وبالتالي نشاط عمليات البيع الصغيرة.

ب. أنماط العطاء المختلفة عند إيموهاغ كمحفز للآليات تفاعلية

لمعرفة الكيفية التي تنشط بها الآليات التفاعلية (الكثرة والتنوع) ضمن الشبكات التفاعلية المختلفة عند مجتمع إيموهاغ الريفي؛ من الأهمية بمكان الإشارة في المقام الأول بأن ما اصطلحنا عليه بالآليات التفاعلية عند إيموهاغ يتميز بنوع من التعقيد والتداخل؛ إذ نجد أنّ البعض منها يُكمل بعضها الآخر؛ لذلك قد تبدو بعض الآليات متشابهة فما يميزها عن بعضها البعض هو

استخدام الأفراد لها ضمن المواقف اليومية المختلفة، كما أن أنماط العطاء الأخرى والتي نستثني منها "العادة المكسبة" وحسب ما تم التوصل له من خلال البحث الميداني؛ منها ما يوظف كآلية تفاعلية باعتبار أنها أحياناً تكون سبباً في استخدام الأفراد لمجموعة من الآليات التفاعلية المختلفة. يقوم أفراد مجتمع إيموهاغ باستخدام "الآليات التفاعلية" لعدة أهداف (سياسية، معنوية، نفسية، إقتصادية... الخ)*، تتنوع أنماط العطاء عند مجتمع إيموهاغ ومن بينها:

- **أهيوغ:** وهو ما يتم منحه للشبيه في الاسم، أحياناً يُشترط أن يكون بطلب من المسمى عليه وفي البداية تكون الهدية الأولى بعد التسمية مباشرة أي بعد أن يبلغ المولود سبعة أيام وتتنوع طبيعة تلك الهدية على سبيل المثال هناك من يهب جمل، ناقة أو شاة... الخ
- **توقينغ:** يمنحها الرجال؛ وتقتضي العادة بأن يمنح الرجل مبلغ من المال والمتوفر لديه لحظة دخوله على إحداهن وهي تقوم بتمشيط شعرها وأحياناً ترافق ذلك النوع من العطاء الزغاريد من النسوة خاصة إن كن حاضرات بكثرة وذلك من أجل الإعلاء من قيمة الرجل واحتراماً لكرمه وتجدر الإشارة إلى أن هذا النمط من العطاء يكون أحادي الإتجاه إذ لا تقوم النسوة بالرد.
- **أسور:** هو يتعلق بطقوس إرتداء الفتاة أو الصبي لما يسمى عند إيموهاغ بـ"الشو" لأول مرة وغالباً ما يتم اختيار التوقيت المناسب للحدث ويتم منح المال من قبل مجموعة من النساء والرجال، بيد أنه يُستحسن أن يكون من قبل الرجال إذا كانت من سيرتدي "الشو" امرأة والعكس، ويبدأ الرجال أو النساء برمي النقود على رأس المرأة أو الرجل وذلك بعد ما يسمى بـ"أرطي نستنفوس".
- **تيزوناة (بكسر التاء):** وهي ما يقوم المسافر بمنحه للآخرين وذلك قبل سفره، ويتم منحها بطلب من الآخر فيما أن يستجيب المسافر أو يُجيب بعبارة: "توفيد ورفرود"¹؛ بمعنى

*في هذه الدراسة نهتم بدراسة الأهداف المادية الاقتصادية لها (طرق كسب تقليدية) وذلك من أجل التوافق مع التخصص؛ إلا أن التعريف بالآليات التفاعلية يقتضي وصفها بشكل عام.

¹.ب.ز. تامنغست. 2018/10/03.

- الرفض وهي -كما يرى البعض- عبارة عن صدقة من أجل سفر موفق.
- **تبداز (بكسر التاء)** وهي ما يقوم المسافر بمنحه للآخرين بعد رجوعه من سفره (عكس "تزوناة").
- **غرو:** يختلف هذا النمط من العطاء عن باقي الأنماط السابقة، إذ يكتسي أهميةً روحانيةً وهو ما يتم وهبه لأحد أولياء الله الصالحين من أجل التوفيق في أمر ما وهو أشبه بالندُر - على حسب المعتقد - وقد يكون "غرو" عبارة عن رأس شاة أو أي شيء آخر.
- **تسيويث:** هي ما يتم إرساله عن طريق أحدهم، فقد تكون دين، أمانة، هبة مرسله لأحدهم وذلك بسبب بعد المسافة، وما يميز هذا النمط من العطاء هو وجود وسيط بين الطرفين.
- **تاكوتي:** وهي صدقة، إذ يقوم أحدهم بالتصدق بالملابس أو المأكل أو ما شابه لأحدهم وهدفها ديني روحاني.
- **التبرك بالأضرحة:** ترك مبلغ من المال قرب ضريح أحد أولياء الله الصالحين.
- **عطاء للأرملة:** من عادات إيموهاغ أن يُؤخذ في كل زيارة للأرملة مبلغ من المال أو ما يأكل؛ لأنّ هناك معتقد عندهم يقول بأنّ جوع المرأة التي تكون في عدة الوفاة يتسبب في جوع قبيلتها، أقاربها، جيرانها؛ لذلك فالهدف من هذا العطاء روحاني - اقتصادي، كما يحرص الحضور بمنح المرأة الأرملة مبلغ نقدي بعد انقضاء عدتها.
- **تداوين:** (بكسر الدال) وهي التي تكون بين أبناء العمات والأخوال وتقتصر على أيام الأعياد وتكون بشكل تناوبي.
- **تلاويث:** هي مفردة تعني الأجر أو الأجرة / **تيسمت نفوس:** هي مقابل مالي أو مادي، رمزي يتم منحه لمن أدى خدمة معينة كأن يقوم أحدهم بمدواة آخر أو ماشابه، وحسب طريقة وصف الأغلبية لهما فإنّ الفرق بينهما هو أنّ "تيسمت نفوس" تكون أقل من "تلاويث".

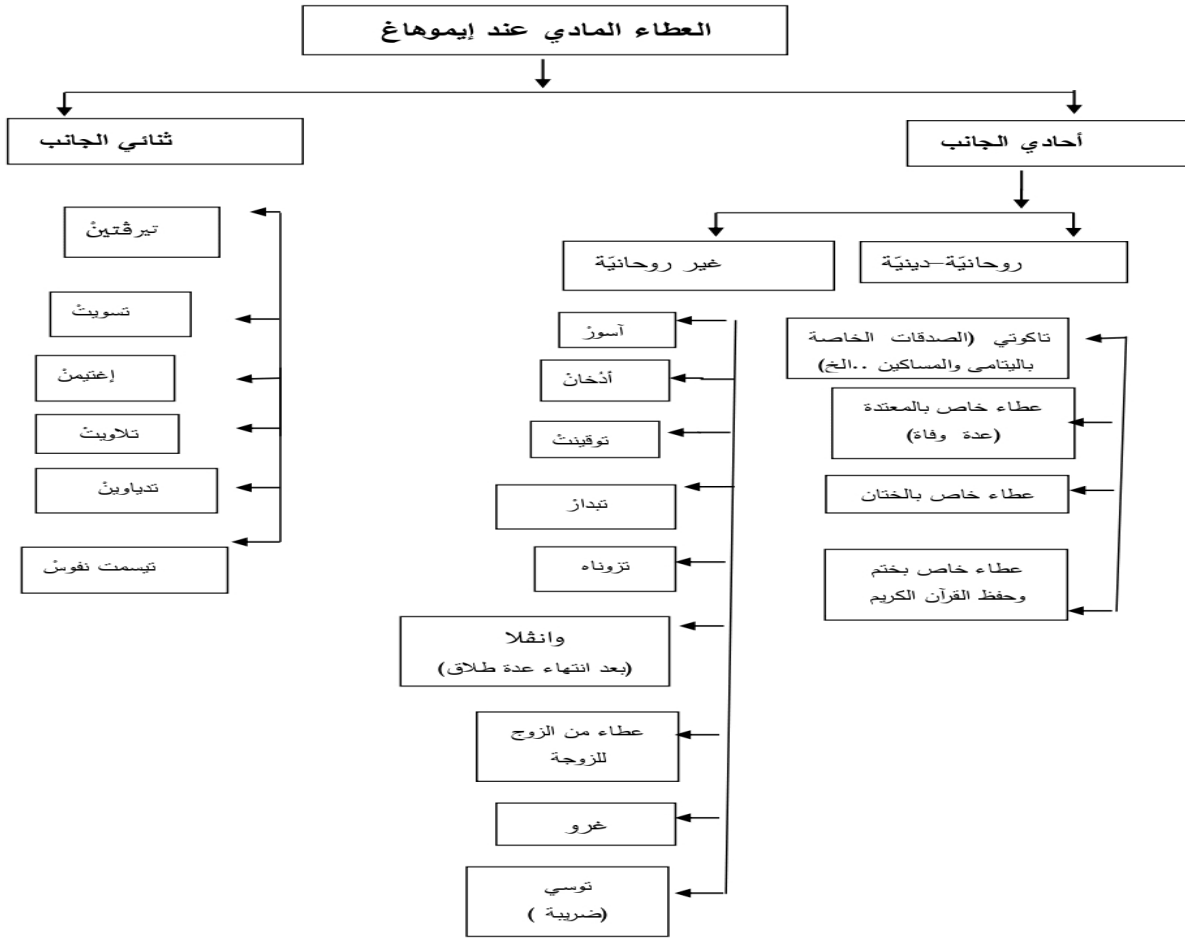
▪ عطاء خاص بختم وحفظ القرآن الكريم والختان: يولي مجتمع إيموهاغ كغيره من المجتمعات المسلمة أهمية بالغة لختم القرآن الكريم وحفظه، إذ يتم الاحتفال بقراءة القرآن وإقامة مأدبة غداء، كما يحرص الحضور على وهب مبالغ نقدية لحافظ (ة)/خاتم(ة) القرآن.

يُعد العطاء* ثقافة عند مجتمع إيموهاغ، إذ كان يتم تخصيص حافة البساتين لزراعة الخضر ليستفيد منها عابري السبيل، المسافرين والمارة بجوارها حتى وإن لم تربطهم بصاحب البستان أية صلة قرابة¹، كما أنّ هناك نوع من العطاءات تدعمها بعض المعتقدات المعقدة عند إيموهاغ فبعضها يرتبط بمسألة النسب كرأسمال رمزي، فبعض الأفراد يحملون معتقدات إيجابية حيال نسب أحدهم أو فرد معين دون سواه؛ مما يجعلهم يقدمون له الهبات وقد ترتبط المسألة أيضاً بعلاقات وروابط قديمة ربطتهم في الماضي بأجداد أسرة معينة فيحرصون على توطيد تلك الروابط والعلاقات أكثر من خلال الهبة والعطاء المستمر.

من خلال ماسبق حاولنا إعطاء نظرة شاملة ومختصرة عن أنماط العطاء عند مجتمع إيموهاغ وباختلافها ومن خلال العرض السابق يمكن تقسيمها إلى أنواع وسنقوم بتوضيح ذلك من خلال الشكل التالي:

*تعددت أنماط العطاء عند مجتمع إيموهاغ قديماً وحديثاً، فنجد قديماً ما يسمى بـ"تيوسي" وهي ضريبة كانت تمنحها القبائل للأمنوكال كضريبة حماية وهي ذات بعد سياسي-اجتماعي، كما نجد ماسمى بـ"وانقلا" وهو نوع من العطاء يمنح للمرأة بعد انتهاء عدة طلاقها.¹ مقابلة جماعية، تامنغست(تاهيفت)، 2017/07/20.

الشكل رقم (24): يوضح أنماط العطاء المادي عند إيموهاغ (قديمًا وحديثًا).



من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ أنماط العطاء السالف ذكرها تلعب دورًا مهمًا في تعزيز المداخل المادية والمالية لأفراد مجتمع إيموهاغ والريفي؛ لذلك اعتبرنا الهبة عند إيموهاغ "عادة مكسبة، كما أنّ الروابط والعلاقات ومنه الأفعال الاجتماعية الأولية تدخل ضمن عناصر عملية الوهب والعطاء هذا من جهة ومن جهة أخرى؛ الهبة قد ينتج عنها عمليات بيع وشراء.

ج. الآليات التفاعلية ذات الأصل الماكرو والميكرو

من الضروري الإشارة إلى أنّ الآليات التفاعلية التي يستخدمها أفراد مجتمع إيموهاغ رغم تداخلها فإنّها تختلف من ناحية طبيعتها فمنها ما يحمل طبيعة ماكروية؛ بمعنى أنّها ترتبط بمعطى أشمل كالقبيلة على سبيل المثال، لذلك تُعتبر كل من: أشك، تمانهيق، وما اصطلاحنا عليه بالنحن-

الانقسامية آليات تفاعلية ماكروية في حين تُعتبر باقي الآليات التفاعلية ميكروية فهي للاستخدام المصغر بين الأفراد.

■ الآليات التفاعلية الماكروية

-أشك

من الصعوبة بمكان تقديم وصف دقيق للآلية التفاعلية "أشك" عند مجتمع إيموهاغ فهي ترتبط بقيم المروءة والحياء؛ فهي التي تُحدد للفرد الأماهغ ما يتوجب عليه فعله في المواقف المختلفة فمن خلال الجدولين نجد أن "أشك" يكتسب أهمية بالغة ضمن المحتوى حول ما تعلمه الأسرة في مجتمع إيموهاغ لأبنائها.

سنوضح من خلال الجدولين (7) و(8) وجود وأهمية الآلية التفاعلية "أشك" عند إيموهاغ وذلك من خلال تحليل محتوى البرنامج الإذاعي "أهفار حضارة وتاريخ".*

الجدول رقم (7): تحليل محتوى حصة إذاعية من إذاعة الجزائر من تامنغست "الأهفار حضارة وتاريخ" فيفري 2017

فئة الموضوع: ما تعلمه الأسرة في مجتمع إيموهاغ لأبنائها			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	ت	%
1	التراث اللامادي "ليون" كمرشد	03	33.33
2	التنشئة الدينية	03	33.33
3	أشك	02	22.22
4	قيم الكرم مع أفراد الأسرة والجيران	01	11.11
	المجموع	09	100

*تم الاعتماد على تحليل مضمون البرنامج الإذاعي؛ لإثبات وجود الآليات التفاعلية عند مجتمع إيموهاغ بشكل عام، باعتبار أن تحليل المضمون يُعد من طرق البحث غير التدخلية.

فمن خلال هذا الجدول الذي يمثل "ما تعلمه الأسرة لأبنائها في مجتمع إيموهاغ، جاءت النسبة نفسها لكل من: أهمية التراث اللامادي "اليون" * في تربية النشء والتربية الدينية (33.33%) ويأتي في المرتبة الثانية ما يسمى بـ"أشك" عند إيموهاغ بنسبة 22.22%، باعتبار أن الجدول يُشير إلى أن ما يسمى بـ"اليون" يُعتبر عنصرًا مهمًا يساعد الأسرة في مجتمع إيموهاغ على تلقين القيم الاجتماعية لأبنائها؛ لأنه يتضمن أهم الآليات التفاعلية التي تميز مجتمع إيموهاغ؛ مما يعني أن النسبة الأولى تتضمن بالضرورة أهمية الآلية التفاعلية "أشك"، هذه الأخيرة التي تُعتبر من أكثر الآليات التفاعلية تعقيداً وباعتبار أن "أشك" عند إيموهاغ يعني عدم الإتيان بالقبح من الأفعال في أي موقف أو مستوى كان: ثقافي، اقتصادي، سياسي.. الخ. فهذا يعني بأن وحدة التحليل "قيم الكرم مع أفراد الأسرة والجيران"؛ تعني في الآن نفسه توظيف للآلية التفاعلية "أشك".

الجدول رقم (8): تحليل محتوى حصة إذاعية من إذاعة الجزائر من تامنغست "الأهغار حضارة وتاريخ" سبتمبر 2016

فئة الموضوع: الحفاظ على هوية مجتمع إيموهاغ نهشار			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	ت	%
1	تمنوكلات (طانات -أوني -أمغار)	05	62.5
2	أشك	02	25
3	أهمية التواصل بين الأجيال	01	12.5
	المجموع	08	100

نفس الملاحظة فيما يخص الجدول الذي يخص "الحفاظ على هوية مجتمع إيموهاغ"، محتوى المادة جاء في أغلبه يتمحور حول أهمية نظام الحكم التقليدي عند مجتمع إيموهاغ (تمنوكلات)

* يمكن القول بأنها نوع من المداخل أو الأغاني عند إيموهاغ، تندرج ضمن التراث اللامادي؛ مضمونها يتمحور حول نصائح لكيفية التصرف بشكل لبق وراقي، تكون موجهة غالبًا للمرأة والرجل؛ مما يعني أنها تدعو إلى التمسك بما اصطالحنا عليه بـ"تموهغة"

نسبة 62% ويأتي "أشك" بنسبة 25 % في المرتبة الثانية؛ مما يدل على أهميته عند مجتمع إيموهاغ بشكل عام وسنلاحظ من خلال عرض باقي الآليات التفاعلية كيف يكون "أشك" في تداخل معها.

يمكن بالإضافة بأن الآلية التفاعلية "أشك" هي التي تُحدد الطابوهات عند مجتمع إيموهاغ لذلك نجد أنها تتدخل في شتى مجالات الحياة عندهم (السياسية، الدينية، اجتماعية، ثقافية، اقتصادية... الخ)، ففي الجانب الديني أو الشرعي فقد تسبب شرح إمام بالمنطقة المدروسة لبعض المسائل الشرعية في خروج أغلب الحضور بسبب "أشك" عند إيموهاغ الذي يقتضي الاحترام بين الفئات العمرية المختلفة وبين خطوط القرابة المتداخلة والمختلفة كالحمو وزوج البنت أو الابن. الخ.

تجدر الإشارة إلى أنّ علاقة التجنب والحذر بين الحمو والحماة وزوج أو زوجة الابن لا نجدها عند مجتمع إيموهاغ فحسب بل ومجتمعات، ففي دراسته المعنونة بـ (of On a method investigating the development of intitions) والتي قام بها (Tylor)، حيث قام بتحليل علاقة الجندر بالحماة والحمو وقد لاحظ في بعض المجتمعات التجنب بين الرجل وحماته وحموه في حين في بعض المجتمعات علاقة التجنب تلك كانت بين الفتاة وحموها وفي حالة ثالثة لا توجد أية قاعدة تسير بها العلاقة بين الحما والحمو ومن خلال دراسته أراد معرفة الأسباب الحقيقية وراء هذا الاختلاف بين تلك المجتمعات فقام بمقارنة 350 مجتمع مختلف فوجد أنّ في حالة استقرار الأزواج الجدد عند أسرة الزوجة، فإنّ سلوكيات التجنب عند آباء الزوجة أو المرأة تكون جد متكررة متوترة وإذا كانت الإقامة بأسرة والد الزوج فيجب على زوجة الابن تجنب التواجد مع الحمو والحماة.¹

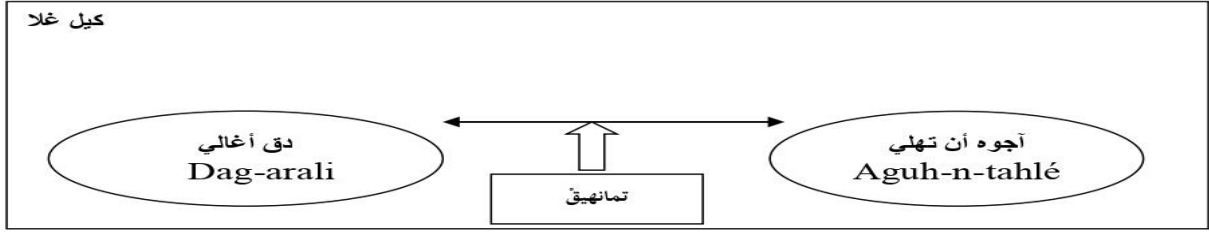
-تمانهيق

ترتبط الآلية التفاعلية "تمانهيق" بالقبائل فيما بينها أو ما يسمى عند إيموهاغ بـ "تاوسيت" فهي تدل على وجود نوع من المنافسة بين القبائل، فعلى سبيل المثال قبيلة "آجوه نتهلي" و"دق أغالي

¹.Robert Deliège, une histoire de l'anthropologie (écoles, auteurs, théories), S.L, Edition du Seuil, 2006, p.38-39.

"تعتبران قبيلتين تابعتين لكيل (غلا) وبالتالي توجد بينهما "تمانهيق" هذه الأخيرة فيها معاني الحذر"، يمكن القول بأن "تمانهيق" شبيهة بـ"القرائن" أو الموازة بين طرفين.

الشكل رقم (25): يوضح آلية تمانهيق



وبالتالي "تمانهيق" تفرض على كل أفراد كلا القبيلتين توخي الحذر والتعامل مع بعضهم البعض بكامل الاحترام والرقي والحرص على الإتيان بالأفعال الحكيمة في حضرتهم.

-الانقسامية (النحن والآخر)

أو ما يُصطلح عليه بـ"تكايايت" عند إيموهاغ هو نوع آخر من المنافسة فإذا كانت المنافسة في آلية "تمانهيق" التي تمت الإشارة لها سابقاً تتم بين القبائل فإن ما اصطلاحنا عليه بالانقسامية (النحن والآخر) تكون المنافسة بين أفراد قبيلتين أو حتى أسرتين أو منطقتين (لذلك قد تكون بين أفراد القبيلة والأسرة الواحدة بفعل توزيعهم الجغرافي) بفعل المناسبات الاجتماعية (كالزيجات / أهل الزوج وأهل الزوجة في حالة زواج الأقارب) أو بدون سبب بهدف المرح فحسب، وقد تم ملاحظة وجود الآلية ميدانياً، بحيث كل طرف يحرص على أن يكون الأفضل على شتى الأصعدة، كما أنّ ذات الآلية ترتبط بالعامل الجغرافي كالقول على سبيل المثال: "كيل تظروك" و"كيل تاهيفت"؛ أي أفراد منطقة تظروك وأفراد منطقة قرية تاهيفت.

■ الآليات التفاعلية الميكروية

-تأفالت

تتضح ما يسمى بـ"تأفالت" عند إيموهاغ في العمليات الاتصالية المختلفة؛ لا يتم فيها توجيه الكلام بشكل مباشر؛ لتفادي عدم فهم الآخرين للكلام الموجه للمرسل إليه أو خوفاً من ردة فعل المرسل إليه (في حالة توجيه الكلام بشكل مباشر) أو لحفظ ماء وجه "المرسل" وعليه يختلف الهدف من استخدامها باختلاف المواقف بين الفاعلين وهناك من يرى بأن "آلية تأفالت" لها إمتداد تاريخي عند مجتمع إيموهاغ فقد جاءت من الطبيعة الحربية لمجتمع إيموهاغ قديماً؛ لأنّ "تأفالت" تعكس ما يسمى "أوفور" بمعنى "الاختباء واللاوضوح".

فقد ذكر أحد المبحوثين: "تأفالت فول إنين... إيموهاغ أنقوم أنمغن أبده (...). أزار لازم أفرن إمنسناواتلن... إواموسن...¹"

حسب ما ذهب إليه المبحوث "الطبيعة الحربية تفرض عدم الإفصاح عن الهوية وعن مكان الإقامة.... الخ وعليه "ترتبط بالآلية "السرية والتكتم".

إلا أنّ إيموهاغ مازالوا يستخدمونها وبكثرة؛ فعادةً يتم استخدام عبارة "إسغلاي*تأفالت"؛ فالعبارة تدل على المحاولات المتكررة والعفوية بحيث يتم ترقب ردة فعل الفاعل المستهدف.

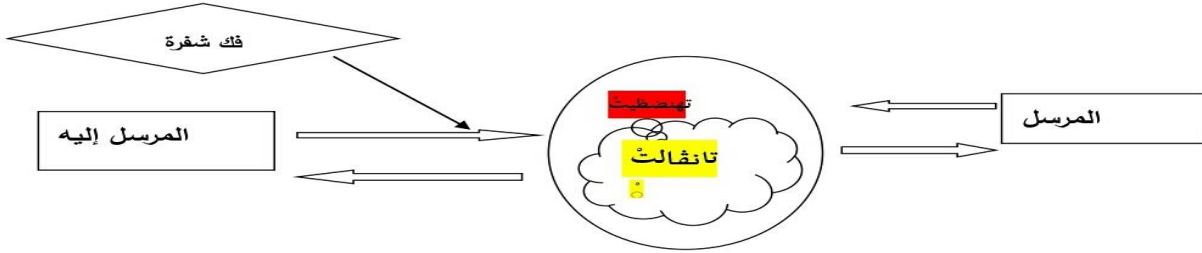
-الممازحة (تهنزازقت)

أو "تهنضطيت" وهي مستمدة من كلمة "تاضطا" والتي تعني الضحك، غير أنّه من خلال هذا النمط من العلاقات يتمكن الفاعلون من تمرير رسائل حقيقية وفقاً لمزيج "تأفالت-ممازحة"، فالممازحة من الممكن أن تكون "تأفالت" فتكون بذلك رسالة مشفرة بطريقة مرحة -إن صح التعبير -وبذلك فإنّه من الممكن جداً أن يؤدي هذا النمط من العلاقات دور الضابط الاجتماعي للأفراد.

¹. أ.ط. تامنغست. 2018/09/30.

إسغلاي بمعنى يقوم بتدويرها وهو فعل من المفردة "أغلاي"؛ أي الدوران.

أي المزاح فهي تتم بين الأقارب كأبناء العمات والأخوال أو ما يسمى عند إيموهاغ "إبوبة" وزوج الأخت والأخ أو ما يسمى بـ"إيلوسان"... الخ
تجدر الإشارة إلى أنّ علاقات المرح بين "إيلوسان" لا تنتهي حتى بعد طلاق الأخ أو الأخت من زوجها أو زوجته، أما عن العلاقة بين أبناء العمومة والأخوال ففيها يتم رفع الكلفة كليةً وهذا ما يجعلها مرحة، كما لا ننسى أنّ هناك خلفيّة ماديّة أخرى تجمع بين هذين الطرفين من العلاقة وهي "إغتينم" وهي نوع من العطاء المادي.
الشكل رقم (26): يوضح ثنائيّة "تانقالت" -ممازحة"



يُعد "عراك المرح" أو ما يسمى عند إيموهاغ بـ"تبلانت" إحدى مظاهر الممازحة، إذ قد يتخلل "عراك المرح" نوع من التهكم على الطرف الخاسر، وقد عرف مجتمع إيموهاغ هذا النوع من المرح منذ القدم ويكاد لا يخلو أي تجمع منه وقد كان قديماً - يتم جندياً (ذكر - أنثى)، كما أنّ للعبة طقوس وقواعد خاصة بها، ومن منظور سوسولوجي "عراك المرح" يُشجع على المنافسة وعلى تكريس مبدأ الأفضليّة والفوقيّة عند أفراد مجتمع إيموهاغ وذلك بنمط غير اعتيادي، وبالتالي توطد الإعتزاز بالنفس على الرغم من أنّ التهكم والذي يكون في نهاية العراك يكون لغاية المرح إلا أنّه يؤثر في التنشئة الاجتماعية للأفراد.

-ملكا-

تعمل هذه الآليّة التفاعليّة على الإنقاص من قدر ومكانة الآخر وقد يتم توظيف "تانقالت" للتعبير عنها وقد يلجأ الفرد لاستخدام ما يسمى بـ"إسكواز" وهو أكثر وضوحاً من "تانقالت".

عبارة "مندام يتيولكا" بالتماهق تعني بأنّ الآخرين لديهم نظرة دونية لفرد معين نظراً لعدة أسباب فقد يكون بسبب طباعه الشخصية، نسبه، عدم إهتمامه بهندامه ... الخ

روى أحد المبحوثين قصة من سيرته الحياتية، ما يمكن أن يتم الاستخلاص منه علاقة "تانفالت بملكا، فقد قال: " في عرف وتقليد إيموهاغ المرأة إذا تزوجت وهي صغيرة ولم يكن هناك توافق بينها وبين زوجها، يتم إرجاعها إلى ديار أهلها لمدة فتمكث شهراً كاملاً ويتم استرجاعها بعد ذلك... يقول: عملتُ حينها بالقاعدة حين واجهتني مشكلة مع زوجتي، فعدتُ لديار أهل زوجتي بعد شهر لاسترجاعها إلا أنّ والدها ذكر قائلاً: "أرزغن و فريك دس آمدن ...".¹

فقلت أنا: "أوال وان ملكا وتترضي يالس أتى فإيله، تانفالت ورغلي إدق ونلا ...".¹

من خلال الحوار السابق بين الزوج والحمو، هذا الأخير استخدم "تانفالت" فلم يتم بتوجيه الكلام مباشرة في حين الزوج رد بأنه فهم قصده بأنه تعبير عن "ملكا".

- إسكوار

هو أسلوب المعاييرة أمام الآخرين بهدف الإذلال أو لهدف دفع الآخر للإقدام على فعل ما (غالبًا يكون فعل حسن)، تستخدم عبارة "إيويت* أن سكوار"، وقد يلجأ البعض لهذه الآلية حين يعجز نصحه للآخر سراً في إحداث أي تغيير في أفعاله ويمكن القول في هذه الحالة يتم نقل النصح من الحيز الخاص إلى العام؛ أي أمام الآخرين، وتجدر الإشارة إلى أنه يتم توظيف "الممازحة" أحياناً بالموازاة مع "إسكوار"، بحيث تكون "الممازحة" هي المسيطرة حتى لا يتكون لدى

*بمعنى أنه لم تعد هناك أي حياة تجمعكما، يقصد الانفصال ... الحمو لم يوجه الكلام بشكل مباشر .

* هنا يعبر الرجل عن رفضه لما سمعه لأنّ فيه -حسب رأيه- إنقاص من قدره وذلك بسبب استخدام آلية "ملكا" و " تانفالت"

1. حصة إذاعية من إذاعة الجزائر من تامنغست "أمطار حضارة وتاريخ: حول المرأة في مجتمع إيموهاغ"، جانفي 2017.

*كلمة "إيويت" عند إيموهاغ تعني الضرب، أي كان الضرب، كما تعني أيضاً العزف كالقول "إويتنمزاد؛ بمعنى العزف على آلة الإمزاد"، وحيث يتم ضرب شيء ما فهو سيصدر صوتاً بالضرورة، هذا ما يعني بأنّ آلية "إسكوار" تكون أمام مجموعة من الأفراد، أي على مسمع من الجميع بذلك تؤدي وظيفتها أو الهدف من استخدامها.

الأخر انطباع سلبي فيكون هناك نوع من تقبل "إسكوار" والتجاوب معها، بعبارة أخرى آلية "الممازحة" في هذه الحالة تدعم آلية "إسكوار".*

قديمًا كانت تُؤدي القصائد الشعرية بين القبائل نفس وظيفة "إسكوار" من خلال قصيدة الذم والتي تسمى "تارفت".

من الصعوبة بمكان التفريق بين "إسكوار" و"تيمتين" نظرًا للتداخل الذي بينهما، كما أن العوامل المساعدة على إيجاد فرق جوهري بينها هي عوامل داخلية خاصة بالأفراد المتفاعلين ومن خلال الملاحظات يمكن القول بأن:

- "تيمتين" أقل سلبية من "إسكوار"، فمن يقوم باستخدامها غالبًا "المحب" فالشخص (أ) محب للعنصر (ب).

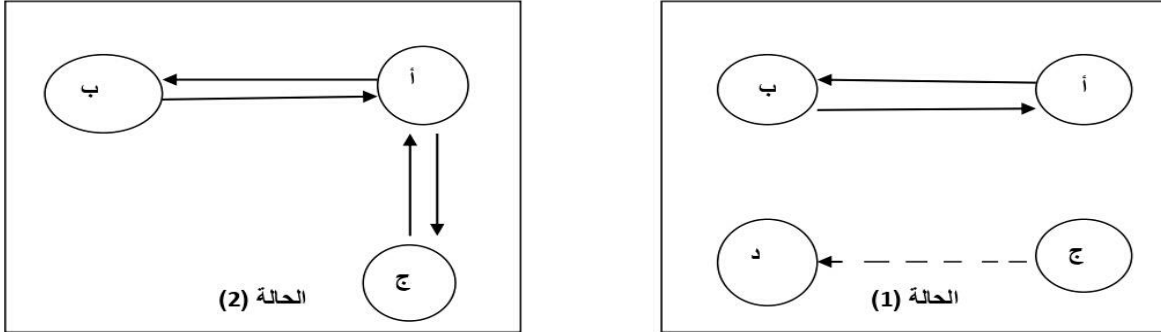
- شدتها السيكولوجية على العنصر (ب) غير أن من العوامل التي من شأنها التأثير نفسيًا على عناصر الشبكة المتعددة؛ مما يجعله يقوم بتأويل "تيمتين" على أنها "إسكوار".
- طبيعة شخصية العنصرين (أ) و (ب) .
- "تيمتين" بمثابة تحفيز إيجابي.

- تيمودا

ترتبط آلية "تيمودا" بالقرابة ويمكن القول بأنها تعمل على التعبير بمشاعر المودة والاحترام بين خطوط القرابة المختلفة (أولاد العمومة، أبناء الخالات، الأبناء، الإخوة، الأخوات... الخ) وهي تبرز رغبة الطرف الثالث في فعل مماثل، سنحاول شرحها من خلال الشكل التالي:

* "إسكوار"، فهي شبيهة بما يسمى بـ"شعائر انخفاض المكانة" لدى عالم الاجتماع الأمريكي Harold Garfinkel، وهي تركز على الجانب اللغوي، وهي أشبه بتكثير الفرد بوصمة عار وقد يكون ذلك من خلال مقارنته بآخر.

الشكل رقم (27): يوضح آلية "تيمودا"



فالفترض بأن الفرد (أ) قام بفعل إيجابي نحو الطرف (ب)، خصى الطرف (أ) الطرف (ب) بهذا الفعل دون غيره؛ يمدح أو يعبر فيه عن مدى احترامه للفرد (ب) وهو ابن عمته -على سبيل المثال -وذلك بحضور الفرد (أ) والطرف (ج) وهذا الأخير من الممكن أن تكون علاقته القرابية ضمن عدة احتمالات:

-أخ أو أخت أحد الطرفين (ب) أو (أ)

-أخ لهما كلاهما؛ بمعنى الأطراف (أ) و(ب) و(ج) هم إخوة

-قد يكون (ج) أجنبي أي لا تربطه أية صلة قرابة بينه وبين الطرفين (أ) و(ب).

-قد يكون الطرف (ج) والد أو والدة أحد الأطراف (أ) و(ب) أو كلاهما..... الخ

في حالة استخدام "تيمودا" (الحالة 1) يتم توظيف العبارة التالية: "يموداهي" من قبل الطرف (ج) للتعبير عن مطالبته بالفعل الموازي المماثل من قبل الطرف (د)، أما في حالة (الحالة 2) ما إذا كان الطرف (أ) وجه ذات الفعل نحو كلا الطرفين (ب) و(ج)، فهذا يعني عدم استخدام للآلية التفاعلية "تيمودا".

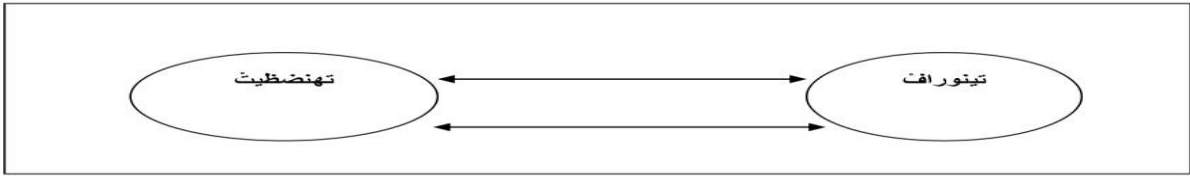
-تينوراف

نجد أن هناك وجه شبه بين "تيمودا" و"تينوراف" إذ أن كلاهما يعتمد على عنصر "القرابة" إلا أن "تيمودا" تركز على الجانب المعنوي في حين "تينوراف" تُبنى على الجانب المادي "العطاء"

"وبالعودة إلى الشكل السابق الذي يوضح آلية "تيمودا"، فالنفترض أنّ الطرف (أ) قام بوهب شيء ما للطرف (ب) وبحضور الطرف (ج) دائماً، بدل "العطاء المعنوي" -إن جاز القول- فإنّ الطرف (ج) سيقوم بردة فعل مماثلة كما في حالة "تيمودا"؛ لأنّه سيطلب هذه المرة بهبة ماديّة إما أن تكون مماثلة بالتي تلاقها نظيره (ب) أو أي شيئاً ذو قيمة من الطرف (د).

ومن الأهميّة بمكان الإضافة بأنّ دائرة الآلية "تينوراف" أحياناً تتسع عند إيموهاغ لتشمل عدد كبير جداً من الأطراف فبدل أن تشمل (أ) و(ب) و(ج) و(د) فقط؛ قد تشمل (أ، ب، ج، د، هـ، و، ف، ع... الخ)؛ لدرجة أنّها أحياناً تتجاوز المنطقة الجغرافيّة الواحدة فهي تتبّع أماكن تواجد الأقارب الموازيين؛ كما أنّه غالباً تتخلها "ممازحة"، أجواء مرحة.

الشكل رقم (28): يوضح تكامل الآلية "تينوراف" و"الممازحة" (تهنضيط)



العلاقة التي تجمع كل من الآليتين التفاعليتين "تينوراف" و"الممازحة" ليست علاقة "تداخل" كما في حالة "الممازحة" و"إسكوار" بل هي علاقة "تكامل -موازيّة؛ لأنّ في حالة "ممازحة" و"إسكوار" الفرد الذي يقوم باستخدامهما بحاجة إلى إخفاء استخدامه لـ"إسكوار" وإظهاره أكثر لـ"الممازحة"؛ لأنّ الآلية التفاعلية "إسكوار" تحوي جانباً سلبياً، أما في حالة "تينوراف" و"ممازحة"، فالأفراد ليسوا ملزمين بإخفاء أي منها؛ لأنّ كل الآليتين لا تحويان جانب سلبى.

-السريّة

ذكرنا فيما سبق حول الآلية "تانفالت" بأنّها تدل على عدم الرغبة بالإفصاح أو العمل على اللابوضوح وبالتالي هي تدعم بشكل غير مباشر "السريّة"، أو يمكن اعتبارها درجة من درجات "السريّة"، كما أنّ لها جذور تاريخيّة تعود للطبيعة الحربيّة لمجتمع إيموهاغ قديماً هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك تخوف أفراد إيموهاغ البدو قديماً لكل ما هو رسمي، كما أنّ لدى أي جماعة

جانب سري لا تود الكشف عنه أو بعض الأمور التي تعتبرها "طابو" لا يتوجب الحديث عنها، فقد ذكر أحد المبحوثين بأنه في زمن مضى كان هناك صحفي بصدد إعداد مقال حول إيموهاغ فقام باستجواب أحد النسوة الكبيرات في السن، هذه الأخيرة لم تكن تتقن اللغة العربية وحين صدور المجلة لم تتم الإشارة إلى من كان يقوم بالترجمة؛ غير أنّ أهالي تلك المنطقة عبروا عن استيائهم الشديد حيال ما صرحت به المرأة المسنة وبعد أن بلغهم خبر الجريدة قاموا بالبحث عن من قام بالترجمة. ذكر المبحوث بأنّ سبب استيائهم ناتج عما صرحت به المرأة المسنة بأنهم كانوا عبيداً فيما مضى... "وقد بلغ بهم الأمر إلى درجة منع من قام بالترجمة من المكوث بالمنطقة لمدة عامين..."¹

نستنج من خلال ما ذكره المبحوث بأنّ "التكتم" هو سمة من سمات إيموهاغ أحياناً خوفاً من السمعة السيئة، فـ"السرية" ترتبط غالباً بنبذ الفضيحة وصون الخصوصية، فهي تُظهر أيضاً احترام الأفراد لبعضهم البعض أو "ما يسمى بـ"سمغار".

وتجدر الإشارة إلى أنّ السرية ترتبط أيضاً بمسألة الإدخار والتخوف من الفضيحة أو ما يسمى عند إيموهاغ بـ"أوكشف"، فقد أشارت إحدى المبحوثات إلى الأمر بأنّ الهدف من الإدخار حتى في حالات الندرة الشديدة والتي سببها الجفاف بالقول: "أمغار أنت أيتاوين ُتيناوت.."; بمعنى الضيف يمكنه نشر الثرثرة والإشاعة والعمل على نشر الأحوال المزريّة لأهل البيت؛ لذلك فالغرض من الإدخار ليس لأهداف اقتصادية معيشية بل أيضاً بهدف التستر وتجنب الفضيحة فيتم بذلك حفظ كرامة وسمعة أهل البيت.

¹ أ.ط. تامنغست. 2018/09/30.

* هذه الآلية تتسبب -غالباً- في إعاقة البحث الميداني.

-إبير افن/تاهولت

الجدول رقم (9): تحليل محتوى حصة إذاعية من إذاعة الجزائر من تامنغست "الأهفار حضارة وتاريخ" جانفي 2017

فئة الموضوع: المرأة في مجتمع إيموهاغ			
رقم الوحدة	وحدات التحليل	ت	%
1	ربط المرأة في مجتمع إيموهاغ بـ تانفالت -سمغار -أشك -تايتي -تظديرت -سرهو	05	56
2	حفاظ المرأة في مجتمع إيموهاغ على هويتها في المناطق الريفية وتغيرها في المدن	04	44.44
	المجموع	09	100

أشرنا سابقاً إلى أهمية الاعتبار الاجتماعي عند مجتمع إيموهاغ وما يسمى بـ: "إبير افن" يُقصد بها التقاخر سواء كان التقاخر بسبب النسب، الحسب، الجاه والمال، العلم، المظهر الحسن... الخ. انطلاقاً مما سبق وبما أنّ "عمليات البيع الصغيرة" مرتبطة أساساً بالعنصر النسوي في هذه الدراسة؛ علاوةً على مكانة المرأة ودورها في مجتمع إيموهاغ عامةً نجد أنّ الجدول الموالي والذي يوضح تحليل محتوى لحصة إذاعية من إذاعة الجزائر من تامنغست (أهفار حضارة وتاريخ/جانفي 2017) حول المرأة في مجتمع إيموهاغ يُشير إلى أنّ الآليات التفاعلية السابق ذكرها وثيقة الصلة بالمرأة عند مجتمع إيموهاغ:

نلاحظ من خلال هذا الجدول أنّ ما يقارب 56% من محتوى الحصة تم الربط فيه بين المرأة في مجتمع إيموهاغ بمجموعة من الآليات المختلفة من أهمها: (تانفالت، أشك، سمغار، تايتي وسرهو*... الخ)، والسبب يعود إلى دور المرأة ومكانتها ضمن الأسرة في مجتمع إيموهاغ، كما يُشير ذات الجدول إلى عنصر مهم وهو "حفاظ المرأة في مجتمع إيموهاغ على هويتها في المناطق الريفية وتغيرها في المدن بنسبة ما يقارب 44%؛ مما يُشير إلى أهمية إجراء الدراسة على مجتمع

*تايتي "تعني التصرف بتعقل أما ما يسمى "سرهو" عند إيموهاغ فمن الصعوبة بمكان إيجاد مفهوم واضح له، فهو يتم استخدامه لوصف سحر شيء ما أو تصرف راقى أو شخص ما.

إيموهاغ الريفي، فالمرأة الريفيّة في مجتمع إيموهاغ مازالت تُحافظ على أهم الآليات التفاعلية عند إيموهاغ؛ لأنّ غياب تلك الآليات يعني غياب ما اصطّلحنا عليه سابقاً بـ"تموهغة"؛ أي طبيعة مجتمع إيموهاغ.

2. وصف نشاط الآليات التفاعلية وتحليل نماذج من الشبكات التفاعلية

تأتي أهمية وصف نشاط الآليات التفاعلية المختلفة وتحليل نماذج من الشبكات التفاعلية المختلفة؛ في أنّها تُساعدنا على معرفة الكيفية التي تتدخل بها الآليات التفاعلية المختلفة كـ"إسكوار" و"تينوراف" في عمليات الكسب التقليدية والمتمثلة في "العادة المكسبة" و"عمليات البيع الصغيرة" عند مجتمع إيموهاغ الريفي تافرفاست والكيفية التي يمكن بها اعتبار طرق الكسب السابقة ممارسة تديرية.

لمعرفة الكيفية التي تنشط بها الآليات التفاعلية المختلفة تم اختيار طريقة الجداول* لوصف نشاط الآليات التفاعلية ضمن الشبكات التفاعلية المختلفة، وكحاولة لحصر أكبر قدر ممكن من المتغيرات اشتملت الجداول على المعطيات التالية:

- الحدث أو المناسبة الاجتماعية: تم إدراج هذا العنصر لمساعدتنا على التحليل والتفسير، فالمناسبات الاجتماعية المختلفة تؤثر على طبيعة التفاعل بين الأفراد.
- عدد الأفراد المكونين للشبكة التفاعلية (بالدقة أو بالتقريب): ضمن كل شبكة يُعتبر عدد الأفراد عنصراً مهماً؛ لأنّه يمثل حجم الشبكة.
- عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات التفاعلية (بالدقة أو بالتقريب) لمعرفة مدى ديناميكية الشبكة التفاعلية.
- عدد الآليات التفاعلية التي تم توظيفها ضمن الشبكة التفاعلية الواحدة مع ذكرها
- وجود شبكة مجاورة من عدمه.
- التقارب العمري بين الأفراد المكونين للشبكة الواحدة.

*هناك من يعتبر عملية البحث الكيفي عملية فنية مرنة؛ إذ يمكن استخدام طرق وأساليب توضيحية كثيرة ومتنوعة في ذات الوقت وطريقة الجداول وجدنا أنّها مناسبة للوصف باعتبار أنّ الدراسة وصفية أساساً.

- وجود جندي آخر من عدمه: تكمن أهمية إدراج هذا العنصر لوصف الشبكة التفاعلية ومدى نشاط الآليات التفاعلية نظراً لمدى أهميته عند مجتمع إيموهاغ الريفي خاصة، ولمعرفة إن كان الاختلاط بين الجنسين يؤثر في نشاط الآليات التفاعلية.
- أ. نشاط الآليات التفاعلية ضمن الشبكات التفاعلية الصغرى (أقل من عشرة أفراد)

تجدر الإشارة بأنه تم تقسيم الشبكات التفاعلية المختلفة لتسهيل عملية تحليلها ومن الأهمية بمكان التوضيح بأن هذه النماذج تُعد كعينة فقط من عدد لا حصر له من الشبكات التفاعلية المختلفة التي يمكن تشكيلها.

الجدول رقم (10): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (1) من الشبكات التفاعلية

وجود جندي آخر	التقارب العمري بين الأفراد	وجود شبكة مجاورة	عدد الآليات التفاعلية	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الأفراد (بالتقريب)	المناسبة
			نعم	2	أقل من عشرة	زيجة
x	x	x	لا	1		ممازحة

نلاحظ من خلال الجدول أنّ هذه الشبكة التفاعلية تتكون من أقل من عشرة أفراد وعدد الآليات التفاعلية واحدة والتي تمثلت في "الممازحة"، يمكن القول بأنّ هذه الشبكة ضعيفة من ناحية نشاط الآليات التفاعلية نظراً لعدد الآليات التفاعلية المستخدمة فيها وعدد الأفراد المكونين للشبكة وقد يعود السبب إلى عدم وجود شبكة مجاورة وعدم وجود تقارب عمري بين الأفراد، نشاط الآليات التفاعلية ضعيف رغم أنّ المناسبة الاجتماعية عامل مساعد على نشاطها غير أنّه تم تسجيل مناسبة غير سارة بإحدى المناطق المجاورة*، كما أنّ عدم وجود تقارب عمري بإمكانه إعاقة نشاط

* وفاة بمنطقة "إندلاي" وهي إحدى المناطق القريبة من قرية تاهيفث.

الآليات؛ نظراً لوجود كبار السن أو ما يسمى "إضولان"*؛ مما يفرض ضرورة الاحترام، كما أن طبيعة الآلية التفاعلية "الممازحة" لا تشبه على سبيل المثال "تينوراف" و"تيمودا"* فهاتين الآليتين لديهما طبيعة استفزازية - إن جاز القول - لبقية الأفراد المكونين للشبكة التفاعلية وحتى الغائبين عن الشبكة التفاعلية.

أما "الممازحة" لوحدها تكون موجهة لفرد معين غالباً إلا في حالة تدخل بقية أفراد الشبكة التفاعلية من تلقاء أنفسهم أو في حالة تضمنت الآلية التفاعلية "الممازحة" آلية "إسكواز" ومن خلال توظيف هذه الأخيرة هناك احتمالية استفزاز بعض الأفراد من الشبكة وبالتالي إمكانية حدوث أو استخدام الآلية "تيمودا" و"تينوراف" ومن ثم احتمالية مشاركة عدد أكبر من الأفراد في تنشيط الآليات التفاعلية، فالممازحة التي تم استخدامها ضمن هذه الشبكة لا تحوي أي آلية أخرى.

الجدول رقم (11): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (2) من الشبكات التفاعلية

المناسبة	عدد الأفراد (بالدقة)	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالدقة)	عدد الآليات التفاعلية	وجود شبكة مجاورة	التقارب العمرى بين الأفراد	وجود جندي آخر
يوم عادي	5	1	1	نعم	X	X
				لا	x	

*إضولان تعني الحماة والحمو بالدرجة الأولى ثم أعمام وعمات وأخوال وخالات الزوج أو الزوجة.

**تيمودا تعني العمل على التعبير بمشاعر المودة والاحترام بين خطوط القرابة المختلفة (أولاد العمومة، أبناء الخالات، الأبناء، الإخوة، الأخوات... الخ) وهي تبرز رغبة الطرف الثالث في فعل مماثل. أما "تينوراف" فهي شبيهة بـ"تيمودا" غير أن "تينوراف" تُبنى على الجانب المادي "العطاء".

نُلاحظ من خلال الجدول بأنّ النموذج رقم (2) للشبكة التفاعلية يتكون من خمسة أفراد فقط وعدد المفعلين فرد واحد وقد تم استخدام الآلية التفاعلية "تأناثت*" وذلك قد يعود لسببين إثنين: نظراً لاحترام المرأة المسنة وهي الفرد المفعول وكذلك نظراً لوجود نوع من الخلاف بينها وبين باقي الأفراد المكونين لهذه الشبكة، كما أنّ للحضور الجندي أثر على عدم الاستجابة من قبل الأفراد المكونين للشبكة التفاعلية.

الجدول رقم (12): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (3) من الشبكات التفاعلية

المناسبة	عدد الأفراد (بالدقة)	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالقريب)	عدد الآليات التفاعلية	وجود شبكة مجاورة	التقارب العمرى بين الأفراد	وجود جندي آخر
	7	الجميع	2	نعم		
زيارة ضيف			تيمودا- ممازحة	لا	x	x

نلاحظ من خلال الجدول التوضيحي لهذه الشبكة بأنها تتكون من سبعة أفراد (يمثلون أسرة ممتدة الحماية وزوجات الأبناء وبناتها)، لاحظنا أنّ نسبة التلقائية عالية جداً، كما أنّ عدم وجود جندي مخالف وعدم وجود شبكة تفاعلية مجاورة زاد من الألفة التي بين أفراد الأسرة الممتدة وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك آلية حاضرة رغم عدم استخدامها بشكل مباشر وهي "آلية النحن أو الانقسامية" وذلك ما تُشير له المناسبة تشكل الشبكة التفاعلية "زيارة ضيف"، إذ أنّ الضيف ليس من نفس المنطقة؛ مما يزيد من استخدام "الممازحة" لإعطاء انطباع جيد عنهم. وبالرغم من أنه معروف على مجتمع إيموهاغ بأنه بين الحماية وزوجات الأبناء أو البنات نوع أو آلية "أشك*" هي ما يتم استخدامه فمن المعيب فقد الاحترام.

*لا يتم فيها توجيه الكلام بشكل مباشر؛ لتفادي عدم فهم الآخرين للكلام الموجه للمرسل إليه أو خوفاً من ردة فعل المرسل إليه (في حالة توجيه الكلام بشكل مباشر) أو لحفظ ماء وجه "المرسل".

*ترتبط بقيم المروءة والحياء؛ فهي التي تُحدد للفرد الأماهغ ما يتوجب عليه فعله في المواقف المختلفة.

الجدول رقم (13): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (4) من الشبكات التفاعلية

وجود جندري آخر	التقارب العمري بين الأفراد	وجود شبكة مجاورة		عدد الآليات التفاعلية	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الأفراد (بالتقريب)	المناسبة
	X	X	نعم	2	2	4	عمل ورشي
X			لا	-إسكوار -ممازحة			

النموذج السابق يصف شبكة تفاعلية خاصة بأربعة رجال* إذ تم استخدام آليتين تفاعليتين من طرف فردين وهما "إسكوار" والممازحة"، إذ جرى الحديث حول مسألة الانتماء القبلي لأحدهم؛ ولأنّ هذه المسألة تُعد موضوعاً مهماً يرتبط بالمكانة الاجتماعية عند مجتمع إيموهاغ فمن الممكن أن يؤدي استخدام آلية التفاعلية "إسكوار" لوحدها إلى صراع فعلي بين الأفراد؛ لذلك تم استخدام الآلية التفاعلية "الممازحة" معها.

الجدول رقم (14): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (5) من الشبكات التفاعلية

وجود جندري آخر	التقارب العمري بين الأفراد	وجود شبكة مجاورة		عدد الآليات التفاعلية	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الأفراد (بالتقريب)	المناسبة
X4			نعم	2	1	5	عيادة مريض
	X	X	لا	■ ممازحة ■ أشك			

نلاحظ أنّ هذا النموذج من الشبكة التفاعلية يتكون من خمسة أفراد: أربعة رجال وإمراة واحدة؛ لذلك تم استخدام الآلية التفاعلية "أشك" ذلك ما يفسر عدم مشاركة أغلبية الأفراد المكونين للشبكة

*تم رصد هذه الشبكة عن طريق سرد أحد عناصرها وبشكل تلقائي.

*هي شبيهة بما يسمى بـ"سائر انخفاض المكانة" لدى عالم الاجتماع الأمريكي Harold Garfinkel، وهي تركز على الجانب اللغوي، وهي أشبه بتذكير الفرد بوصمة عار وقد يكون ذلك من خلال مقارنته بآخر.

في الآلية التفاعلية "الممازحة"؛ لأن الآلية التفاعلية "أشك" تمنع بعض الآليات التفاعلية أو بالأحرى لا تتوافق معها خاصة "الممازحة" إذ أنها لا تتناسب كثيراً والاحترام بعكس الآلية التفاعلية "إيرافن"، كما أن مناسبة عيادة مريض سبب إضافي لعدم تنشيط الأفراد المكونين لهذه الشبكة التفاعلية بتفعيل الآليات التفاعلية الأخرى.

نلاحظ من خلال الجدول رقم (15) بأن هذه الشبكة التفاعلية تشكلت بفعل زيارة بائع أجنبي للمنطقة "تافرست تان أداموسن"، فعدد الأفراد كان أربعة فقط والمفعلين إثنان وأحد الأفراد المكونين للشبكة كان من تافرست تان عثمان؛ أي الضفة الأخرى من المنطقة.

الجدول رقم (15): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (6) من الشبكات التفاعلية

المناسبة	عدد الأفراد (بالتقريب)	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الآليات التفاعلية	وجود شبكة مجاورة	التقارب العمري بين الأفراد	وجود جندي آخر
زيارة بائع أجنبي للمنطقة	4	2	1	نعم	x	
			النحن - الانقسامية	لا	x	

وتجدر الإشارة إلى أنّ ما دفعنا للتركيز أكثر على هذه التفاصيل في الجدول أعلاه رقم (15) هو الآلية المستخدمة "النحن - الانقسامية"؛ فهذه الأخيرة لا تهدف إلى الانقسام السلبي - إن جاز القول - بقدر ما ترمز لنوع من المنافسة وقد توضحت استخدام الآلية من خلال استخدام العبارة التالية: "أكسغ تراكيط*"؛ بحيث تعني الدعوة لاقتناء شيء ما من عند البائع الأجنبي عن المنطقة

*ترتبط بقيم المروءة والحياء؛ فهي التي تُحدد للفرد الأماغ ما يتوجب عليه فعله في المواقف المختلفة

*هي سمة شخصية وتعني "التفاخر" فقد يتفاخر الفرد بحسبه، نسبه، ماله أو أي شيء آخر أو حتى بدون أي سبب.

*بمعنى "إشتري شيء ما حتى لا يُقال بأننا لا نملك شيئاً".

خاصة وأنه يتقن لغة أهل المنطقة؛ بحيث كان الهدف من استخدام تلك الآلية هو إعطاء انطباع جيد للبائع الأجنبي على تلك المنطقة ومنه جعل البائع يقوم بزيارتهم بين الفينة والأخرى خاصة مع قلة محلات يمكن الاقتناء منها.

الجدول رقم (16): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (7) من الشبكات التفاعلية

المناسبة	عدد الأفراد (بالقريب)	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالقريب)	عدد الآليات التفاعلية	وجود شبكة مجاورة	التقارب العمري بين الأفراد	وجود جندي آخر
يوم عادي	حوالي 8	3-4	2	نعم X		
			<ul style="list-style-type: none"> ▪ تيمودا ▪ تيميتين 	لا	X	X

على الرغم من وجود شبكة تفاعلية مجاورة، كما أنّ نوع الآليات المفعلة (دينامكية)، بحيث يُفترض أن تسمح بتدخل العديد من الأفراد، إلا أنّ عدد الأفراد المفعلين كانوا نصف الشبكة الأصلية فقط وحسب ما يوضحه الجدول أعلاه فإنّ عدم وجود تقارب عمري بين أفراد الشبكة التفاعلية الذي قد يكون سبباً يضعف الآليات التفاعلية وقد يعود السبب إلى عدم وجود الأقارب الموازيين باعتبار أنّ أحد الآليات التفاعلية التي تم استخدامها تعتمد أساساً على "القرابة" والسبب الثالث المحتمل هو الآلية التفاعلية "تيميتين*" والتي كما ذكرنا فيما سبق بأنها تُستخدم بين فردين تجمعهما روابط قوية وعليه قد يكون الأفراد المكونين للشبكة التفاعلية لم ينتبهوا لاستخدام الآلية التفاعلية الأخرى، بحيث طغت الآلية التفاعلية "تيميتين" على الآلية التفاعلية "تيمودا*".

*"تيميتين" أقل سلبية من "إسكوار"، فمن يقوم باستخدامها غالباً "المحب وهي بمثابة تحفيز إيجابي.

*تعمل على التعبير بمشاعر المودة والاحترام بين خطوط القرابة المختلفة (أولاد العمومة، أبناء الخالات، الأبناء، الإخوة، الأخوات... الخ) وهي تبرز رغبة الطرف الثالث في فعل مماثل.

تجدر الإشارة إلى أنه في بعض الأحيان الآليات التفاعلية التي تتم ملاحظتها ليست هي نفسها لدى الأفراد المفعلين فلكل فرد طريقته في تأويل الآليات التفاعلية سواء الموجهة له أو الموجهة لأحد العناصر المكونة للشبكة التفاعلية ونمط التأويل هو ما يجعل عنصر يستجيب للآليات حتى وإن لم تكن موجهة له بشكل مباشر.

ب. نشاط الآليات التفاعلية ضمن الشبكات التفاعلية الكبرى (من عشرة أفراد فما فوق)

الجدول رقم (17): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (8) من الشبكات التفاعلية

المناسبة	عدد الأفراد (بالتقريب)	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الآليات التفاعلية	وجود شبكة مجاورة	التقارب العمري بين الأفراد	وجود جندي آخر
زيجة	حوالي 40	3-4	3	نعم X		
			<ul style="list-style-type: none"> ▪ إسكواز ▪ إيرافن* ▪ تينوراف 	لا	X	X

نلاحظ من خلال الجدول أنّ الشبكة التفاعلية تتكون من أكثر من عشرون فرداً وقد تم توظيف ثلاث آليات تفاعلية وهي: إسكواز*، إيرافن*، تينوراف*، يمكن القول بأنّ الآليات التفاعلية ليست نشطة وذلك يعود إلى أنّ عدد الأفراد مقارنة بعددها (أي الآليات التفاعلية) كبير، كما أنّ عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل تلك الآليات وكما يوضحه الجدول يتراوح بين 3-4 أفراد فقط

*هي شبيهة بما يسمى بـ"شعائر انخفاض المكانة" لدى عالم الاجتماع الأمريكي Harold Garfinkel، وهي تركز على الجانب اللغوي، وهي أشبه بتذكير الفرد بوصمة عار وقد يكون ذلك من خلال مقارنته بآخر.

*هي سمة شخصية وتعني "التفاخر" فقد يتفاخر الفرد بحسبه، نسبه، ماله أو أي شيء آخر أو حتى بدون أي سبب.

*تعمل على التعبير بمشاعر المودة والاحترام بين خطوط القرابة المختلفة (أولاد العمومة، أبناء الخالات، الأبناء، الإخوة، الأخوات...الخ) وهي تبرز رغبة الطرف الثالث في فعل مماثل.

بالإضافة إلى وجود شبكة تفاعلية مجاورة من المفترض أن تدعم نشاط الآليات وعدد الأفراد الفاعلين؛ مما يعني أنّ هناك عدد لا بأس به من الأفراد لم يشارك في تفعيل الآليات وبالعودة إلى نوع الآليات المستخدمة نجد أنّ الآلية التفاعلية "تينوراف" تعتمد على عنصر "القرب" قلة نشاط الشبكة التفاعلية قد يكون مرده أنّ الأفراد المتواجدين لا تربطهم صلة قرابة بالأفراد الأربعة أو الثلاثة الفاعلين خاصة وأنّ المناسبة الاجتماعية (زيجة)؛ مما يعني احتمالية وجود أفراد أجنب بالاضافة إلى إمكانية عدم إتقان اللغة وهذا السبب كاف لعدم مشاركتهم ليس فقط ضمن آلية "تينوراف" إنّما أيضًا "إسكوار" و"إبيرافن"، وهناك احتمال أنّ عدد الأفراد المشاركين في تفعيل الآليات التفاعلية يعود إلى عدم وجود تقارب عمري بين الأفراد المكونين للشبكة التفاعلية، فقد يعود الأمر إلى عدم وجود أي انسجام اجتماعي بين الأفراد بسبب غياب التقارب العمري بينهم. تعتمد غالباً الآليات التفاعلية على مدى قدرة الأفراد الفاعلين على استقزاز بقية الأفراد المكونين للشبكة التفاعلية ومادام من يقومون بتفعيل الآليات التفاعلية قليلون مقارنة بعدد المكونين للشبكة التفاعلية من الممكن أن يُشير الأمر إلى قدرتهم المحدودة؛ مما سبب تراجعهم؛ أي توقف هؤلاء على تفعيل الآليات التفاعلية لعدم تلقيهم أي استجابة أو لقلّة تلقي الاستجابات المتوقعة. بالإضافة إلى ما سبق، تجدر الإشارة إلى أنّ الشبكة التفاعلية السابقة كانت تحوي أفراد من المدينة فهؤلاء أقل تأثراً من أفراد المجتمع الريفي.

الجدول رقم (18): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (9) من الشبكات التفاعلية

المناسبة	عدد الأفراد (بالقريب)	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالدقة)	عدد الآليات التفاعلية	وجود شبكة مجاورة	التقارب العمري بين الأفراد	وجود جندي آخر
صدقة	حوالي 12 فرد	4	5	نعم	X	X
			-طلب مادي -تينوراف -إسكوار -إبيرافن -ممازحة	لا		X

نلاحظ من خلال الجدول أنّ الشبكة التفاعلية تتكون من حوالي إثنا عشرة فرداً وقد تم توزيع عدد لأبأس به من الآليات التفاعلية (خمسة)، وذلك إذا ما تمت مقارنة عدد الأفراد وعدد الآليات التفاعلية التي تم توزيعها وكذلك عدد الأفراد المفعلين للآليات التفاعلية والذي بلغ عددهم أربعة أفراد، يمكن القول بأنّ نشاط الآليات التفاعلية قد يعود إلى وجود الشبكة التفاعلية المجاورة كما أنّ هناك تقارب عمري بين أفراد الشبكة التفاعلية، فـ"الممازحة" كآلية نجد أنّها من المنطقي أن تكون بين أفراد يجمعهم تقارب عمري غالباً، كما تجدر الإشارة إلى وجود عامل القرابة ما أدى إلى تفعيل الآلية التفاعلية "تينوراف" وعدم وجود أفراد أجنب (أي لا تجمعهم أية صلة قرابة) مع أنّ الطرف الاجتماعي كان "صدقة" أو ما يسمى بـ"تيكوتاوين".*

الجدول رقم (19): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (10) من الشبكات التفاعلية

المناسبة	عدد الأفراد (بالتقريب)	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الآليات التفاعلية	وجود شبكة مجاورة	التقارب العمري بين الأفراد	وجود جندي آخر
عيادة	12	2	2	نعم		X
مريض			-ممازحة - تانثالت	لا	X	

نلاحظ من خلال الجدول بأنّ الشبكة التفاعلية تتكون من إثنا عشرة فرداً إلا أنّ عدد المفعلين للآليات التفاعلية هما فردين لاغير يعود السبب إلى المناسبة تشكل الشبكة التفاعلية فهي ليست بالمناسبة السارة، كما أنّه لا يوجد تقارب عمري بين أفراد الشبكة الواحدة بالإضافة إلى وجود جندي

* يتم التصديق عند إيموهاغ كغيرهم من الأفراد في حالات عدة وفي هذه الحالة يكون "التصدق" بدعوة الجيران وأهالي المنطقة ومناطق أخرى لوجبة الفطور أو العشاء ويتم ذلك مرة في كل عام.

مختلط (رجال - نساء) فاستخدام آلية "الممازحة" جاء من أجل تغيير الجو السائد أما آلية "تانفالت*" فجاءت للاحتفاظ بالاحترام بين الآباء والأبناء باعتبار أنّ الشبكة تكونت من آباء وأبناء ويمكن الإشارة إلى أنّه لدى مجتمع إيموهاغ في حالة حضور أبناء العمّة والخال في ذات الشبكة مع الآباء والأبناء لا يمنع حدوث بعض المناوشات الهزليّة المرحة؛ ممّا يعني أنّ السبب في عدم تفعيل أغلب الفاعلين للآليات التفاعلية لا يعود إلى تواجد الآباء والأبناء في ذات الشبكة إنّما هو الاحترام لمناسبة تشكل الشبكة التفاعلية (عيادة مريض).

الجدول رقم (20): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (11) من الشبكات التفاعلية

المناسبة	عدد الأفراد (بالقريب)	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالقريب)	عدد الآليات التفاعلية	وجود شبكة مجاورة	التقارب العمري بين الأفراد	وجود جندي آخر
الاحتفال بمولود جديد	حوالي 25	حوالي 15	6	نعم		
			<ul style="list-style-type: none"> ▪ تيمودا ▪ تينوراف ▪ ملكا ▪ إيبراقن ▪ تانفالت ▪ ممازحة 	لا	X	X

عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات التفاعلية والآليات التفاعلية ذاتها يتسمان بالكثرة مقارنةً بكل الشبكات التفاعلية التي تم تحليلها سابقاً ومقارنةً أيضاً بحجم الشبكة التفاعلية (25 فرداً)؛ ممّا يعني أنّ أغلب الأفراد المكونين للشبكة التفاعلية يقومون بتفعيل الآليات التفاعلية، كما أنّه تم توظيف أغلب وأهم الآليات التفاعلية فيها وذلك بتأثير من المناسبة تكون الشبكة بالإضافة إلى وجود شبكات تفاعلية مجاورة لها.

*لا يتم فيها توجيه الكلام بشكل مباشر؛ لتفادي عدم فهم الآخرين للكلام الموجه للمرسل إليه أو خوفاً من ردة فعل المرسل إليه (في حالة توجيه الكلام بشكل مباشر) أو لحفظ ماء وجه المرسل.

مما يعني بأن نوع المناسبة تشكل الشبكة التفاعلية ووجود شبكات تفاعلية مجاورة لها وحجم الشبكة ذاتها ساهم في استخدام عدد لا بأس به من الآليات التفاعلية أو تنوع استخدام الآليات تفاعلية مختلفة.

أما عن الجدول رقم (21) أدناه فنلاحظ بأن الشبكة التفاعلية تتكون من حوالي 13 فرداً، كما أنّ نصف أفرادها يقومون بتفعيل الآليات التفاعلية، يمكن القول بأن نشاط الآليات التفاعلية ضعيف إذا أخذنا بعين الاعتبار نوع المناسبة الاجتماعية وكذلك نوع الآليات التفاعلية المستخدمة رغم أنّه لا توجد شبكة تفاعلية مجاورة.

الجدول رقم (21): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (12) من الشبكات التفاعلية

وجود جندري آخر	التقارب العمري بين الأفراد	وجود شبكة مجاورة	عدد الآليات التفاعلية	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالقريب)	عدد الأفراد (بالقريب)	المناسبة
			2	6	حوالي 13	زيجة
X	X	X	لا	<ul style="list-style-type: none"> ▪ تيمودا ▪ ممازحة 		

من الجدير بالذكر أنّ الآلية التفاعلية "الممازحة" تُستخدم في أغلب الشبكات التفاعلية لأفراد مجتمع إيموهاغ وذلك ما يوضحه الملحق رقم (1) والمدرج ضمن هذه الدراسة، إذ نجد أنّ نفس الجداول وبذات المعطيات تتكرر.

الجدول رقم (22): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (13) من الشبكات التفاعلية

وجود جندري آخر	التقارب العمري بين الأفراد	وجود شبكة مجاورة	عدد الآليات التفاعلية	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الأفراد (بالتقريب)	المناسبة
		X	نعم	2	3-4	حوالي 20
X	X		لا	ممازحة أشك		زيجة

ما يميز هذه الشبكة أنها تمت فيها عملية وهب؛ إلا أنه لم يتم استخدام آلية "تينوراف" من أي من العناصر المكونة للشبكة التفاعلية، كما هو متوقع على الرغم من استخدام الآلية التفاعلية "ممازحة"، كما أن حجم الشبكة التفاعلية كبير، يُمكن القول بأن عامل تنوع المناطق التي ينتمي لها العناصر المكونين للشبكة يمثل عاملاً مؤثراً في قلة نشاط الآليات التفاعلية؛ مما يعني أنه وبطريقة غير مباشرة تم استخدام الآلية التفاعلية "أشك" من قبل أغلب الأفراد المكونين للشبكة التفاعلية.

الجدول رقم (23): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (14) من الشبكات التفاعلية

وجود جندري آخر	التقارب العمري بين الأفراد	وجود شبكة مجاورة	عدد الآليات التفاعلية	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الأفراد (بالتقريب)	المناسبة
X			نعم	1/2 الأولى	حوالي 10	زيجة
	X	X	لا	/تيمودا- ممازحة 1/الثانية -النحن- الانقسامية تهنضطيت	4 / الأولى 2 / الثانية	

*هي شبيهة بـ"تيمودا" غير أن "تينوراف" تُبنى على الجانب المادي "العطاء"، فهي تتشأ بسبب منح العنصر (أ) (ب) هدية على سبيل المثال بحضور العنصر (ج).

*ترتبط بقيم المروءة والحياة؛ فهي التي تُحدد للفرد الأماهغ ما يتوجب عليه فعله في المواقف المختلفة.

في الجدول الخاص بالشبكة التفاعلية النموذجية رقم (14) تم توضيح شبكة تفاعلية ثنائية، إلا أنه في هذه الحالة تكون الشبكة الثانية لم يأت بفعل نشاط الآليات التفاعلية بل بفعل إنضمام عناصر جدد للشبكة التفاعلية الأولى، إذ تم استخدام في الشبكة التفاعلية الأولى الآلية التفاعلية "تيمودا-ممازحة" وفي الشبكة التفاعلية الثانية تم استخدام "النحن-الانقسامية" مع الآلية التفاعلية "الممازحة"، أحياناً انقسام الشبكة التفاعلية الواحدة يكون بفعل استخدم الآلية التفاعلية "السرية"، وما يجعل الآليات مترادف وتتغير الأدوار في تبادل استخدام الآليات هو المعرفة الجيدة للأفراد المكونين للشبكة التفاعلية؛ ما يعني التأكد من استجابة الأطراف خاصة العناصر المفعلة وبالتالي استغلالها.

يبدو نشاط الآليات التفاعلية حسب ما يوضحه الجدول رقم (24) ضعيف إن أخذنا المناسبة بعين الاعتبار وكذلك نوع الآليات المستخدمة، كما أن الآليتين (تمازح* والنحن-الانقسامية) اللتان إجتمعتا في نفس الشبكة التفاعلية من شأنهما زيادة عدد الأفراد المشاركين في عملية تفعيل للآليات التفاعلية، خاصة مع وجود شبكة تفاعلية مجاورة، غير أنه يمكن تفسير ضعف نشاط الآليات التفاعلية بقلّة الأفراد المعنيين بالآلية التفاعلية النحن الانقسامية، خاصة مع تخفيف آلية "الممازحة" حدة الردود.

الجدول رقم (24): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (15) من الشبكات التفاعلية

وجود جندري آخر	التقارب العمري بين الأفراد	وجود شبكة مجاورة		عدد الآليات التفاعلية	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الأفراد (بالتقريب)	المناسبة
X		X	نعم	<ul style="list-style-type: none"> ■ ممازحة ■ تمازح ■ النحن ■ الانقسامية 	4	حوالي 12	زيجة
	X		لا				

توقف أحد العناصر من استخدام الآلية "الممازحة" بعد أن تأكد من استياء العنصر المستخدم لآلية "تماظ"، بالإضافة إلى عدم استجابة أحد العناصر بالشكل المطلوب بالإضافة إلى عامل وجود جندي آخر.

ج. نشاط الآليات التفاعلية ضمن الشبكات التفاعلية غير المعروفة الحجم

تأثير بعض الآليات التفاعلية قد يمتد لفترة زمنية طويلة (تتجاوز العامين)؛ بمعنى أنه قد نجد شبكة تفاعلية تشكلت منذ سنوات؛ لكن الآليات التفاعلية التي تم استخدامها مستمرة في الحاضر؛ مما يدل على أن الأفراد في مجتمع إيموهاغ يولون أهمية كبيرة لبعض الآليات التفاعلية، فأحياناً ما يجعل الاستجابة تطول زمنياً هو غياب الأفراد الذين تتوجب عليهم الاستجابة في النقطة الزمنية الأولى بالإضافة إلى عدم وجود أفراد آخرين مفعلين للآليات هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن تجاذب أطراف الحديث "تنفوسين" فمن أجل تحقيق مكاسب أخرى يلجأ بعض الأفراد إلى حيلة "السرد"؛ للحصول على المزيد من المكاسب بالإضافة إلى أن بعض الأفراد يربطون هباتهم بحدوث أمر معين في حياتهم ومنه يقدمون وعوداً هذا ما يجعل "العادة المكسبة" ترتبط بالمعتقدات. يجب الإشارة إلى أن هناك فرق بين رد المبحوثين لاستخدامهم لبعض الآليات واستمرارية الاستجابة لشبكات تفاعلية قديمة في الحاضر وغالباً ما تكون هذه الآليات التفاعلية هي الآليات التفاعلية الماكروية (أشك، تمانهيق*، ملكا*) فكلاهما مجهول في حين الثانية هناك شبكتين مرتبطتين ببعضهما والأخرى متواجدة في الماضي.

الشبكات التفاعلية التي بدون عدد أفراد هي ذات سيرورة تاريخية يتم استخراجها بالملاحظة بالمعايشة أثناء سرد الأفراد تحت الملاحظة لأحداث من الماضي ففي هذه الحالة قد لا يسرد بعض الأفراد الأحداث أو مجريات الشبكة التفاعلية التي كانت منذ سنوات بدقة؛ مما يشكل نقض في المعطيات حول تلك الشبكة ومع ذلك تكتسب الشبكات التفاعلية المجهولة نسبياً نظراً لقدمها

*تدل على وجود نوع من المنافسة والحذر بين قبائل إيموهاغ المختلفة. وبالتالي "تمانهيق" تفرض على أفراد كلا القبيلتين توخي الحذر والتعامل مع بعضهم البعض بكامل الاحترام والرقى والحرص على الإتيان بالأفعال الحكيمة في حضرتهم.

*تعمل هذه الآلية التفاعلية على الإنقاص من قدر ومكانة الآخر. غالباً بشكل دائم وليس في موقف معين.

أهمية بالغة، فبقاء التفاصيل في ذهن الأفراد يدل على أهمية تلك الآليات التي تم استخدامها من قبل البعض منذ زمن.

الجدول رقم (25): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (16) من الشبكات التفاعلية

المناسبة	عدد الأفراد (بالقريب)	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالقريب)	عدد الآليات التفاعلية	وجود شبكة مجاورة	التقارب العمري بين الأفراد	وجود جندي آخر
يوم عادي	مجهول	مجهول	1	نعم		x
			تينوراف	لا	x	

حسب ما ذهب إليه أحد الباحثين فإنّ الشبكة التفاعلية الأولى تشكلت منذ أكثر من ثلاث سنوات؛ لأنّ استخدام الآلية التفاعلية "تينوراف" يُعد بمثابة دين يمكن تأجيل استجابتها لأجل غير مسمى.

الجدول رقم (26): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (17) من الشبكات التفاعلية

المناسبة	عدد الأفراد (بالقريب)	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالقريب)	عدد الآليات التفاعلية	وجود شبكة مجاورة	التقارب العمري بين الأفراد	وجود جندي آخر
يوم عادي	مجهول	مجهول	1	نعم		x
			تيمودا	لا	x	

*هي شبيهة بـ"تيمودا" غير أنّ "تينوراف" تُبنى على الجانب المادي "العطاء"، فهي تنشأ بسبب منح العنصر (أ)ل(ب) هدية على سبيل المثال بحضور العنصر(ج).

ما يميز هذه الشبكة هو الوهب باستخدام "تيمودا*؛ لكن ليس بطريقة موازية (أي ليس بين ابن العم العنصر "أ" وابن العم العنصر "ب" وهكذا دواليك) استخدام الآلية في هذه الحالة يرتبط بمستوى المعتقدات* التي يؤمن بها بعض الأفراد كالقول بأن إهداء شجرة عنب لأحدهم من شأنه زيادة الرزق فتحل البركة في حصاده الفلاحي مدى الحياة ويُعتبر "النسب" كراسمال رمزي في هذه الحالة عامل أساسي.

الجدول رقم (27): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (18) من الشبكات التفاعلية

المناسبة	عدد الأفراد (بالتقريب)	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الآليات التفاعلية	وجود شبكة مجاورة	التقارب العمري بين الأفراد	وجود جندي آخر
زيجة	مجهول	مجهول	1	نعم		x
			ملكا	لا	x	

سبق وأن ذكرنا بأن استخدام بعض الآليات يكون بشكل مرح يرافقه المزاح إلا أنه في بعض الأحيان قد يتسبب استخدام بعض الآليات في صراع فعلي بين الأفراد، فالجدول رقم (27) يوضح إحدى الآليات التي استخدمت في شبكة تفاعلية منذ عامين حسب ما ذكره أحد المبحوثين* وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الشبكات التفاعلية التي يتم فيها استخدام الآليات التفاعلية المختلفة

*تعمل على التعبير بمشاعر المودة والاحترام بين خطوط القرابة المختلفة (أولاد العمومة، أبناء الخالات، الأبناء، الإخوة، الأخوات... الخ) وهي تبرز رغبة الطرف الثالث في فعل مماثل.

*لقد تمت الإشارة إلى هذا النمط من العطاء ضمن عنصر الأنماط المختلفة عند مجتمع إيموهاغ.

*تعتمد على سرد المبحوثين؛ لأنه لم يتم استجوابهم بشكل مباشر بالإضافة إلى أنه لم يتم التصريح أصلاً بأننا في إطار بحث (ملاحظة بالمعاشرة)، كما أنه من خلال مجريات الملاحظة المبحوث غالباً ما لا يكون له نية في السرد.. بحيث تجري الأمور بشكل عفوي -انسيابي.

وتكون أغلب معطياتها مجهولة يقوم المبحوثون بسردها بشكل تلقائي دون تدخل الباحث؛ أي السؤال عنها؛ مما يعني بأن تلك الآليات ذات تأثير قوي على هؤلاء الأفراد.

وكما يوضحة الجدول رقم (28) فإن عمر الشبكة التفاعلية أكثر من 20 سنة وحسب طريقة سرد المبحوثون لم يتسبب استخدام الآلية "ملكا*" والتي كانت بدون النطق بأي كلام، فكما هو معروف لدى مجتمع يموهاغ بأن للثام وطريق لبسه معاني جمى فقد تعني الحذر، الاحترام أو الإخفاض من مكانة الآخر؛ أي أنه بدون النطق بأي كلمة يُعتبر الفرد قد استخدم آلية بمعنى غياب آلية قد يعني بالضرورة استخدام آلية أخرى حتى أن لم يتكلم العنصر ضمن الشبكة وحتى ردة الفعل قد تتأخر وفي حالة تأخرها يعني العناصر قامت باستخدام "أغري* وأشك" كآلية تفاعلية. الجدول رقم (28): يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (19) من الشبكات التفاعلية المجهولة العدد

المناسبة	عدد الأفراد (بالقريب)	عدد الأفراد الذين يقومون بتنفيذ الآليات (بالقريب)	عدد الآليات التفاعلية	وجود شبكة مجاورة	التقارب العمري بين الأفراد	وجود جنري آخر
يوم عادي	مجهول	2	2	نعم م		
(منذ سنوات أكثر من 20 سنة)			ملكا أغري - أشك	لا	م	X

تجدر الإشارة إلى نقطة أخرى أن استخدام الآليتين السابقتين من شأنه تأجيل الاستجابة ففي هذه الحالة لجأ الأفراد إلى عنصر آخر للتعبير عن استجابتهما.

*تعمل هذه الآلية التفاعلية على الإنقاص من قدر ومكانة الآخر.

*التصرف بإتزان وحكمة وتقادي الثثرة.

خلاصة ومقارنة تفسير المعطيات الإمبريقية حول نشاط الآليات التفاعلية وحجم

الشبكة التفاعلية

تتوزع المعطيات الكيفية التي تم عرضها سابقاً (بعد عملية ترتيبها وتنسيقها)* على المراحل الثلاث من عملية المقارنة المستمرة، غير أنه تم الاحتفاظ بخلاصة كل مرحلة على حدة لمقارنتها ببعضها البعض:

من خلال المرحلة الأولى من عملية "المقارنة المستمرة" في هذه الدراسة توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

- هناك آليات تفاعلية ترتبط بالمستوى المصغر (أي بين الأفراد)، إذ يتم استخدامها بين أفراد الأسرة الواحدة والقبيلة الواحدة في حين هناك آليات تفاعلية ترتبط بالمستوى الأكبر (القبلي)؛ في هذه الحالة تشكل عائقاً لعمليات البيع الصغيرة وبالمقابل تدعم ما اصطالحنا عليه بـ"العادة المكسبة".
- نشاط الآليات التفاعلية، كثرتها وتنوعها يرتبط بنوع الآليات المستخدمة ذاتها ضمن الشبكة التفاعلية الواحدة على سبيل المثال الآلية التفاعلية "تينوراف"* لها قدرة عالية على زيادة نشاطها ونشاط آليات أخرى مختلفة أكثر من الآلية التفاعلية "تانقالت"*؛ لأنه قل من يفهمها، وعلى حسب الرابط أو العلاقات التي تربط الأفراد المكونين للشبكة التفاعلية وليس بعددهم؛ لأنّ هناك آليات تفاعلية تمس حتى الأفراد الغائبين عن الشبكة التفاعلية، كما تعتمد على مدى قدرة هؤلاء الأفراد على استفزازهم -إن جاز القول- لبقية الأفراد المكونين للشبكة التفاعلية أو حتى الشبكة المجاورة إن وجدت، فكلما زادت قدرتهم في التأثير على بقية الأفراد المكونين للشبكة؛ كلما زادت احتمالية زيادة نشاط الآليات التفاعلية كما وتنوعاً.

*لتسهيل فهمها من قبل القارئ.

*هي شبيهة بـ"تيمودا" غير أنّ "تينوراف" تُبنى على الجانب المادي "العطاء"، فهي تنشأ بسبب منح العنصر (أ)-ل(ب) هدية على سبيل المثال بحضور العنصر(ج).

*لا يتم فيها توجيه الكلام بشكل مباشر؛ لتفادي عدم فهم الآخرين للكلام الموجه للمرسل إليه أو خوفاً من ردة فعل المرسل إليه (في حالة توجيه الكلام بشكل مباشر) أو لحفظ ماء وجه "المرسل".

- توظيف بعض الآليات التفاعلية قد يعطي نتيجة غير متوقعة بالنسبة لبعض الأفراد مثل الآلية التفاعلية "مكا*".
 - إذا كان هناك تقارب عمري بين أفراد الشبكة التفاعلية الواحدة وتم استخدام الآلية التفاعلية "الممازحة" فإنه من المتوقع مشاركة عدد لا بأس به من الأفراد المكونين لتلك الشبكة بغض النظر عن حجم الشبكة التفاعلية.
 - تواجد كبار السن ضمن شبكة تفاعلية معينه من شأنه إعاقة نشاط بعض الآليات التفاعلية.
 - وجود أفراد غير إيموهاغ يقلل من نشاط الآليات التفاعلية حتى وإن كانت المناسبة أو الظرف الاجتماعي مناسب وحجم الشبكة التفاعلية كبير أو متوسط.
 - وجود شبكة تفاعلية مجاورة يُنشط الآليات التفاعلية في حالة توفر ظرف مناسب وعدم وجود عناصر أفراد غير إيموهاغ عن الشبكة التفاعلية.
- أما عن المرحلة الثانية من عملية "المقارنة المستمرة" في هذه الدراسة توصلنا إلى الخلاصات التالية:

- الآليات التفاعلية تعمل بشكل ثنائي غالباً تكون مرافقة للآلية التفاعلية "الممازحة" أو "تانفالت*"؛ لأن هاتين الآليتين تقومان بتخفيف حدة الصراع الفعلي بين الأفراد في حالة وجود خلاف حقيقي بينهم أو تقومان بالحيولة دون قيام صراع فعلي بين الأفراد في حالة وجود علاقات وروابط جيدة بين أفراد الشبكة التفاعلية الواحدة.
 - لدى مجتمع إيموهاغ إجمالاً الآلية التفاعلية المستخدمة بين الحماة وزوجات الابن أو البنت هي "أشك*" إلا أنه من خلال ملاحظتنا إتضح بأن بعض الأسر الممتدة قد تكسر القاعدة.
- لاحظنا بأن اجتماع العوامل التالية تؤدي إلى نشاط مكثف للآليات التفاعلية:

*تعمل هذه الآلية التفاعلية على الإنقاص من قدر ومكانة الآخر.

*لا يتم فيها توجيه الكلام بشكل مباشر؛ لتفادي عدم فهم الآخرين للكلام الموجه للمرسل إليه أو خوفاً من ردة فعل المرسل إليه (في حالة توجيه الكلام بشكل مباشر) أو لحفظ ماء وجه "المرسل".

*ترتبط بقيم المروءة والحياء؛ فهي التي تُحدد للفرد الأماهغ ما يتوجب عليه فعله في المواقف المختلفة.

- الظرف الاجتماعي الإيجابي.
- شبكات تفاعلية كبيرة الحجم.
- وجود شبكات تفاعلية مجاورة.
- الوجود الجندري؛ أي في حالة كانت الشبكة كلها نساء مع وجود بعض الرجال أو العكس.
- وجود أفراد معينين، حيث يختص بعض الأفراد -غالباً-بتفعيل وتنشيط الآليات التفاعلية.
- لاحظنا بأنه إذا تضمنت الشبكة التفاعلية أفراد غير إيموهاغ أو تضمنت أفراد من مناطق مختلفة فإن الآليات التفاعلية المستخدمة غالباً هي: الآلية التفاعلية النحن الانفسامية و"أشك" و"تمانهيق".
- أما عن المرحلة الثالثة من عملية تجمع المعطيات فخلاصتها:
- تدخل عنصر بعد مدة من الزمن في تفعيل الآليات التفاعلية أو لمجرد تدخله فقط قد يكون بداية لتشكيل شبكة جديدة.
- ما يجعل الآليات تترادف هو المعرفة الجيدة للأفراد المكونين للشبكة التفاعلية بعضهم بعضاً؛ ممّا يعني التأكد من استجابة الأطراف، خاصة المفعلة وبالتالي استغلالها.
- بعض الآليات التفاعلية تكتسب استمرارية زمنية (قد تمتد استجابتها لسنوات).
- تتدخل بعض العوامل التي تتّصف بالتعقيد في الآلية التفاعلية "تيمودا" و"تينوراف"؛ ممّا يعني أنها لا ترتبط بالضرورة بمسألة القرابة الموازية.

*تدل على وجود نوع من المنافسة والحذر بين قبائل إيموهاغ المختلفة. وبالتالي "تمانهيق" تفرض على أفراد كلا القبيلتين توخي الحذر والتعامل مع بعضهم البعض بكامل الاحترام والرقي والحرص على الإتيان بالأفعال الحكيمة في حضرتهم.

*تعمل على التعبير بمشاعر المودة والاحترام بين خطوط القرابة المختلفة (أولاد العمومة، أبناء الخالات، الأبناء، الإخوة، الأخوات... الخ) وهي تبرز رغبة الطرف الثالث في فعل مماثل.

*هي شبيهة بـ"تيمودا" غير أنّ "تينوراف" تُبنى على الجانب المادي "العطاء"، فهي تنشأ بسبب منح العنصر (أ)ل(ب) هدية على سبيل المثال بحضور العنصر(ج).

▪ عدم الاستجابة لبعض الآليات التفاعلية أحياناً يوازي استخدام الآلية التفاعلية "ملكا".
نلاحظ من خلال مقارنة الخلاصات المتوصل إليها في المراحل الثلاث بأنه لا يوجد أي تناقض أو تطابق بينهما بل يوجد تكامل في تفسير المعطيات بين المرحلة الأولى والثانية والثالثة، على سبيل المثال نأخذ تفسيرين إثنين كمثال:

المرحلة الأولى: "كثرة الآليات وتنوعها يرتبط أيضاً بالعلاقة أو الرابط الذي يجمع الأفراد المكونين للشبكة".

في المرحلة الثانية: "في حالة وجود اللاتوافق بين عنصرين أو مجموعة عناصر ضمن شبكة تفاعلية معينة فإنّ التنوع في الآليات التفاعلية يكون منعماً ويتم الاقتصار على استخدام الآلية التفاعلية "تائفالت".

إذ في المرحلة الأولى من التفسير تمت الإشارة إلى تأثير العلاقة أو الرابط بين الأفراد إجمالاً بأنه يؤثر في تنوع وكثرة الآليات التفاعلية المستخدمة في شبكة تفاعلية معينة في حين في المرحلة الثانية من التفسير تم تحديد نوع العلاقة "اللاتوافق" وبأنه في هذه الحالة يتم استخدام الآلية التفاعلية "تائفالت" فقط.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ ما تم التوصل إليه في المرحلة الثالثة من جمع المعطيات يختلف عن ما تم التوصل إليه في المرحلتين الأولى والثانية من جمع المعطيات وذلك في نقطتين أساسيتين: عدم الاستجابة للآليات التفاعلية يعد في حد ذاته استجابة وغالباً ما يفسره الأفراد على أنه استخدام للآلية التفاعلية "ملكا"، كما أنه لا طالما اعتبرنا أنّ الآليتين التفاعليتين: "تيمودا" و"تينوراف" تتم ضمن نطاق القرابة، إلا أنه اتّضح بأنّ هناك عوامل أخرى تتدخل فلا تعد القرابة عاملاً أساسياً من أجل نشاطها؛ أي وجود أقارب أو إيجاد استجابات، تتمثل أهم العوامل في "التعاطف" فحتى وإن لم تجمع أية قرابة بين العنصرين (أ) و(ب) على سبيل المثال فإنّ (ب) يتدخل للاستجابة لصالح (أ) سواء في حضور أقاربه وعدم الاستجابته أو غيابهم بالمطلق، بالإضافة إلى أنّ هناك بعض الأفراد الذين يحملون اعتقاداً روحانياً -إن جاز القول- إتجاه نسب بعض

*تعمل هذه الآلية التفاعلية على الإنقاص من قدر ومكانة الآخر.

الأفراد، إذ يعتقدون أنه يرتبط بأمور إيجابية كحلول البركة وغيرها من المعتقدات، لذلك تجدهم يحاولون التقرب من هؤلاء من خلال الاستجابة لصالحهم في حال تم استخدام الآليتين السابقتين باتجاههم على الرغم من أنه لا تجمعهم بهم أية صلة قرابة.

الفصل الخامس: عملية التخطيط المرفق عند إيموهاغ

ناقرفاست



1. كيفية تحقيق الآليات التفاعلية مكاسب في العادة المكسبة

- أ. وصف العادة المكسبة عند إيموهاغ
- ب. مراحل العادة المكسبة واستخدام مجموعة من الآليات التفاعلية
- ج. اختلاف الآليات المستخدمة حسب نطاق العادة المكسبة
- د. كيفية توزيع المانحين لمكاسب العادة المكسبة على أفراد الأسرة
- هـ. تدهوث ومشاركة مكاسب العادة المكسبة مع آخرين
- و. العادة المكسبة وعامل الزمن
- ز. كيفية تحقيق الآليات التفاعلية الماكروية للكسب في العادة المكسبة
- ح. كيفية تحقيق الآليات التفاعلية الميكروية للكسب في العادة المكسبة

خلاصة ومقارنة

2. كيفية تحقيق الآليات التفاعلية مكاسب في عمليات البيع الصغيرة

- أ. وصف عمليات البيع الصغيرة عند إيموهاغ (أشكالها ومصادرها المالية)
- ب. الآليات التفاعلية كطرق ترويجية لعمليات البيع الصغيرة
- ج. استخدام الآليات التفاعلية الميكروية لتحقيق الكسب في عمليات البيع الصغيرة
- د. العطاء المادي كمحفز لاستخدام الآليات التفاعلية في عمليات البيع
- هـ. حالات غياب استخدام الآليات التفاعلية في عمليات البيع الصغيرة

خلاصة ومقارنة

1. كيفية تحقيق الآليات التفاعلية مكاسب في العادة المكسبة

تجمع عملية التخطيط المرعي عند مجتمع إيموهاغ الريفي (وفق هذه الدراسة) بين استخدام الآليات التفاعلية المختلفة لتحقيق الكسب في كل من: العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة، وعليه كان لابد من تقديم وصف شامل لكل طريقة من طرق الكسب التقليدية السابقة ومن ثم وصف الكيفية التي يتم فيها استخدام الآليات التفاعلية لغرض الكسب من خلال المواقف الإستراتيجية المختلفة.

أ. وصف العادة المكسبة عند إيموهاغ

العادة المكسبة* أو ما يسمى بـ"تيرفتين" عند مجتمع إيموهاغ، مفردة "تيرفتين" هي جمع لكلمة "تيرفت"، وفي لغة إيموهاغ، نجد بعض المفردات المشابهة لها على سبيل المثال "تيرفا" والتي مفردها "تيرفت" والتي يُقصد بها "الهضبة".

ويُشير البعض للعادة المكسبة "تيرفتين" أيضاً باسم "تهونان" (بكسر التاء) والتي مفردها "تهانينت" بمعنى "النعم والخيرات".

تجدر الإشارة بأنّ من الصعوبة بمكان تحديد ماهية ما يسمى بـ"تيرفتين" إذا كانت عبارة عن مساعدة، أو دين، فقد تُمنح لأحدهم بطلب منه أو من دون طلب، فهي تُمنح في المناسبات والظروف المختلفة التي يمر بها الأفراد، فنجد بعض أنماط العطاء التي تطرقنا لها سابقاً تستند إلى "تيرفتين"، فعلى سبيل المثال لا على سبيل الحصر نجد في المنطقة المدروسة في نمط العطاء "أهيوف" وباعتبار أنّ الوضع الاقتصادي لبعض الأفراد ضعيف يلجئون إلى جمع "تيرفتين" من مجموعة من الأفراد؛ من أجل الإلتزام بنمط العطاء "أهيوف"* أو أي نمط آخر من الأنماط السابق ذكرها.¹

*لم تتم ترجمتها على أنها هبة؛ لأنها ترتبط بشروط فهي ليست مجانية بالمطلق، بالإضافة إلى أنه حسب القاموس (عربي -عربي) فإن مفردة "هبة" هي العطية تُعطى بلا عوض؛ الشيء الموهوب، أما عن الهدية فهي "ما يبعث به إلى صديق إكراماً أو تودّداً.

* وهو ما يتم منحه للشبيه في الاسم، أحياناً يُشترط أن يكون بطلب من المسمى عليه وفي البداية تكون الهبة الأولى بعد التسمية مباشرة أي بعد أن يبلغ المولود سبعة أيام وتتووع طبيعة تلك الهبة على سبيل المثال هناك من يهب جمل، ناقة أو شاة... الخ

¹. مقابلة جماعية، تامنغست (تاهيفت)، 2017/07/20.

تعكس "العادة المكسبة" قيم التعاون والتكافل التي يعرفها مجتمع إيموهاغ بشكل عام، فقد عبر أحد المبحوثين وهو يتحدث عن أهميتها الاقتصادية على وجه الخصوص بالقول: "الجيران أيسكرسن إيهن*".

ب. مراحل العادة المكسبة واستخدام مجموعة من الآليات التفاعلية المختلفة

تمر عملية العادة المكسبة -حسب المعطيات الميدانية- بثلاث مراحل:

• المرحلة الأولى: مرحلة الإعلام:

تختلف أفعال الأفراد في هذه المرحلة من مراحل العادة المكسبة فنجد:

- منهم من يقوم بإعلام الآخرين بالمناسبة أو الظرف الاجتماعي فقط دون طلب مساعدة ودون استخدام الآلية التفاعلية "تائفالت*"; أي دون طلب "تيرفيث" بطريقة غير مباشرة.
- من يقوم بإعلام الآخرين بالمناسبة أو الظرف الاجتماعي مع طلب المساعدة باستخدام الآلية التفاعلية "تائفالت*"; أي الطلب "تيرفيث" بطريقة غير مباشرة.
- هناك من يقوم بإعلام الآخرين مع طلب المساعدة وبشكل مباشر وليس هذا فحسب بل ويُلح على ذلك.
- هناك من لا يقوم بالإعلام تماماً، إذ يقوم بعض الأفراد المقربين بالمبادرة من تلقاء أنفسهم -بالنيابة عنه- وذلك يعود لعدة أسباب محتملة كالحالة الاقتصادية، عدم مشاركته في عملية العادة المكسبة مع الآخرين من قبل، ومن الأهمية بمكان الإشارة بأن عدم المشاركة له ما يبرره أيضاً.

* يقصد مساعدات الجيران الاقتصادية والمعنوية في إقامة حفلات الأعراس.

* لا يتم فيها توجيه الكلام بشكل مباشر؛ لتفادي عدم فهم الآخرين للكلام الموجه للمرسل إليه أو خوفاً من ردة فعل المرسل إليه (في حالة توجيه الكلام بشكل مباشر) أو لحفظ ماء وجه "المرسل".

• المرحلة الثانية: مرحلة التوقع والمقارنة القبليّة

غالباً هناك أفراد معينين يُتوقع منهم "المشاركة بمساهمة" ذات مستوى عالٍ مقارنةً بغيرهم نظراً لمستواهم الإقتصادي والعلاقات القويّة معهم وقد يعود الأمر أيضاً لطبيعة هؤلاء الأفراد كإتصافهم بـ"إيرافن*" وحبهم للظهور أو الخير... الخ وبالمقابل هناك أفراد آخريّن يُتوقع منهم استقبال الطلب باللامبالاة، لذلك يمكن أن نصلح على الصنف الأول بـ"عناصر التوقع الإيجابي".

تجدر الإشارة إلى أنّه في هذه المرحلة من مراحل عمليّة العادة المكسبة تنشط الآليّات التفاعليّة بشكل كبير جداً فالعنصر (أ) يستغل عناصر التوقع الإيجابي لعقد مقارنة بينهم وبين الآخريّن حتى قبل أن تنطلق عمليّة التجميع من أجل تحقيق مكاسب أكبر وذلك من خلال استخدام آليّات تفاعليّة كـ"تيمال" ويكون ذلك بذكر محاسن هؤلاء ومساهماتهم السابقة بطريقة متعمدة أو غير متعمدة، بحيث يصبح هؤلاء إحدى وسائل العنصر (أ) لنشر أو تفعيل آليّة "تيمال" (المدح) بشكل أوسع، إذ تنتقل من العنصر (أ) إلى العناصر (ب) و(ج) و(د) على سبيل المثال ليقوم هؤلاء بنشر الآليّة ولكل ما سبق هدفين:

أولاً، حث المتوقع منهم أنفسهم على الدفع والدفع العالي.

ثانياً، وفي ذات الوقت نوع من "إسكوار*" وعقد المقارنة بين المتوقع منهم وغير المتوقع منهم وفي الأخير تجنب العنصر (أ) لعدم تحقيق مكسب بالمطلق.

• المرحلة الثالثة: مرحلة المقارنة البعديّة والتقييم

بعد استلام "المكاسب" أي انتهاء عمليّة جمع المكاسب تبدأ مرحلة مقارنة جديدة (بعديّة) بغرض التقييم لمراقبة دخول عناصر جديدة في دائرة التوقع السابقة الذكر من عدمه وخروج

*يقصد بها التفاخر سواء كان التفاخر بالمظهر، بالمال، بالنسب أو ما يسمى بـ "تاهولت" هي الجرأة؛ كالجرأة على الإقدام بفعل معين كإظهار القدرة الشرائيّة العاليّة.

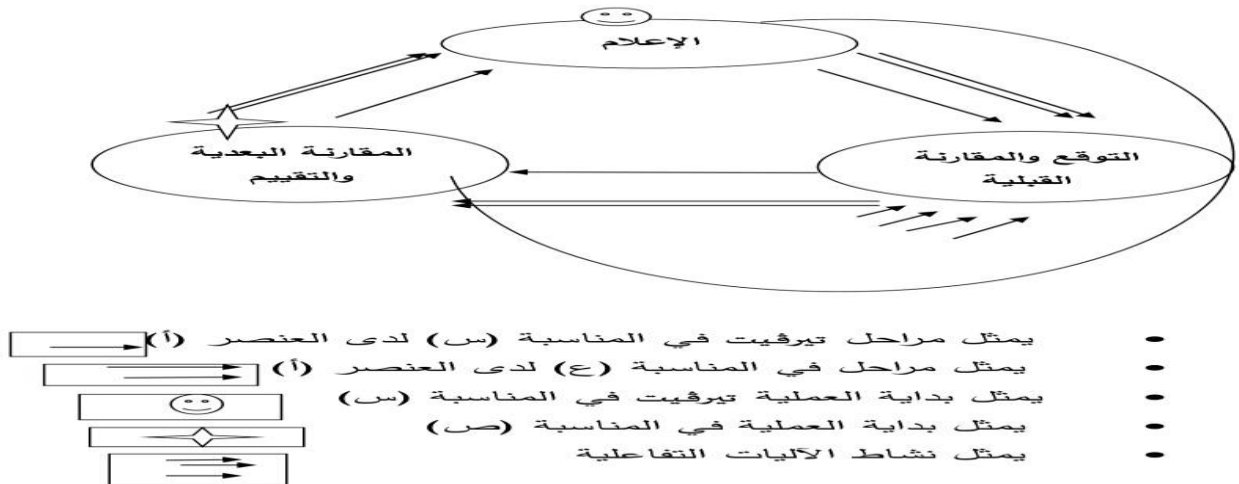
*"إسكوار"، شبيهة بما يسمى بـ"شعائر انخفاض المكانة" لدى عالم الاجتماع الأمريكي Harold Garfinkel، وهي ترتكز على الجانب اللغوي، وهي أشبه بتكثير الفرد بوصمة عار وقد يكون ذلك من خلال مقارنته بآخر.

البعض الآخر منها وأحياناً يكون الغرض أيضاً من هذه المرحلة هو وضع التقديرات لحجم الدين أو الإلزام الذي ينتج عن مستوى الاستفادة مستقبلاً، حتى أنّ هناك من يعتمد على التدوين وذلك من خلال كتابة قائمة اسمية لكل عملية للوفاء بالدين وذلك تجنباً لاستخدام العناصر المشاركة في العملية باستخدام الآلية التفاعلية "إسكوار*" ضد العنصر (أ) وكأنا نشهد نوع من "المنافسة" بين العنصر (أ) وباقي العناصر المشاركة في عملية العادة المكسبة وبالتالي العنصر (أ) يسعى للحفاظ على اعتباره وسمعته بين أفراد محيطه.

يمكن القول بأنّ المراحل السابق ذكرها ليست مراحل جامدة فهي تتّصف بالحيوية والاستمرارية، كيف ذلك؟

بحيث أنّ الأفراد يحتفظون بـ"عناصر التوقع الإيجابي الجديدة" وذلك من أجل التركيز عليهم في مرحلة الإعلام رقم (2) أي بعد مدة زمنية معينة حسب حاجة العنصر (أ) ومن ثم استغلالهم في مرحلة التوقع والمقارنة (2)؛ أي أنّ نهاية عملية "العادة المكسبة" في المناسبة (س) عند العنصر (أ) تُمثل بداية العملية في المناسبة (ع) لدى ذات العنصر.

الشكل رقم (29): يوضح مراحل العادة المكسبة وحيويتها



*إسكوار"، شبيهة بما يسمى بـ"شعائر انخفاض المكانة" لدى عالم الاجتماع الأمريكي Harold Garfinkel، وهي تركز على الجانب اللغوي، وهي أشبه بتذكير الفرد بوصمة عار وقد يكون ذلك من خلال مقارنته بآخر.

بما أنّ نهاية عمليّة العادة المكسبة (س) هي بداية لعمليّة العادة المكسبة (ع) بعد مدة زمنيّة معينة فإنّ هذه الأخيرة تنطلق بمعطيات جديدة تسمح للعنصر (أ) بتطوير آليّات تفاعليّة جديدة، كما أنّ معرفته بالعناصر الأخرى تتحسن، بحيث يُكون فكرة عن الآليّات التي تُؤثر فيهم، كما أنّ الأمر يعتمد على قصر أو طول المدة الزمنيّة بين (س) و(ع)، كما يعتمد أيضاً على طبيعة قائمة عناصر التوقع الجديدة".

ج. اختلاف الآليّات المستخدمة حسب نطاق العادة المكسبة

- بين أفراد الأسرة النوويّة الواحدة وقد يكون بطلب من رب الأسرة وقد يتم تحديد ما يجب منحه حين يكون الطرف أسري خاص وبالتالي يكون أفرادها بحاجة إلى مساهمات بعضهم البعض فقط وعليه يتم توظيف الآليّة التفاعليّة "النحن-الانقساميّة" - بين أفراد الأسرة الممتدة الواحدة، لمستوى الروابط الموجودة بين الأفراد علاقة باستخدام آليّات تفاعليّة أخرى غير النحن -الانقساميّة؛ لأنّ وجود صراعات بين الأفراد لايلغي مشاركتهم في العادة المكسبة، وهذا ينطبق على كل نطاق من نطاقات العادة المكسبة.

- بين أفراد القبيلة الواحدة وغالبًا ما يتم في هذه الحالة توظيف آليّة "تمانهيّق*"، الآليّة التفاعليّة النحن -الانقساميّة و"أشك*".

- بين أفراد المنطقة الواحدة مثلاً كيل تافرفاست: ففي هذه الحالة يتم توظيف آليّة "النحن والانقساميّة".

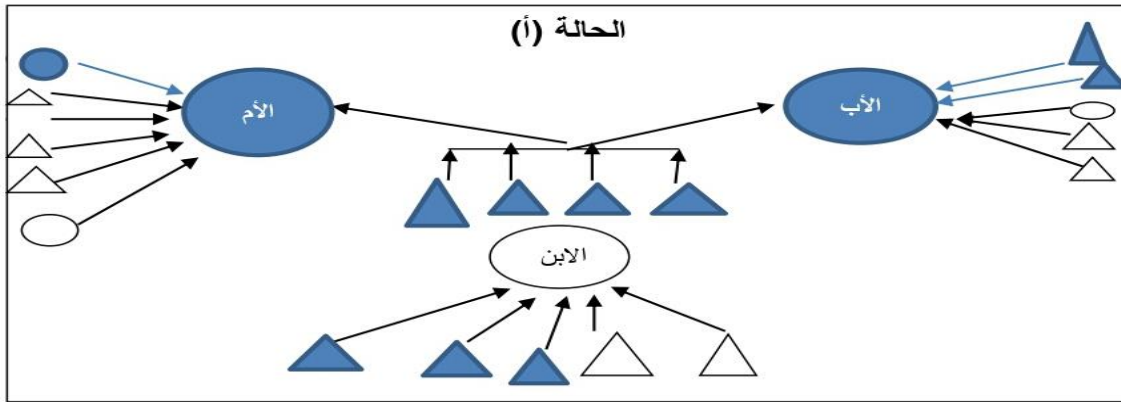
د. كفيّة توزيع المانحين لمكاسب العادة المكسبة على أفراد الأسرة

في عمليّة العادة المكسبة لا يتم المنح لشخص واحد أي ليس لرب الأسرة فحسب، أي أنّ عامل السن ليس العامل الوحيد الذي يتدخل في عمليّة التوزيع بل نجد بأنّ هناك عوامل أخرى

*تدل على وجود نوع من المنافسة والحذر بين قبائل إيموفاغ المختلفة. وبالتالي "تمانهيّق" تفرض على كل أفراد كلا القبيلتين توخي الحذر والتعامل مع بعضهم البعض بكامل الاحترام والرقى والحرص على الإتيان بالأفعال الحكيمة في حضرتهم. *ترتبط بقيم المروءة والحياء؛ فهي التي تُحدد للفرد الأماغ ما يتوجب عليه فعله في المواقف المختلفة.

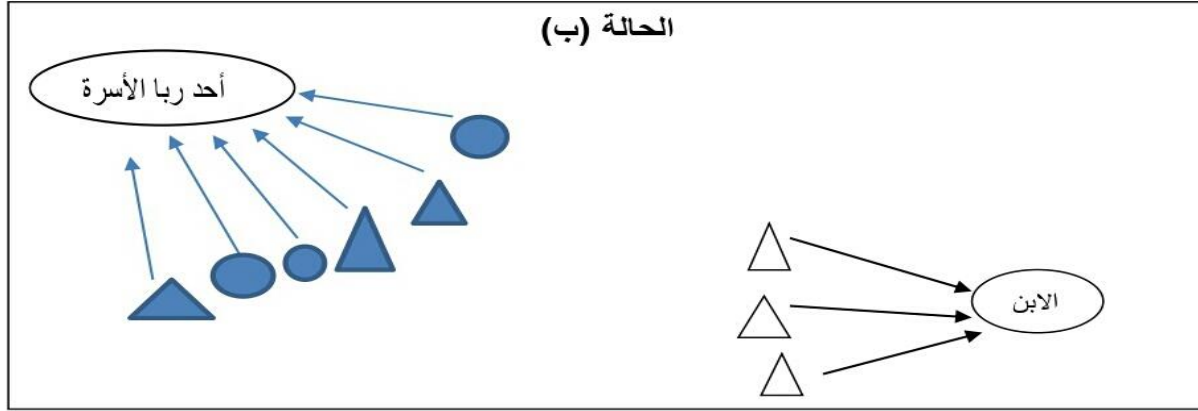
كالرأسمال الاجتماعي، مدى مشاركة كل فرد من أفراد الأسرة في عملية العادة المكسبة سابقاً؛ لكن بسبب عدم منحه للآخرين لا تكثر المكاسب الموجهة له هذا بخصوص الطريقة الأولى، أما الطريقة الثانية فتوجه لشخص واحد أو تمنح لشخصين الزوج والزوجة.

الشكل رقم (30): يوضح كيفية توزيع ما يتم تسديده في العادة المكسبة بين أفراد الأسرة الواحدة (الحالة أ)



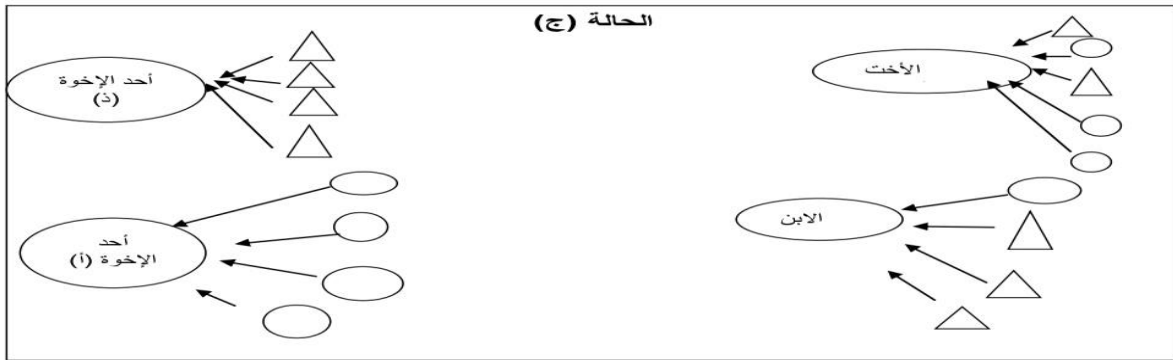
في حالة ما إذا كان الوالدين أو ربا الأسرة على قيد الحياة وكانت المناسبة الاجتماعية زيجة، فإنّ المكاسب تقسم على ثلاثة أفراد من الأسرة غالباً الأب والأم والابن أو الابنة المعنيان بالزيجة وغالباً هناك من الرجال من يقوم بمنح رب الأسرة فقط وبعضهم الآخر يقوم بمنح رب الأسرة وزوجته وهناك آخرون يقومون بمنح كليهما، أما العنصر النسوي قلماً يقوم بمنح رب الأسرة فأغلبهن يقمن بمنح ربّة البيت، أما الابن أو الابنة فيستلم المكاسب من جماعة الرفاق أو الأقارب من نفس الجنس الآخر كأن تقوم بنت الخالة بمنح ابنت خالتها وهكذا دواليك.

الشكل رقم (31): يوضح كيفية توزيع ما يتم تسديده في العادة المكسبة بين أفراد الأسرة الواحدة (الحالة ب)



في حالة وفاة أحد ربّ الأسرة فإنّ "مكاسب العادة المكسبة" توزع على فردين فقط، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الأشكال توضح توزيع المانحين الغالب على الإطلاق، فهذا لا يلغي وجود فرد أو فردين يمنحان لفرد رابع أو ثالث من الأسرة؛ أي أحد من جماعة الرفاق.

الشكل رقم (32): يوضح كيفية توزيع ما يتم تسديده في العادة المكسبة بين أفراد الأسرة الواحدة (الحالة ج)



في حالة وفاة كلا ربا الأسرة فالمانحين يتوزعون-غالبًا-على حسب أعداد أفراد الأسرة الأخ أو الأخت الكبرى، الابن المعني وبقية الإخوة شريطة أن يكونوا راشدين، أما عن عدد المانحين فهذا يعود لعدة عوامل ومن أهمها الديون السابقة (للوالدين المتوفيين أو أحدهما) أو على حسب

تيرفتين التي قام بمنحها أحد الإخوة للآخرين سابقًا وعلى حسب الرأسمال الاجتماعي للفرد؛ أي مستوى كثافة علاقاته الاجتماعية أو العكس.

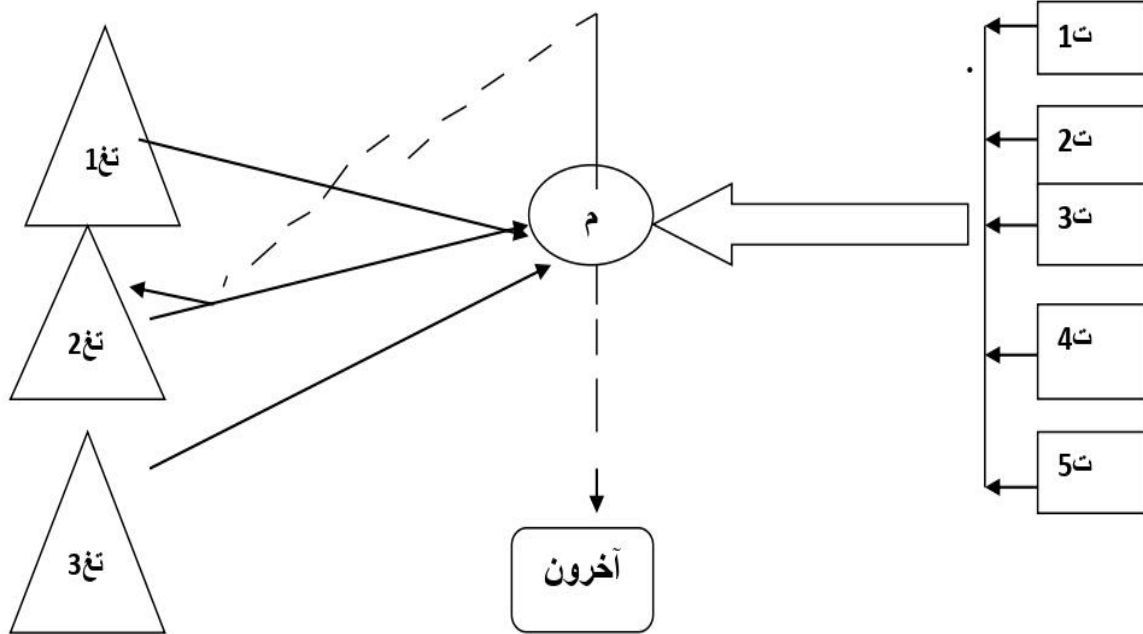
تجدر الإشارة إلى أنّ الحالات الثلاثة السابقة في المناسبات الاجتماعية "الزيجات"، أما عن الحالات الأخرى كالمرض أو حلول كارثة بإحدى الأسر كتلف ممتلكاتهم أو غيرها فغالبًا تمنح "تيرفتين" للمعني مباشرة في حالة المرض بشرط أن يكون راشدًا أو لأحد أو كلا والديه حتى وإن كان راشدًا.

هـ. "تغهوت" ومشاركة مكاسب العادة المكسبة مع آخرين

هي ما يطلق على "العادة المكسبة" غير النقدية والتي تكون على شكل أكل أو ماشابه ذلك وقد لاحظنا أنّها لا تطلق على "تيرفتين" حتى وإن كانت مواد غذائية (كسكس، زيت، حليب... الخ)، في حالة ما إذا كانت ذات حجم وقيمة عالية أي يمكن القول بأنّ ما يُصطلح عليه "بتغهوت" عند إيموهاغ هو شكل من أشكال "العادة المكسبة" ذات الحجم الصغير وتكون عينية وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض الأفراد من الذين قدمو "تغهوت" يستفيدون من "مكاسب العادة المكسبة" المقدمة في نهاية المناسبة الاجتماعية؛ ممّا يعني أنّهم طرف ثاني مستفيد من "تيرفتين" ذلك راجع لسببين وضعهم المعيشي و/أو علاقتهم القوية بأصحاب المناسبة الاجتماعية.

ترتبط مسألة مشاركة المكاسب مع الآخرين أحيانًا بمدى قوة إجمالي "المكاسب" الممنوحة، بالإضافة إلى عوامل أخرى كالمستوى المعيشي لصاحب "العملية" وكذلك عدد أصحاب "تيغها" والمقربين لصاحب "المناسبة"، كما يجب أن لا ننسى بأنّ أهل العريس في حالة ما إذا كانوا بعيدين يستفيدون بدورهم من المكاسب أيضًا وبعض الجيران بالإضافة إلى النسوة اللاتي عملن (بالمطبخ خلال الفترة الزمنية للمناسبة)، كما تجدر الإشارة إلى أنّ مسألة مشاركة "المكاسب" مع الآخرين تكون في الزيجات فحسب وذلك حسب ما تمت ملاحظته؛ ممّا يعني بأنّ مسألة إرجاع "تيغها" تكون أنية من خلال "المكاسب" المقدمة والذي يتم بشكل سري غالبًا لتفادي أي آليات أخرى .

الشكل رقم (33): علاقة ما يسمى بـ "تغھوت" بالعادة المكسبة ومشاركة مكاسب العادة المكسبة مع الآخرين

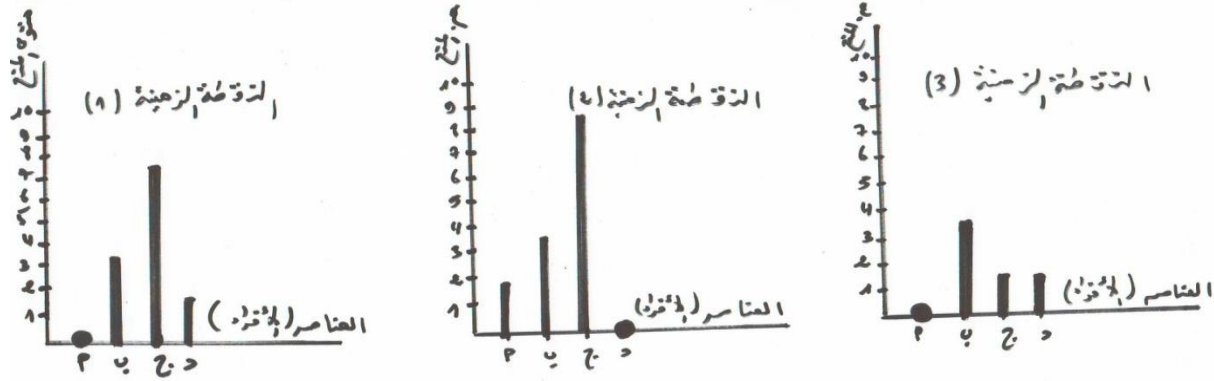


و. العادة المكسبة وعامل الزمن

نقطة البداية في استخدام الآلية التفاعلية دون غيرها (الانطلاقة) مهمة بالنسبة لعمليات البيع يمكن تحديدها وأحياناً أخرى يصعب ذلك نظراً لصفة الاستمرارية التي تتصف بها عبر الزمن ما يحدث في الحاضر قد يكون ردة فعل لموقف كان منذ سنوات وبالنسبة للعادة المكسبة، فطابع السرية بالإضافة إلى الاستمرارية عبر الزمن تزيدها تعقيداً. بما أنه يصعب تحديد نقطة البداية فإنه بالمقابل ليس من السهل توقع المنحى* الذي سيأخذه مستوى الكسب المحقق من ناحية عدد الأفراد المستفيدين.

*للحصول على منحى دقيق حول مستوى كسب فرد معين من خلال "العادة المكسبة" يجب مراقبته لسنوات عديدة ومعرفة وبالذقة كل ما يستلمه من "تيرفيتين" من قبل جل الأفراد وفي نقاط زمنية متعددة وذلك بالإشارة إلى الفترة الزمنية كالقول منحى يوضح مستوى الكسب المحقق للفرد (س) في الفترة الممتدة من -إلى.

الشكل رقم (34): يمثل رسم توضيحي حول مستوى الكسب المحقق في العادة المكتسبة عبر نقاط زمنية مختلفة



فرضا أن (ج) و(د) تجمعهما علاقة وطيدة والعنصر (ج) قام بمنح مستوى عالي من المساهمة للعنصر (أ) في النقطة الزمنية (زن 1) في حين العنصر (د) مساهمته كانت منخفضة للعنصر (أ) في ذات النقطة الزمنية لذلك العنصر (أ) سيقوم بالإرجاع للعنصر (د) بنفس مستوى المنح المنخفض في النقطة الزمنية (ن 2)؛ مما يتسبب في ردة فعل سلبية للعنصر (ج)؛ وعليه في النقطة الزمنية (ن 3) سيجرّص العنصر (ج) على منح مساهمة منخفضة -على غير العادة - للعنصر (أ)؛ مما يعني بأنّ هناك من يتأثر بمستوى "المكاسب في العادة المكتسبة" ليس فقط المقدمة له وإنما المقدمة للمقربين له فهناك مقولة تقول: "تمولايت تغلايت*"، ففي هذه الحالة يمكن توقع حدوث الحالات التالية:

- يبقى مستوى المكاسب في العادة المكتسبة بين كل من (أ) و(ج) و(د) في ذات المستوى (2) إلى أجل غير مسمى.

* عبارة تُشير إلى أنّ العادة المكتسبة بمثابة دين.

- عدم استمرار العملية بين (أ) و(ج)؛ لأنّ ردة فعل (د) أو مستوى الإرجاع والعطاء هو نفسه دائماً لم يتغير.
- احتمالية تأثر (د) بـ (ج) سلبياً وبالتالي عدم استمرارية العملية بين (د) و(ج) و(أ).
- أو أنّ (أ) يُغير من سلوكه بعد ردة فعل (ج) من مستوى المكاسب الممنوحة لـ (د)، حفاظاً على مستوى المكاسب المحققة من (ج).
- قد يؤثر (ج) في (د) بإقناعه بزيادة مستوى المكاسب الخاص به نظراً لسببين: لكي يستفيد (د) من مكاسب ذات مستوى عالي مستقبلاً وبما أنّ (ج) يرى أنّ العلاقة (ب) (د) وطيدة فسمعته الاجتماعية من سمعته، لذلك يجب أن يتصرف تماماً مثله حتى لو بدعم مادي منه وبالتالي يندمج نوعين من العطاء عطاء من (ج) لـ (د) ثم من (د) إلى (أ).

ز. كيفية تحقيق الآليات التفاعلية الماكروية للكسب في العادة المكسبة

يختلف استخدام الآليات التفاعلية الماكروية عن الآليات التفاعلية الميكروية في العادة المكسبة لغرض تحقيق الكسب، إذ تبدو الآليات التفاعلية الماكروية أكثر ارتباطاً بالعادة المكسبة.

• إبراز القدرة على الصرف المادي (المنافسة/تمانهيق والانقسامية)

لاستخدام الآلية التفاعلية "تمانهيق"* ضمن العادة المكسبة عدة مظاهر، فعلى سبيل المثال إذا كان هناك مجموعة من الأفراد (النسوة خاصة) تكمن في استئانة المظهر الأنيق في حالة حضور مناسبة عند ديار القبيلة المنافسة "تمانهيق"، ومن مظاهرها أيضاً إبراز القدرة على الصرف المادي في بعض المناسبات والعادات والتقاليد، كما تُظهر تلك العادات بأنّ العادة مكسبة تقوم بتمويل تلك المناسبات أو العادات والتقاليد وهي في ذات الوقت تُشجع الأفراد على

*تدل على وجود نوع من المنافسة والحذر بين قبائل إيموهاغ المختلفة وبالتالي "تمانهيق" تفرض على أفراد كلا القبيلتين توخي الحذر والتعامل مع بعضهم البعض بكامل الاحترام والرقي والحرص على الإتيان بالأفعال الحكيمة في حضرتهم.

المنح والعطاء، فحدث طامظا* على سبيل المثال ومن خلال ما تمت ملاحظته بتاريخ: 07/19/2017 تتم تغطية مصاريفه بفضل "المكاسب المحققة في العادة المكسبة.

تجدر الإشارة إلى أن آلية "تمانهيق" تدعم العادة المكسبة؛ لكنّها لا تدعم عمليات البيع الصغيرة والسبب يعود إلى أنّه عند مجتمع إيموهاغ من المعيب جداً إظهار الضعف والحاجة أمام أفراد القبيلة الأخرى؛ لأنّ عمليات البيع الصغيرة تحمل دلالة على الحاجة الماديّة؛ لذلك يحرص أفراد القبيلة (أ) على سبيل المثال على عدم أخذ عمليات بيعهم الصغيرة "إمزنهان" معهم.

• آلية "أشك" وارتفاع مستوى العادة المكسبة

من الأهميّة بمكان الإشارة إلى أنّ هناك حالات يرتفع فيها مستوى العادة المكسبة وذلك بفضل اجتماع الآلية "أشك" و"إيرافن" وذلك حسب العلاقة القرابيّة "أسّول" (بفتح السين) التي تربط بين الطرفين خاصة في حالة (الحمو والحماة وزوج البنت أو ما يسمى عند إيموهاغ "إضولان"؛ بحيث يُحاول زوج الابنة إظهار قدرته اللامتناهيّة على العطاء على عكس آلية "ملكا" التي قد تزيد أو تُنقص قيمة "المكاسب في العادة المكسبة".

ح. كفيّة تحقيق الآليات التفاعليّة الميكرويّة للكسب في العادة المكسبة

أكثر الآليات التفاعليّة الميكرويّة تأثيراً في العادة المكسبة -حسب المعطيات الإمبريقيّة - هي: "ملكا*"، إسكواز* والسريّة؛ بمعنى الآليات التفاعليّة الميكرويّة المرتبطة بالمكانة الاجتماعيّة.

• استخدام الآلية التفاعليّة "ملكا" وتحقيق مكاسب في العادة المكسبة

يظهر استخدام الآلية التفاعليّة في عدة مواقف إستراتيجيّة، وفقاً للمعطيات الميدانيّة ومن أهمها:

*طامظا هي تمام السبعة أيام بعد الزواج؛ ويتم الاحتفال بها تماماً كاحتفال بالزيجة.

*تشبه الآلية التفاعليّة "إسكواز" غير أنّها لا تقوم على الجانب اللغوي فحسب، فهي تُمثل رأي فرد معين بأخر "بأنّه أقل منه"، وقد يكون للأمر عدة أسباب.

*شبيهة بما يسمى بـ"شعائر انخفاض المكانة" لدى عالم الاجتماع الأمريكي Harold Garfinkel، وهي تتركز على الجانب اللغوي، وهي أشبه بتذكير الفرد بوصمة عار وقد يكون ذلك من خلال مقارنته بأخر.

آلية "ملكا" / الاعتبار الاجتماعي والعادة المكسبة

أشرنا فيما سبق حول الآلية التفاعلية "ملكا" بأنها تعكس الاعتبار والمكانة الاجتماعية للفرد في حين العادة المكسبة في جانب من جوانبها تعتمد على مسألة "الدين"؛ بحيث أنّ تحصيل "مكاسب" في وقت من الأوقات من مجموعة من الأفراد تُلزم الفرد المستلم لها المعاملة بالمثل أو الرد بنفس الهبة أو أكثر قيمةً منها كتعبير على الإمتنان؛ إلا أنّه أحياناً يتم الاستخفاف بما تم تقديمه من قبل الفرد المستلم؛ نظراً لقيمتها المادية والتي تتأثر بالوضع الاقتصادي للمانح؛ لذلك في هذه الحالة نجد آلية "ملكا" توظف ضمن هذه العملية وعليه في هذه الحالة الإرجاع يكون على حسب ما تم استلامه سابقاً من ذات الفرد.

وهناك حالة أخرى قد يتم فيها استخدام الآلية التفاعلية "ملكا" وهي الحالة التي لم تتم فيها أية عملية تبادلية سابقة بين الطرفين وبالتالي يكون سبب استخدام الآلية السابقة هو التوجهات السلبية نحو الطرف الآخر والتي يُسيطر عليها النقص والتي تعود لعدة أسباب منها الوضع الاقتصادي للطرف الآخر؛ ممّا يعني أنّ هذه الحالة تحتكم إلى "التوقع"؛ بحيث يتوقع الأفراد بأنّ الطرف الآخر لا يمتلك القدرة الكافية على المنح والعطاء ليس فقط نظراً لوضعه الاقتصادي إنّما لافتقاره لما يسمى بـ"تاهولت" (أشرنا لها سابقاً)؛ لكن مادام ما سبق يؤدي إلى إنخفاض قيمة "المنح" الموجهة لذات الفرد، فلما يتم منحه أساساً؟

السبب الذي يدعو الآخرين رغم توجهاتهم (غير الإيجابية إتجاه فرد معين) لمنحه هو رغبتهم في حصاد "مكاسب" في زمن ما هو على حد قول إيموهاغ "...تمولايت تغلايت*"؛ بمعنى أنّ "العادة المكسبة" بمثابة دين.

يمكن القول بأنّ استخدام الآلية التفاعلية "ملكا" من قبل بعض الأفراد بإمكانه أن يعطي ردة فعل غير متوقعة؛ لأنّ الأفراد غالباً ما يبدون رفضهم لها وذلك نظراً لحرصهم على مكانتهم واعتبارهم بين الآخرين، فقد ذكرت إحدى المبحوثات وهي تصف عدم رغبتها في رحيل جاريتها؛ لأنّ ذلك يعطي انطباعاً بأنّها سيئة الطباع أي أنّ الآخرين سيعملون على تفسير رحيل جاريتها

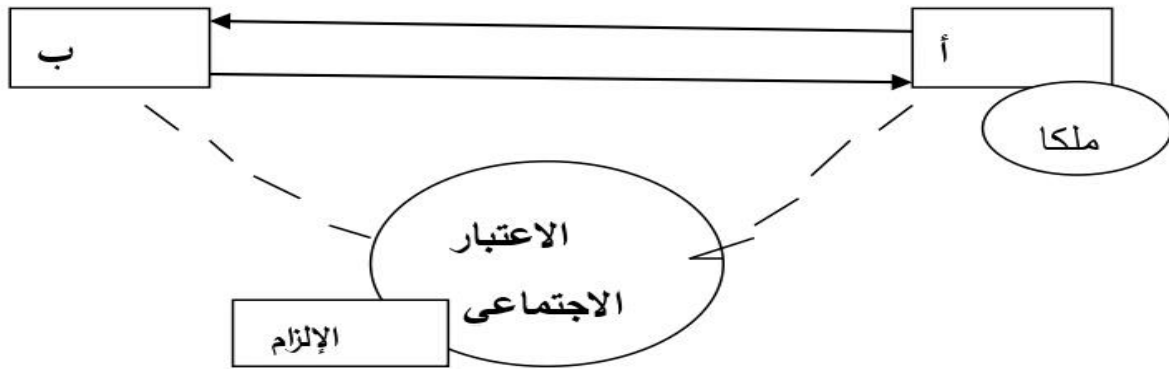
* هي عبارة تعني يوم لك ويوم عليك.

على ذلك النحو: "وربغ تيميهاز.."; مما يعني أنّ الأفراد يميلون غالبًا إلى ردود الفعل للحفاظ على سمعتهم ومكانتهم الاجتماعية؛ لذلك من الممكن جداً وبفضل آلية "ملكا" أن يقوم الطرف الذي استخدمت ضده الآلية بوهب شيء ذو قيمة عالية؛ ليثبت عكس توقع الطرف الآخر وبالتالي يزيد من مكانته ويغير توجهات الآخرين نحوه وهذا ما يسمى "تاهولت وإيرافن".

ما يسير "العادة المكسبة" أحياناً هو المكانة الاجتماعية التي ترتبط بالنسب (شرفه)، فغالباً يبدي بعض الأفراد نوعاً من الاستياء حيال ما يقومون بوهبه في غياب هؤلاء وذلك باستخدام العبارة التالية: "أغيلن أظرف إنهيلن" ففي هذه الحالة "تيرقيت" توازي نمط العطاء الروحي - الأحادي الجانب "غرو".

• استخدام آلية ملكا في العادة المكسبة وعدم استمراريته (الحالة 1)

الشكل رقم (35): استخدام الآلية التفاعلية "ملكا" في العادة المكسبة وعدم استمراريته



حين يتم استخدام الآلية التفاعلية "ملكا" من قبل أحد أطراف عملية العادة المكسبة فإنّ ما يلزم الإرجاع هو رد الاعتبار.

كلا الطرفين يحكما في البداية الإلزام إلا أنّ الطرف الأول (أ) الإلزام الذي يدفعه غالباً له علاقة بصلة القرابة أو الجوار وربما بسبب موقف سابق للطرف (ب) أو نظراً للحالة الاجتماعية

للطرف (ب) وبالتالي الشك في قدرته على سداد الدين في حين الإلزام الذي يدفع الطرف (ب) في حالة الإرجاع هو رد الاعتبار...حفاظاً على السمعة والاعتبار الاجتماعي.

- استمرارية عملية "العادة المكسبة" وعدم استخدام الآلية التفاعلية "ملكا"

الشكل رقم (36) يوضح استمرارية عملية العادة المكسبة وعدم استخدام الآلية التفاعلية "ملكا" (الحالة 2)



هناك أسباب تجعل بعض الأفراد لا يستخدمون الآلية التفاعلية "ملكا" في عمليات العادة المكسبة أولها غياب الأسباب السابق ذكرها، في حين يكون المستوى الاقتصادي متوسط أو فوق المتوسط، بحيث يكون الطرف الآخر يتوقع الإرجاع من نظيره وقد يكون استمرار العملية بفضل العلاقة القوية بين الأطراف أو قد يكون بفضل إرتفاع قيمة ما يتم منحه فيصبح الأمر أشبه بمنافسة بين الطرفين وبالتالي يمكن القول بأنهما يستخدمان آلية "إيراقن"، في هذه الحالة قد تستمر العملية إلى حين وفاة أحد الطرفين وقد تستمر حتى بعد مماتهما لتشمل الأبناء ومن ثم الأحفاد.

- تلقي العناصر ذوي المستوى الاقتصادي لـ"مكاسب" واستخدامهم للآلية التفاعلية "ملكا"

تحدث عدة عمليات منح من قبل (أ) لـ(ب) إلا أنّ هذا الأخير لا يقوم بالرد، وعليه (أ) يقوم باستغلال وجود (ب) ضمن مجموعة من الأفراد ويستخدم الآلية التفاعلية "إسكوار" وتذكير (ب) بعدم الرد، وحسب المعطيات الميدانية هناك عدة حالات محتملة:

- قد يقوم (ب) بردها بدون مناسبة.

- وقد يؤدي هذا التصرف إلى الصراع الحقيقي بين (أ) و(ب) وتتوقف بذلك عملية "العادة المكسبة" نهائياً بين الفردين ويمكن اعتبارها أحد الحالات التي نتوقع فيها توقف العمليّة بين الأفراد.
- آليّة السريّة والعادة المكسبة

تكمّن صعوبة دراسة العادة المكسبة عند مجتمع إيموهاغ في أنّها تعتمد في جانب كبير منها على "السريّة" أو "تاقهي"، بحيث لا يمكن ملاحظتها عن كثب خاصةً في حالة "هبة النقود"، فغالباً يلجأ الأفراد (رجال، نساء) إلى الوهب في السر ويمكن إرجاع أسباب استخدام الآليّة التفاعليّة "تاقهي" أو السريّة إلى الأسباب التالّية والتي يمكن إدراجها ضمن ثلاث حالات: حالة "تيرفيث" ذات القيمة المنخفضة وحالة "تيرفيث" ذات القيمة العاليّة جداً والحالة الثالثة تتعلق بموقف "المستلم لتيرفيث":

- حالة "تيرفيث" ذات القيمة المنخفضة؛ لتقادي الإحراج بسبب قيمة "تيرفيث".
- تجنب ردة فعل المانح له أمام الآخرين، فهناك احتماليّة استخدامه للآليّة التفاعليّة "إسكوار" أو "تانفالت" للتعبير على عدم رضاه على قيمة "تيرفيث" المنخفضة.

قد تكون "تيرفيث" ذات قيمة عالية جداً وبالتالي سبب إخفائها عن الآخرين يعود لأسباب:

- لسبب ديني -روحي.
- لتقادي الآليّات التفاعليّة مثل "تينوراف"، خاصةً في حالة ما إذا كان هناك أقارب من نفس الخطوط الموازيّة* ولم يتم منحهم "تيرفيث" بنفس القيمة سابقاً؛ أي تتولد المقارنات.
- هناك احتمال ثالث بأن تكون الآليّة التفاعليّة "السرية" قد تم استخدامها بطلب من الممنوح له؛ للاحتفاظ بخصوصيته.

*تقصد بالأقارب من نفس الخطوط الموازيّة أي (ابن العم مقابل ابن العم)، (بنت الخالة مقابل ابن الخالة) وهكذا دواليك ...

صحيح أنّ العادة المكسبة تتّصف بالسريّة -غالبًا- لكن مع مرور مدة زمنيّة معينة تختلف على حسب مستوى اختلاط الفرد بالآخرين ونمط الأحاديث التي يتم طرحها وبمساعدة عمليات السرد والأحاديث المختلفة "أدوني/الجمات" من الممكن أن يأتي على ذكرها وبذلك تخرج "العادة المكسبة" من قالب السريّة خاصتها فتُطرح للنقاش بطريقة عفويّة مع ذلك قد تتحقق مكاسب لبعض الأفراد.

مما ينتج عنه استخدام للآليّة التفاعليّة "تينوراف" وبالتالي بدء مجموعة من المقارنات الشبكية (بين (أ) و(ب)، (ج) و(د)، (و) و(هـ)... الخ)؛ مما يتولد عنه وعود مستقبليّة لصالح أحد الأفراد أو مجموعة منهم؛ مما يعني بأنّ الآليّات التفاعليّة تعمل لصالح تحقيق مكاسب مستقبليّة للأفراد وليس فقط مكاسب من خلال عمليات البيع.

الحديث عن العادة المكسبة قد يأتي بطريقة عفويّة وقد يكون بشكل متعمد وتكون هذه الحالة حين يكون:

- الظرف حديث (لم يمر عليه فترة زمنيّة طويلة)
- لم تكن هناك فرصة لالتقاء الأفراد المعنيين.
- يحدث حين يكون الفرد غير راض عن مستوى "المكاسب" الممنوح له من قبل أحدهم في الظرف (ع).
- وبالمقابل يكون ذات الفرد قد قدم مشاركة أعلى مستوى من التي استلمها وفي النهاية ينتج على ذلك مجموعة من المقارنات بعضها متوقع وبعضها الآخر غير متوقع.

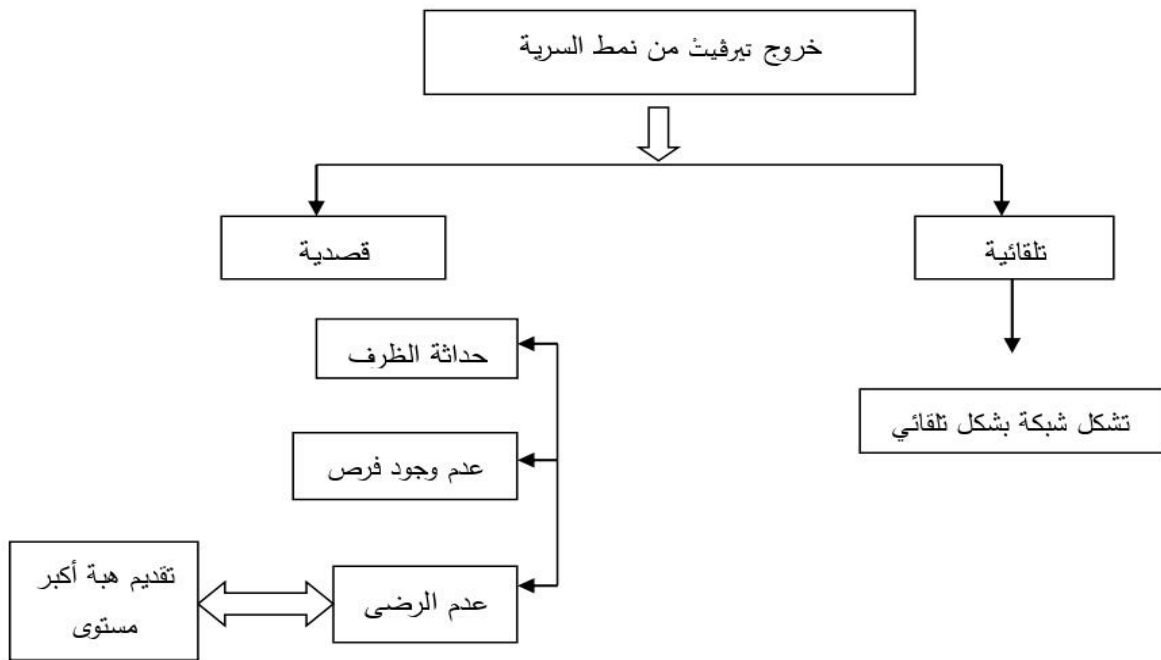
بالنسبة للمقارنات التي تأتي بطريقة آليّة غير متوقعة قد تجعل الفرد غير الراضي يتراجع أو العكس فقد تزيد من مستوى عدم الرضا لديه؛ لأنّ تلك المقارنات تعني خروج ليس عمليّة منح واحدة من نمط السريّة فقط، إنّما مجموعة من عمليات المنح.

المقارنات تشدّ خاصة إذا كانت هناك شبكات تفاعليّة مجاورة وبالتالي تزيد المشحانات (تامغنات) خاصة إذا تم التطرق ومن خلال تلك الشبكات لظروف اجتماعيّة مر عليها فترة زمنيّة معتبرة.

المقارنات تكون فرصة لتباهي بعض الأفراد بمستوى "المكاسب" التي يتحصلون عليها للرفع من مكانتهم الاجتماعية بين الآخرين وكذلك لداعي إظهار التماسك الأسري والاجتماعي بينهم وبين أفراد أسرهم (النوعية أو الممتدة) وأيضاً لداعي التباهي بالقدرة على المشاركة في العادة المكسبة وبشكل مستمر، فحتى التباهي ذاك يكون بمثابة "تأقالت" وآلية تفاعلية موجهة لأحد الأفراد أو مجموعة منهم للإتيان بذات الفعل لصالح فرد معين.

ما دامت الآليات التفاعلية تطال حتى الأفراد الغائبين عن الشبكة التفاعلية فإن حجم الشبكة التفاعلية لا يقف عائقاً أمام نشاط الآليات التفاعلية ومنه تحقيق الكسب أو مستوى معين منه.

الشكل رقم (37): طرق خروج العادة المكسبة من نمط السرية



• العادة المكسبة وتغادي آلية تينوراف

لدينا العناصر (أ) و(ب) و(ج)، العنصر (أ) قام بالمنح للعنصر (ب) وبعد مرور فترة زمنية كان لدى العنصر (أ) ظرف اجتماعي، إلا أنّ الظرف الاجتماعي لـ(أ) كان مع التزامن مع

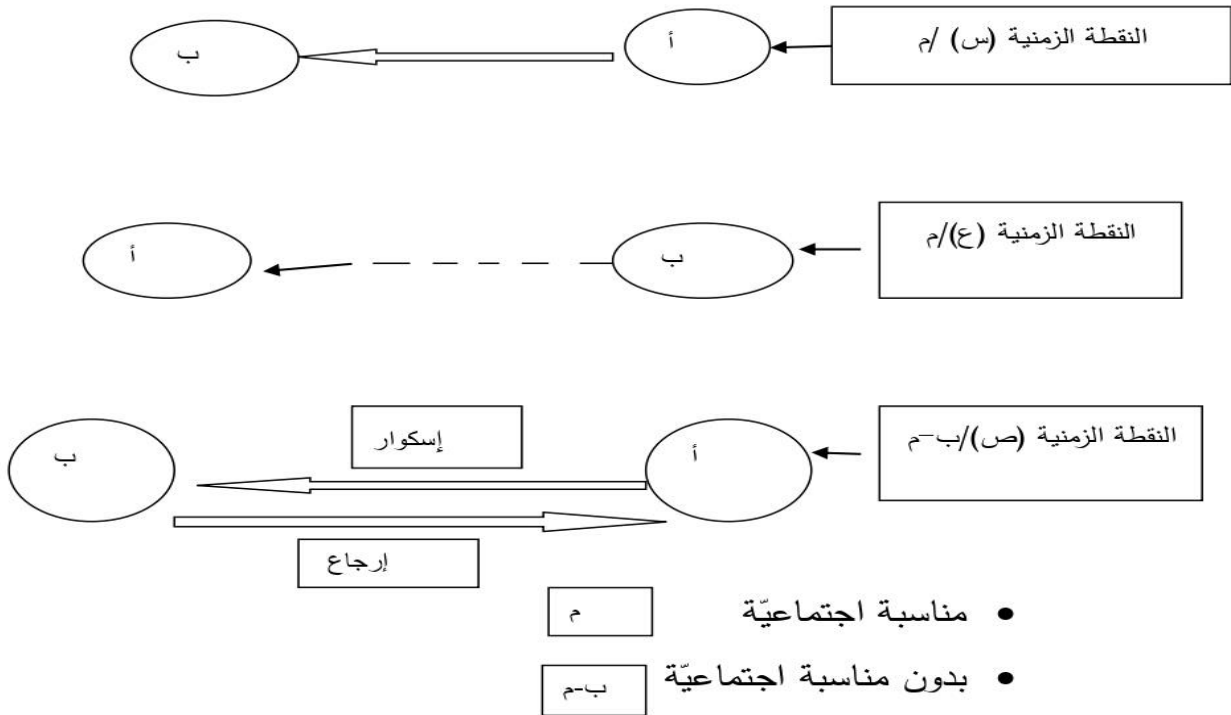
الظرف الاجتماعي للعنصر (ج) هذا الأخير الذي تربطه علاقة قوية مع العنصر (ب) ونظراً للمستوى الاقتصادي لـ(ب) وتجنباً لآلية "تينوراف" لم يتم (ب) بعملية الإرجاع.

• استخدام الآلية التفاعلية "إسكوار" وتحقيق مكاسب في العادة المكتسبة

حسب المعطيات الإمبريقية، فإن الآلية التفاعلية "إسكوار" تتجسد في عدة مواقف إستراتيجية ومن أهمها:

عدم الإرجاع واستخدام الآلية التفاعلية "إسكوار"

الشكل رقم (38): يوضح عدم إرجاع "تيرفيت" والآلية التفاعلية "إسكوار"



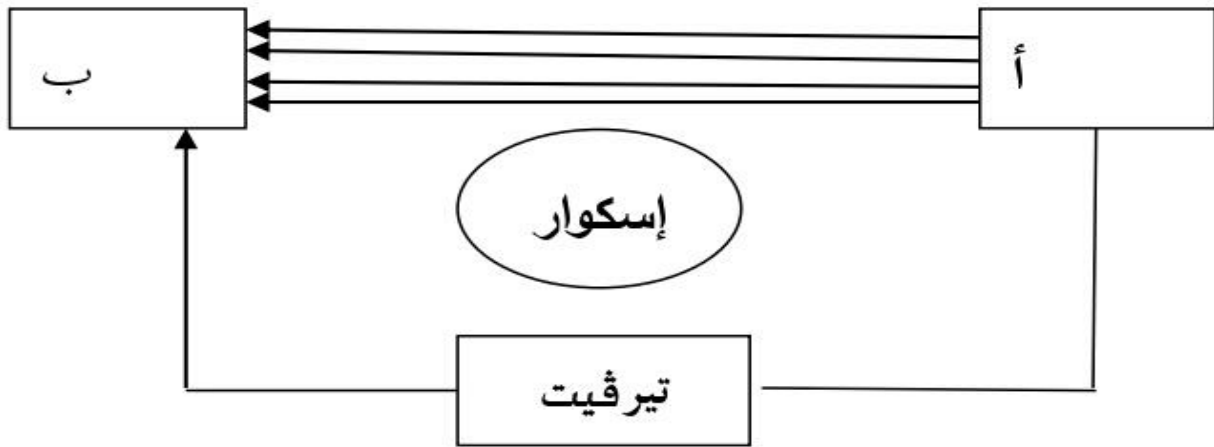
في النقطة الزمنية (س) العنصر (أ) قام بالمنح للعنصر (ب) مع وجود مناسبة اجتماعية تخص العنصر (ب) إلا أنه في النقطة الزمنية (ع) العنصر (ب) لم يتم بالإرجاع للعنصر (أ) وبعد مرور فترة زمنية (ص) استغل العنصر (أ) تواجد العنصر (ب) ضمن شبكة تفاعلية فقام

باستخدام الآلية التفاعلية "إسكوار" وبشكل مباشر؛ ممّا دفع العنصر (ب) للإرجاع بعد ذلك وقد أدى ذلك إلى وجود خلاف فعلي بين العنصرين ومن ثم عدم استمرارية العملية بينهما إلى نقطة زمنية مجهولة.

- حدة استخدام الآلية "إسكوار" ووجود تيرفيت بين (أ) و (ب).

الشكل رقم (39): يوضح حدة استخدام الآلية "إسكوار" ووجود تيرفيت بين العنصرين

(أ) و (ب).



لا يوجد تفاهم أو توافق بين العنصر (أ) والعنصر (ب) بشكل عام بسبب موقف معين وبعد مرور زمن زاد عدم التوافق الاجتماعي بين (أ) و (ب) وبعد حدوث مناسبة اجتماعية لدى العنصر (ب) العنصر (أ) استخدم آلية "إسكوار" بطريقة مكثفة وبالرغم من عدم توقعه للإرجاع من العنصر (ب) إلا أنه قام بالمنح للعنصر (ب) وذلك بسبب وجود قرابة بينهما كما يفسر رغبة العنصر (أ) في نيل الاعتبار والسمعة الاجتماعيين من قبل أفراد محيطه؛ ممّا يعني أيضاً أنّ الإرجاع الذي يتلقاه العنصر (أ) من المحيط ليس مادي بل اجتماعي.

انطلاقاً ممّا سبق يمكن القول بأنّ أهم الآليات التفاعلية المستخدمة في العادة المكسبة هي: أشك، ملكا، السرية، تمانهيق، إسكوار وتنقسم حسب طبيعة الكسب الذي تقوم بتحقيقه، فعلى

سبيل المثال كل من "الآلية التفاعلية أشك" و"تمانهيق" تكون طبيعة الكسب المحقق من خلالهما (مستمر ومرتفع) غالباً في حين الآليتين "ملكا" و"السرية" يصعب تحديد طبيعة الكسب الذي تحققانه فقد يكون (مستمر-مرتفع) أو (منخفض-مستمر) أو (غير مستمر-منخفض)... الخ

الجدول رقم (29): أهم الآليات المستخدمة في العادة المكسبة وحالة الكسب المحقق

الكسب / الآليات	مستمر	غير مستمر	مرتفع	منخفض
أشك	X		X	
ملكا	X	X	X	X
السرية	X	X	X	X
تمانهيق	X		X	
اسكوار	X	X	X	X

خلاصة ومقارنة تفسير المعطيات الإمبريقية حول كيفية تحقيق الآليات التفاعلية

مكاسب في العادة المكسبة

من خلال المرحلة الأولى من عملية "المقارنة المستمرة" في هذه الدراسة توصلنا إلى الخلاصات التالية:

- أغلب أنماط العطاء عند إيموهاغ تعتمد على العادة المكسبة؛ مما يعني أن أفراد مجتمع إيموهاغ الريفي يعتمدون عليها من أجل سداد إلتزاماتهم الاقتصادية المختلفة والتي تفرضها طبيعة المجتمع؛ أي العادات والتقاليد والأعراف.
- ما يجعل ما اصطلحنا عليه بـ"العادة المكسبة" كذلك؛ لأنّ جل الأطراف تتال كسباً، ففي الوقت الذي يستفيد فيه أحدهم مادياً يستفيد الآخر اجتماعياً وقد يستفيدان كلاهما (مادياً واجتماعياً).

- يتم استخدام الآلية التفاعلية "السريّة" في العادة المكسبة لتجنب آليات أخرى كـ"إسكوار*"، "تانقالت*"، فعدم استخدامها قد يؤدي إلى توقف عملية العادة المكسبة بين الأفراد وليس زيادتها أو نقصانها.
- تنقسم الآليات التفاعلية إلى أنواع فيما يخص العادة المكسبة: منها ما يؤدي دائماً إلى إرتفاعها كـ"أشك*" في حين الآليتين التفاعليين "ملكا*" و السريّة قد تؤديان إلى الزيادة أو النقصان.
- استخدام الآلية التفاعلية "ملكا" في "العادة المكسبة" يكون سببه المستوى المعيشي للفرد المساهم، إلا أنّ العنصر (ب) يقوم بالرد بالمثل أو بمستوى أعلى لإثبات مستواه الاجتماعي.
- استخدام الآلية التفاعلية "ملكا" في العادة المكسبة نحو فرد ذو مستوى معيشي أقل قد يؤدي إلى استخدامه للآلية التفاعلية "إيرافن*" والمساهمة بـ"تيرفيت" ذات قيمة عالية وذلك من أجل اعتباره الاجتماعي وسمعه.
- الآلية التفاعلية "السريّة" في "العادة المكسبة" تزيد من مكسب صاحبها، ففي حالة "تيرفيت" ذات القيمة الضعيفة المانح يتفادى استخدامه للآلية التفاعلية "إسكوار" ضده وفي حالة منحها في العلن فإنّ استخدام آلية "إسكوار" ضده قد يمنعه من المساهمة أو يؤدي إلى منحه لـ"تيرفيت" أعلى قيمة ومادام إختار الآلية التفاعلية "تافهي" أو السريّة

*هي شبيهة بما يسمى بـ"شعائر انخفاض المكانة" لدى عالم الاجتماع الأمريكي Harold Garfinkel، وهي تتركز على الجانب اللغوي، وهي أشبه بتكثير الفرد بوصمة عار وقد يكون ذلك من خلال مقارنته بأخر.

*لا يتم فيها توجيه الكلام بشكل مباشر؛ لتفادي عدم فهم الآخرين للكلام الموجه للمرسل إليه أو خوفاً من ردة فعل المرسل إليه (في حالة توجيه الكلام بشكل مباشر) أو لحفظ ماء وجه "المرسل".

*ترتبط بقيم المروءة والحياء؛ فهي التي تُحدد للفرد الأماهغ ما يتوجب عليه فعله في المواقف المختلفة.

*تُشبه الآلية التفاعلية "إسكوار" غير أنّها لا تقوم على الجانب اللغوي فحسب، فهي تُمثل رأي فرد معين بأخر "بأنه أقل منه"، ويعود ذلك لعدة أسباب.

*يقصد بها التفاخر سواء كان التفاخر بالمظهر، بالمال، بالنسب... الخ

وقيمتها منخفضة، فذلك يعني أن مستواه المعيشي لا يسمح له بالمساهمة بـ"تيرفيث" ذات قيمة مرتفعة.

- تجنب ردة فعل صاحب "العملية" أمام الآخرين في استخدام الآلية التفاعلية "السرية" يعد ضماناً لاستمرار العملية بين العنصرين؛ لأنه يكفل عدم تدخلهم.
- استخدام الآلية التفاعلية "السرية" تجنباً للآلية التفاعلية "تينوراف" يزيد من مكاسب الفرد المستفيد في نقطة زمنية معينة؛ لأن استخدام الآلية التفاعلية "تينوراف" ضد المساهم يعني بأن الفرد المستفيد سيقوم بالإتيان بنفس الفعل للعناصر المستخدمة للآلية التفاعلية "تينوراف" مستقبلاً؛ مما يعني زيادة مكاسب عدة عناصر.
- هناك حالات يتم فيها استخدام الآلية التفاعلية "السرية" بطلب من صاحب "العملية"؛ للاحتفاظ بخصوصيته ومنه لزيادة مكاسبه.
- استخدام الآلية التفاعلية "النحن - الانقسامية" تدعم بعض العادات والتقاليد التي تحتاج إلى ميزانية وعليه "العادة المكسبة" تقوم بتغطية التكاليف الاقتصادية للمناسبة الاجتماعية؛ مما يستلزم استخدام الآلية التفاعلية "النحن - الانقسامية والآلية التفاعلية "تمانهيق".*

- الآلية التفاعلية "أشك" و"إبرافن" تزيدان من مكاسب المستفيد، فعلى سبيل المثال بين الحماة وزوج البنت، حيث يلجأ هذا الأخير لاستخدام الآلية التفاعلية "أشك" و"إبرافن" وبالتالي يكون استخدام هاتين الآليتين لصالح الحماة.

أما عن المرحلة الثانية من عملية "المقارنة المستمرة" في هذه الدراسة توصلنا إلى الخلاصات التالية:

- لاحظنا بأن العادة المكسبة تمر بثلاث مراحل: الإعلام، التوقع والمقارنة القبليّة كمرحلة ثانية وأخيراً مرحلة المقارنة البعدية وتنشط الآليات أكثر في مرحلة التوقع والمقارنة القبليّة

*تبنى على الجانب المادي "العطاء"، فهي تنشأ بسبب منح العنصر (أ) ل(ب) هدية على سبيل المثال بحضور العنصر (ج).

*تدل على وجود نوع من المنافسة والحذر بين قبائل إيموفاغ المختلفة. وبالتالي "تمانهيق" تفرض على أفراد كلا القبيلتين توخي الحذر والتعامل مع بعضهم البعض بكامل الاحترام والرقي والحرص على الإتيان بالأفعال الحكيمة في حضرتهم.

- بغرض زيادة مكاسب صاحب الظرف الاجتماعي، فيقوم بذلك لاستغلال ما اصطلاحنا عليه بـ"عناصر التوقع الإيجابي" القديمة والجديدة لتحقيق مكاسب أكثر فأكثر.
- من خلال المراحل المتعاقبة والحيوية لعملية العادة المكسبة يُكون صاحب الظرف الاجتماعي مهارة استخدام الآلية التفاعلية وتحديد أيها يؤثر في الأفراد المحيطين به.
 - لاحظنا بأنّ عدم الإرجاع قد يؤدي إلى استخدام الآلية التفاعلية "إسكوار" من قبل العنصر (أ)؛ ممّا يؤدي إلى الإرجاع الفوري وبدون وجود أي ظرف اجتماعي وعليه يكون انتهاء العملية بين العنصرين إلى أجل غير مسمى.
 - قد يلجأ البعض إلى استخدام الآلية التفاعلية "إسكوار" وبشكل مكثف وجدي إلا أنّهم يشاركون في العملية ترفيقت وذلك سعياً منهم لنيل الاعتبار الاجتماعي.
 - استخدام الآلية التفاعلية "ملكا" من قبل أحد العناصر قد يؤدي إلى قصر وعدم استمرارية عملية العطاء.
 - ليس دائماً استخدام الآلية التفاعلية؛ أي كانت تؤدي إلى زيادة مكاسب الفاعلين.
 - لاحظنا بأنّ الآليات التفاعلية المستخدمة تختلف باختلاف نطاق العادة المكسبة كالاختلاف بين "العادة المكسبة" الخاصة بالأسرة النووية و"العادة المكسبة" الخاصة بالقبيلة الواحدة.
- أما عن المرحلة الثالثة من عملية جمع المعطيات فتتلخص فيما يلي:
- تتم غالباً مشاركة "المكاسب" مع آخرين خاصة في حفلات الأعراس ويلتزم الأفراد غالباً باستخدام الآلية التفاعلية "السرية"، كما أنّ مشاركة صاحب "المكاسب" يعتمد على كثرة المانحين ومستوى الكسب المحقق.
 - كيفية توزيع المانحين على أفراد الأسرة يكون على حسب التغيرات التي تطرأ على الأسرة الواحدة مع احتفاظ الأفراد باستخدام الآلية التفاعلية السرية.
 - لا تبقى العادة المكسبة ضمن الآلية التفاعلية "السرية" بل وتخرج منها في زمن معين؛ ممّا يحقق مكاسب للأفراد.

لاحظنا من خلال الخلاصات السابقة للمراحل الثلاث من عملية جمع وتفسير المعطيات المتعلقة بكيفية تدخل الآليات التفاعلية المختلفة لتحقيق الكسب في العادة المكسبة بأن مستوى المعطيات المتحصل عليه انخفض في المرحلة الثالثة مقارنة بالمرحلة الأولى والثانية، كما أن هناك تكامل بين المراحل الثلاث، إذ تم التوصل في المرحلة الأولى: "بأنه يتم استخدام الآلية التفاعلية السرية تجنباً لآليات أخرى، كما أن عدم استخدامها قد يؤدي إلى نقصان ما يتم تسديده في العادة المكسبة، في حين وجدنا في المرحلة الثالثة، بأن العادة المكسبة لا تظل حبيسة آلية "السرية".

تميزت المرحلة الثالثة من عملية المقارنة المستمرة باكتشاف بأن الآلية التفاعلية "السرية" يتم استخدامها أيضاً أثناء مشاركة المكاسب مع آخرين وكذلك أثناء عملية توزيع المانحين. كما أنه ضمن المرحلة الأولى لم تتم ملاحظة أي موقف إستراتيجي حول الآلية التفاعلية "إسكوار" في حين في المرحلة الثانية وجدنا بأن استخدامها يؤدي إلى الإرجاع الفوري ومن ثم انقطاع العملية بين العنصوين (أوب)، كما أن استخدام ذات الآلية من قبل البعض يجعلهم يشاركون في العملية لنيل التقدير الاجتماعي.

أما عن الآليتين "النحن - الانقسامية" و"تمانهيقي" فقد وجدنا في المرحلة الأولى بأنها ترتبط بالعادة المكسبة المتعلقة بالمناسبات الاجتماعية التي يحضرها أفراد من مناطق متعددة في حين اكتشفنا في المرحلة الثانية "نطاق العادة المكسبة" الذي يرتبط أساساً بالآليتين السابقتين. وبخصوص الآلية التفاعلية "ملكا" فقد كان هناك تطابق في المرحلة الأولى والثانية.

2. كيفية تحقيق الآليات التفاعلية مكاسب في عمليات البيع الصغيرة

أ. وصف عمليات البيع الصغيرة عند إيموهاغ

وكما أشرنا سابقاً بأن العنصر الرجالي في مجتمع إيموهاغ قد عُرف قديماً بالتجارة القوافلية، في حين عرفت النسوة عمليات البيع الصغيرة بشكل شحيح - قديماً - وبهذا الخصوص ذكر أحد

المبوهين واصفاً علاقة مجتمع إيموهاغ بعمليات البيع والشراء النقدية "بيموهاغ قديماً لم يهتمو بعمليات البيع الصغيرة..."¹

يستخدم اسم "البغوشرا" عند إيموهاغ نهار كما يتم استخدام مفردة "باشنوار" وقد تأتي جل عمليات البيع؛ على أربعة أشكال وهي:

عمليات بيع الأعشاب الطبية التي تشتهر بها المنطقة وهي عملية بيع تقوم بها النسوة والأطفال وقديماً الرجال لكن بكميات أكبر وبشكل أوسع (جغرافياً)* وهي غالباً ما تتوجه نحو سكان مدينة تامنغست.

عمليات بيع للصناعات اليدوية التقليدية وهي التي تمارسها النسوة دون غيرهن من أفراد مجتمع إيموهاغ وهي التي تتمثل في المصنوعات الجلدية وأعمال السلالة وغيرها فهي قد تتوجه إلى مناطق مجاورة ريفية أو/إلى مدينة تامنغست.

عمليات بيع للسلع الاستهلاكية المتنوعة كالعطور، الملابس، السجائر وحتى بطاقات التعبئة وغيرها من السلع الاستعمال اليومي وهي تتجه إلى سكان الريف، وتجدر الإشارة إلى أنّ عمليات البيع هذه يكون رأسمالها الصغير يعود لأحد أفراد المجتمع الريفي.

عمليات بيع للسلع الاستهلاكية المتنوعة؛ أي أنها شبيهة بسابقتها؛ لكن الاختلاف يكمن في احتمالين:

- قد لا يكون من أفراد المجتمع الريفي بل يتم إرسالها من قبل أحد سكان المدينة المجاورة، إذ يتحصل البائع في الريف على نسبة معينة من المكاسب.

- أو أنها عبارة عن عملية استثمار صغيرة.

من الأهمية بمكان الإشارة إلى مصادر الأموال الصغيرة التي تعتمد عليها عمليات البيع الصغيرة التقليدية باعتبار أنها لا تعتمد على القروض المؤسسية، كما يمكن القول بأنها موسمية

¹. ح. م. تامنغست. 2018/04/23.

*إطلع على المبحث الأول من الفصل الثالث.

فعلى سبيل المثال أسلوب "اللّمة" قد يضعف أو ينتهي بانتهاء الروابط أو العلاقات بين الأفراد المكونين "للّمة" الواحدة وذلك لأي سبب كان دون أن ننسى أنّ حتى مصادر تلك الأموال في "اللّمة" أو المبالغ النقدية المتواضعة غير مستقرة هي أيضاً تكون مردوديتها بشكل متذبذب.

• أسلوب اللّمة: وهو يتمثل في عملية جمع مبالغ نقدية بحسب إتفاق مجموعة من النسوة وتعتمد على الدورة، بحيث يقمن بها كل شهر أو أسبوعين، إذ يقمن بقرعة أو ما يسمى بـ"إسغيرن" عند إيموهاغ وتقوم من فازت بالقرعة بأخذ جل المبالغ وفي كل مرة يتم استبعاد المستفيدة في الدورة السابقة وهكذا دواليك إلى حين انتهاء أو استفادة جل المجموعة لتعاد الكرة مرة أخرى.

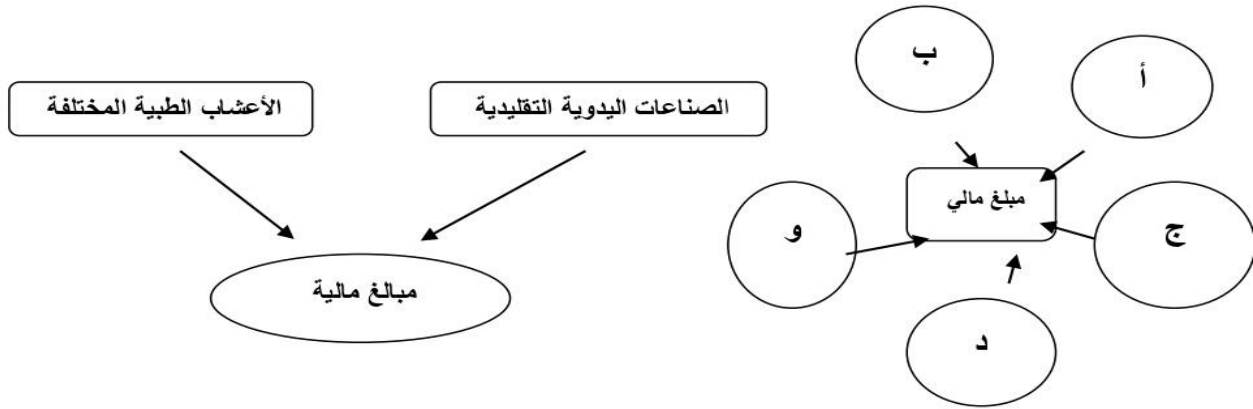
• النشاطات التقليدية الروتينية كالرعي والزراعة.

• الصناعات التقليدية اليدوية وعمليات بيع الأعشاب الطبية.

تُعتبر الصناعات اليدوية التقليدية وعمليات بيع الأعشاب الطبية أحد أهم المصادر المالية لعمليات البيع الصغيرة؛ ممّا يعطي عمليات البيع الصغيرة نوع من "التزويد الذاتي" -إن جاز القول -بحيث هذين النوعين من عمليات البيع الصغيرة تقوم بتمويل عمليات البيع الصغيرة الأخرى والمتمثلة غالباً "عمليات بيع السلع الاستهلاكية"، غير أنّ الأعشاب الطبية يتم استغلالها من الطبيعة مباشرة وكذلك الحال بالنسبة لبعض الصناعات اليدوية التقليدية التي تعتمد على إعادة تدوير بعض النفايات المنزلية.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الصناعات التقليدية اليدوية تُعتبر مصدراً مهماً للغاية خاصة وأنّها تتميز بالمنافسة بين الأفراد، بحيث يتم التعبير عن تلك المنافسة بـ"أربخ إين إيرى وتكشن وكينغ إين إيرى وهاسلن".

الشكل رقم (40): يوضح المصادر المالية لعمليات البيع الصغيرة



ب. الآليات التفاعلية كطرق ترويجية لعمليات البيع الصغيرة

السرية: يلجأ بعض الأفراد إلى السرية والتمويه وذلك بعدم الكشف عن صاحب السلعة الحقيقي وذلك حسب تفسيرنا يعود إلى عدة أسباب من بينها: التخوف من التلاعب بأسعار السلع المعروضة للبيع؛ إذ تتضح علاقة "السعر" بمعرفة أو عدم معرفة البائع للمشتري؛ فقد يلجأ البائع إلى الرفع من السعر لأفراد معينين لعدة أسباب، منها معرفته وتأكدته بمدى أهمية وقيمة تلك السلع للمشتري بالإضافة لمدى معرفته بأن المشتري يمتلك القدرة العالية على الدفع مهما كانت الأسعار ويمكن استنتاج ذلك من خلال الحوار التالي حول رفع الأسعار:

-س: "كوذ كيل أتوريس ميغ كيل أورغ"*

-ع: "أودم يمدا ورتسيندأتسلسا مسينغ"*

• سرد وقائع عملية بيع وشراء سابقة: يلجأ بعض الأفراد إلى سرد وقائع عمليات بيع

سابقة قاموا بها وذلك بهدف إبراز مدى نزاهتهم ومعاملتهم مع الآخر وذلك من أجل

الترويج لما يقومون ببيعه؛ أي استخدام نمط إتصال التقليدي وذلك المناسبات

* جرى الحوار حول الأسعار فقد ذكرت إحداهن بأنه يجب رفع الأسعار في عمليات البيع المختلفة فأجابت (س) بأنه يُستحسن رفع الأسعار

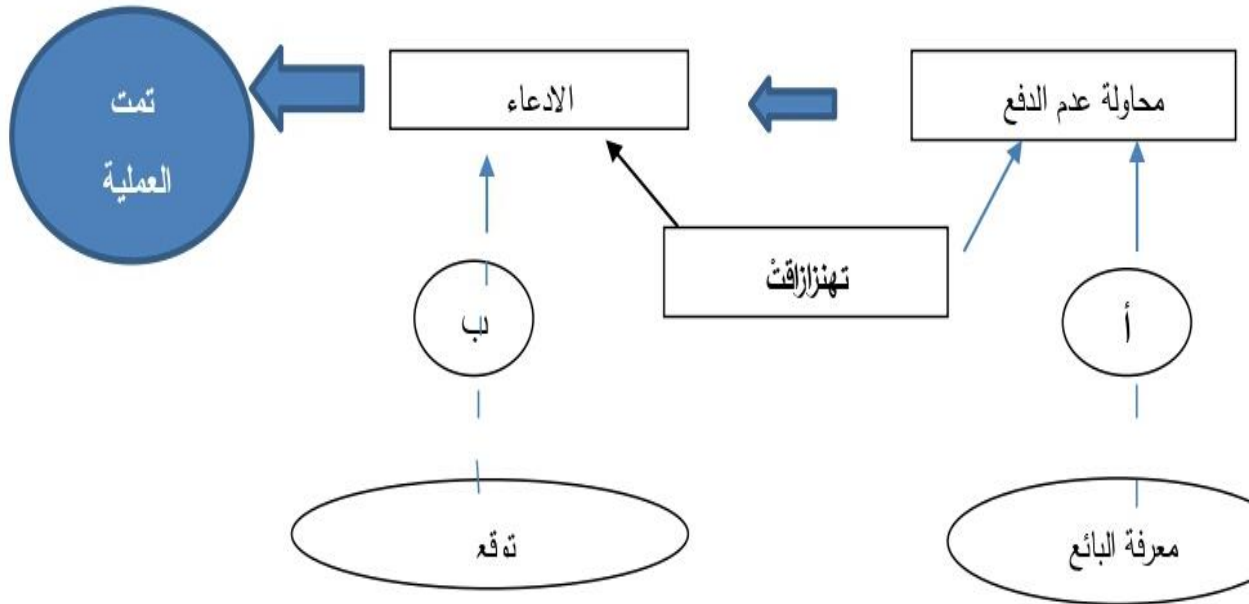
للسياح الأجانب أو لمن يقومون بنشاط التتقيب عن الذهب.

* أجابت (ع) بأنه لا يجوز رفع الأسعار بذلك الشكل لأي كان.

الاجتماعية المختلفة، إذ تُعتبر تلك التجمعات فرصة لتتبع عمليات البيع المختلفة خاصة تلك التي جاءت أو تم إرسالها للمناطق المختلفة وذلك باستلام أطراف التبادل للكسب (الحصيلة).

- ج. استخدام الآليات التفاعلية الميكروية لتحقيق الكسب في عمليات البيع الصغيرة
- دور آلية الممازحة في عملية "بيع - شراء" / غياب الدفع الآني وقلة نشاط الآليات التفاعلية

الشكل رقم (41): آلية "الممازحة" وعملية البيع والشراء.

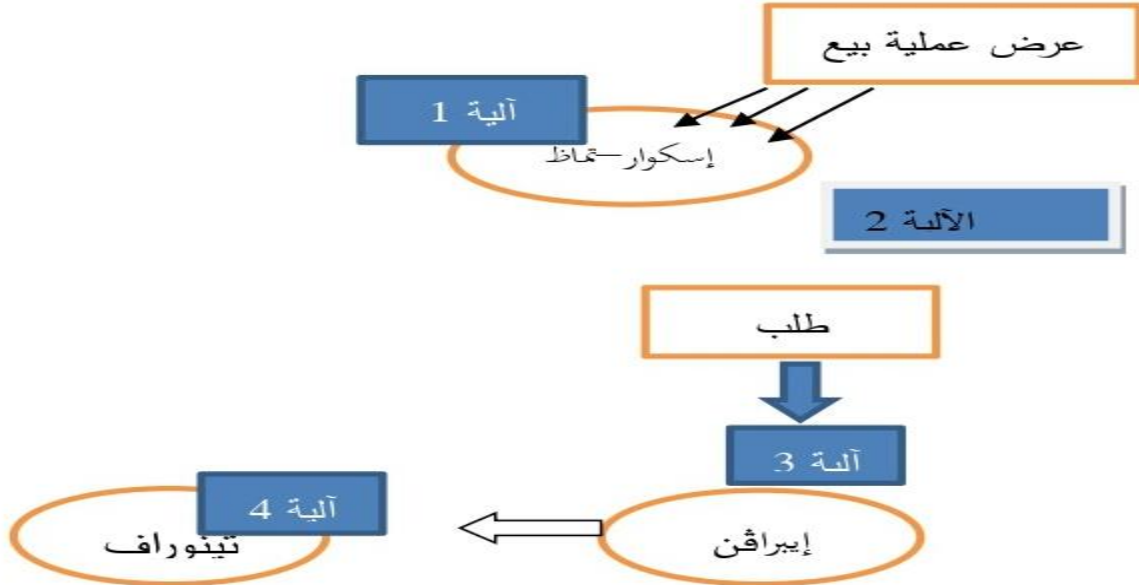


قام كل من الطرفين باستخدام آلية "الممازحة"؛ لكن الأول قام باستخدامها للتهرب من الدفع؛ دفع ثمن ما تم شراؤه لأنه على معرفة شخصية بالبائع والثاني قام باستخدامها لإدعاء أنّ السلعة ليست ملكه؛ لأنه توقع سلفاً استخدام الطرف الآخر لآلية "الممازحة" للتهرب من الدفع.

• استخدام الآلية التفاعلية "إسكوار" في عملية بيع وشراء

-استخدام الآلية التفاعلية "إسكوار-تماظ في عملية بيع وشراء

الشكل رقم (42): يوضح استخدام الآلية التفاعلية "إسكوار-تماظ في عملية بيع وشراء



تم استخدام الآلية التفاعلية "إسكوار-تماظ*" من قبل عدة أفراد ضد العنصر (أ) وذلك باستخدام عبارات "ورثدوبيد أترنهد.."; بمعنى أنه لا يمكنك الشراء ويمكن القول بأن الآلية السابقة تماثل استخدام الآلية التفاعلية "ملكا*", فنظراً للمستوى الاجتماعي للعنصر (أ) تم وصفه بـ"تالقي" بمعنى أن مستواه المعيشي ضعيف وبالتالي لا يمكنه المشاركة في عملية الشراء المعروضة ولأنّ الوضع الاجتماعي للعنصر (أ) بالفعل لا يسمح له بذلك فقد قام بالشراء وذلك بالاعتماد على أحد أقاربه؛ مما يعني أنه قد استخدم "الطلب" كآلية تفاعلية وتجدر الإشارة إلى

*هي شبيهة بما يسمى بـ"شعائر انخفاض المكانة" لدى عالم الاجتماع الأمريكي Harold Garfinkel، وهي تركز على الجانب اللغوي، وهي أشبه بتكثير الفرد بوصمة عار وقد يكون ذلك من خلال مقارنته بآخر. مصحوبة بنوع من التحدي.

*تعمل هذه الآلية التفاعلية على الإنقاص من قدر ومكانة الآخر وهي شبيهة بالآلية التفاعلية "إسكوار" غير أنّها لا تقوم على الجانب اللغوي فحسب، فهي تمثل رأي فرد معين بآخر "بأنه أقل منه"، ويعود ذلك لعدة أسباب.

أنّ استخدام الآلية "إسكوار" استمر حتى بعد عملية الشراء؛ لذلك لجأ العنصر (أ) لاستخدام الآلية التفاعلية "إبرافن*".

وذلك من خلال التفاخر بالقرب الذي ساعده على الشراء ومنه التفاخر من تمكنه من إظهار القدرة على الشراء أياً كانت الطريقة المستخدمة إلا أنّ استخدام العنصر (أ) لهذه الآلية التفاعلية الأخيرة "إبرافن" تولد عنه تأويل آخرين لها ضمن نفس الشبكة التفاعلية على أنها استخدام لآلية تفاعلية أخرى "تينوراف"؛ ممّا نتج عنه في الأخير عدة عمليات بيع مترادفة.

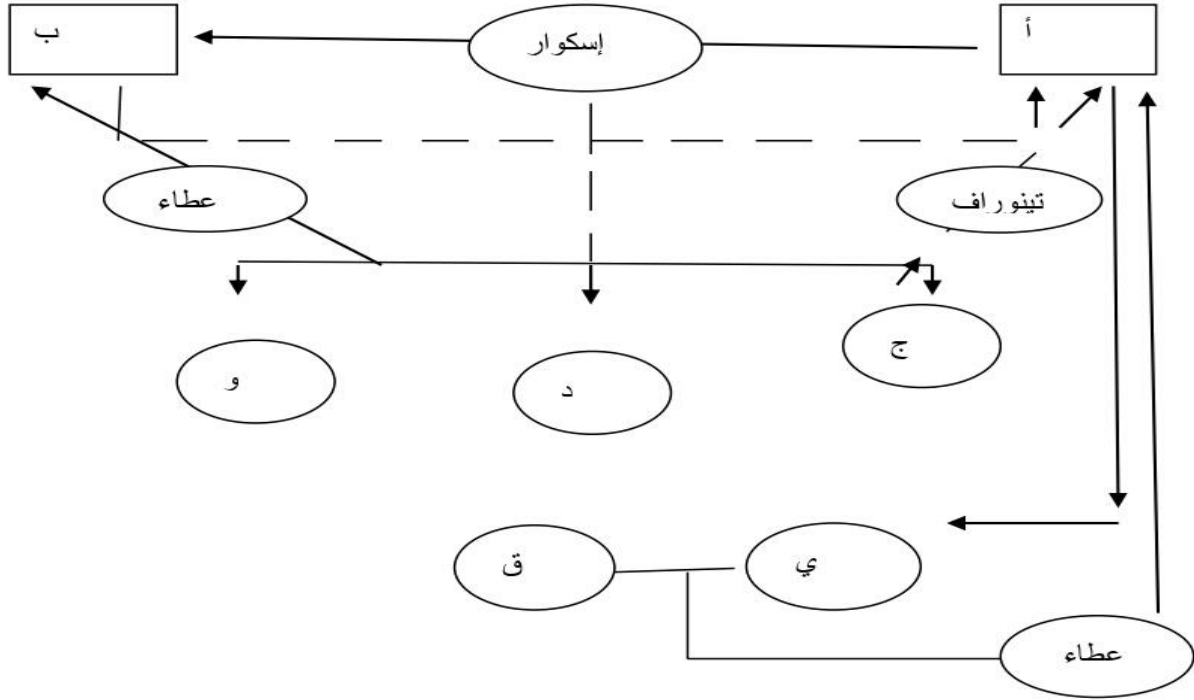
وفي الأخير يمكن القول أنه قد تتسبب آلية واحدة في الشبكة الواحدة بوجود آليات أخرى فكأنّما الآلية الأولى تترد، كما أنّها ترتبط ببعضها البعض دون أن ننسى وجود العوامل المساعدة على تولد الآلية التالية فمثلاً من خلال المخطط السابق نلاحظ أنّ العامل المساعد على الانتقال من الآلية الثانية إلى الآلية الثالثة كان "أحد أقارب المشتري"... فهناك احتمال أن تنتج آلية عن آلية أخرى وليس بالضرورة أن تظهر كعملية للشراء في هذه الحالة صاحب السلعة المباشر ليس حاضرًا غير أنه تعمد جلب السلعة أثناء تشكّل الشبكات التفاعلية؛ دون أن ننسى الطابع المرحي لهذه الأخيرة.

• استخدام الآلية التفاعلية "اسكوار" وتدخل أكثر من ثلاث عناصر

هناك حالة تكون فيها الآلية التفاعلية مستهدفة للعنصر (ب) لكن أكثر من ثلاث عناصر تقوم بردة الفعل مع العنصر (ب)؛ ممّا قد ينتج عنه ما يسمى بـ "مودا - مودا" وبحيث أنّ العناصر الثلاث تربطهم علاقة قرابة قوية وقد جاء استخدام الآلية التفاعلية "اسكوار" من قبل العنصر (أ) بالقول "كم ورزنهيد..." أبده وليد آظرف "العنصر يقول بالرد الشفوي؛ لكنه لا يستجيب فعليًا للعنصر (أ) بتاتًا فتتدخل العناصر (ج، د، و)؛ ممّا يعني أنّ العنصر (أ) قد تلقى الآلية التفاعلية "تينوراف"، فتقوم بذلك العناصر الثلاث بالشراء من العنصر (أ) لصالح العنصر (ب) أي منحه هدية وبما أنّ العنصر (أ) قد تلقى "تينوراف" يقوم بالاتصال بالعناصر (ي) و(ق) فيقومان بالإتيان بنفس الفعل الموازي أي بالعتاء من ذات عملية البيع الخاصة بـ (أ) ذاته.

*يقصد بها التفاخر سواء كان التفاخر بالمظهر، بالمال، بالنسب... الخ.

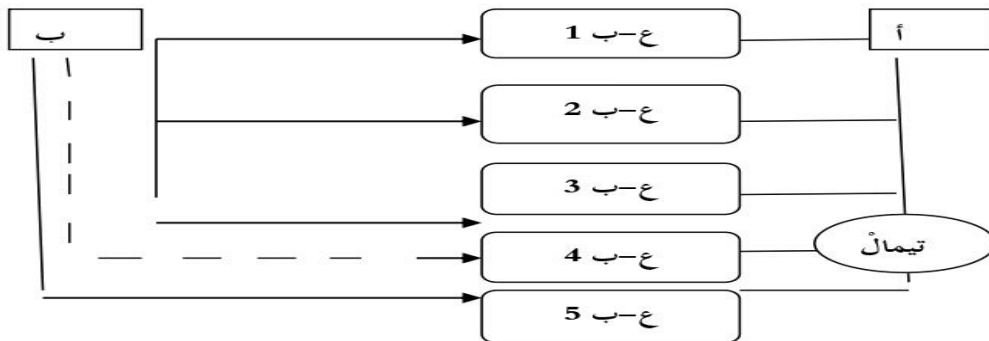
الشكل رقم (43): يوضح استخدام آلية إسكوار وتدخل أكثر من ثلاث عناصر.



• استخدام آلية تيمال من قبل صاحب عملية البيع الصغيرة

الشكل رقم (44): يوضح استخدام الآلية التفاعلية "تيمال" من قبل صاحب عملية البيع

الصغيرة

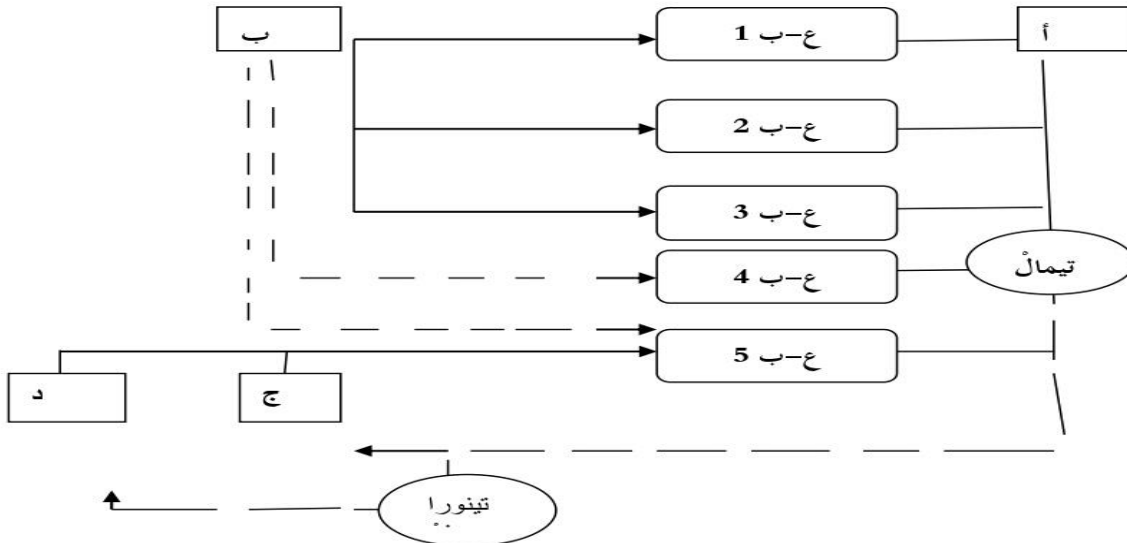


من خلال عمليات الشراء المتكررة للعنصر (ب) من العنصر (أ) من عملية البيع الأولى إلى غاية عملية البيع الثالثة، يلاحظ العنصر (أ) غياب العنصر (ب) فيقوم باستخدام الآلية التفاعلية "تيمال" (المدح) لدفعه للشراء من "عملية البيع الصغيرة" خاصته، فيستجيب العنصر (ب) في عملية البيع رقم خمسة.

وهناك حالة أخرى لا يستجيب فيها العنصر (ب) للعنصر (أ) بل يتلقى هذا الأخير استجابة من عناصر أخرى، إذ تقوم تلك العناصر بترجمة استخدام العنصر (أ) لآلية "تيمال" بأنها استخدام لآلية "تينوراف*" ضدهم؛ مما يعني التشكيك بقدرتهم المادية على الشراء أو أنهم يتصفون بالبخل، ففي هذه الحالة حتى وإن لم ترغب العناصر السابقة بالافتاء بشكل حقيقي فهي تقوم بذلك لإثبات العكس على حسب تأويلها لاستخدام العنصر (أ) للآلية التفاعلية "تيمال".

وذلك ما يوضحه الشكل رقم (45) التالي: استخدام الآلية التفاعلية "تيمال" لدفع للشراء من

عملية البيع



*تبنى هذه الآلية على الجانب المادي "العطاء"، فهي تنشأ بسبب منح العنصر (أ) لـ (ب) هدية على سبيل المثال بحضور العنصر (ج).

تجدر الإشارة إلى أنه في هذه الحالة العنصر (أ) وهو صاحب عملية البيع الصغيرة وجه الآلية التفاعلية للعنصر (ب)؛ لكنه لم يستجيب فظفر بعنصرين (ج ود) وبطريقة غير مباشرة وغير مقصودة؛ مما زاد من كسبه.

• السرية وعمليات البيع الصغيرة

من النادر أن تستخدم الآلية التفاعلية "السرية" في عمليات البيع الصغيرة إلا في حالتين: في حالة القرابة و/أو وجود علاقة مع أحد طرفي العملية وبالتالي البيع بسعر أرخص؛ وذلك يسمى عند إيموهاغ "إريث" (بكسر الألف) أو تقادياً للآلية التفاعلية "تيمودا - تينوراف".

• استخدام الآلية التفاعلية "مكا - تانفالت" يولد استخدام الآلية التفاعلية

"تيمودا"

استخفاف أحد العناصر ضمن الشبكة التفاعلية بعملية البيع الصغيرة الخاصة بالعنصر (أ) واستخدام طريقة غير مباشرة لإعطاء رأي سلبي عنها أي توظيف الآلية التفاعلية "مكا*" عن طريق "تانفالت*" وقد يكون سبب استخدام هذه الأخيرة؛ لأن تلك العناصر تدرك أنه ضمن الشبكة التفاعلية يوجد عناصر أخرى سريعة الاستجابة... تستخدم آلية "تيمودا" وبكثرة ومع ذلك فإن تلك العناصر تستجيب وتقوم بالرد على العناصر المستخدمة للآلية "مكا-تانفالت" كآلية دفاعية أي "تيمودا" ضدها وكردة فعل ثانية تقوم العناصر المدافعة بالشراء من ذات العملية التي وُصفت بالسلبية لإثبات العكس لبقية الأفراد غير المنشطين للآليات التفاعلية.

*تعمل هذه الآلية التفاعلية على الإنقاص من قدر ومكانة الآخر وهي شبيهة بالآلية التفاعلية "إسكوار" غير أنها لا تقوم على الجانب اللغوي فحسب، فهي تمثل رأي فرد معين بآخر "بأنه أقل منه"، ويعود ذلك لعدة أسباب.

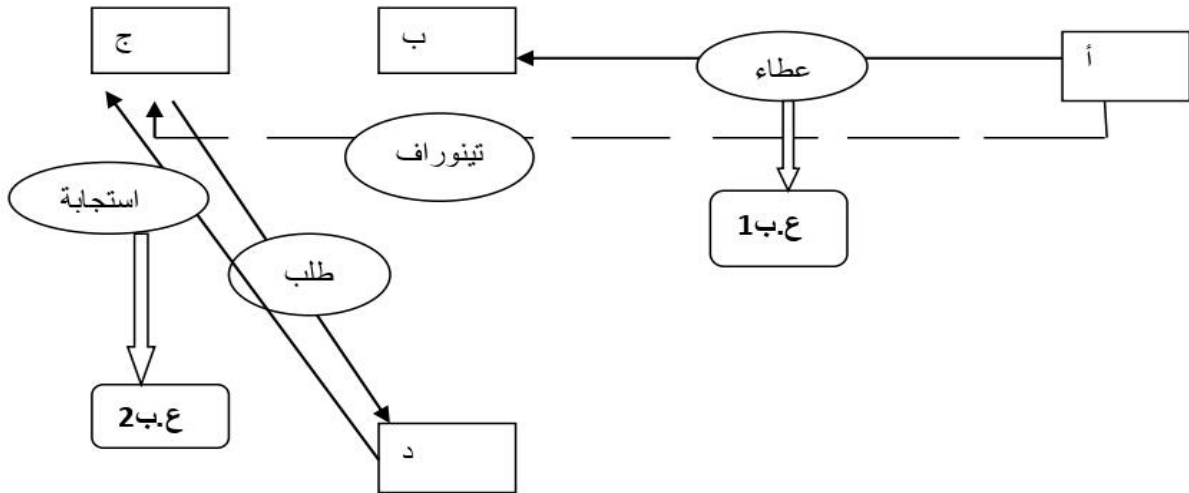
*لا يتم فيها توجيه الكلام بشكل مباشر؛ لتفادي عدم فهم الآخرين للكلام الموجه للمرسل إليه أو خوفاً من ردة فعل المرسل إليه (في حالة توجيه الكلام بشكل مباشر) أو لحفظ ماء وجه "المرسل".

• استخدام الآلية التفاعلية "تينوراف-تيمودا" وعمليات البيع الصغيرة

بشكل عام تكاد لا تخلو أي شبكة تفاعلية لأفراد مجتمع إيموهاغ من الآلية التفاعلية "تيمودا" مصحوبة ببعض الممازحة، وكذلك الحال في ارتباط استخدامها بعمليات البيع الصغيرة، لذلك قد تمت ملاحظة استخدامها في عدة مواقف إستراتيجية ومن أهمها:

• آلية "تينوراف" وعمليات البيع الصغيرة المزدوجة

الشكل رقم (46): استخدام آلية "تينوراف" وعمليات البيع الصغيرة المزدوجة



أثناء القيام بعرض "عملية البيع" رقم (1)، العنصر (أ) يقوم بمنح هدية للعنصر (ب) ضمن شبكة تفاعلية يكون بها العنصر (ج) هذا الأخير يستجيب للآلية التفاعلية "تينوراف" فيقوم بالإنصال بالعنصر (د) والذي كان غائباً عن الشبكة التفاعلية فيقوم بالرد بنفس فعل العنصر (أ) لصالح (ب) إذ يقوم بالشراء من "عملية البيع" رقم (2)؛ مما يعني أنّ غياب العنصر (د)

*تعمل على التعبير بمشاعر المودة والاحترام بين خطوط القرابة المختلفة (أولاد العمومة، أبناء الخالات، الأبناء، الإخوة، الأخوات... الخ) وهي تبرز رغبة الطرف الثالث في فعل مماثل.

ضمن الشبكة التفاعلية أدى إلى وجود عمليتي بيع صغيرة باستخدام آلية تفاعلية واحدة، مع أنه توجد حالات يقوم بها العنصر (ج) بطلب (ج) أخذ هدية بالاستدانة من البغوشرا (1).
تجدر الإشارة بأنه بمجرد استخدام أي عنصر داخل أي شبكة تفاعلية للهدية كتعبير معنوي لأحد الأفراد في الشبكة التفاعلية واقتنائها من عملية بيع صغيرة داخل الشبكة يعني أنه يستخدم بالضرورة آلية "تينوراف" ضد البقية حتى وإن كان ذلك من غير قصد.

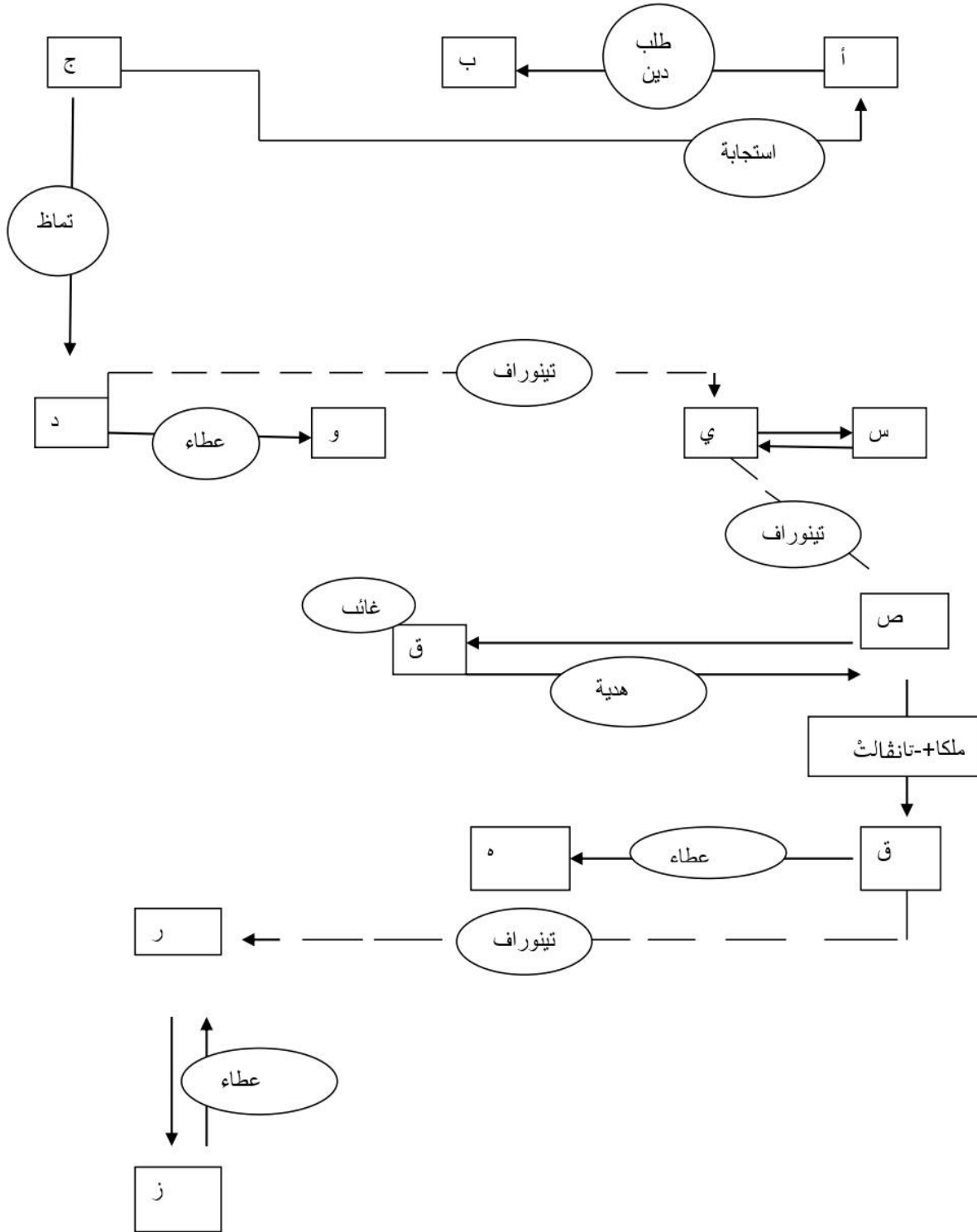
• عملية البيع الصغيرة "مودا - مودا"

"مودا - مودا" كما يصطلحون عليها؛ لأنه يترادف فيها استخدام الآليات التفاعلية، بحيث تتجاوز عمليات الشراء عشرة عمليات أو أكثر، لدرجة يتم فيها شراء كل ما كان بحوزة صاحبة العملية (الكسب دفعة واحدة).

أكثر من سبع عمليات بيع، بدأت بطلب إحداهن (أ) دين من عمته (ب) من أجل شراء؛ لكن إحداهن قامت بتسليفها (ج) قامت هذه الأخيرة بإبتزاز إحداهن من أجل شراء القيام بنفس الشيء أي استخدام الآلية التفاعلية "تماظ"، وكان الرد أن قامت (د) بنفس الفعل لصالح أخرى (و) لم تطلب أصلاً، وهناك من أراد التقليد فتدخل (ي) إلى أن جاءت أخرى مستخدمة آلية "ملكا" بالقول أو بمدحها لإحداهن وكانت غائبة وقد ردت عليها أختها أي أخت الغائبة فقامت بالفعل لصالح أخرى لتثبت قدرتها على الصرف، وقد بلغت عملية البيع حتى الأفراد الغياب.

"مودا - مودا" لا تعرف التوقف إلا في بعض الحالات في حالة انقضاء ما أدى إلى تشكل الشبكات التفاعلية والشبكات التفاعلية المجاورة لها فحتى غياب العناصر الموازية عن تلك الشبكات لا يمنع توقفها؛ لأنّ هناك من يلجأ إلى الاتصال بها أو إرسال أحدهم لإبلاغه فحتى عدم الاستجابة في هذه الحالة يعد سبباً قوياً لتدخل عناصر أخرى نظراً للنشاط المكثف للآليات التفاعلية.

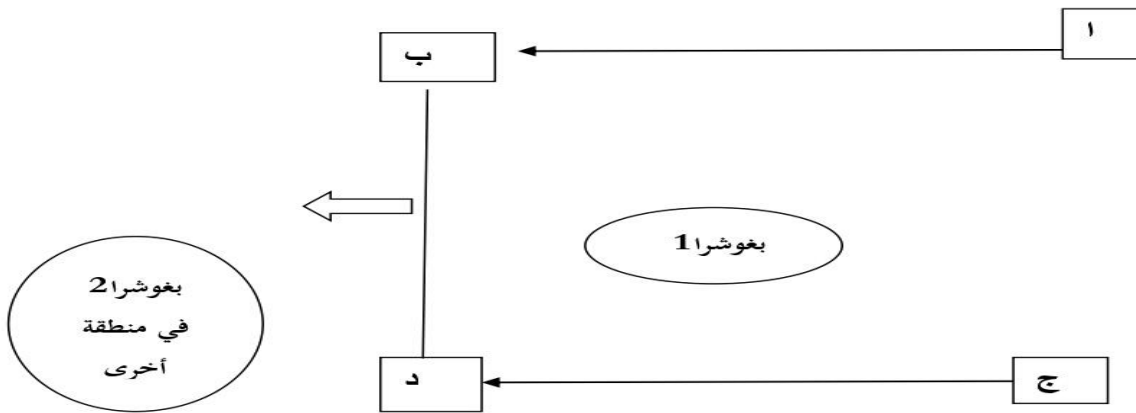
الشكل رقم (47): يوضح "مودا-مودا"



• عملية بيع باستخدام "تينوراف" وتحويلها لمنطقة أخرى كعملية بيع جديدة

الشكل رقم (48): عملية بيع باستخدام "تينوراف" وتحويلها لمنطقة أخرى كعملية بيع

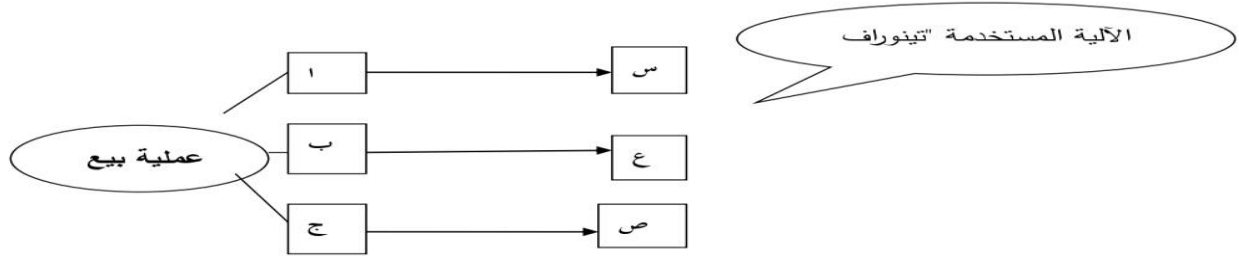
جديدة



بفضل عملية البيع الموضحة أعلاه قرر العنصرين (ب) و(د) ممارسة عملية البيع في منطقة أخرى مع العلم أنّ العنصرين (ب) و(د) من نفس الأسرة ومن نفس المنطقة وذلك بفضل الآليات التفاعلية المستخدمة في البغوشرا 1 (عملية البيع 1) وبطريقة عفوية وعليه يتّضح بأنّ ممارسة عمليات البيع الصغيرة أحياناً لا يحتاج إلى تفكير مسبق، كما أنّه يتم بطريقة عفوية لاعقلانية.

- عملية بيع باستخدام آليّة تينوراف بشكل غير مباشر

الشكل رقم (49) يوضح عملية بيع باستخدام آليّة تينوراف بشكل غير مباشر



ما يميز عملية البيع هذه هو استخدام آليّة تينوراف بشكل غير ومباشر واستجابة الأفراد دون استخدام الآليّة التفاعليّة "الممازحة" أو أي ردة فعل كلاميّة فقد اكتفى العناصر بعمليات الشراء حتى أنّ الأفراد (س) و(ع) و(ص) لم يكونوا حاضرين.

- د. العطاء المادي كمحفز لاستخدام الآليّات التفاعليّة في عمليات البيع

ذكرنا فيما سبق بأنّ أنماط العطاء المختلفة عند مجتمع إيموهاغ تلعب -أحياناً- دور المحفز لاستخدام الآليّات التفاعليّة المختلفة:

- استخدام طلب العطاء المادي كآليّة تفاعليّة في عملية البيع

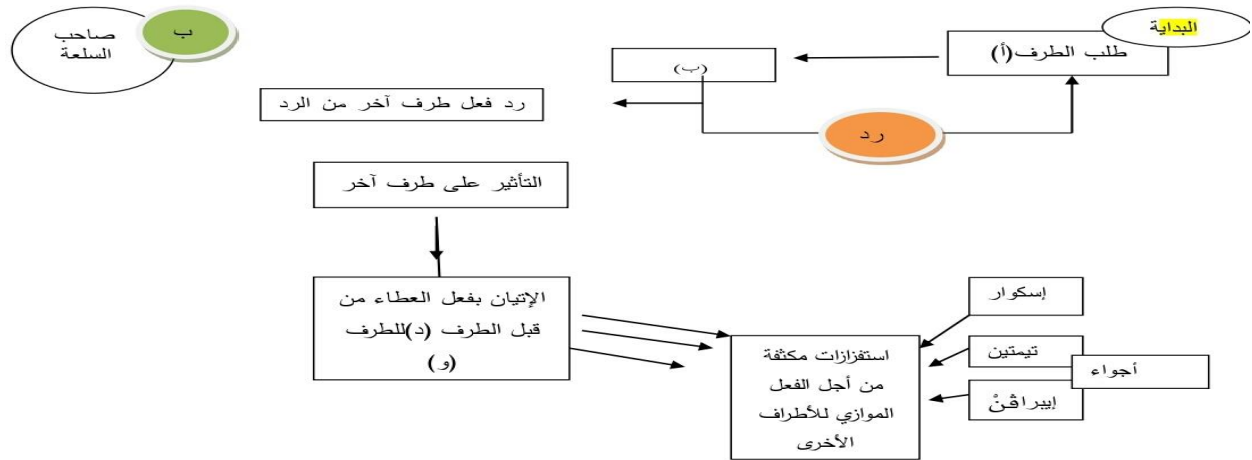
الشكل رقم (50): يوضح نمط من أنماط العطاء كآليّة تفاعليّة في عملية بيع وشراء



البيع عن طريق الصدفة، يُعد آلية تفاعلية، فقد لعبت "الصدفة" دوراً مهماً في عملية البيع هذه وهي تخص "عمليات البيع الخاصة بالصناعات التقليدية اليدوية"، فقد تم توظيف نمط العطاء فيها كآلية تفاعلية؛ لأنه بفضل "طلب" توقينت أو ما يسمى الدخان* عرف الزوار بأن هناك عمليات بيع ولقد كانت للعامل الجندري المتميز (رجال - نساء) دوراً هاماً في الاستجابة للطلب وفي عملية البيع بسعر مناسب؛ مما يعني بأنه قد تم بالموازاة استخدام آليات تفاعلية أخرى بالإضافة إلى "طلب العطاء" وهي: "أشك" والذي فرضه تواجد الرجال بحضرة مجموعة من النساء فمن المعيب أن يرد طلبهن، فلا بد من الاستجابة لطلب العطاء أولاً ثم قبول السعر الذي يردنه لسلمتهن، فآلية "إبرافن / تاهولت تقتضي إظهار الرجل لقدرته على الشراء.

• استخدام مجموعة من الآليات التفاعلية (طلب عطاء، تينوراف، إسكوار، إبيرافن) في عملية بيع

الشكل رقم (51): يوضح استخدام مجموعة من الآليات التفاعلية في إحدى عمليات البيع الصغيرة



*الصدفة لأن عملية البيع تمت بفضل زيارة لطاغم من المرضيين مع بعض الممثلين الرسميين.
*تمط من أنماط العطاء المادي عند إيموفاغ، تمت الإشارة له في الفصل الرابع من هذه الدراسة.

صاحبة السلعة قامت بتسليمها لأحد* الأطراف ضمن إحدى الشبكات التي بدأت بالتشكل، الطرف (أ) قام بالطلب من الطرف (ب) أن يشتري له قطعة من تلك السلعة فاستجاب الطرف (ب) بأكثر مما كان متوقع من الطرف (أ)، تدخل الطرف الثالث (ج) كمحاولة كسيية، لكن الطرف (ب) لم يقيم بأي رد (الطرف ب وج بنات الخالة)، كل ذلك أثر على الطرف (د) وهذا التأثير كان بداية الفعل الموازي والذي نقصد به العطاءات التي تكون بالموازاة كموازات بنات الخالة مع بنات خالة آخرين وأبناء العم مع أبناء عمومة آخرين وهكذا...الخ.

قام الفاعل (د) بالعطاء للفاعل (و) ومن هنا بدأت الإفتزازات المكثفة من أطراف عدة من أجل الإتيان بالفعل الموازي أي العطاء الموازي في أجواء مرحة؛ لأنه لم تكن هناك أية ردة فعل على الإطلاق.

إلا أنه يمكن القول بأن هناك تأثير لتلك الاستفزات (أي استخدام مجموعة من الآليات التفاعلية المختلفة، دفعة واحدة) تأثير على أطراف لا علاقة لهم بها ويتضح ذلك من خلال المحاولات من أجل العطاء أو الظفر بعطاء لكن الأطراف المقصودة مترددة بسبب: التخوف من الخسارة بسبب (تينوراف*)، وضعها الاقتصادي أو لسبب يعود إلى طبيعة شخصيتها.

نستنتج من خلال ما سبق أنّ هناك علاقة بين عمليات البيع الصغيرة وسوسيولوجيا العطاء والمرح عند إيموهاغ، يمكن القول بأن ما سبق يشبه "لعب القمار"، كلما زادت احتمالية تأثر الأفراد بالآليات التفاعلية، كلما زادت احتمالية خسارتهم لنقوده لصالح آخرين والملاحظ أيضاً بأن هناك أطراف مستفيدة بنسبة كبيرة؛ لكنها لم تقم بأي مجهود كصاحبة السلع في الشكل السابق لا علاقة بما يجري في الشبكة والطرف (و).

*قد تبدو مسألة اختيار من يتولى مهمة البيع -من قبل صاحب السلعة وبالنيابة عنه- مسألة عفوية غير أنّ صاحب السلعة غالباً يقوم بانتقاء عنصر ذو خصائص شخصية معينة.

*تبنى على الجانب المادي "العطاء"، فهي تنشأ بسبب منح العنصر (أ) ل(ب) هدية على سبيل المثال بحضور العنصر (ج).

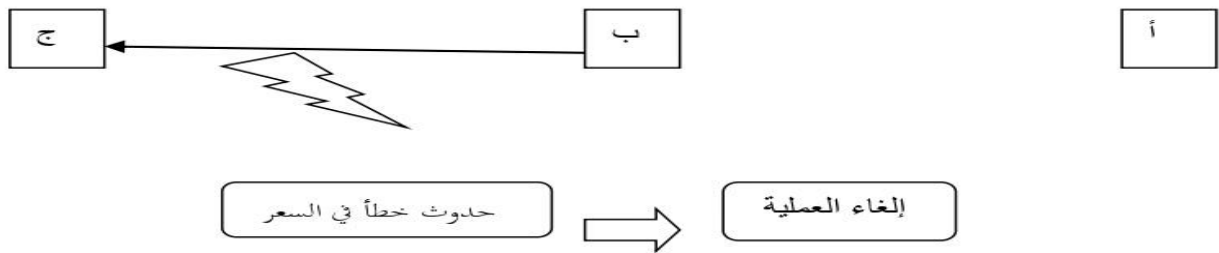
هـ. حالات غياب استخدام الآليات التفاعلية في عمليات البيع الصغيرة

• توظيف "الخوف من تفعيل الآليات التفاعلية لإخفاء ضعف الوضع المادي

الخوف من تفعيل الآليات التفاعلية أو آلية تفاعلية معينة هو في حد ذاته آلية تفاعلية؛ لأن بعض الأفراد يقومون بتوظيفها ضمن عمليات بيعهم الصغيرة بسبب ضعف ما يمتلكونه في ذات الطرف أو نظراً لحالتهم المادية بشكل عام فبدل القول: "لا أملك المال" يتم تبرير المسألة بأنه يخاف تفعيل آلية معينة وذلك بالقول: "أكسوزغ أتن تمندام أسنارفتت" في هذا الموضع الآلية المقصودة أو التي تم إبداء الخوف من تفعيلها "تينوراف" فالإتيان بالفعل المماثل إتجاه عدد من الأفراد يعني بالمقابل خسارة مادية بالنسبة للمشتري ومادام الأفراد غالباً -وكما أشرنا سابقاً- يهتمون لمسألة حفظ الاعتبار ضمن الجماعة يلجؤون لآلية الخوف من "تنشيط أو تفعيل الآليات التفاعلية"؛ لتقادي خسائر مالية.

• غياب استخدام الآلية التفاعلية "الممازحة" وعملية البيع الصغيرة

الشكل رقم (52): يوضح غياب استخدام الآلية التفاعلية "الممازحة" وعملية البيع الصغيرة



عملية بيع صغيرة للعنصر (أ) قام بتسليمها للعنصر (ب) هذا الأخير باع للعنصر (ج) بطريقة عادية دون استخدام أي آلية تفاعلية، إلا أنه أخطأ في سعر السلعة، كما أنه أثناء إخبار العنصر (ج) بذلك لم يتم باستخدام أي آلية وذلك بسبب عدم توقعه لاستياء العنصر (ج) من الأمر.

خلاصة ومقارنة تفسير المعطيات الإمبريقية حول كيفية تحقيق الآليات التفاعلية مكاسب في عمليات البيع الصغيرة

من خلال المرحلة الأولى من عملية "المقارنة المستمرة" في هذه الدراسة توصلنا إلى الخلاصات التالية:

- قد يتم استخدام نفس الآلية من قبل طرفين في نفس الشبكة وفي نفس عملية البيع؛ لكن بهدفين مختلفين (أشبه بالتفاوض).
 - قد يتم توظيف "الخوف من تفعيل الآليات التفاعلية"؛ لإخفاء ضعف الوضع المادي له.
 - في عمليات البيع الصغيرة غالباً صاحبة السلعة لا تقوم بتفعيل أي آليات تفاعلية سوى بعرض السلعة في إحدى الشبكات التفاعلية أو أخذها من منطقة لأخرى أو من منزل لآخر.
 - كلما زادت احتمالية تأثر الأفراد المكونين للشبكة التفاعلية معينة -أو البعض منهم - بالآليات التفاعلية كلما زادت احتمالية خسارتهم لمبالغ نقدية أو مادية لصالح الآخرين.
 - الآلية التفاعلية "الممازحة" تزيد من المكاسب، بحيث أنّ العنصر (أ) و(ب) يقومان باستخدامها؛ لهدفين مختلفين فالأول يقوم باستخدامها للتهرب من الدفع الآني والثاني لإدعاء بأنّ "عملية البيع" ليست له بل لشخص آخر؛ ممّا يدفع الأول للدفع المباشر ويعني استفادة الطرف (ب) وهو صاحب "عملية البيع" الحقيقي.
 - الخوف من تفعيل الآلية التفاعلية "تينوراف"* لا يؤدي إلى زيادة مكسب أي عنصر في عملية البيع الصغيرة.
- تم استخدام طلب العطاء المادي "توقينت"* الذي زاد من المكاسب في عملية البيع؛ لأنّه بفضل تلك الآلية عرف الضيوف بأنّ هناك عملية بيع خاصة بالصناعة التقليدية "أسدكان"؛ ممّا نتج عنه أيضاً استخدام للآلية التفاعلية "إيرافن"* والبيع بسعر عال جداً.

*تينوراف" تُبنى على الجانب المادي "العطاء"، فهي تنشأ بسبب منح العنصر (أ) ل(ب) هدية على سبيل المثال بحضور العنصر(ج).

*راجع الفصل الرابع من هذه الدراسة.

*يقصد بها التفاخر سواء كان التفاخر بالمظهر، بالمال، بالنسب... الخ

- استخدام الآلية التفاعلية الثنائية (اسكوار - تماظ*) تزيد من مكاسب الأفراد؛ بحيث تدفع البعض لشراء من "عملية البيع" حتى وإن لم يرغب فعلياً بها؛ مما يعني استخدامهم للآلية التفاعلية "إيرافن" ونظراً لمستواه المعيشي يلجأ إلى عنصر آخر؛ مما يعني أنه استخدم هنا الآلية التفاعلية "الطلب"؛ مما ولد استخدام للآلية التفاعلية "تينوراف" وفي الأخير تحقق مكاسب للعديد من الأفراد واستفادة صاحب "عملية البيع" بالضرورة.

المرحلة الثانية:

- لاحظنا أنّ صاحب عملية البيع قد يلجأ إلى استخدام الآلية التفاعلية "تيمال" (المدح) لزيادة مكاسبه من عمليات بيعه الصغيرة.
- لاحظنا بأنّه أثناء استخدام صاحب عملية البيع الصغيرة للآلية التفاعلية "تيمال" تتدخل عناصر فيتم تأويلها على أنّها آلية تفاعلية "تينوراف"؛ أي أنّه قد تم الإتيان بفعل معنوي لصالح العنصر الموجه له الآلية السابقة وبالتالي فإنّ صاحب عملية البيع هذه يزيد من مكاسبه دون شعور منه أي بشكل تلقائي فبدل أن يستجيب عنصر واحد يتلقى الاستجابة من عدة عناصر.
- استخدام الآلية التفاعلية "تيمودا - تينوراف" يعني بالضرورة زيادة مكاسب الأفراد في عمليات البيع الصغيرة.
- لاحظنا بأنّ استخدام أحد العناصر للآلية التفاعلية "تائفالت-مكلا*" ضد صاحب عملية البيع الصغيرة قد يؤدي إلى تدخل عناصر أخرى كتضامن معنوي في البداية ليتحول إلى تضامن فعلي وبالتالي القيام بـ"شراء المجاملة"-إن جاز القول -من صاحب عملية البيع؛ مما يعني العمل على زيادة مكاسبه.
- لاحظنا بأنّ استخدام الآلية التفاعلية "تينوراف" وغياب أحد العناصر قد يؤدي إلى زيادة مكاسب عمليتي بيع صغيرة وليس واحدة.

*شبيهة بما يسمى بـ"شعائر انخفاض المكانة" لدى عالم الاجتماع الأمريكي Harold Garfinkel، وهي تركز على الجانب اللغوي، وهي أشبه بتذكير الفرد بوصمة عار وقد يكون ذلك من خلال مقارنته بأخر، بالإضافة إلى وجود نوع من التحدي.
*كلام يوجه بشكل غير مباشر ويعمل على الإنقاص من مكانة الآخر.

- لاحظنا أنّ عدم استخدام العناصر للآلية التفاعلية في بعض المواقف كـ"حدوث خطأ في السعر" قد يؤدي إلى إلغاء عملية البيع وبالتالي عدم استفادة كلا الطرفين.
- ما يُصطلح عليه بـ"مودا-مودا" يُعد أكبر شبكة تفاعلية تتم فيها عمليات البيع بفضل كتلة الآليات التفاعلية التي يتم استخدامها وبشكل نشط جداً وحسب ما تمت ملاحظته فإنها تتحقق من خلال اجتماع العوامل التالية:
-ظرف أو مناسبة اجتماعية إيجابية.
-وجود شبكات تفاعلية متعددة ومتجاورة مكانياً.

-وجود فاعلين معروفين بتفعيل الآليات التفاعلية وتنشيطها نظراً لطبايعهم الشخصية.

-وأهم شيء وجود عمليات بيع صغيرة.

- استخدام الآلية التفاعلية "السريّة" في عملية البيع الصغيرة يبيّن وجود ما يصطلح عليه عند إيموهاغ "إريث"؛ أي تخفيض السعر لشخص معين دون سواه؛ ممّا يعني بالضرورة استفادة كلا الطرفين، تجدر الإشارة بأنّ ما يسمى بـ"إريث" دليل على وجود علاقة قويّة جداً بين العنصرين (أ) و(ب) أو ما يسمى "سمغار" عند إيموهاغ.
- هناك حالات، إذا تحقق الكسب للآخرين، فإنّ صاحب السلعة لا يتحقق* له الكسب بسبب كثرة عمليات البيع بواسطة "الدين"، إذ لا يتمكن العديد من الأفراد من الدفع "الآني" في ما يُصطلح عليه بـ"مودا-مودا".

المرحلة الثالثة:

- أحياناً يستخدم الأفراد الآلية التفاعلية "تيمودا" دون الآلية التفاعلية "الممازحة" إلا أنّ ذلك لا يؤدي إلى صراع فعلي بين عناصر الشبكة الواحدة.
- نلاحظ من خلال الخلاصات المتعلقة بكيفية تحقيق الآليات التفاعلية مكاسب لأفراد مجتمع إيموهاغ الريفي في عمليات بيعهم الصغيرة من خلال عملية المقارنة المستمرة بأنّ هناك تكامل

*لأنّ هناك احتمالية ألا يقوم البعض بالدفع مطلقاً حتى على المدى البعيد.

وتناقض في بعض النقاط، أما التناقض فنجدّه بين المرحلة الأولى والثانية، إذ تمّ التوصل في المرحلة الأولى بأنّ صاحب عملية البيع لا يقوم بتفعيل الآليات التفاعلية لغرض الكسب، إلا أنّه خلال المرحلة الثانية يتّضح العكس؛ ممّا يعني أنّ المواقف الإستراتيجية الخاصة باستخدام الآليات التفاعلية المختلفة من الصعوبة حصرها.

كما أنّ هناك تكامل بين تفسير معطيات المراحل الثلاث من عملية المقارنة المستمرة، ولاحظنا أنّ التفسير المعطيات بدأ يتجه من العموميّة نحو التعمق في المرحلة الثالثة على الرغم من ضعفها في المرحلة الثالثة، فعلى سبيل المثال خلال المرحلة الأولى لاحظنا بأنّ الآلية التفاعلية "السريّة" يتم استخدامها لتجنب الآليات التفاعلية، غير أنّه في المرحلة الثانية لم تكن هناك أية معطيات تخص استخدام الآلية التفاعلية "السريّة" لتحقيق الكسب في العادة المكسبة في حين في المرحلة الثالثة من عملية جمع المعطيات وتفسيرها لاحظنا أنّه لم يتحقق الكسب لصاحب الظرف أو المناسبة الاجتماعية فحسب بل أيضاً بعض "المانحين" (من خلال تيغها)، أي تتم عملية "الإرجاع الآني" عن طريق استخدام الآلية التفاعلية "السريّة" وكذلك يمكن للعادة المكسبة الخروج من نمط "السريّة" عن طريق الصدفة.

الفصل السابع: عمليتي الكسب التقليدية والممارسة

التدبيرية عند إيموهاغ تاقرفاست



1. نقد تعميم الطرح الأنجلوساكسوني للتدبير

- أ. إبراز حقيقة التدبير
 - ب. التدبير ومبدأ اللاتماثل بين البيئات الثقافية
 - ج. إمكانية ربط الممارسة التدبيرية بالظاهرة غير الرسمية
2. العملية التدبيرية عند إيموهاغ

- أ. فعالية العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة كطرق كسب تقليدية عند إيموهاغ تاقرفاست
- ب. تداخل وتكامل الممارسات التدبيرية المختلفة عند إيموهاغ

1. نقد تعميم الطرح الأنجلوساكسوني للتدبير

يرتكز نقد تعميم الطرح الأنجلوساكسوني للتدبير بحقيقة أنه ليس علماً بحتاً، ففي الوقت الذي بلغت فيه بعض المجتمعات الغربية -الرأسمالية- درجة عالية من التقدم التقني الهائل وتعد مجتمعاتها ومؤسساتها، كما أفرز ذلك العديد من التأثيرات على الفرد والمجتمع بالمقابل هناك مجتمعات تقليدية تُحاول محاكاة بعض أوجه التقدم رغم ذلك هي تعتبر بعيدة عن الواقع المماثل للمجتمعات الغربية، لذلك فإن فكرة عالمية المفاهيم والنظريات من شأنها إهمال الواقع الخاص لبعض الجماعات.

أ. إبراز حقيقة التدبير

كان المجتمع الأمريكي لأكثر من قرن من الزمان شغوفاً بالمدير المثالي (Alger Horatio) ولذلك قد فوجئ بأن هناك دراسات أثبتت أنّ هناك حقيقة غير التي كان يؤمن بها حول واقع التدبير.¹

تتمحور التفسيرات الأكثر شيوعاً والأكثر فورية ووضوحاً حول "التدبير"* بأنه تخصص تقني، حديث، لا يناقش مع العامة ويرتبط بالقطاع الخاص، فمنذ أكثر من أربعين سنة كانت الجرائد تتحدث عن الاقتصاد والسياسة... الخ، لكن حالياً بدأ الحديث عن المشاكل الإستراتيجية للمؤسسات في الجامعة.²

¹.Henry Mintzberg, le management (voyage au Centre des organisations), traduit par Jean -Michel Bebar, S.L, 2ém édition d'organisation, 2004,p.21.

* حسب قاموس ميريام وبستر (2015) المناجمنت على أنها "فعل أو فن الاشراف على شيء ما (كالشركة) ويوضح مثال الشركة هنا بأن مفهوم المناجمنت أو الإدارة لم يعد يقتصر على المشاريع والأعمال التجارية فقد اقتحم الحياة اليومية وقد اقتصر على المستوى الدولي استخدام كلمة Manager المستخدمة الآن في العديد من اللغات المتزامنة مع أو بدلاً من المصطلحات الأصلية للدلالة على الأشخاص المسؤولين عن الآخرين ولكن حتى في اللغة الانجليزية لم يتم استخدام المصطلح نفسه على نطاق واسع إلا بعد الحرب العالمية الثانية وترجع أصول الكلمة إلى منتصف القرن السادس عشر (الكلمة الايطالية maneggiare والتي تعتمد بدورها على الكلمة اللاتينية manus من ناحية وقد كان يشير بشكل خاص إلى التعامل مع الخيول ولقرون تم استخدام المناجمنت للوحدات الصغيرة، أي الكنائس والأسر.

².Romain Laufer, « Pourquoi les chercheurs français en management interviennent -ils si peu dans le débat public? » ,Revue française de gestion ,n°178-179,2007,p.212./site :www.cairn.info/revue-française-de-gestion-2007-9-page-211.htm/04/04/2020/h00 :09.

غير أنّ فكرة أنّ التدبير هو علم لم تعد مطلقة فقد بدأ الواقع -والمترجم من خلال العديد من الأبحاث الحديثة- بالظهور، بات اسم "التدبير" مقرون بمفاهيم ومصطلحات غير مألوفة كالحدس، التخمين، الروحانية... الخ

فحسب الباحثة (Meryem Le saget) العقلانية التي عرفتھا المجتمعات الحديثة لم تعد كافية، والتعامل مع الأرقام والإحصائيات لا يلغي الانفعالات والأحاسيس داخل المؤسسة، وبالتالي لا يمكنه إلغاء الحدس.¹ ممّا يعني أنّ التدبير ليس علماً فحسب يتسم بالصرامة المطلقة فحتى التفاعل مع الكيان الرسمي للمؤسسات يتطلب جانباً فنياً.

كما أثبتت الدراسات الحديثة أنّ عمل المدير "المناجر" ليس عملاً ممنهجاً كما كان يُعتقد، ومن أهم من تناول حقيقة المدير والتدبير (Henry Mintzberg) الذي بدأ دراساته وأبحاثه خلال الستينيات، فخلال تلك الفترة طلب (James Webb) وهو الذي كان يقوم آنذاك بتسيير (NASA) بأن يكون موضوع دراسة، خاصة أنّ تلك المنظمة كانت بحاجة إلى إثبات خبرتها في الاكتشافات والاختراعات، قام (James Webb) بعرض الفكرة على بروفيسورات (School Sloan of Management du MIT) وبما أنّ (Henry Mintzberg) كان الطالب الوحيد الذي كان بتخصص (Management) طلب منه دراسته كموضوع لأطروحة دكتوراه وبما أنّه كان هناك استحكام بارز لـ (MIT) فقد قضى أياماً كاملة وهو يراقب (James Webb) دون أن يُحدثه بكلمة، وأخذ بذلك يسجل كل ما يلاحظه وقد أخذ ما ذكره له في وقت من الأوقات أحد أساتذته بعين الاعتبار بأنّ الهدف الحقيقي لدكتوراه (MIT) هو "اللباقة"، تلك العبارة ألهمت (Henry) فكانت اللبنة الأولى، بحيث توصل وبعد العديد من المجهودات إلى نتيجتين: أولاً، أنّ المعرفة الضمنية تختلف عن المعرفة الصريحة الواضحة، ثانياً، بأنّ هناك ضرورة ملحة للقيام بدراسات حول حقيقة عمل المدير، هكذا بدأ أول أبحاثه حول العمل اليومي للمدير إذ استخدم فيه "الكرونومتر" أو ما يمكن تسميته بمقياس الوقت والذي قام بموجبه بملاحظة -ولمدة أسبوع كامل- نشاطات خمس من المدبرون والمتعلقون بكل من: جمعية إرشادية كبيرة، مستشفى جامعي، جامعة كبيرة، جمعية خاصة بالتكنولوجية، ومصنع كبير للمواد الاستهلاكية، ومن

¹. Meryem Le saget, Le manager intuitif (une nouvelle force), 2em édition, Paris, Dunod, 2006, p.123 -157.

خلال مؤلفه الذي صدر عام 1973 ووصف المدبر بعبارات كـ: "الفوضى المحسوبة" و"الفوضى المراقبة"، والأهم من ذلك بـ"إقامة قداس للبديهة".¹

انطلاقاً مما سلف، التدبير هو مفهوم يتسم بالمرونة والنوعيّة فهناك أربعة حقائق ترتبط بالتدبير توصلت لها نتائج دراسات حديثة أخرى في نفس سياق ما ذهب إليه (Henry Mintzberg) مع العلم أنّ تلك الدراسات كانت في مؤسسات غربيّة، فهناك العديد من الدراسات المتتابة التي أظهرت بأنّ المدبر يعيش ريثم قاس جداً وذلك بسبب نشاطاته التي تتسم بالاختصار: أي التنوع والاستمرار والتي غالباً ما تتجه اتجاه الفعل (Action) ونادراً ما تتجه نحو التفكير (Réflexion)، وهذا يتناقض مع فكرة أنّ التدبير يقوم على التخطيط المنهجي النظامي ومن أهم نتائج تلك الدراسات ما يلي:²

✓ نصف نشاطات المدبرون تستغرق حوالي تسع دقائق فقط ولا يوجد سوى 10% يستغرقون ساعة واحدة؛ ممّا يعني السرعة في الإنجاز، كما أنّه لا وجود لتخطيط منهجي دقيق.

✓ دراسة أجريت على 56 رئيس عمال أمريكي أظهرت بأنهم يتدربون على حوالي 583 نشاط مختلف في فترة مدتها ثمانية ساعات فقط، 48 ثانية يعالج نشاط مختلف تماماً.

✓ لا توجد أية دراسة أظهرت بأنّ هناك منهج نظامي ينتجه المدبر في التخطيط لجدول الزمن خاصته (...) فهو ينتقل بطريقة عشوائية من موضوع لآخر دونما توقف.

✓ كما أنّ الدراسات الحديثة أثبتت بأنّ المدبر يتصرف على نفس النحو الذي يتصرف به الأفراد في وضعهم الطبيعي، فالتدبير في شقه الفني - لو سلمنا جدلاً بأنّه ذو شقين (علمي وفني) - يرتكز على ما يُصطلح عليه بـ"المعطيات الإستراتيجية" وهي المعلومات ذات الطابع الشفوي وغير الرسمية غالباً وما يجعلها إستراتيجية هو صعوبة إطلاع الغير عليها على عكس المعطيات الأخرى؛ لذلك تمثل عنصراً إستراتيجياً يمكن الفرد من تحقيق أهدافه وتحقيق مكاسب تماماً كما هو الحال في استخدام الآليات التفاعلية

¹.Henry Mintzberg, le management (voyage au Centre des organisations), op, cit, ,p.22-24.

².Ben Yahia Farid, Management (vade mecum du managers pilotes des entreprises),Ain-M' Lila-Algerie,Dar El-Houda,2011,p.83.

عند أفراد مجتمع إيموهاغ من أجل تحقيق الكسب في عمليات الكسب التقليدية المتمثلة في العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة.

✓ فقد أثبتت الدراسات بأن ما نسبته 93% من المدبرون يفضلون الاتصال الشفهي وجهاً لوجه والذي يتم بطريقة تلقائية وارتجالية، فوفقاً لدراستين بريطانيتين المدبرون يقضون بالمتوسط 66% إلى 80% من وقتهم في الاتصالات الشفوية المباشرة، أما عن دراسة للمدبرون الأمريكيين فالنسبة قدرت بـ 78%، تُظهر النسب السابقة أنّ المهمة التفاعلية هي الأبرز لدى المدبر.¹

ما تم طرحه سابقاً يُشير إلى أنّ "التدبير" يحمل شقاً فنياً لا يحتكم للعلم بصفة مطلقة وعليه لا بد من إبراز سمات كل من العلم والفن لتبيان علاقة كلاً منهما بالتدبير.

ذهب (Bergmann Alexander*) إلى القول بأنّ الفن يهتم بصياغة الأمور المادية، المتفردة، الأصلية، في حين العلم على العكس من ذلك يسعى إلى خلق القوانين العلمية والعالمية والفن يمتاز بالكلية من طبيعته المزج بين أشياء وأمور ذات طبيعة مختلفة ولا ربّما كانت متناقضة وبالمقابل العلم تحليلي، لكونه يبحث عن معرفة علاقة الأمور ببعضها البعض في حين الفن لا يهمله إيجاد تلك العلاقات؛ لأنّه هو من يقوم بخلقها أصلاً، ومن أهم الاختلافات:²

- الفن ذاتي والعلم لا علاقة له بالشخصنة فهو موضوعي.
- الفن يتغذى بالاستبطان وهذا الأخير هو عملية تشاهد بها الذات ما يجري في الذهن من شعوريات لوصفها لا لتأويلها.
- أما العلم فيبني عن طريق الملاحظة والتجربة، كما أنّه يرتكز على القياس والكمية، فإذا كان الفنان يستخدم الشق الأيمن من المخ فإنّ العلمي يستخدم الجانب الأيسر.

¹ Ben Yahia Farid, op. cit., p.84.

* أستاذ الإدارة في كلية إدارة الأعمال بجامعة (Lausanne) (ميونيخ)، دكتوراه في علم النفس التنظيمي في جامعة كاليفورنيا، لديه سيرة ذاتية غنية بالمساهمات.

² Bergmann Alexander, «le management: un art ou une science», *revue économique et sociale: bulletin d'études économiques et sociale*, jan n°54, 1996, pp.8-9.

■ مما يعني بأنّ التدبير ليس ممارسة في متناول عامة الناس بل علم قائم بحد ذاته فهو "دين الأرقام"، فالعلم بطبعه ميال إلى الدقة والمنهج الصارم، إذ يهتم بالحصول على معارف نظامية تركز على البحث، والتدبير يسعى إلى استخدام العلم إذ يحاول المدير استخدام المعارف التي يمتلكها والفن ينتهج "فهم الذات" و"الخيال" والذي يتنافس من خلال البديهية، ففي عام 1954 كتب (Peter Druker) بأنّ "أيام المدبرين البديهية محدودة، في حين الحرفة تركز على التعلم من خلال الخبرة والتمرن وفي عام 1979 ذكر (Lewin) بأنّ التدبير ليس علم مطبق لكنه على الأرجح ممارسة كل مرة يقوم بتطبيق العديد من المبادئ العلمية، المقننة، المؤكدة وفي ذات المسألة أشارت (Hill Linda) في دراسة لها حول المدبرون الجدد بأنّ "الناس يلعبون دور المدبر قبل الفهم"¹

■ الفن معبر إبلاغي والعلم وصفي شرحي، كما أنّه محايد والفن ليس كما يُعرف عنه بدون قواعد من أهم قواعده الشكل مهم أي أنّه يهتم بالنتيجة النهائية للعمل (La forme est importante)

أما عن النقاط المشتركة بينهما فهي تتمثل في:²

✚ المهارة أو البراعة في استخدام سلطة التقنيات لا تصنع لا الفنان الجيد ولا العلمي الجيد فمن الجيد لكلاهما الفضول والوعي.

✚ كلاهما لا يعملان في فراغ لهما غاية.

✚ يتمحور التدبير حول الفعل، الأفعال التي تسمح بصنع ثروات و/أو خدمات أكثر، منافع أكثر مع القليل من الموارد وبالتالي فالتدبير يثمن من خلال معايير الفاعلية والكفاية والإثمار، ومنه التدبير متعدد الأبعاد في حين العلميين يهتمون بمجال محدد.

من خلال الاستعراض الخصائص السابقة وإبراز الفروق الجوهرية لكلا من العلم والفن يتّضح بأنّ التدبير يجمع بين الفن والعلم خاصة إن أخذنا بعين الاعتبار النتائج التي توصلت لها

¹.Henry Mintzberg, Gérer dans l'action, op. cit. ,p.21-11

².Bergmann Alexander,op. cit., p.10

الدراسات الغربية حول حقيقة عمل المدبر، فإذا كان المدبر لا يتبع أسلوبًا ممنهجًا في عمله ويتّصف بالعشوائية إلا أنه يعتبر مدبرًا؛ لأنه يمتلك القدرة على تحقيق الأهداف وبطريقة احترافية -سحرية وهذه ما يؤكد الاهتمام بالوصول إلى النتيجة النهائية وهي إحدى صفات الفن، كما أنّ تفضيل الاتصال الشفهي لدى المدبر سيضطره للتعامل بعاطفة.

كما أنّ العقلانية المطلقة التي يُصر عليها المتمسكون بالطرح الأنجلوساكسوني للتدبير من الصعوبة بمكان أن يتحلى بها الأفراد حتى لو كانوا مشبعين بالعقلية الرأسمالية الصارمة. ينتمي الأفراد إلى تنظيمات عديدة غير رسمية منذ مراحل حياتهم الأولى (الأسرة، المجتمع بكل منظومة العادات والتقاليد التي يمتلكها)، لذلك من الصعوبة بمكان أن يتخلصوا من تأثيراتها عليهم، وبالتالي تحد من عقلانيتهم الصارمة.

فما اصطلح عليه عالم الاجتماع الفرنسي (P. Bourdieu) (1992) بـ (Habitus) فكل من الأصول، الثقافة، الخبرات تمثل نظارة يتمكن الفاعلون من خلالها من رؤية العالم وبالتالي فالعقلانية محددة اجتماعياً، كما أنّ مشاعرنا ضد العقلانية؛ لأنّ الأفراد في النهاية ليسوا أجهزة كمبيوتر.¹

بالإضافة إلى أنّ هناك جهود (خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية) لإدخال "التدبير الروحي" في الأعمال التجارية، فقد أثار أحد المطاعم الشهيرة للوجبات السريعة جدلاً كبيراً في عام 2012 (Chick-fil-A)، إذ كان يستخدم معايير التوظيف المسيحية ويطلب بعض الممارسات الدينية من موظفيه، ورغم كثرة البحوث الميدانية التي أجريت بهذا الخصوص إلا أنّها لا تستند إلى أساس نظري متين.²

إنّ التسليم بما اصطلح عليه بـ "التدبير الروحي" الذي تقرد به المطعم الأمريكي الذي أشرنا له سابقاً وبما أنّ هناك تعدد للأديان فهذا يفرض بالضرورة فروقاً جوهرية في التدبير، ففي الوقت الذي يفرض فيه المطعم الأمريكي طقوس مسيحية بالمقابل يمكن لمطعم في دولة إسلامية أن يفرض على الأفراد العاملين فيه أداء الصلوات الخمس على سبيل المثال وحتى وإن لم يستند

¹. Pierre Morin, op. cit., p. 114.

². Ariane Berthoin Antal et Sandrine Frémeaux , «Don gratuit, spiritualité au travail, sens au travail (trois théories pour un management non instrumental du travail)», *Revue Interdisciplinaire Management, Homme & Entreprise*, vol4, n°8, 2013, pp3-4 <http://www.cairn.info/info/revue-rimhe-2013-4-page-3.htm>

التدبير الروحي بعد إلى أساس نظري متين نظراً لقلّة الدراسات الإمبريقية حوله فهذا لا يلغي بأنّ الأفراد وباختلاف مجتمعاتهم يبتدعون طرق خاصة ومتفردة في التدبير؛ وإذا اجتمع الطابع الفني للتدبير والروحانية فهذا يستلزم القول بأنّ لا وجود لطريقة "تدبير عالمية".

ب. التدبير ومبدأ اللاتماثل بين البيئات الثقافية

البيئة الثقافية غنيّة بالعناصر الديناميكية والثابتة كاللغة، التاريخ، الدين، العادات والتقاليد والأعراف، الجانب الأيكولوجي الذي يمتلك تأثيراً على الأفراد، ويمثل نتائج ذلك التأثير الأفراد أحد أهم الاختلافات الموجودة بين مجتمع الريف والحضر، فالعوامل الأيكولوجية لا تقل أهمية عن باقي العوامل، بالإضافة إلى التعليم ونوعيته كما أنّ المناطق الكوزموبوليتانية التي تسمح بالتلاقح الثقافي بين الأفراد تشكل أحد أهم العناصر في تكوين البيئة الثقافية.

لذلك ونظراً لما سبق ذكره لا توجد أي إمكانية لتطابق مجتمع مع آخر، بل لا يوجد مجتمع يحافظ على العناصر الديناميكية أو الاحتفاظ بنفس درجة تأثير العوامل الأخرى على أفرادها ومنه لا يتوجب تعميم نظريات ومفاهيم استمدت من واقع المجتمع (أ) على المجتمع (ب).

وفي ذات الشأن ذكر "أ.د محمد بشير" في مؤلفه "علماء الاجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر (الرعيّل الأول) القسم الثاني" السوسيولوجيا على محك الميدان في الجزائر خصوصية الموضوع والطريقة" بأنّه "من الأهمية بمكان الإعلان صراحةً أنّ الخيط المنير لرؤيتنا يتمثل في وجود اختلاف بين المجتمعات الغربية ومجتمعنا المحلي، وبالتالي نقر بمدى محدودية المصطلحات وكذا شبكات التحليل المهيمنة بالجامعة الجزائرية لعدم وفائها بالغرض العلمي المطلوب"¹

كما أحدثت المنطلقات الفكرية لما بعد الحداثة ثورة على مفاهيم الحداثة التي اتّصفت بالجمود والخطية فأحلت محل العقلانية والخطية مفاهيم ديناميكية لا تعترف بالبساطة مثل التناقض، الغموض، التنوع، الاختلاف، اللامعيارية والنسبية... الخ، وذلك منذ حلول الستينات والسبعينات من القرن العشرين، لذلك ترحب ما بعد الحداثة بالإضافة والبدايل فيما يخص مختلف العلوم

¹ . بشير محمد، مرجع سبق ذكره، ص.149.

ونظرياتها كالسياسة، علم الاقتصاد، علم الاجتماع والإدارة؛ لأنها ترفض كل تعميم يخص الثقافة الغربية وكلياتها الشاملة.¹

لذلك يمكن القول أنّ ما بعد الحداثة تنبذ التعميم وتُشجع الإبداع والابتكار وطرق التفكير التي تبدو عشوائية وتتسم بالفوضوية.

وانطلاقاً مما سبق يؤدي تبني المنطلقات الفكرية لما بعد الحداثة في ميدان السوسولوجيا كتوجه فكري خاصةً في ميدان البحث العلمي إلى اكتشاف العديد من الثغرات البحثية الإمبريقية وذلك من خلال الإيمان بعدم جدوى تعميم نظريات التدبير الغربية على مجتمعات تختلف تماماً من حيث بيئاتها الثقافية وبالتالي ما يستوجبه المنطق هو إيجاد مفاهيم جديدة تتناسب وتلك البيئات أو المجتمعات.

ضمن ذات النقطة السابقة قسم (Thomas S.Kuhn*) العلم إلى قسمين: علم متعارف عليه والذي يتمثل في النظريات القديمة والعلم الثوري وهو العلم الذي يقوم على دحض العلم المتعارف عليه، لكن كيف يتم اكتشاف الخلل في العلم المتعارف عليه؟ يجيب (Thomas S.Kuhn) بأن ذلك يخضع لسيكولوجية اجتماعية، فقد يظهر الخلل على سبيل المثال في نظريات علم معين، لكن لا نجد أية ردة فعل معتبرة حيال الأمر من قبل المجتمع العلمي إلى حين ظهور أزمة وبالرغم من أنّ هناك العديد من الأسئلة التي تتبادل إلى أذهان أفراد المجتمع العلمي منها: هل هناك سبب عقلائي لنشوب الأزمة؟ ما الذي يجعل العلماء ينتبهون للأزمة فجأة؟ كيف يتم بناء نموذج معرفي منافس؟ جل تلك الأسئلة نظرية (Thomas S.Kuhn) لم تقم بطرحها، إلا أنّ (Karl Popper) صاحب النظرية الإرشادية أو المعيارية التي تدعو إلى النقد الدائم والتجديد، فهو يرى أنّ المجتمع العلمي يجب أن يكون مجتمعاً مفتوحاً فيقول بذلك: "يجب أن يكون علماء العلم المتعارف عليه (...) في حالة أسف دائم"، ومع ذلك أظهر (Popper) تخوفه من أن يحن الباحث إلى العلم المتعارف عليه.²

¹. عامر خضير الكبيسي، الفكر التنظيمي (بين الحداثة وما بعد الحداثة)، الرياض، دار جامعة نايف للنشر، 2017. ص.44.

* Thomas Samuel Kuhn (1922-1996) فيلسوف أمريكي.

². شاقا فرانكفورت ناشمياز ودافيد فاشمياز، طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة ليلى الطويل، سوريا - دمشق، بترا للنشر والتوزيع،

2004، ص.28-31.

فعلى سبيل المثال المفكر البرازيلي وأستاذ التنظيم (1982-915) (Alberto Gurreiro Ramos) يُعد من أهم الباحثين في ميدان التنظيم الذين رفضوا مسألة تعميم نظريات التنظيم على المجتمعات التي تختلف من ناحية بيئاتها الثقافية وعليه اقترح إحداث ثورة مفاهيمية في تلك المفاهيم لتتاسب مع البيئة أو مجتمع معين وعليه فقد أدخل طريقته الخاصة وذلك من خلال خلق أدوات معرفية جديدة لفهم التنظيمات كالتفاعلات الرمزية وتجدر الإشارة إلى أنه ونظراً لأهمية مقترحاته الفكرية فقد دعا كل من (Curtis Ventris) و(G.G.Candler) إلى ضرورة إحياء منطلقاته الفكرية من جديد وذلك من خلال مقال لهما نُشر عام 2005 في مجلة الإدارة العامة، كما يُعتبر (Boje David) من أهم رواد الفكر الما بعد الحداثي في دراسة التنظيمات خلال مقال له نُشر عام 2000 أشار إلى أنّ على التدبير أن يستثمر جهود العلوم المختلفة كعلم النفس والاجتماع، الأدب، الأنثروبولوجيا لتطويره.¹

إنّ فكرة قلب المفاهيم التي جاءت بها ما بعد الحداثة هي صحيحة وحيوية لتطوير جوانب مختلفة من "التدبير" فقد يمكن الاستعانة بالممارسة التديرية للبيئة الثقافية للمجتمع (أ) لصالح بيئة (ب) مغايرة أو بعبارة أدق تطويرها.

ما ذهب إليه (Boje David) يُعد أمراً مهماً ليس فقط من ناحية النظريات التي تهتم بالتدبير إنّما أيضاً لإحداث انقلاب في طرق البحث والمناهج وإتباع الطريقة المرنة وغير الخطية في البحث في ميدان التدبير، خاصةً إن سلمنا جدلاً أنّها تختلف باختلاف المجتمعات وبيئاتها الثقافية كل ما سبق يفرض استخدام مفاهيم موسوعية وعدم التركيز على وجهة مألوفة في ميدان التدبير، ذلك ما لا يفرضه التوجه المابعد الحداثي أو تبني منطلقاتها الفكرية إنّما يفرضه المنطق أيضاً والذي يكثر بوجودية ما اصطلاحنا عليه بمبدأ "اللاتماثل بين البيئات الثقافية".

ثنائية الأهداف والوسائل التي جاء بها (Robert Merton) لا تُفصح عن الأنومي الاجتماعي فحسب بل وتعد ثنائية واقعية من حيث المبدأ، فهي تبرز مسألة في غاية الأهمية ألا وهي عدم تماثل الفرص بالنسبة لأفراد الجماعة أو المجتمع الواحد لذلك، فالتدبير يختلف من حيث طبيعة كل جماعة وتركيبتها، فنجد أنّه ضمن الجماعات الرسمية يختلف اختلافاً كلياً على الجماعات

¹ عامر خضير الكبيسي، مرجع سبق ذكره، ص. 132-133.

غير الرسمية في الإطار المجتمعي العام، فليس جل الأفراد يرتادون المؤسسات أو التنظيمات المختلفة للعمل وقت محدد أو كل الأفراد يمتلكون رأسمال يسمح لهم بإنشاء مؤسسات مصغرة فهناك فئة منهم يختارون العمل الحر المتذبذب أو طريقة كسب تقليدية تتبع من ثقافة مجتمعاتهم وبالمقابل هناك من يمكننا إدراجهم ضمن خانة الأنومي الاجتماعي كالذين يقومون بفتح دور الدعارة على سبيل المثال، إذ يعتبر هؤلاء ذلك عملاً بغض النظر إلى المنظور الشرعي -القانوني لذلك العمل، فمهمة الباحث السوسيولوجي تتمثل في الكشف ومحاولة حصر أكبر عدد ممكن من التنظيمات المختلفة المألوفة وغير المألوفة وكذلك اكتشاف تعدد الثنائيات (الأهداف-الأساليب) وذلك من أجل فهمها وبالتالي تحديد ما إذا كانت وظيفية أو غير وظيفية بالنسبة للمجتمع.

تُمثل الثنائيات السابقة إحدى أوجه التكيف التي يختارها الأفراد، فلقد اهتمت العديد من الدراسات عن السؤال عن أنماط تكيف الأفراد مع بيئاتهم الفيزيائية، إلا أن هذه الأخيرة لا يمكن تصورها بدون بيئة موازية لها وهي البيئة الثقافية هذه الأخيرة التي تمثل نمطاً مغايراً للنمط الفيزيقي؛ لأنها من صنع الإنسان وتعكس تراثاً متراكماً من الأفكار والنظم والقوانين التي يسير الإنسان بمقتضاها".¹

دعا ما يقارب 100 أستاذ وباحث إداري السلطات الأكاديمية الفرنسية إلى تحدي هيمنة المجالات الناطقة باللغة الإنجليزية في تقييم عملها ووقف التمييز، فالبحث باللغة الفرنسية في العلوم التديرية له تاريخ غني وليس له سبب لقبول الخضوع للأنجلوساكسون.²

قد يبدو مطلب المجتمع الأكاديمي الفرنسي مطلب يركز على عامل اللغة بالدرجة الأولى إلا أنه في الأصل يدافع عن الخلفية الثقافية والتديرية الخاصة بفرنسا كمجتمع له أنظمتها الخاصة به؛ لأنّ توحيد البحوث والدراسات بالأنجلوساكسونية بدل الفرانكفوني كفيل بإلغاء التفرد وأيضاً إلغاء أي محاولة جادة لفهم ودراسة الممارسة التديرية الخاصة.

¹ كمال عبد الحميد الزيات، العمل وعلم الاجتماع المهني (الأسس النظرية والمنهجية)، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص.190.

² Michel Albouy et al, «Le management n'est pas une science anglo-saxonne», *Revue française de gestion*, vol11, N°278, 2019, pp.11-12. cairn.info/revue-francaise-de-gestion-2019-1-page11-htm

وقد (Rene Arseneault) وآخرون إلى ذات الإشكالية فيما يخص التعددية في نمط التدبير الكندي، ثنائية اللغة على وجه الخصوص (الانجليزية والفرنسية) لفهم تأثير الاختلافات الاجتماعية والتاريخية والسياسية على تطوير المعرفة التبريرية وقد تطرق ذات الباحث إلى المسؤولية والعائق الذي يقع على عاتق الأساتذة في تعليم محتوى يتصف بالازدواجية ويؤكد ذات الباحث على أخذ السياق الاجتماعي التاريخي والسياسي في كيفية تنفيذ المعرفة التبريرية والنظرية؛ لأنّ الأبحاث الحديثة تأخذ بعين الاعتبار تلك العوامل.¹

أكدت البحوث السابقة على أهمية إثارة فكرة وجود اختلافات اجتماعية واقتصادية... الخ؛ أي وجود خصوصية لكل مجتمع في العالم وبالتالي رفض فكرة هيمنة المفهوم الأنجلوساكسوني للتدبير ومنه لكل مجتمع مفهوم خاص به يستمد من خصوصيته.

عكفت الدراسات المعاصرة جدًا في ميدان التدبير -خاصة الأنجلوساكسونية منها- على البحث أكثر فأكثر في تاريخه وذلك لتبرير عالمية المفهوم الأنجلوساكسوني للتدبير، غير أنّ ذلك لا يلغي حقيقة الاختلاف والواقع الخاص للمجتمعات المحلية التقليدية على وجه الخصوص، فإثناء المشاركة في مناقشة مائدة مستديرة في كلية هارفارد للأعمال حول قيمة تاريخ التدبير أو أنجلوساكسونياً "المناجمنت"، قال مسؤول تنفيذي رفيع المستوى بهذه الطريقة: "من الصعب دائماً توصيل أي نوع من الأفكار المجردة إلى شخص آخر، ناهيك عن الحصول على أي قبول لها ولكن عندما يكون هناك بعض الاتفاق على الخلفية الواقعة أو التاريخية لتك الفكرة، فإنّ حالات الاتفاق العام تتوسع بشكل كبير."²

يبرز التدبير كوسيلة بديلة للتنظيم مع تطور المجتمعات الليبرالية واستكشاف بدائل لأشكال السيطرة القسرية التقليدية لذلك تعرف التدبير أو (Management) في هذا السياق بأنها تتعلق بشكل أساسي بإيجاد بدائل للإكراه تساعد على تحقيق التقدم لتحقيق مكاسب متبادلة وقد جادل عالم الاجتماع ماكس فيبر (Weber Max) بأنّ أشكال التنظيم والتدبير محددة ثقافياً لذلك وجب الحذر من النظريات العامة ومنه جاء طرحه على البروتستانت، فوفقاً له فإنّ المنظمات تظهر

¹.Arseneault,R.,Deal,N.M.andMills,A.J” Reading Canadian management in context:development of English and French education”, *Journal of Management History*,vol.25,No.2,2019,pp181-182.

².Stephen Cummings Bridgman ,Michael Kowlinson, John Hassard, *New history of management*, Cambridge University Press,2017,p310.

بطرق معينة واستجابة لظروف وأهداف ثقافية معينة وبالتالي لا يمكن اعتبار نوع من التنظيمات هو الأفضل وقد تكون النظريات العامة مضلله ويجب علينا اعتماد نهج للطوارئ حساس للسياقات المحليّة ويجب أن نقدر مجموعة من التقاليد ونستنبط منهم طرق التنظيم والتدبير فالمفهوم "المناجمت" الذي يتم تداوله -غالبًا- هو من منظور أنجلو- أمريكي؛ ممّا يحد التنوع والابتكار لذلك من المهم تشجيع البحث في مواقع أخرى حيث تمارس أشكال مختلفة من التدبير.¹

أثار الباحث (Uchenna Uzo*) مع رفقاءه عام 2018 مسألة الممارسات التديرية للشعوب الأصلية في إفريقيا في مقال لهم يحمل ذات العنوان فقد تناولوا إشكالية امتلاك تلك الشعوب - وعلى وجه الخصوص في تنزانيا وجنوب إفريقيا- لنظام معرفي متطور إلا أنه غير موثق ويسعى لكسب التأييد ومنه أكد الباحثون على ضرورة دمج محتوى معارف الشعوب الأصلية في التدبير الخاص بها فهي ضرورية للمجتمع، كما أنها تتناقض مع نظم المعرفة العالمية من الجامعات والمؤسسات العليا للتعليم وعلاوة على ذلك فإنها تغذي روح المشاركة المجتمعية والتنمية المستدامة في إفريقيا وحيث يتعلق الأمر بممارسة التدبير ضمن إطار مؤسسي، فالتدبير ضمن إطار مختلف من مجتمع لآخر لذلك كان لابد من تدريس المفاهيم المتعلقة بمعارف السكان الأصليين في التعليم الأساسي وغيرها من مراحل التعليم المختلفة وفي ذات الوقت تجنب الفكر الغربي وقد توصل الباحثون إلى أنه من الصعوبة بمكان على منظمات الشعوب الأصلية أن تحفز الناس على تبادل المعارف؛ لأنّ معارف الشعوب الأصلية فريدة وتستخدم كمصدر للسلطة والمركز والدخل في المجتمعات المحليّة لذلك من المهم تعزيز إدماج معارف الشعوب الأصلية مع نظم المعرفة الأخرى من أجل النمو الاجتماعي -الاقتصادي.²

¹.Stephen Cummings Bridgman, Michael Kowlinson, John Hassard, New history of management, Cambridge University Press, 2017, pp323-326.

* محاضر أول في التسويق في كلية (Lagos) للأعمال، جامعة، نيجيريا، نشر العديد من المقالات في المجالات الأكاديمية الرائدة، وهو حالياً عضو في مجلس إدارة كلية (Lagos) للأعمال.

².Uzo Uchenna ,Olamide Sarafadeen Shittu, Abel Kinoti Meru, «Introduction :Indigenous Management Practices in African» , *Indigenous Management Practices in African (Advanced Series in Management)*, vol.20, August 2018, pp.87-98. <http://doi.org/10.1108/S1877-63612018000020001>

إن الصعوبة التي تتلقاها مجتمعات الشعوب الأصلية في جنوب إفريقيا وتانزانيا في تبادل الناس للمعارف الأصلية بسبب إتخاذها كمصدر للسلطة والتفرد دليل على أن معارف المجتمعات التقليدية لها أهميتها الاستراتيجية فهي ليست متاحة للجميع، كما أن الأفراد يستخدمون نقاط تفردهم للسلطة، مما يعني أنهم يمتلكون عقلية ذات تفكير إستراتيجي وبالتالي ذلك الاحتكار المعرفي يعمل على خلق الشخصية الكاريزمية القيادية، كما أن ذلك من شأنه أن يخلق نظام تراتبي يتسم بالقوة، فهو يستمد قوته من الأصالة والتاريخ.

كما أظهرت نتائج إحدى الدراسات بأن الممارسات التديرية التقليدية في تنزانيا في مجال حماية النباتات الطبية تلعب دورًا هامًا في الحفاظ على التنوع البيولوجي، فالمعتقدات التي يمكن بها أفراد غرب جبل "أسامبالا" في تنزانيا كالاعتقاد في الغابات المقدسة كان له دورًا مهمًا في حماية النباتات الطبية وعليه شجعت الدراسة الممارسات التديرية التقليدية؛ لأنها ذات أغراض مزدوجة.¹

ج. إمكانية ربط الجانب الفني للتدير بالظاهرة اللارسمية

إن محاولة المتخصص في ميدان السوسولوجيا معرفة وفهم الأنماط التي يستخدم فيها الأفراد الممارسة التديرية، مهمة للحس المشترك وللمجتمع العلمي على وجه التحديد وذلك وفقاً لما يسمى بأنظمة التفضيل والتي يُقصد بها خيارات الأفراد المختلفة بفعل العديد من العوامل. توصل (François Athané)(2008) في دراسته حول الهبة بأننا أصبحنا ندرك أن الأفراد بإمكانهم أن يخلقوا أشكال اجتماعية مؤسسية -اقتصادية لا يمكن تصورها تمامًا من الناحية العملية.²

يشير الباحث بشكل غير مباشر إلى إمكانية اكتشاف البحث العلمي للمزيد من الأشكال المؤسسية ذات الطابع غير الرسمي، باعتبار أن الأفراد كائنات مبدعة، فرغبتها في التكيف مع البيئة الدائمة التغير وحاجاتهم التي تتجدد باستمرار تجعلهم ليس فقط خلق أشكال مؤسسية - اقتصادية لا يمكن تصورها بل والعمل على تعديل الأشكال الموجودة قبلاً.

¹.TuliS.Msuya,JafariKideghesho , «The role of traditional Management practices in enhancing sustainable use and conservation of medicinal plants in west usambara mountains Tanzania»,*Journal-Tropical Conservation Science*, vol.2(1),2009,p88.

².François Athané, op. cit.,p. 469.

ذكر كل من (Colleyn Paul Jean و Marc Augé) في كتابهما المعنون بـ (Anthropology) أنّ بعض المؤسسات الضرائبية مثل الهبة المقدسة والكولا، تفردت بخصاص فاجأت الباحثين المولعين بالتدبير...¹

تكمّن ضرورة استحداث إطار نظري متين خاص بتدبير الظاهرة غير الرسمية في عدم اعتماد بعض المجتمعات على التنظيمات الرسمية على غرار بعض البلدان الإفريقية، فهي لا تعتمد على القواعد والمؤسسات السلطات العليا بل الاعتماد على القدرات الإنتاجية للسكان المحليين بشكل عام والطرق غير الرسمية في الكسب على وجه الخصوص، ففي البلدان الإفريقية اكتسبت مسألة اللارسمية الحق في أن تسيطر على عتبة القرن الواحد والعشرون وتشجع عدم فعالية المؤسسات العامة والإجراءات الإدارية المرهقة وانعدام الثقة العامة لدى السكان أدى إلى تطوير الطابع غير الرسمي وقد كشفت عن ديناميكية توسع وتعزيز نطاقها خارج الحدود الوطنية منذ العمل الرائد لـ (Hart) 1971. فإنّ مئات الدراسات التي تم إنتاجها حتى الآن لفهم أفضل لمفهوم غير الرسمي لها خصوصية الكشف في كل مرة عن تعقيد هذه الظاهرة ويعتبر التحليل الذي قام به (Tendler) والذي اصطلح عليه بـ "ميثاق الشيطان" حيث وجد أنّ الظاهرة غير الرسمية تقوم على الاتفاقات غير معلنة بين رجال الشرطة والتجار لحمايتهم من اللوائح ومنه يصبح الطابع غير الرسمي أكثر جاذبية وهذا في حد ذاته يُعد تكتيكاً قوياً.²

من خلال الدراسة التي قام بها مجموعة من الباحثين (2019) ثبت بأنّ الادخار العلائقي من خلال الهدايا الاحتفالية في الهند لا يقل أهمية عن التعامل مع المصاريف كوسيلة رسمية هذه الأخيرة التي قد تجرد الأفراد من السيطرة على ثروتهم واجتماعاتهم وأراضيهم وثوراتهم، كما توصلت هذه الدراسة إلى أنّ الجوانب الاجتماعية والرمزية والثقافية والسياسية لمختلف أشكال الوساطة المالية اهتمامنا الكامل بالإضافة إلى أنّ هذا النوع من الدراسات يلغي بعض الأحكام النمطية حول عدم عقلانية التي تتّصف بها الطبقة الفقيرة الريفية، إذ أثبتت الدراسة بأنّ الأفراد

¹.مارك أوجيه، جان بول كولان، الأنثروبولوجيا، ترجمة جورج كتورة، بيروت-لبنان، دار الكتاب الجديد المتجددة، 2008، ص.37.

².Issoufou Njifen, «L'informalité: un nouveau paradigme de développement et d'intégration » par le bas » en Afrique». *Revue africaine de développement*, November 2014, pp.22-23. <http://online.library.wiley.com/doi/10.1111/1467-8268.12090>.

يقومون بالممارسات العلائقية من خلال الهدايا عبر الزمان والمكان باستخدام تقنيات مجسدة للمحاسبة فهم يفضلون الادخار عن طريق الاستثمار في شبكاتهم الاجتماعية¹.

ذهب (*Philippe d'Iribarne*) إلى القول بأن الفعل التبريري هو فعل اجتماعي بالضرورة؛ مما يعني أن ما جاء به بمثابة نقد للطرح الأنجلوساكسوني-العالمي للتدبير، فالتدبير ينبع من ثقافة المجتمع، كما أن أهداف استخدام الأفراد للتدبير تختلف من فرد لآخر فإذا كان الفرد (أ) يستخدمها في إطار مؤسسي تنظمي فالفرد (ب) قد يستخدمها في إطار العمل الحر، أو العمل المقاولاتي أو لغرض هدف آخر حتى وإن كان الغرض لا يتسم بالشرعية، كما هو الحال في دراسة "السارق المحترف" (Le Voleur Professionnel) وهو عنوان لكتاب ألفه (E.H.Sutherland) والذي كان حول تصريحات لسارق يدعى (Chick Conwell) من مدينة شيكاغو، فقد ذكر هذا الأخير نقطتان مهمتان تميزان السارق المحترف عن الهاوي: أولاً فن السارق المحترف يبني على اختلاس الأشياء دون لفت الأنظار إلى نشاطه؛ مما يعكس الخفة والمهارة بالإضافة إلى الاستفادة من خبرة المحنكين، كما صرح بأنه قد تلقى معارف وتقنيات متنوعة ككيفية تطوير مشاعره والتحكم فيها وكيفية التصرف بخفة عالية، ومن الأهمية بمكان حسن اختيار الضحايا والتوقيت المناسب للتنفيذ وثانياً، لأبد من تحقيق ما اصطاح عليه بـ"السيادة الإقليمية" إذ كان يستحوذ على منطقته خاصة به، ليكون على دراية تامة².

فعل السرقة وفقاً للعديد من الأديان والمجتمعات يُعد سلوكاً غير أخلاقي لا يتّصف بالشرعية اللازمة غير أن من مارسها ابتدع أسلوباً خاصاً به؛ أي مارس نوعاً من التدبير على نحو ما ومنه انتزع الاعتراف من الآخرين باحترافيته لذلك قد تبدو بعض الأفعال والممارسات عادية غير أنها تتطلب جهداً لفهمها ولا شك أن الاهتمام بدراسة ما هو عادي من شأنه تطوير وحتى تغيير بعض الأطر النظرية.

¹.Isabelle Guérin,Govindan Venkatasubramanian,Santosh Kumar, «Rethinking Saving :Indian Ceremomial gifts as relational and reproductive Saving», *journal of cultural economy* ,2019,p.398.

* عالم اجتماع واقتصادي، أنثروبولوجي فرنسي (1937).

².Claude Dubar. Pierre Tripier, Op.cit, p.99-102.

المألوف هو في حقيقة الأمر ووفقاً للعلم والسوسيولوجيا على وجه الخصوص ليس أمراً عادياً يجب التسليم بأنه يتم وفق آلية لا تستحق الدراسة والاهتمام فعلى مستوى الأقوال على سبيل المثال فقد ذكر (Giddens Anthony) بأن "... ما نقوم به من حديث عفوي عابر هو في الواقع من التعقيد إلى درجة يتعذر على أكثر البرمجيات الحوسبة أن تقلده أو تحذو حذوه، فالكلمات المستخدمة في الحديث العادي لا تنقل معاني ومفاهيم محددة على الدوام بل إننا نثبت ونؤكد ما نقوله وفق ما لدينا من افتراضات غير معلنة؛ ممّا يمكن أن يقوله الآخرون (...). لذلك فإنّ تكرار حياتنا اليومية والاجتماعية وما تتطوي عليه من معاني ودلالات يعتمدان على المشاركة في افتراضات ثقافية غير معلنة عن المحتوى والدوافع ما يجري تبادله من حديث .."¹

يرى (Jean -Claud Kaufmann)* أنّ الاهتمام بدراسة الاعتيادي والأفعال الروتينية من شأنه تطوير السوسيولوجيا؛ لأنّ تلك المواضيع تُشكل نقطة التقاء بين المتخصصين من المجتمع العلمي وعامة الناس²، وبذلك يمكن القول بأنّ ما يبدو بسيطاً حين يتم تناوله سوسيولوجيا لكي يصبح في متناول فهم العامة يكتسب صفة التعقيد وبالتالي هو يطور المعارف السوسيولوجيا؛ لأنّ الاعتيادي يجبرها على التعامل مع معطيات غاية في الدقة.

ومنه فالأعمال المنزلية -على سبيل المثال- ليست حدثاً عادياً كما يبدو، فالباحثة الأنثروبولوجية الإنجليزية (Mary Douglas) ترى أنّ تلك الأعمال تُفصح عن التقاء ترتيب الأشياء والتصميمات العقلية، فعلى سبيل المثال إذا تم طرح السؤال التالي على أحد النسوة: لماذا تقومين بغسل الستائر والألبسة ولا تقومين بالمثل للأساس الآخر كالخزانة مثلاً؟ فقد تُجيب "لأنّ الأمر هكذا"، إن هذه الإجابة رغم بساطتها إلا أنّها تُخفي "بداهة عفوية مندمجة مستبطنة ومصاغة آلياً"³.

¹. أنتوني غيدنز، مرجع سبق ذكره، ص.165.

* عالم اجتماع فرنسي (1948) مهتم بدراسة العلاقات بين الرجل والمرأة.

². فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه، علم الاجتماع (من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية -أعلام وتواريخ وتيارات)، ترجمة إياس

حسن، سوريا -دمشق، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، ص.346.

³. نفس المرجع، ص.347.

*المصطلح قامت بصياغته Maria Parloa عام 1880.

المنزل هو واحد من المؤسسات غير الرسمية التي تضع أساساً متيناً للقيم الإنسانية في بداية استخدام المصطلح كان يعني ببساطة فقط أي شيء يحتاج إلى أن يتم إنجازه داخل الأسرة، كما يمكن أن يعرف التدبير المنزلي على أنه العملية التي يمكن من خلالها إجراء الصيانة المناسبة للمنزل ويمكن أيضاً القيام بأنشطة المنزل الشاملة وبطريقة مناسبة وعليه فإن التدبير المنزلي بصفته ممارسة تديرية غير رسمية يعتمد على العمليات التديرية المختلفة، من خلال عمليات التدبير الفعالة يمكن تحديد الموارد المتاحة بسهولة واستخدامها بشكل صحيح لتحقيق أهداف الأسرة مع البيئة المتغيرة تصبح الحاجة إلى التدبير حتمية، فالمنزل الجيد هو الذي يوفر بيئة صحية تلبي الحاجيات المختلفة للأفراد كالحاجات الفيزيولوجية، العاطفية، والاجتماعية.¹

عدم قدرة بعض الأفراد على ممارسة التدبير المنزلي أو أن يصبحوا مدبرون، دليل على عدم بساطة التدبير المنزلي بصفته ظاهرة غير رسمية ويكمن الفرق بينه وباقي الممارسات التديرية غير الرسمية في كونها لم تلق الدراسة الكافية.

وليشرح (Jean -Claud Kaufmann) منطلق التعقيد الذي وصف به الأعمال المنزلية الروتينية جاء بمفهوم يصف علاقة النسوة أو الأفراد إجمالاً بالأغراض كالستائر والسكاكين، الصحون، الملاعق... الخ وهو ما اصطلح عليه بـ"حاجز الشرفة للذات"؛ لأن تلك الأشياء هي ما نراه وما يشاهده الآخرون وما دام الأفراد قد قاموا باختيارها أو شرائها بناءً على أذواقهم أو ربّما تم إهداؤها لهم من قبل آخرين فهي إذن تُشكل جزء من ذواتهم، لذلك التعامل معها ليس بالأمر البسيط، وقد أضاف بأن الذات تتسم بالتشتت والتناقض لذلك -حسب ما ذهب إليه الأفراد يناضلون وباستمرار ليحققوا وحدة ذاتهم المشتتة، وما دامت الأشياء والأثاث المنزلي جزء من هوية الأفراد فهم حين يقومون بالأعمال المنزلية هم في الآن ذاته يحاولون توحيد ذاتهم.²

هناك العديد من الخيارات التي يمكن أن يُفكر فيها الفرد بدل القيام بفعل روتيني، لكنه يركن إلى الحالة المثالية العفوية، فمن خلال الأعمال النفوذة؛ أي التي تتحمل التأجيل يقترن الأمر

¹ .Vijayeta Priyadarshini ,Babita Behera, « Acomparative study on home management practices among working and non-working women in Rourkela city ,Sundergarh,Odisha»,*International journal of applied home science*,volume5 (2),february,2018,p.317./site:https://www.researchgate.net/publication /324530983./12/03/2020/H11:30.

² . فيليب كابان وجان فرانسوا دورتييه، مرجع سبق ذكره، ص. 348.

في هذه الحالة بالأحاسيس والتي ترتبط بدورها بما يسمى بـ"المعرفة التراكمية عن تاريخ شخصي" فعلى سبيل المثال إذا تم تأجيل غسل كومة من الملابس المتسخة في المرة الأولى ثم الثانية، أي بعد أسبوع على سبيل المثال، فإن منظرها يُصبح مزعجاً وكلما تم التأجيل يزداد الانزعاج وحين يصل إلى ذروته حينها يتم اتخاذ قرار بغسلها.¹

ومن هذا المنطلق كان التدبير فناً، فالفوضى تدفع إلى التقرد، وهذا ما يربط ما نود دراسته بنظرية الفوضى، إذ أنّ الكسب والتخطيط يتم في الهواء الطلق تماماً كما نظرية الفوضى، إذ تتسم بالعشوائية وما يزيد من ارتباط نظرية الفوضى ما اصطالحنا عليه بالفعل المخطط المرن هو عامل "اللغة"، فهذه الأخيرة تزيد من فاعلية "عامل جناح الفراشة" وذلك نظراً إلى قوتها الكامنة في الآليات التفاعلية.

وقد كان مفكري ما بعد الحداثة من أهم من اهتم بتلك القوة وسيكون من غير المؤلف الحديث عن اللغة ضمن الممارسة التدرجية، ومن أهم من اهتم اهتماماً بالغاً بتأثير اللغة والخطاب (Foucault Michel) والبحث في الكيفية عمل اللغة والأبنية الأيديولوجية كأشكال للقوة والضبط وكجزء من محاولة لتشكيل السلوك من خلال الثقافة ويرى أصحاب هذا المدخل أنّ الكلمات تتضمن ما هو أقل مما تقع عليه العين فهي تتضمن أكثر بمعنى أنّه حتى الكلمات قد تعكس قوة (...). فهي تحمل آثاراً لكلمات أو نصوص أخرى، كما يرى (Derrida) أو تقدم دليلاً أو شاهداً على اللاشعور، كما يرى "لاكان"، وقد لاحظ (Michel Foucault) كيف أنّ الخطابات المختلفة تمارس القوة وتعمل على تشكيل السلوك وتخلق الانطباعات الشخصية التي تساعد الناس على التعرف على هويتهم، وكيفية تعامل معهم من قبل الآخرين....²

2. العملية التدرجية عند مجتمع إيموهاغ

لا تقتصر عمليات الكسب التقليدية عند إيموهاغ في العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة فقط، فقد عرف مجتمع إيموهاغ ومازال يعرف العديد من الطرق للكسب وتجدر الإشارة أنّ الحديث عن التدبير عند مجتمع إيموهاغ يقتضي أنّه إذا تم التطرق إلى الكيفية التي تتكامل

¹. فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه، مرجع سبق ذكره، ص 349-350.

². طلعت إبراهيم لطفي، مرجع سبق ذكره، ص 128-129.

فيما بينها لتكون هناك "عملية تديرية متكاملة" عند مجتمع إيموهاغ؛ لأنّ شرح الكيفية التي تتكامل بها طرق الكسب التقليديّة من شأنه إثبات جدواها بالنسبة لمجتمع إيموهاغ.

أ. فعالية العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة كطرق كسب تقليديّة عند إيموهاغ

منطقة تافرفاست

إنّ إبراز مدى فعالية كل من العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة كطرق كسب تقليديّة عند مجتمع إيموهاغ بتافرفاست يقتضي إبراز نقاط القصد والعفوية في التخطيط المرن المستخدم في تلك العمليات، كما يستلزم استجلاء سلبيات وإيجابياتها كطرق كسب من خلال إجراء مقارنة بينها وثم إبراز أهميتها.

■ الفعل اللامنهي والنظامية في التخطيط المرن عند إيموهاغ

من خلال الدراسة الامبيريقية -المجهرية للتخطيط المرن؛ أي استخدام أفراد مجتمع إيموهاغ للآليات التفاعلية المختلفة لتحقيق كسب في كل من العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة، يتضح بأنّه يتميز بالتعقيد إذ يجمع بين القصدية واللاقصدية.

العفوية في التخطيط المرن

تطرقنا فيما سبق إلى التعقيد الذي تتّصف به الممارسة التديرية في الظاهرة غير الرسمية (التدبير المنزلي على سبيل المثال)، فمن خلال التناول الإمبيريقى -المجهرى وجدنا أنّ ذات الأمر ينطبق على "التخطيط المرن" الذي يتركز على التفاعل هذا الأخير الذي يستمد سماته من البيئة الثقافية.

فقد برزت اللامنهيّة في التجارة القوافلية التي مارسها مجتمع إيموهاغ نهقار قديماً، وهي بدورها أيضاً اعتمدت على تفاعل أفراد مجتمع إيموهاغ مع غيرهم، فقد كانت التجارة القوافلية تحكمها المعايير الاجتماعية الثقافية وليس فقط المعايير الاقتصادية وعليه فإنّ إيموهاغ متمسكون بأعرافهم في تعاملاتهم التجارية القوافلية قليلاً ما كانوا يقومون باحتساب الميزانية وإن قاموا بحسابها فعالباً تكون خاطئة، فهم يقومون بحساب الميزانية من خلال مقارنة مجموعة من الأسعار وبدون أي قانون يحتكمون إليه والمقارنة تلك تتم بين سعر بيع القطعان في أولف وعين صالح والسعر الذي يتم البيع فيه في تامنغست وسعر شراء التمور... إذ لا يتم الأخذ بعين

الاعتبار لا تعب الجمال ولا أيام التي تستغرقها القوافل في الرحلة، كما أنّ الميزانية دائماً تكون إيجابية والقافلة مستقيدة.¹

مما يعني أنّ احتكام أفراد مجتمع إيموهاغ للاعقلانية عمليات كسبهم مرتبطاً بطبيعتهم كمجتمع فالمعايير الاجتماعية والأعراف غالباً ما تتدخل في نشاطاتهم الاقتصادية.

يكن التعقيد في التخطيط المرن أنّه من الصعوبة بمكان التنبؤ بما سيفعله الأفراد في المواقف الإستراتيجية المختلفة، ردت فعلهم في عملية العادة المكسبة أو عمليات البيع الصغيرة وذلك ما يفسر ما وصلت له إحدى الدراسات السابقة: "بأنّ الفاعلون يتصفون من ناحية بخطابهم الواضح واجتماعياً مصطنع وممارساتهم الفعالة وبالتالي الأفراد لا يعبرون دائماً على نحو واف على ما يفعلونه ولا يفكرون دائماً على نحو واف فيما يفعلون.

بالنسبة للعادة المكسبة فإنّ اللاقصديّة تتبين من خلال نقطتين:

✓ في مرحلة الاعلام، نجد أنّ عدد الأفراد الذين يمتلكون المعلومة بخصوص الظرف الاجتماعي (س) والمتعلق بإحدى الأسر لا يرتبط فقط بمدى الجهد المبذول بأفراد تلك الأسرة بل أنّ سرعة انتقال المعلومة مرتبط بعدد الأفراد الذين يساهمون وبطريقة تلقائية لنشر المعلومة؛ مما يساهم في زيادة مكاسب أفراد الأسرة المعنية.

✓ خروج العادة المكسبة من الآلية التفاعلية "السريّة" يكون بطريقة تلقائية أحياناً ومنه تحقق مكاسب بطريقة غير قصدية للعديد من الأفراد وذلك من خلال مناقشة العادة المكسبة الخاصة بظرف اجتماعي معين ولفرد أو مجموعة أفراد من خلال الشبكات التفاعلية التي تشكلت بطريقة عفوية.

✓ تعد جلسات المقارنة السابقة الذكر بمثابة جلسات تقييم مؤجلة تلقائية لمستوى تيرفيتين؛ مما يعني بأنّ أي يوم عادي عند إيموهاغ قابل بأن يكون يوماً مكسباً أو على الأقل يكون تصحيحياً لتحقيق الكسب ولو بعد حين (مستقبلاً).

¹. Museur Michel, op. cit., p.72.

- ✓ في حالة ما إذا اجتمع الحديث عن "العادة مكسبة" ضمن إحدى الشبكات التفاعلية وعملية البيع من المرجح أن تتحقق مكاسب لصالح عملية بيع؛ لأن الأفراد يستجيبون أنياً خاصة عند استخدام الآلية التفاعلية الأكثر استفزازاً للأفراد وبالتالي يقومون بعمليات إرجاع آنية من خلال عمليات الشراء المكثفة.
- أما عن عمليات البيع الصغيرة فإنّ اللاقصديّة تتضح من خلال:
- ✓ من المفترض أنّ صاحب عملية البيع هو المستفيد الوحيد في تحقيق المكاسب لكن بفضل استخدام الآليات التفاعلية وبشكل مكثف وغير متوقع (النشاط والتنوع) أثناء عمليات البيع يتحقق الكسب لمجموعة من الأفراد، إذ تتحقق مكاسب لأفراد حاضرين ضمن الشبكات التفاعلية وحتى الغائبين.
- ✓ يأتي طول عملية "مودا-مودا" بطريقة غير قصديّة من قبل بعض الأفراد؛ ممّا يعني أنّ المكاسب أيضاً تتحقق لبعض الأفراد بشكل غير قصدي.
- ✓ بفضل الآليات التفاعلية وبشكل غير قصدي يتحقق الكسب لفرد غير متوقع ولعملية بيع في منطقة أخرى تماماً.
- ✓ "شراء المجاملة" الناتج عن "التعاطف" يزيد من مكاسب صاحبة السلعة بطريقة تلقائية بفعل استخدام آلية "التهكم والاستخفاف" ضده من قبل بعض الأفراد المكونين للشبكة.
- ✓ استجابة بعض الأفراد ضمن الشبكة التفاعلية معينة غير متوقع وبالتالي قد يتحقق الكسب لأفراد غير متوقعين أيضاً.

■ النظامية في التخطيط المرن

تعكس اللغة كمعطى ثقافي مجتمعي وعليه فإنّ اللغة تعكس بالذكاء الاجتماعي ويعتمد الفضاء التفاعلي في نجاحه على ما يسمى بالذكاء الاجتماعي ومن أهم أنواع هذا الأخير ما يسمى بـ"الذكاء الوجداني" (IE) (Emotionnelle Intelligence) وقد كان هذا الأخير رائجاً منذ 1990 للاستخدام في مجال علم النفس العمل والتنظيم وهو يعني قدرة الفرد على التعبير والفهم والبوح بالمشاعر للآخرين وغالباً ما تتجاهل الأبحاث أهميته وهو يختلف تماماً عن ما يسمى بـ"الذكاء المعرفي" (QI) (Cognitive) وقد عرف المفهوم شعبية واسعة من خلال وصول العديد

من المؤلفات حوله مثل (Goleman)(1995)، (Ambra.D) (1997)، (Simmons) (1999) ومن أهم تعاريفه، التعريف الذي قدمه (Salovey و Mayer 1997) "بأنه سلسلة من المهارات المتعلقة بالتقييم والتقويم والتعبير الملائمة (...). تلك المهارات تسمح بمطابقة بفاعلية مع ما يناسبها من المشاعر مع مشاعر أو مهارات الآخرين تلك المساهمة قد يتم استخدامها من أجل تحفيز التخطيط".¹

يعد مفهوم "الكفاءة اللغوية" الذي جاء به (Chomsky) مساعداً على مبدأ النظامية في التخطيط المرن عند إيموهاغ، إذ تكمن قوة وتعقيد الآليات التفاعلية في الجانب اللغوي و يقصد بالمفهوم أنّ كل فاعل أو متكلم باللغة معينة يمكنه إنتاج وفهم عدد لا حصر له من الجمل الصحيحة والكفاءة اللغوية يتم مشاركتها من قبل كل اللذين لهم نفس اللغة الأم، أما الكفاءة الاتصالية فهي تعني المعرفة اللغوية للمتكلم، فالتكلم لغة معينة لا تكفي معرفتها بل ومعرفة متى نقول وكيف نقول أيضاً؛ ممّا يعني أنّ المسألة تعتمد على كيفية السيطرة، لذلك جاء بمفهوم الكفاءة الاتصالية والتي يُعتبر مفهوم "الكلام في الوقت المناسب (parler apropos) مفهوم محوري لفهمها أي الكفاءة الاتصالية، وليس هذا فحسب الكفاءة التفاعلية كما اصطلاحنا عليها تعتمد أيضاً على السيطرة على القواعد التحادثية (تعاقيات دوران الكلام، المسافة بين الدورات أسئلة وأجوبة... الخ) وكذلك السيطرة على بعض الطقوس (قواعد الآداب العامة قواعد اللباقة... الخ)؛ ممّا يعني أنّ الكفاءة الاتصالية تستلزم معارف لغوية وكذلك معارف ثقافية مستقاة من المجتمع، لذلك فإنّ الكفاءة الاتصالية وكما أكد (Chomsky) بأنها تلعب دوراً مهماً في الرفع من الصحة المعنوية والاجتماعية للفرد.²

انطلاقاً ممّا سبق يعني أنّ الكلمات في حد ذاتها تستلزم نوعاً من التخطيط، فبالنسبة لـ"مجتمع إيموهاغ نجد ما يسمى بـ"تائفالت" وهي التي تعكس الإتقان الجيد للغة التماهي؛ لأنها تعكس قدرة احترافية على استخدام اللغة.

¹.Boussena Fatima, «L'intelligence émotionnelle en milieu du Travail, le facteur clé de la réussite professionnelle», Cahiers de Sociologie, Edite par : Département de Sociologie (université d'Alger 2).n°14, Décembre 2015, p.75-76.

².Sandra Bornand, Cécile Leguy, Anthropologie de pratiques langagières, collection "U" sciences humaines et sociales, Paris, Armand Colin, 2013, p.64-65.

وقد أكد (Hymes Dell) أنّ الكفاءة متنوعة ومختلفة لدى نفس الجماعة وأيضاً عند نفس الفرد وذلك على حسب الحالة التي يكون فيها الفرد وبالتالي الكفاءة الاتصالية ليست ثابتة، فنجد أنّ هناك عدة مستويات تختلف من فرد أو فاعل لآخر؛ ممّا يستدعي تكيّف أحدهما مع الآخر ومن نقطة زمنيّة لأخرى لدى الفاعل المتحدث ذاته وهي:

- المستوى اللغوي (الاستخدام الصحيح للقواعد والنطق السليم... الخ).
- المستوى الموسوعي وهو الذي يتمثل في امتلاك المعارف المختلفة حول الموضوع المتحدث حوله.

▪ المستوى العملي -النفعي وهو الذي يتمثل في القدرة على الاستدلال والدفاع... الخ.¹ إنّ السيرة التي تستخدم بها الآليات التفاعلية المختلفة عند إيموهاغ على القدر الذي تبدو فيه جد عادية ومألوفة غير أنّها من خلال الدراسة المجهريّة تُظهر أنّها ليست عفوية بالمطلق فهي أشبه بإتقان اللعب في المواقف الإستراتيجية المختلفة لتحقيق الكسب والمرح في آن واحد وإذا اعتبرنا العادة المكسبة وما يحدث في عمليات البيع الصغيرة نمط من أنماط اللعب فهو ذو بعد ثقافي.

درس (Moscowitch) عام 2006 ألعاب الصدفة عند الشباب والأصغر فوجد أنّها تشكل رهان حقيقي لسياسة الأسرة في حين وجد (McNeillyet Burke)(2000-2001) من خلال الدراسة التي قام بها لمعرفة دوافع اللعب لـ 315 مسن فوق سن 65 فوجد أنّ الدافع هو "المرح" والنتيجة التي توصل لها هي ذاتها التي توصل لها من خلال الدراسة التي أجراها (1999) (Roehl) حول سكان (Nevada) بأنّ اللعب يحقق أرباح اقتصادية تعتبر كمصدر دخل، كما أنّه يضمن العيش الكريم والحياة المرفهة.²

نظرية اللعبة التعاونية ونظرية اللعبة غير التعاونية تجسد كيف يتعاون الأفراد في التحالفات لخلق منفعة ومكاسب في التفاعلات غير المهيكلة الألعاب غير التعاونية توضح الإجراءات التي يقوم بها اللاعبون اللذين يحققون أقصى فائدة خاصة بهم في عملية محددة مع استخدام المعلومات المتعلقة بالخيارات وتحركات اللاعبين الآخرين المتاح لهم اتخاذ القرار لاستباق

¹.Sandra Bornand, op. cit., p. 65-66.

².Expertise Collective,jeu de hasard et d'argent(contextes et addictions), Paris, les éditions Inserm, 2008,p.32.

سلوك اللاعبين الآخرين يحتاج الأفراد إلى النظر في ماهية الاستراتيجيات والخيارات البديلة، ماهي الحوافز والمبالغ المدفوعة، أي نوع المعلومات التي يعرفونها وكيف يفكرون (هذا ما يرمز إلى نظام القرابة والمعرفة الجيدة لكل واحد منهم) للحصول على ميزة في اللعبة واللاعبين لديهم خيار لتغيير أدوار اللاعبين (سواء في العادة المكسبة من خلال العطاء والإرجاع أو من خلال تبادل عمليات البيع لصالح بعضهم البعض) على سبيل المثال من خلال إضافة "مزيد" آخر جديد أو منافس (يحدث ذلك من خلال مناداة أحدهم بسبب استخدام إحدى الآليات) لتغيير قيمتها المضافة إما عن طريق رفعها أو عن طريق خفض قيمة الآخرين لتغيير قواعد اللعبة.¹

تحدد نظرية اللعبة كيف يتصرف الناس في الواقع في المواقف الإستراتيجية، كما يمكن استخدامها لدراسة الأفضليات الاجتماعية التي تلعب دورا في التفاعلات الإستراتيجية مثل: المعاملة بالمثل والإنصاف كما هو الحال في كل من الآليات التفاعلية المستخدمة في العادة المكسبة مثل "إيرافن" * وتينوراف* "الإيثار ويعتمد جوهرها على أن اللاعبين بسبب ما سيفعله اللاعبون الآخرون من خلال تكرار اللاعبين التخمين ما الذي سوف يفعله اللاعبون الآخرون وهكذا دواليك.²

تمت دراسة بعض آليات لتطور السلوك التعاوني في لعبة "معضلة السجين" والتي من خلال مقارنتها بكيفية عمل بعض الآليات التفاعلية الخاصة بإيمو هاغ نجدها متماثلة على سبيل المثال: المعاملة بالمثل المباشرة وغير المباشرة، اختيار الأقارب ويرتكز اختيار الأقارب على التعاون بين الأقارب اللذين يرتبطون ارتباطاً وثيقاً وراثياً، بينما ترتكز المعاملة بالمثل المباشرة على الحوافز الأنانية للتعاون في التفاعلات المتكررة.³

¹.Sarah Bonau,"A case for behavioural game theory", *journal of game theory*, vol6, no1, 2017, p.8. [researchgate.net/publication/339254472/22/01/2018](https://www.researchgate.net/publication/339254472/22/01/2018)

* هي سمة شخصية وتعني "التفاخر" فقد يتفاخر الفرد بحسبه، نسبه، ماله أو أي شيء آخر أو حتى بدون أي سبب.

* "تينوراف" تُبنى على الجانب المادي "العطاء"، فهي تنشأ بسبب منح العنصر (أ) ل(ب) هدية على سبيل المثال بحضور العنصر (ج).

².Sarah Bonau,"A case for behavioural game theory", *journal of game theory*, vol6, no1, 2017, p.9. [researchgate.net/publication/339254472/22/01/2018](https://www.researchgate.net/publication/339254472/22/01/2018)

³.Essam El-seidy,"On the behavior of stratégie in Hawk-Dove game" *journal of game theory*, vol 5, No.1, 2016, pp.9-10. [article-sapub.org/10.5923j.jgt.20160501.02.html](https://www.sapub.org/10.5923j.jgt.20160501.02.html)

أحيانا تكون المسألة متعمدة في استخدام آليات للكسب، في حالة ما إذا كان العنصرين، عنصر معين اعتاد من العنصر (ب) الاستجابة بصفة مستمرة وبالتالي يتوقع منه (خاصة في الآلية التفاعلية تيمودا* وتينوراف*) وأحياناً من أجل تجريب عنصر معين فمثلاً العنصر السابق يكون قد مر بفترة تجريبية وقد تكون المرحلة التجريبية تتصف بالعفوية وبعد مدة تتصف العملية بالعمدية ففي هذه الحالة هناك احتمالين:

-توقف العنصر(ب) عن الاستجابة بسبب تكرار الطلب.

-استمرار العنصر (ب) في الاستجابة.

تجدد الإشارة إلى القول بأن هؤلاء المتعمدين مع مرور الزمن يصبحون معروفين لكن بالمقابل لا يتعمدون تفعيل استخدام الآليات لصالح منفعة فردية -شخصية فقط بل ولصالح الآخر (منفعة غيرية).

ومن أهم العوامل التي تؤثر في اختيار الآلية المستخدمة خاصة في حالة التعمد هي المدة الزمنية التي بحوزة عنصر معين (أو العنصر المفضل)، وحتى ترتيب استخدام الآليات له هدف معين؛ لكنه قد يقوم باختصار العملية باستخدام آلية تفاعلية رئيسية؛ مما يعني في تشكيلة الآليات التفاعلية التي يراد استخدامها من قبل فرد معين هناك آليات تفاعلية تلعب دوراً رئيسياً وهناك نوع آخر من الآليات يتم توظيفها في حالة وجود توتر من أجل إعادة الشبكة التفاعلية إلى وضعها الطبيعي وغالباً ما تكون الآلية التفاعلية "المزاح والمرح" وقد تبدأ في البداية بشكل لا واعي وفي ذات النقطة الزمنية وذات الشبكة تتحول إلى القصد والعمدية ووفقاً لما ذهب إليه (Carl.Gjung) فإن النسوة يتمتعن بكثير من المرونة، القدرة على الاتصال العميق، قابلية التأثير، قابلية إعطاء معنى للفعل وعليه فهن يتمتعن بكثير من الحس.¹

* تعمل على التعبير بمشاعر المودة والاحترام بين خطوط القرابة المختلفة (أولاد العمومة، أبناء الخالات، الأبناء، الإخوة، الأخوات...الخ) وهي تبرز رغبة الطرف الثالث في فعل مماثل.

* "تينوراف" تُبنى على الجانب المادي "العطاء"، فهي تنشأ بسبب منح العنصر (أ) - (ب) هدية على سبيل المثال بحضور العنصر(ج).

¹.Nicolas Moinet, «du savoir pour agir au connaitre et agir, l'intelligence économique face au défi de la communication», *Les cahiers du numérique*, 2009,4v.5,p54-59./ [http://www.cairu.info/revu.les.cahiers.du.numérique/date 09/22/2018](http://www.cairu.info/revu.les.cahiers.du.numérique/date%2009/22/2018).

اختيار الآلية التفاعلية لا يكون بشكل اعتباطي كليه (لأن الآليات تستخدم على حسب الأفراد المكونين للشبكة-على سبيل المثال تواجد أفراد أجنب، كبار السن "إضولان"،... الخ - وعلى حسب الظرف، ممّا يعني أي فرد حين يستخدم آلية معينة لنية معينة أو لديه توقعات معينة) وعلى الرغم من أنّ هناك آليات تعطي نتيجة غير متوقعة وقد تؤدي إلى وجود خلافات فعلية ومع ذلك إلا أنه في مثل هذه الحالات يتم استخدام آليات أخرى لوضع العملية تحت السيطرة، من خلال ما سبق يتّضح بأنّ العملية التفاعلية هي عملية معقدة فالممارسات الشفوية التي تحويها لوحدها يمكن اعتبارها نظاماً قائماً في حد ذاته ومنه جاءت نظرية تخطيط أفعال الكلام (la planification des actes de parole) ويُعتبر (Cohenaud Perrault) (1979) من أوائل من قاموا بطرح فكرة دمج أفعال الكلام ضمن سيرورة التخطيط والتي تتمحور أساساً تعديل أو نفي تأثير الرسالة من أجل تحقيق هدف معين وفي ذات الموضوع ذهب (Austin) للقول أنّ بعض العبارات اللغوية شبيهة بالأفعال فهي تعمل على تغيير حالة العالم الخارجي (المحيط بالفاعل) وقد ضرب مثال بـ"التبريك" الذي يقوم به الراهب في الديانة المسيحية عند التزويج بالقول: "أنتما الآن زوج و زوجة".¹

-اختيار العناصر أو الأفراد للبيئة المناسبة لتفعيل واستخدام الآليات التفاعلية.

- بالنسبة لبعض الأفراد لا بد من استخدام الآلية التفاعلية "السرية" من أجل استمرار عطائهم.

-يمكن للأفراد التحكم في قيمة المكاسب المحققة من العادة المكسبة وذلك باختيار استخدام الآلية المناسبة إذ أنّ هناك آليات دورها -غالباً- إحداث ارتفاع واستمرار المكاسب وبالمقابل هناك أخرى وظيفتها خفض قيمة المكاسب.

فحسب نظرية السلوك المخطط تتمحور حول فكرة أنّ السلوك هو نتيجة سيرورة إدراكية وعاطفية أين يتأثر السلوك وبطريقة غير مباشرة بالموقف بإتجاه الفعل، المعايير الذاتية والرقابة السلوكية المدركة، هذه الأخيرة تلعب دوراً مهماً، إذ من خلالها يتم قياس (القدرة المحدودة، الوقت المحدد، المحيط... الخ) والذي في النهاية يمنح الفرد تأثير على نية التصرف.²

¹.Stéphane Daviet, étude du comportement humain grâce à la simulation multi-agents et aux méthodes de fouille de données temporelles, mémoire de thèse spécialiste informatique, université de Naute, 13mars 2009,p.47./date09/03/2017./h12/35.

².Hajer Kefi, «Mesures perceptuelles de l'usage des systèmes D'information:application de la théorie du

يتّضح الأسلوب الممنهج في طريقة الكسب التقليديّة (عمليات البيع الصغيرة) من خلال أساليب جمع الأموال التي تكون بطريقة تقليديّة.

ومن الأهميّة بمكان الإشارة في هذه النقطة بأنّ أسلوب جمع المال بطريقة تقليديّة هي ذاتها المعتمدة في بعض دول إفريقيّة فيصطلح عليه بـ"تونتين" وهي أكثر أشكال الادخار والتمويل شيوعاً، حيث يتم تنظيم جمعيات على أساس العلاقات المجاورة أو المهنيّة وتحت شكل من أشكال التجميع يتم دفع اشتراكات المجموعة على جدول منظم (أسبوعي، شهري) لصالح أحد أعضاء المجموعة هذا النظام يسمح لكثير من النساء بتوفير المال وتمويل أنشطتها غير الرسميّة.¹

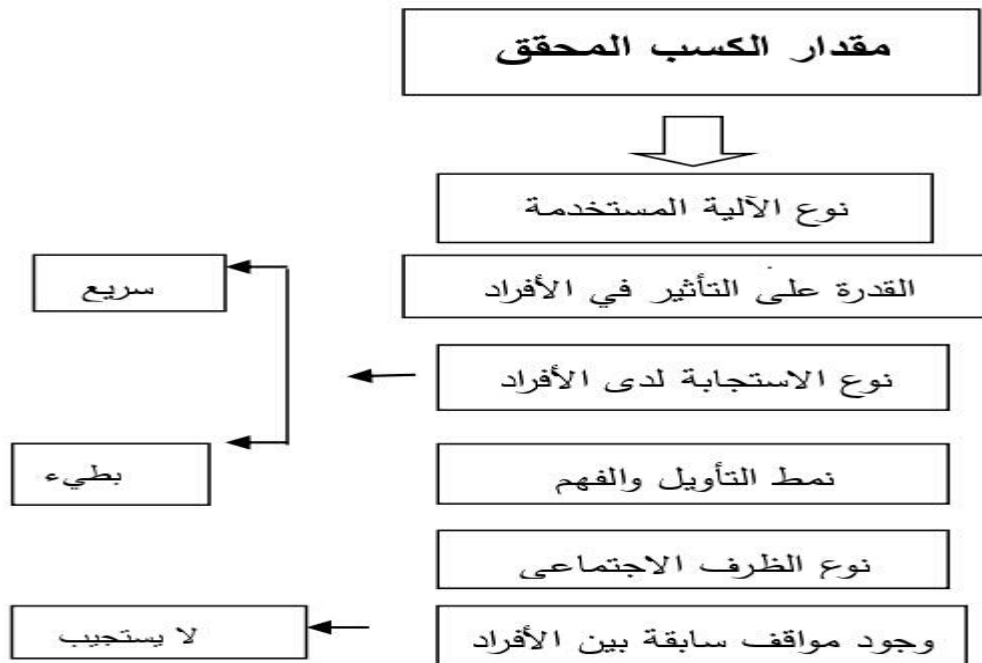
يتّقد الأفراد توجيه آلياتهم نحو عمليّة البيع لتحقيق مكاسب؛ لأنّه مادامت تلك الآليات توظف في الحياة اليوميّة بشكل روتيني من قبل معرفتهم بعمليات البيع كان بإمكانهم تجاهل عمليّة البيع وبالتالي عدم تحقق أي مكاسب لأي فرد وقد لاحظنا ذلك من خال الشبكات التفاعليّة وتحليلها بدون عمليات بيع.

صنفت الباحثة الآليات على حسب ملاحظاتها وردود أفعال الأفراد المكونين للشبكة التفاعليّة وبعض المعطيات الأخرى غير أنّها قد تعني للأفراد غير ذلك؛ لذلك من الصعوبة بمكان فهم بعض الآليات التفاعليّة وطريقة عملها ممّا يساهم في تعقدها لذلك فمقدار الكسب المحقق للأفراد سواء في العادة المكسبة (من خلال المقارنات) أو (عمليات البيع الصغيرة) متوقف على نمط تأويل الآليات المستخدمة وطبيعة شخصيّة كل فرد من الأفراد المكونين للشبكة التفاعليّة (طبيعة الشخصيّة هل هو من الأفراد سريعي الاستجابة للآليات التفاعليّة أو العكس.. الخ).

comportement planifiés » , *Humanisme et entreprise* , n°297 , Avril 2010/2, p..52

¹.IssoufouNjifen, « L'informalité :un nouveau paradigme de developpement et d'intégration »par le bas » en Afrique, *Revue africaine de developpement* ,November2014,p30.<http://online.library.wiley.com/doi/10.1111/1467-8268.12090>.

الشكل رقم (53): المتغيرات المؤثرة في مقدار الكسب المحقق من خلال التخطيط المرن (استخدام الآليات التفاعلية)



هناك نوع من الأفراد يستغل بشكل متعمد وجود أفراد آخرين سريع الاستجابة بهدف تحقيق مكاسب خاصة بهما ولآخرين يهتمون لأمرهم كان تربطهم بهم علاقة قوية. التخطيط المرن وحسب المعطيات الامبيريقية لا يرتبط بالاستغلال المواقف الاستراتيجية بشكل آني فحسب بل وعلى المدى المتوسط والطويل فمستوى الكسب المحقق واستمراريته في العادة المكسبة مرتبط بعوامل عدة ومتداخلة، إذ لا تتعلق بالحاضر فحسب بل وبفترات زمنية متباعدة (قبل سنة .. سنتين .. الخ) فالمعرفة وفهم سلوكيات فردين (س) و(ع) يستلزم ذلك تتبّع الرباط العلاقة التي تجمع بينهما ومسارها وبدقة وحتى محاولة معرفة الآخرين الذين يتدخلون في هذا المسار بدقة إلى مراقبة وملاحظة أكبر قدر ممكن من الشبكات التفاعلية التي يشارك فيها (س) و(ع) أو حتى التي يتدخلون فيها غيابياً وتجدر الإشارة إلى أنّ العملية السابقة تستلزم تقسيماً للزمن (خلال أربع سنوات .. ثلاث سنوات .. الخ) ومنه يمكن ومستوى المكاسب واستمراريته من عدمه.

عمليات البيع الصغيرة كامتداد للعادة المكسبية

إنّ مسألة العطاء والأخذ ثم الرد ليست مرتبطة فقط بالعادة المكسبية إنّما أيضًا بعمليات البيع الصغيرة وكأنّها أصبحت نمط آخر من العادات المكسبية؛ ممّا يعني أنّ الأفراد في عمليات بيعهم الصغيرة يمارسون أيضًا نوعًا من العطاء، ففي العادة المكسبية من ناحية الزمن لا يتّصف الاستجابة وعمليات الإرجاع بالآنية في حين في عمليات البيع الصغيرة الاستجابة الأفراد تكون بشكل آني، أما عن عملية الإرجاع فهي على حسب عدة عوامل فقد تكون آنية أو غير آنية على سبيل المثال إن استجاب العنصر (أ) لصالح العنصر (ب) في نقطة زمنية معينة فإنّ العنصر (ب) ملزم بطريقة ما بالاستجابة لصالح أي الإرجاع لذلك يضطر بعض الأفراد للاستجابة لبعض الآليات التفاعلية وبالتالي فإنّ هناك نوعين من الدين ترتبط بهما عمليات البيع الصغيرة:

- دين بين المشتري والبائع
 - دين بين الأفراد الذين يقومون بالشراء (دين مادي المعنوي).
- الدين الأول يعتبر مألوفًا لكن عمليات البيع الصغيرة التي تتم في المنطقة بين الأفراد تركز أساسًا على الصنف الثاني من الدين والذي يُعتبر مثيرًا للاهتمام والذي أنتجه أو أوجدته الآليات التفاعلية ومن ثم تحقق الكسب بشكل غير مباشر للعديد من الأفراد وليس فقط البائع.
- يعني ما يجعل بعض العناصر تستجيب هي:
- قوة وشدة الآلية المستخدمة.
 - طبيعة الشخص وسرعة الاستجابة.
 - تعرضه لموقف سابق مماثل مع ذات الفرد تكون عملية الإرجاع ومسألة الإرجاع هي من نقاط التشابه بين العادة المكسبية وعمليات البيع الصغيرة.
- إنّ عمليات البيع الصغيرة تدعم العادة المكسبية عند إيموهاغ؛ لأنّ المكاسب المادية المحققة منها تساعد الأفراد على سداد التزاماتهم الخاصة بالعادة المكسبية.
- نقطة البداية في استخدام الآلية التفاعلية دون غيرها (الانطلاقة) مهمة بالنسبة لعمليات البيع يمكن تحديدها وأحيانًا أخرى يصعب ذلك نظرًا لصفة الاستمرارية التي تتّصف بها عبر الزمن ما

يحدث في الحاضر قد يكون ردة فعل لآلية لموقف كان منذ سنوات وبالنسبة لـ "العادة المكسبة" أكثر فطابع السرية بالإضافة إلى الاستمرارية عبر الزمن تزيدها تعقيداً.

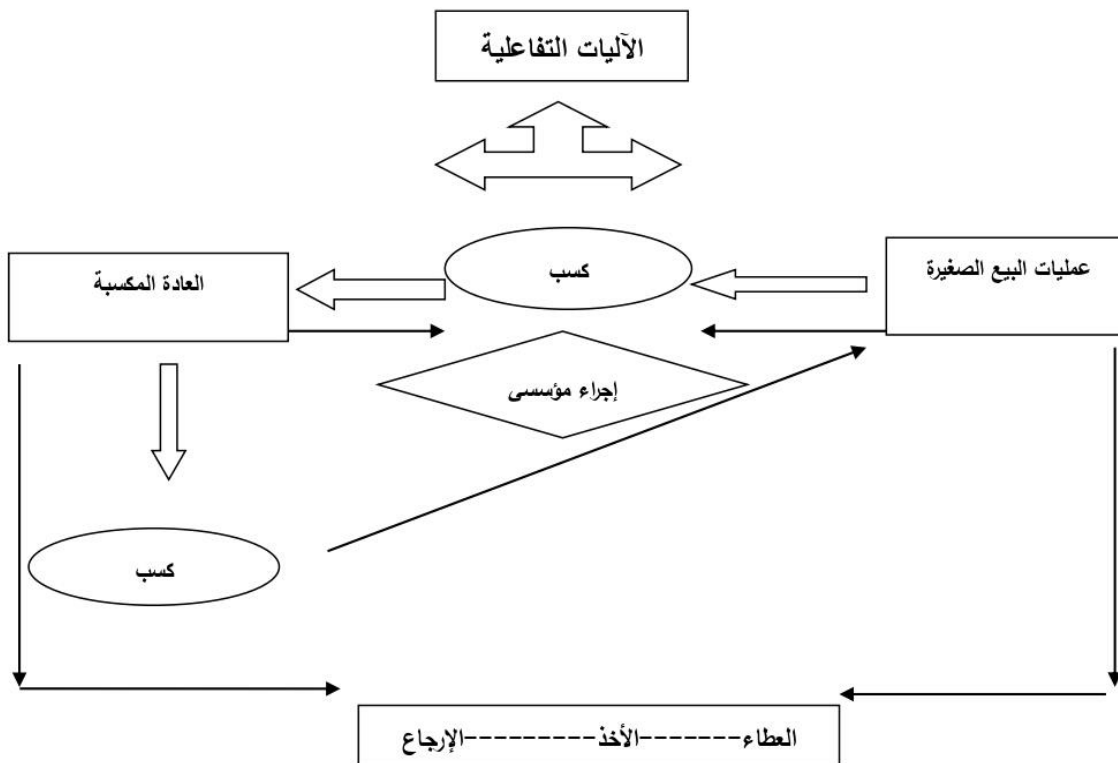
أما من حيث الاختلاف بين طريقتي الكسب (العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة) فإنه من ناحية الجدة والقدم "العادة المكسبة" تُعتبر أقدم من عمليات البيع الصغيرة التي تتم ضمن النطاق القرابي الضيق ومن ناحية استخدام الآليات التفاعلية فإنّ في العادة المكسبة تكون أكثر من عمليات البيع الصغيرة؛ لأنّ في العادة المكسبة يتم استخدام الآليات التفاعلية ذات المستوى الميكرو والماكروية، كما أنّه من خلال المواقف الإستراتيجية التي تم ملاحظتها ميدانياً لم يتم ملاحظته أي موقف خاص "بالعادة المكسبة" لم يتم فيه استخدام الآليات التفاعلية لكن بالنسبة لعمليات البيع الصغيرة هناك:

- حالات عدم استخدام الآليات التفاعلية في بعض عمليات البيع والشراء.
- عدم استخدام الآليات التفاعلية ذات المستوى الماكروي كـ "تمانهيق" على سبيل المثال.

ترتبط "العادة المكسبة" بثقافة مجتمع إيموهاغ ارتباطاً وثيقاً؛ نظراً لاستخدام الآليات الميكروية المرتبطة بالاعتبار الاجتماعي والمكانة فلم يتم رصد موقف واحد تم فيه استخدام الآليات التفاعلية المرتبطة بالمزاح والمرح.

* تدل على وجود نوع من المنافسة والحذر بين قبائل إيموهاغ المختلفة. وبالتالي "تمانهيق" تفرض على أفراد كلا القبيلتين توخي الحذر والتعامل مع بعضهم البعض بكامل الاحترام والرفق والحرص على الإتيان بالأفعال الحكيمة في حضرتهم.

الشكل رقم (54): يوضح العلاقة بين عمليات البيع الصغيرة والعادة المكسبة



فيما يخص استخدام السرية كآلية تفاعلية في العادة المكسبة عند إيموهاغ يختلف تماما عن المجتمع القبائلي كمجتمع أمازيغي فحسب الدراسة التي أجراها (René Maunier) خلال عام 1921 استطاع تقديم أرقام حول عدد الهبات الممنوح؛ لأن عملية المنح كانت تتم بشكل علني بحيث يجري الحرص على سماع كل الحضور أسماء المانحين ومقدار ما تم منحه* على عكس عملية المنح عند إيموهاغ إذ يحيطها السرية غالباً؛ مما زاد من تعقيدها وحتى عندما تخرج العادة المكسبة من نمط السرية فمن الصعوبة بمكان تحديد الزمان والمكان؛ مما يجعل الباحث لا يستطيع غالباً تحديد أبعادها وسبل سيرورتها إلا عن طريق الصدفة.

على الرغم من أنّ عمليات البيع الصغيرة في مجتمع إيموهاغ والتي تقوم بها النسوة غالباً تمثل باب للكسب لا يستهان به؛ لأنها تجري بطريقة غير نمطية وذلك بمساعدة الآليات التفاعلية المختلفة التي يعرفها مجتمع إيموهاغ ككل إلا أنّ قيامها ضمن المستوى القرابي الضيق

* راجع المبحث الثاني في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

ومنه معرفة الأفراد بعضهم بعضًا يساهم في انتشار التعامل بما سمي "إريت" أو ما اصطلح عليه (Alain Testart) بـ"سعر الصديق"، كما أنّ التعامل بالدين يبدو أكثر سهولة من ناحية تحصيله نظرًا لعلاقات الجوار أو القرابة التي تربط البائع بالمشتري إلا أنّ هذا النوع من عمليات البيع الصغيرة يقف عائقًا أمام تطور الآفاق التجارية والطموح لدى الأفراد، كما أنّها تعمل في الآن نفسه على تمييط الاستهلاك؛ مما قد ينعكس سلبًا أو إيجابًا على الأفراد ومستوياتهم الاقتصادية، فالمعايير الاجتماعية تقف عائقًا أمام إمكانية تطور العقلية التجارية البحتة، ففي الوقت الذي تساهم فيه الآليات التفاعلية المختلفة في تحقيق مكاسب من خلال العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة تساهم في الآن نفسه في بعد الأفراد عن امتلاك عقلية تجارية - رأسمالية وعلى الرغم من أنّ العادة المكسبة قد تبدو أنّها إيجابية بالمطلق إلا أنّها - أحيانًا - تعلم الأفراد الاتكالية على الغير (كأن يعتمد الأبناء على "عملية العادة المكسبة" المقدمة للأباء في تغطية مصاريف معينة وبالمقابل عدم مشاركتهم في العملية من قبل).

ترتبط "العادة المكسبة" عند مجتمع إيموهاغ بنقطتين:

- "تايتي"، أو مستوى الوعي لدى الفرد، فالمشاركة في عملية العادة المكسبة تظهر مستوى وعي الفرد ومدى تحليه بروح المسؤولية؛ لأنّ مشاركته تعني أنّه بحاجة للآخرين وهم بحاجة.
- المشورة "تاناؤت"، إذا كانت العادة المكسبة تجري بين الأسرة (س) و(ع)، فإنّ رب الأسرة أو "أمغاز" هو من يقرر بعد مشاورة أهله حول ما يليق أن يتم وهبه، كيف ومتى يكون ذلك؟

تقوم عمليات البيع الصغيرة عند أفراد مجتمع إيموهاغ باستغلال مواسم نشاط السياحة خاصة السياحة الأجنبية، إذ كانت عمليات البيع موجهة في أغلبها للسياح في فترات نشاط السياحة في الهقار خاصة ما يتعلق بالصناعات التقليدية اليدوية والتي - غالبًا - يتم صنعها خصيصًا للسياح الأجانب الوافدين للمنطقة والمقتنيات التراثية كالحلي التقليدية، غير أنّ عمليات بيع الصغيرة والمتعلقة بالصناعات اليدوية التراثية والموجه خصيصًا للسياح الأجانب تتأثر بعدد السياح

الوافدين للمنطقة والذي يبدو من خلال الإحصائيات متذبذب خلال السنوات (2017-2018-2019)، كانت أعداد السياح الأجانب على التوالي (810-910-550)*. يستغل العديد من الأفراد على مستوى العالم، السياحة للكسب، فقد توصلت (Wilson Tamar Diana) في دراسة قام بها حول النساء اللاتي يمارسن البيع إلى أنّ تطوير المراكز السياحية لا يؤدي فقط إلى تدفق السياح ولكن أيضًا إلى تدفق العاطلين عن العمل¹. يسمح ضعف النشاط السياحي لإمكانية تحول المقتنيات التراثية التي كانت ضمن عمليات البيع الصغيرة إلى "إجراء مؤسسي"؛ أي أنها تُصبح هبة للمؤسسات ذات الطابع الثقافي كالحظائر الثقافية.

أما عن العادة المكسبة فقد لعبت فرضية الأفراد الأنانيين المعنيين فقط بمصالحهم الشخصية دورًا مهمًا في تطوير العلوم الاقتصادية فلم يأخذوا بعين الاعتبار حقيقة أنّ المجتمع لا يتكون من أفراد معزولين ولكن من أشخاص منضمين في شبكة من العلاقات الاجتماعية والعاطفية حتى أنّ الأذواق والمعتقدات قد تم تنظيرها وإدخالها صراحة في النظرية الاقتصادية ومن هنا اقترحت نظرية الإيثار وضع الفرد في سياقه العائلي أو الاجتماعي من خلال النهوض بفرضية ترابط التفضيلات الفردية فرضًا للفرد الإيثاري لها عنصران من ناحية الفائدة التي يستمدّها من استهلاكه المختلف ومن ناحية أخرى تلك التي يوجهها في ضوء الارتياح الذي يعطى للآخرين من خلال كرمه ومساعدته لذلك فإنّ الفرد الإيثاري يقسم موارده بين استهلاكه الخاص والهبات من أجل تحقيق أقصى قدر من الرضا وعليه فإنّ مسألة الهبة لا يبدو أنّها تتمتع بميزة إدماجها في وظائف المنفعة وصون فرضية العقلانية².

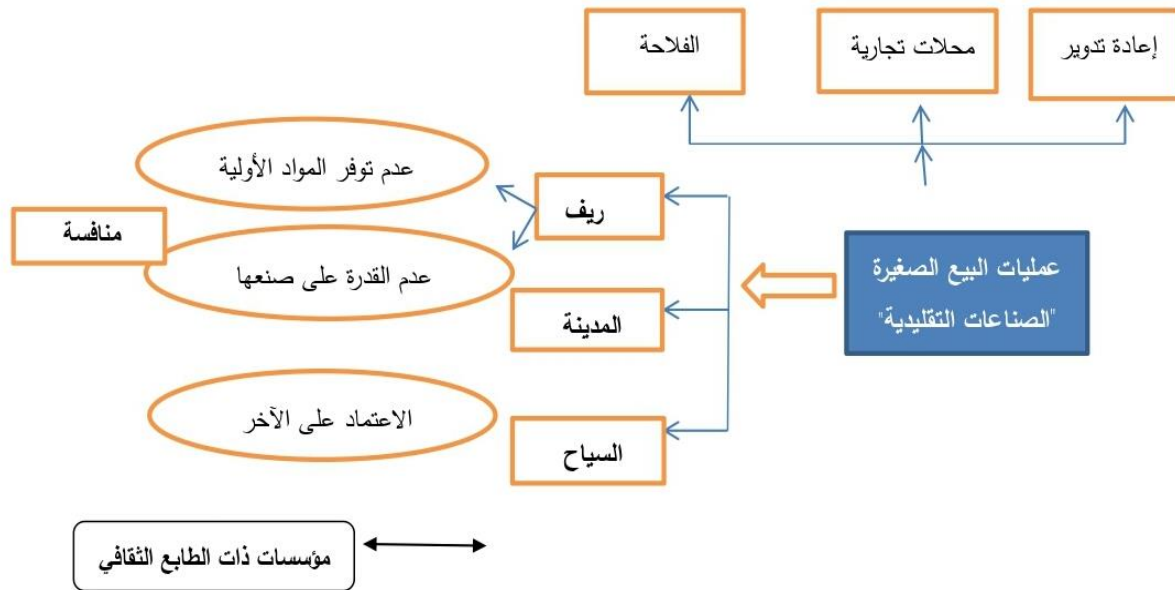
* لتفاصيل أكثر إطلع على الملحق رقم (18).

¹ Wilson T.D, «Self –Employed Women in the Informal Economy :Beach Vendors in Acapulco», *Production, Consumption, Business and the Economy :Structural Ideals and Moral Realities*(*Research in Economic Anthropology*), Vol.34, Emerald Group Publishing Limited, 2014, p.290. <https://www.researchgate.net/publication/315399950>.

² Jean-Didier Lecaillon, Bruno Jérôme, «Le comportement des acteurs du marché du don », *Revue française d'économie* ,vol(XXVI), n°4, 2011, p58. <http://www.cairn.info/revue-francaise-d-economie-2011-4-page-57.htm>

ب. تداخل وتكامل الممارسات التديرية المختلفة عند إيموفاغ

هناك علاقة تداخل وتكامل تجمع عمليات البيع الصغيرة والعادة المكسبة بباقي الممارسات التديرية عند مجتمع إيموفاغ ويمكننا شرح كيفية التداخل والتكامل من خلال:
 الشكل رقم (55): كيفية تكامل عمليات البيع الصغيرة "الصناعات التقليدية" مع عمليات الكسب التقليدية الأخرى

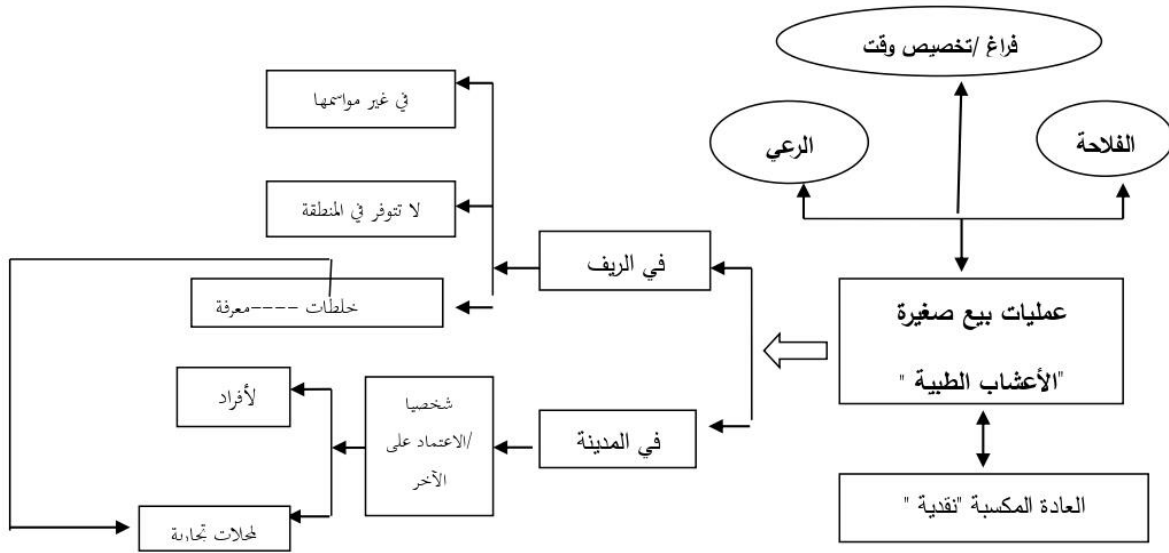


تستخرج الصناعات اليدوية التقليدية موادها الأولية من ثلاث مصادر: أولاً، إعادة تدوير بعض النفايات المنزلية؛ مما يعني أنها ذات أهمية بيئية للفرد والمجتمع، ثانياً، المحلات التجارية في المدينة، ثالثاً، تعتمد على الفلاحة.
 توجه عمليات البيع الصغيرة لثلاث عناصر:

- الريف، رغم أنها تشهد بعض المنافسة بين الأفراد من يتقنها غير أنّ البعض الآخر لا يمكنه المشاركة في تلك المنافسة نظراً لمستواه المعيشة فهي أحياناً تكون بحاجة لمبالغ رمزية.
- المدينة، إذ تتم الاستعانة بخدمهم لبيعها أو كوسيط.

■ استغلال السياحة، في مواسم نشاط السياحة بالمنطقة وتجدر الإشارة أنه في حالة ركود السياحة يتم تحويل بعض مقتنيات التراثية للمؤسسات ذات الطابع الثقافي وهذا قلما يحدث؛ لأنه يرتبط بمستوى وعي الأفراد، فقد يتم يقوم بعض الأفراد بإتلاف تلك المقتنيات بدل التبرع بها.

الشكل رقم (56): كيفية تكامل عمليات البيع الصغيرة "الأعشاب الطبية" مع عمليات الكسب التقليدية الأخرى والعادة المكسبة



تعتمد عمليات البيع الصغيرة الخاصة بالأعشاب الطبية على الفلاحة، إذ يستغل البعض نشاط الفلاحة لزراعة بعض الأعشاب الطبية أو جني بعض الأعشاب الطبية التي تنبت بشكل تلقائي، كما تعتمد أيضاً على استغلال وقت نشاط الرعي، إذ ينتقل الأفراد لعدة كيلومترات؛ مما قد يجعلهم يتحصلون على أعشاب طبية نادرة لا تتوفر في مكان إقامتهم أو أعشاب بالمطلق، لأن الأعشاب الطبية مكسبة فقد يخصص بعض الأفراد أوقات خاصة لجمعها أو يعملون على استغلال أوقات فراغهم.

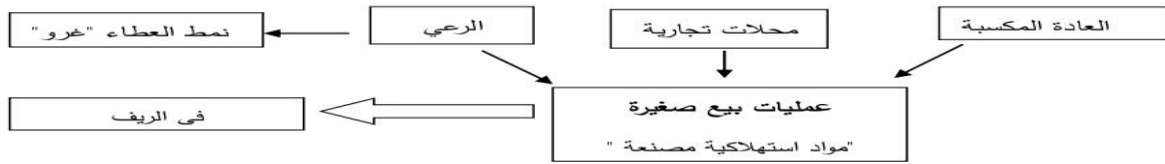
يتم تسويق عمليات البيع الصغيرة الخاصة بالأعشاب الطبية في كل من الريف والمدينة، إلا أنها في الريف توجد شروط لنجاحها:

- حين يقوم أحدهم بتخزين الأعشاب الطبيّة ثم بيعها في غير مواسمها
- حين لا تتوفر تلك الأعشاب في ذات المنطقة التي يقيم فيها الأفراد، كأن يستغل بعضهم أوقات الرعي والبعض الآخر لا يقوم بذلك.
- حين يتم بيع تلك الأعشاب الطبيّة على شكل "خلطات الطب الشعبي"، بحيث يكون السبب الإقبال عليها أنّ بعض الأفراد لا يعرفون طريقة صنع تلك الخلطات، غير أنّه تجدر الإشارة أنّه بعد شرائها يُحاول بعض الأفراد تقليدها.

أما عن بيع الأعشاب الطبيّة يكون بطريقتين: إما ببيعها بشكل شخصي أو الاعتماد على أحدهم في المدينة وقد يتم اعتماد كلا الأسلوبين، فقد يتم بيعها لصالح أفراد عاديين أو من يمارس الطب الشعبي في المدينة أو قد يتم بيعها لمحلات تجارية ويتكون بكميات أكبر، وتجدر الإشارة إلى أنّ حتى الخلطات التي يقوم الأفراد ببيعها سواء في الريف أو المدينة يعتمد أصحابها على المحلات التجارية لشراء ما ينقصهم من أعشاب.

الشكل رقم (57): كفيّة تكامل عمليات البيع الصغيرة "مواد استهلاكيّة مصنعة" مع عمليات

الكسب التقليديّة الأخرى والعادة المكسبة



عمليات البيع الصغيرة الخاصة بالمواد الاستهلاكيّة المصنعة المختلفة يتم جلبها من المحلات التجاريّة بالمدينة وهي موجهة للأفراد في الريف.

يشكل الرعي نشاط اقتصادي داعم، فهو يمكن الأفراد من بيع بعض الرؤوس لاستثمار أموالها في شراء مواد استهلاكيّة مصنعة متنوعة ثم إعادة بيعها من جديد ولأنّه أحياناً تتكفل بعض الأسر برعي أغنام غيرها (أصحابها في المدينة غالباً) يصعب احصاء عدد الرؤوس التي تعود ملكيتها لكل أسرة.

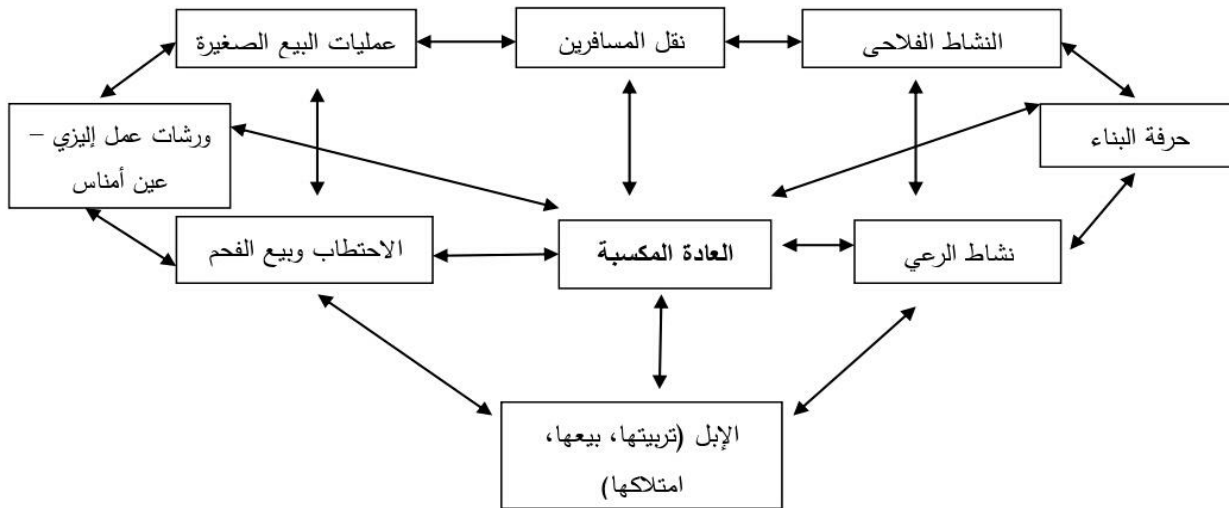
للنشاط الرعوي عند مجتمع إيموهاغ الريفي ثلاثة أنماط من المكاسب:

- المكسب المادي، وهو الذي أتينا على ذكره سابقاً.
- المكسب المعنوي-الروحي، فالرعي لا يعد نشاطاً اقتصادياً فحسب فهو أيضاً فرصة للترويح عن النفس، أما عن الروحانية فنقصد بها هنا ما يصطلح عليه لدى إيموهاغ بـ"غرو".*

- المكسب الاجتماعي، القيام برعي أغنام الغير يسمح بتكوين علاقات معهم

الشكل رقم (58): تكامل وتداخل ممارسة العادة المكسبة وطرق الكسب التقليدية الأخرى

والأعمال الرسمية وغير الرسمية المتذبذبة



سبق وأن ذكرنا بأنّ "العادة المكسبة" تأتي على شكلين: عيني ونقدي، لذلك تعتبر جل الأنشطة الاقتصادية ذات الطابع التقليدي والرسمي المتذبذب وكذلك غير الرسمي المتذبذب تدعم العادة المكسبة وبالمقابل هذه الأخيرة تدعم تلك الأنشطة سواء كانت نقدية أو عينية؛ لأنها توفر استخدام مبالغ نقدية من مخرجات الأنشطة السابقة، لذلك يمكن القول بأنّ هناك علاقة مساندة متبادلة بين العادة المكسبة وبقية الممارسات الكسبية التقليدية وغير التقليدية.

* هو ما يتم وهبه لأحد أولياء الله الصالحين من أجل التوفيق في أمر ما وهو أشبه بالنذر-على حسب المعتقد -وقد يكون "غرو" عبارة عن رأس شاة أو ما شابه.

وظيفة الثقافة هو إشباع حاجات مختلفة للفرد من بينها الحاجات المادية فلكل حاجة لدى الفرد استجابة لها في الثقافة وعليه يمكن القول بأن الآليات التفاعلية هي عبارة عن استجابة لحاجات معينة عند أفراد مجتمع إيموهاغ وغالبًا هناك حاجات خلقتها الثقافة نفسها وبالتالي تقوم بإشباعها وهي إحدى الآليات لترسيخ الثقافة؛ لأنه إن لم يتم إشباعها من خلالها سيضطر الأفراد للبحث عن بديل آخر هذا الأخير الذي قد يؤدي إلى الانحراف عن الهوية الثقافية فالحاجة إلى الكسب والعمل عند أفراد مجتمع الريفي خلقتها ثقافتهم من خلال ترسبات بعض الأعراف والتقاليد والعادات؛ مما نتج عنه ضعف الاهتمام بتعليم الإناث، انخفاض الطموح، الاعتماد على الأنشطة الاقتصادية التقليدية وعدم تطويرها كالرعي... الخ كل العوامل السابقة أدت إلى ابتداء الاعتماد على طرق الكسب التقليدية ومن ثم كانت الآليات التفاعلية التي يتميز بها مجتمع إيموهاغ الريفي على وجه الخصوص داعمًا لبعض طرق الكسب التقليدية وذلك لسد الحاجة التي كانت العادات والتقاليد أحد الأسباب الرئيسية في منع الأفراد من إشباعها عن طريق مزاوله العمل الرسمي، ففي الوقت الذي كانت فيه بعض الآليات التفاعلية كـ(أشك*)، (أو كشف*... الخ) سبب في عدم مزاوله بعض الرجال لبعض الأعمال كانت تلك الآلية ذاتها عاملاً مساعدًا في عمليات الكسب التقليدي كالعادة المكسبة على سبيل المثال.

تسمح "طامظا*" بالتمظهر؛ فهي فرصة لعرض الأفراد لجل ما اكتسبوه من عمليات التفاعل عبر التراكم الزمني، المدعويين سلفًا يعرضون تمظهرهم وصاحب الدعوة بالمقابل يعرض أمران: القدرة على الصرف المادي من خلال ما تم استلامه من "مكاسب العادة المكسبة" وعلى الرغم من أن الأمر يبدو بأنه قد تم بمساعدة من الآخرين إلا أن صاحب الدعوة يتباهى بقدرته على الإنفاق من خلال ما حصده من "مكاسب من العادة المكسبة"؛ لأن ذلك دلالة على مساهمته السابقة من "العادة المكسبة" للآخرين سابقاً وفقاً لمبدأ "الأخذ - الرد" وفي نفس الوقت التباهي والتمظهر الاجتماعي؛ لكن ضمن تكتيك معين: مثلاً رغم أن الدعوة عامة سلفاً إلا أن أصحاب

* ترتبط بقيم المروءة والحياء؛ فهي التي تُحدد للفرد الأماخ ما يتوجب عليه فعله في المواقف المختلفة.

* هو الفضيحة والعار.

* هي الاحتفال بتمام الزيجة سبعة أيام كاملة.

المناسبة يحرصون على تقديم مائدة العشاء قبل موعد العشاء لتفادي إعداد كمية أكبر وهناك سبب آخر ألا وهو "تران مان".

يمكن القول بأن "طامظا*" هي إحدى طرق التحفيز الذاتي (أي أن عملية الكسب الاجتماعي والمادي دائماً تحمل في طياتها تحفيزاً داخلياً) الهندام يختلف بعد وقت العصر وبعد الرجوع للمرة الثانية وهذا ما يؤكد أهمية المظهر أو التمظهر*.

"طامظا" هي فرصة للغير بطريقة غير مباشرة لإظهار الهيبة والامتنان القدرة التي هي بالأساس من تعداد الآخرين ويستفيدون منها بدورهم لكسب هيبتهم وهي أيضاً فرصة لعرض التفاعلات المختلفة والتأكيد على ترسيخ القيم والعادات، كما أنّها فرصة أخرى لتطوير عمليات التمظهر المختلفة من خلال عمليات تقييم الآخر وهي فرصة لانتقال المعلومة عبر الإشاعات وغيرها.

للتراث اللامادي عند إيموهاغ خلفيات مادية يقوم بعض الأفراد باستغلالها، غير أن منطقة "تاهيفت" لم تهتم بالنشاط الجمعي بشكل عام، إذ إلى حد شهر جوان 2020 لا توجد أية جمعية ثقافية تخص المنطقة باعتبار أن النشاط الجمعي له بعد اقتصادي، كما أن للأفراد القدرة على الانخراط فيه.

ما يميز العملية التبريرية لدى مجتمع إيموهاغ الريفي بتأقرفاست هو مساهمة جميع أفراد الأسرة الريفية فيها بدءاً بالأطفال وصولاً لرب الأسرة فالرجال يقومون بعمليات بيع أكبر حجماً من تلك التي تقوم بها النسوة فهي تخص بيع الفحم والاحتطاب، عمليات بيع الإبل أحياناً، أما الأطفال فيشاركون في النشاط الرعوي وجمع الأعشاب الطبية.

تؤثر الأمراض والأوبئة على عملية التخطيط المرن عند مجتمع إيموهاغ الريفي؛ لأنها تسبب التباعد الاجتماعي (خلال إحدى الزيارات الميدانية كان مرض الحصبة منتشراً في مارس

* هي الاحتفال بتمام الزيجة سبعة أيام كاملة.

* التمظهر يعكس التشجيع على الاستهلاك وبطريقة غير مباشرة يُشجع على تفعيل الآليات التفاعلية لتنشيط عمليات الشراء أو الاستفادة من السلع المختلفة، كما يُشجع الأفراد على العادة المكسبة.

(2018)؛ مما أثر على التزاور بين الأفراد في المنطقة وليس هذا فحسب فحتى الأمراض التي يعجز الأفراد عن فهمها حسب اعتقادهم تستدعي التباعد الاجتماعي.

تجمع الأعراف والتقاليد والعادات بشكل عام عند إيموهاغ عدد معتبر من الأفراد، بالنسبة لإيموهاغ هو نوع من المساندة.

كثرة الاحتفالات والجانب الروحاني (الصدقات) التي تستدعي غالبًا التجمع سواء تقسيمها الأسرة الواحدة أو بمساهمة جميع الأسر المنطقة، أما التباعد الاجتماعي يكون في حالتين وجود مرض معدي بالمنطقة أو وجود صراع فعلي بين الأفراد.

الآلية التفاعلية "تمانهيق*" تبطل تأثير التقارب الاجتماعي الذي يكون في الاحتفالات المتنوعة زيجة وغيرها وكما ذكرنا سابقًا يُعتبر من المعيب التصرف بتلقائية في مثل هذه الحالات.

حسب العديد من المبحوثين في الماضي كان التقارب الاجتماعي بدون أي سبب لغرض المرح فحسب وفي ذات الوقت تستخدم العديد من الآليات التفاعلية دفعة واحدة لكن مؤخرًا لم يعد هذا النمط من التجمعات المتكرر والمستمر بدون سبب نظرًا لعدة عوامل؛ مما يعني أنه لا يوجد أي فاصل عند أفراد مجتمع إيموهاغ الريفي بين الكسب عن طريق التفاعلات الإستراتيجية والحياة اليومية.

ممارسة النسوة للبيع له علاقة بانخفاض مستوياتهن التعليمية وكذلك له علاقة بنقص المؤسسات التنموية بالمنطقة وانخفاض مستوياتهن الدراسة له علاقة بالعرف والمستوى الاقتصادي للأسر فقليلون الذين يرسلون بناتهم (الإناث) للدراسة فهن يتفرغن للرعي غالبًا على عكس الذكور، فعند بلوغهم سن الرشد وقدرتهم على العمل بالمدينة أو الانضمام إلى إحدى ورش العمل بمنطقة "إليزي"، أما عن النقص الفادح للمؤسسات العمومية قد يجعل بعض النسوة ينتمي إلى العمل الرسمي كعاملات النظافة، على سبيل المثال وبالمقابل الانتماء للعمل الرسمي يؤثر على مشاركة بعض الأفراد في الشبكات التفاعلية اليومية.

* تدل على وجود نوع من المنافسة والحذر بين قبائل إيموهاغ المختلفة، وبالتالي "تمانهيق" تفرض على أفراد كلا القبيلتين توخي الحذر والتعامل مع بعضهم البعض بكامل الاحترام والرقي والحرص على الإتيان بالأفعال الحكيمة في حضرتهم.

كشفت الدراسة التي قامت بها كل من (Titeca) و (Kimanuca) (2012) بأن الأفراد الذين يمارسون التجارة في الظلام أغلبهم من النساء بنسبة 74% واللواتي تبلغ أعمارهن أكثر من 30 سنة مع انخفاض مستوياتهن التعليمية فنسبة 79% منهن لم يتجاوزن المرحلة الابتدائية.¹ بالنسبة للعرف حول مسألة تعليم الإناث رغم وجود محاولات للتغلب عليه إلا أنّ العامل الاقتصادي لبعض الأسر لا يسمح لهم بتعليم بناتهم أو على الأقل كلهن بحيث تعمل بعض الأسر على تعليم ابنة واحدة على الأقل.

مسألة الاختلاط بالآخر كان لها دورها -تاريخياً- في تعرف مجتمع إيموهاغ على التبادل النقدي-السلعي، ففي الثمانينيات شهدت تامنغست وكبة اقتصاديّة ووحدة إداريّة حيث تضاعفت نسبة السكان إلى ثلاثة أضعاف في مدة عشر سنوات، فحسب إحصائيات 1977 كان عدد السكان يقدر بـ 12.400 نسمة وأصبح في سنة 1987 بـ 32.389 نسمة²؛ ممّا يدل على توافد مختلف الأجناس إليها والتجار ومنه مخالطة إيموهاغ البدو لهم؛ ممّا جعلهم يتعرفون أكثر على عالي عمليات البيع ومنه العقلية التجارية -النقدية.

أما بالنسبة للعادة المكسبة فهي مرتبطة بمجتمع إيموهاغ بشكل عام ومجتمع إيموهاغ الريفي بشكل خاص ولا علاقة لها بالعوامل كالتعليم الجانب التنموي، فهي تعكس العديد من المظاهر كالتماسك الاجتماعي والترابط بين الأفراد؛ ممّا يعني أنّها تكون سبباً في نشوء صراع بين الأفراد وفي ذات الوقت سبباً في حله وكأنّه طريقة لتحقيق نوع من التوازن الآلي للمجتمع إيموهاغ من الناحيتين المادية والاجتماعية.

إنّ العلاقة بين "العادة المكسبة" ونمط الاستهلاك عند إيموهاغ، تكمن ببساطة نمط الاستهلاك عند إيموهاغ البدو كان أحد عوامل عدم بروز "العادة المكسبة"، كما أنّ أحد المبحوثين ذكر بأنّ هناك علاقة بين نظام الحكم التقليدي "تمنوكل" قديماً وبرز موضوع "العادة المكسبة" لدى مجتمع إيموهاغ؛ لأنّ الأمنوكال يحرص على عدم احتياج أي من أسر القبائل التابعة له*؛ ممّا قلل من طرحها لدى الباحثين الأجانب في حين في الوقت الراهن تأثر نمط

¹.Issofou Njifen, op. cit.,p.30.

²توفيق بوزناشة، دليل الجمهورية (ولايات وبلديات)، الجزء الأول، تاكسوس تي في، 2013، ص.604.

* من الصعوبة بمكان تأكيد أو تفنيد ما ذهب إليه المبحوث، فهذه النقطة لوحدها تستلزم دراسة تاريخية -اقتصادية كاملة.

الاستهلاك عند إيموهاغ بالحياة الحضرية؛ مما استلزم "ممارسة أكبر للعادة المكسبة ونفس الشيء بالنسبة لعمليات البيع لصغيرة التي تُحاول محاكاة ما يتم استهلاكه وما هو مرغوب فيه في المدينة وإذا تعلق الأمر بعمليات البيع التي تخص المنتجات الجاهزة وليس الصناعات التقليدية والأعشاب الطبية.

اقترح (Bateson.G) مفهوم (ethos) للتعبير عن النظام الثقافي الذي يقوم بتنظيم الأحاسيس والانفعالات للتعبير عن التفرد في الانفعالات لدى كل جماعة، فالثقافة هي التي تحدد شكل ووحدة الانفعال والكلمات والإيماءات.¹

(Marcel Mauss) هو أول من أشار إلى ثقافة الانفعال وذلك عام 1921 وذلك في مقال له في مجلة (journal de psychologie) بحيث أشار في مقاله كيف تقوم المجتمعات بصناعة "التعبير الإلزامي للمشاعر" فقد قام لمدة طويلة بتحليل الطقس المأتمني الأسترالي وبعد مدة من الزمن واصل الباحث (Granet Marcel) التحليل في نفس الموضوع وذلك من خلال تحليل طقوس الحزن عند الإقطاعية الصينيين (1953) الذين يرثون الميت من خلال أكواخ فردية محاطة بمنزل الفقيد ليكون لدى كل واحد منهم شاهد على حزنه وبكائه.²

ذلك ما يفسر ما توصلت إليه إحدى الدراسات السابقة حول أنماط الاتصال التقليدية عند المجتمع القبائلي بامتلاكه بنية اتصال خاصة به تتميز عن الأنماط الأخرى فهي بنية تشكل نسقاً متفرداً له قواعده وثقافته ومنطقه.

¹.David Le Breton, op.cit., p.104-105.

². Ibid., p. 105.

الاستنتاج العام:

من خلال المراحل الثلاث من عملية المقارنة المستمرة، جمع المعطيات الكيفية ثم تفسيرها باستخدام المعالجة اليدوية نستنتج ما يلي:

المواقف الإستراتيجية التي لها علاقة بالتخطيط المرن (نقصد في العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة) يصعب حصرها، فحتى علاقة التناقض التي تظهرها بعض النقاط في مراحل عملية المقارنة المستمرة هي دليل على كثرة المواقف الإستراتيجية المحتملة لذلك هي بعيدة عن إمكانية حصرها.

وبشكل عام ولأن عدد الأفراد المكونين للشبكة التفاعلية لا يؤثر في مدى نشاط الآليات التفاعلية؛ لأنها تمس حتى الأفراد الغائبين عنها لذلك تتحقق مكاسب اقتصادية في كل من العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة، ففي العادة المكسبة يمكن للأفراد أن يتلقوا "مكاسب" من مناطق بعيدة، كما أن المنح غالباً يتم باستخدام الآلية التفاعلية "السرية"، أما عن عمليات البيع الصغيرة فهي بدورها يتحقق فيها الكسب حتى للأفراد الغائبين عن الشبكات التفاعلية.

كما أن "التخطيط المرن" عند مجتمع إيموهاغ الريفي يحقق مكاسب اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، وإنسانية:

أولاً: المكاسب الاقتصادية: والتي تتحقق من خلال استخدام الآليات التفاعلية المختلفة في كل من العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة.

أ. في العادة المكسبة فيمكن تقسيم كيفية تحقيق الآليات التفاعلية المختلفة للكسب إلى ست حالات رئيسية:

1. على حسب مستوى الآليات التفاعلية (الميكرو والماكرو). لاحظنا بأن الآليات التفاعلية الماكروية أكثر ارتباطاً بالعادة المكسبة من الآليات التفاعلية الميكروية.

2. على حسب نمط الكسب المحقق (مستمر، غير مستمر، مرتفع، منخفض).

3. على حسب نوع البعد الذي ترتبط به (كالبعد الاجتماعي كالمكانة الاجتماعية والسمعة).

لذلك فالعادة المكسبة لا تحقق الكسب الاقتصادي فحسب بل والاجتماعي أيضاً.

4. على حسب إمكانية تحولها (كتحول الآلية التفاعلية السريّة إلى عكسها).

قد تخرج العادة المكسبة من الآلية التفاعلية السريّة بعد مدة زمنيّة معينة عن طريق الصدفة أو القصد، يصعب تحديدها بالدقة وبالتالي تحقق مكاسب لأفراد معينين؛ لأنّ خروجها من نمط السريّة يعني استخدام آليات أخرى تمكن الأفراد من تحقيق مكاسب مستقبليّة.

ارتباط العادة المكسبة (النقدية على وجه الخصوص) عند مجتمع إيموهاغ بالآلية التفاعلية "السريّة"، عكس المجتمع القبائلي حسب الوصف الدقيق لـ (René Maunier).

5. على حسب مراحل العادة المكسبة، ففي المرحلة الأولى قد يكون الطلب كمحفز لعملية العادة المكسبة، أما في المرحلة الثانية فيتم استخدام عناصر التوقع الإيجابي، أما المرحلة الثالثة فيتم استخدام نفس آليات المرحلة الثانية.

6. على حسب نطاق العادة المكسبة ولأنّ النطاق يعكس، الأسرة، القبيلة، منطقة معينة فهو يرتبط بروح الجماعة لذلك يتم استخدام الآليات الماكروية غالباً.

كما أنّ مستوى المكاسب الاقتصادية في العادة المكسبة يتأثر بنوع المناسبة الاجتماعية أو الظرف الاجتماعي. وتجدر الإشارة إلى أنّ المجتمعات الغربية الحديثة تعرف بدورها "الكسب الهبوي" فالهبات النقدية على سبيل المثال -أحياناً- تكون سبباً في الدخول إلى العالم المؤسسي. (كمثال الدراسة السويسرية التي تمت الإشارة لها في الفصل الثالث)

ب. في عمليات البيع الصغيرة فإنّ الكيفية التي يتم بها استخدام الآليات التفاعلية لتحقيق الكسب يكون من خلال:

- استخدامها كطرق ترويجية (كالسريّة والسرد والتمويه).
- غياب استخدام الآليات التفاعلية الماكروية، فهي تعيق غالباً عمليات البيع الصغيرة.
- هناك آليات تفاعلية ميكروية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعمليات البيع الصغيرة وهي المحرك الأساسي لبقيّة الآليات التفاعلية، فمن خلال المعطيات

الميدانية نجدها تكرر في العديد من المواقف الإستراتيجية وبحالات مختلفة.

- يعمل أحد أنماط العطاء المادي كمحفز للآليات التفاعلية المختلفة.
- تحقق الآليات التفاعلية الكسب في عمليات البيع الصغيرة ليس فقط من خلال دفعها للأفراد للقيام بعمليات شراء لصالح آخرين وبالتالي تحقق الكسب المادي للبعض والمالي للبعض الآخر بل حتى من خلال دفعها للبعض للقيام بعمليات بيع صغيرة وذلك بفضل الكسب المادي المرتفع الذي تم تحقيقه.
- الآليات التفاعلية الميكروية والماكروية التي يتم استخدامها في عمليات البيع الصغيرة

وتجدر الإشارة إلى أن كل من العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة تتكامل مع باقي الممارسات التدبيرية ذات الطابع التقليدي والأنشطة الرسمية المتذبذبة والتكامل الذي بينها يُبنى على مبدأ تغيير الأدوار، فعلى سبيل المثال يصبح نشاط الرعي مصدراً مالي لعمليات البيع الصغيرة في حين قد تمثل العادة المكسبة "النقدية" مصدراً مالياً يستفيد منه الأفراد في ممارسة نشاط الفلاحة وهكذا دواليك، فقد ذكر الباحث (François Athané) في دراسته حول "الهبة" بأنّ التنظيم الاقتصادي لأي مجتمع يتسم بنوع محدد من التكامل، اعتماداً على ما إذا كان الهيكل المهيمن في الاقتصاد هو المعاملة بالمثل، أو إعادة التوزيع، أو التبادل.

ثانياً، المكاسب الاجتماعية:

وهي المكاسب التي تتحقق من خلال تخفيف حدة الصراع بين الأفراد وتكريس مبدأ الترابط والتعاون حتى وإن كان أحياناً مشروطاً وحفظ السمعة والمكانة الاجتماعية للأفراد، تخفف من حدة الصراعات الفعلية بين الأفراد وذلك بفضل الطريقة المرححة التي تتم بها ومنه تعزز الروابط والعلاقات بين الأفراد وبالمقابل قد تزيد الآليات التفاعلية من حدة الصراع.

كلا طريقتي الكسب التقليدية تتمان ضمن النسق القرابي؛ ممّا يجعلها تزيد من

التماسك الاجتماعي بين أفراد الأسرة الواحد وذلك نفس ما أشار له الباحث "رضوان بوجمعة" في دراسته الموسومة بـ "أشكال الاتصال التقليديّة في منطقة القبائل" بأنّ أنساق القرابة تتدخل في كل التفاعلات الرمزيّة بين الأفراد والجماعات في المجتمع القبائلي التقليدي.

عرفت المجتمعات الغربيّة الرأسماليّة نمط التبادل غير التجاري والذي يقوم على مبدأ الذي اصطلح عليه (Alain Testart) "بسر الصديق" والذي يركز على التفاعل والروابط الاجتماعيّة ولو بشكل نسبي في المجتمعات الحديثة.

ثالثاً، المكاسب الثقافيّة:

أما عن الثقافي في أن "الهوية" أو ما اصطلحنا عليه بـ "تموهغة" كلها متواجدة بعملية خلال التخطيط المرن، "تموهغة" التي تشبه "تقبالييت" التي ذكرها الباحث "رضوان بوجمعة" في دراسته حول المجتمع القبائلي.

فعاليّة العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة كطرق كسب تقليديّة عند إيموهاغ تظهر من خلال التخطيط المرن الذي يمتاز بالعمويّة والنظاميّة في الآن نفسه فحدثها بشكل انسيابي يجعل إمكانية تحقيق مكاسب من خلالها ممكنة جداً (المرح)، ممّا يجعل استخدام الأفراد للآليات التفاعليّة المختلفة في العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة شبيهة باللعب الذي تهتم به المجالات الأمريكيّة والذي يحقق الكسب والمرح في آن واحد، كما أنّه يعتمد على الأقارب ومبدأ المعاملة بالمثل)، كما أنّ هذه النقطة أي العمويّة تظهر مدى ارتباط التخطيط المرن بالمعايير الاجتماعي والعرف الاجتماعي، ففي التجارة القوافليّة خلال القرن السابع عشر التي مارسها مجتمع إيموهاغ كذلك لم يتم انتهاج طرق حسابية لحساب المكاسب المحققة إذ كان الاعتماد على المعايير الاجتماعيّة والتخمين فقط وكما هو الحال عند مجتمع القبائل وذلك من خلال ما توصل له (Bourdieu Pierre) من خلال دراسته له فمن خلال البحث الامبيريقى -المجهري أما عن علاقته بالعرف الاجتماعي والعتادات والتقاليد يمكن إبرازها من نقطتين أولاً في العادة المكسبة والتي يتّضح من اسمها فهي لها جذورها تعبر عن الأصالة عند مجتمع إيموهاغ بشكل عام، كما أنّ ارتباطها بالآليات التفاعليّة

الماكروية والتي ترتبط بالقرابة والقبيلة والمكانة الاجتماعية تبرز ذلك في حين في العمليات البيع الصغيرة اتضح بأنها استمدت مبدأ (الأخذ - العطاء - الإرجاع) من العادة المكسبة، كما أنّ طريقة تكونها عند مجتمع إيموهاغ تظهر أنّهم لم يمارسوها قديماً كما في الوقت المعاصر فمعرفة لها، لها علاقة بالأبعاد الثقافية - الاجتماعية من أهمها الاختلاط بالآخر ضعف التجارة القوافلية حوالي 1973، فكان ذلك عاملاً لتوجه إيموهاغ لورش العمل كإينكر والعمل بها بشكل متذبذب وقد كانت تلك الورش نقطة مهمة للتعرف أكثر على التعامل النقدي ومما عزز هذا الأخير - أكثر - انتشار المحلات التجارية بتمانغست وولد بدوره التبادل النقدي - السلعي عند إيموهاغ. دون أن ننسى بأن النسوة اللواتي كن يقمن قديماً بالبيع بالمقايضة للرجال للقوافل التجارية أي أنّ عمليات البيع بالمقايضة التي عرفتها النسوة في مجتمع إيموهاغ القديم انتهت بانتهاء التجارة القوافلية.

بالإضافة إلى مسألة تعليم الإناث وعلاقتها بالعرف فحتى ربط ممارستها المنشور بين النسوة بالتأثر بالمدينة والنمو السكاني المحقق في المنطقة قيد الدراسة فإنّ المسألة ترتبط بالعرف (أي النمو السكاني من خلال دعم فكرة الزواج المبكر وحتى هذه الأخيرة أي فكرة دعم الزواج المبكر تدعم ممارسة العادة المكسبة بين الأفراد لأنّ تكوين أسرة يعني وجود أبناء يجب المشاركة في عملية العادة المكسبة من أجلهم مستقبلاً وهي ما يعكس - حسب مجتمع إيموهاغ - وجود الوعي لدى الأفراد "تأتي")، كما أنّ القصد فيها يظهر مدى استغلال الأفراد فيها للمواقف الإستراتيجية المختلفة لتحقيق مكاسب فردية أو/وغيرية (للآخر) وفي ذات الصدد توصلت الدراسة التي قام (Françoi Athané) بها بأنّ الأفراد لا يفكرون على نحو واف فيما يفعلون.

رابعاً: المكاسب الإنسانية:

أحياناً يقوم بعض الأفراد بالقيام بـ"الشراء من أجل"، كما أنّ بعض الأفراد لا يقومون بتوقع عملية الإرجاع من البعض نظراً لذات السبب، بالإضافة إلى مشاركة بعض الأفراد للمكاسب الاقتصادية التي ظفرو بها مع آخرين، تُظهر الجانب الإنساني. بالإضافة إلى ما سبق ذكره يمكن تقديم نقد لمسألة تعميم الطرح الأنجلوساكسوني

- للتدبير وترك مجال للواقع الخاص للمجتمعات التقليدية انطلاقًا من عدة أسباب:
- أبرز العديد من الباحثين أهمية استغلال معارف الشعوب الأصلية في كل من جنوب أفريقيا وتنزانيا.
 - المنطلقات الفكرية لما بعد الحداثة تنبذ التعميم وتدعو للديناميكية في البحث العلمي.
 - أبرز المجتمع العلمي بفرنسا إشكالية هيمنة المجالات الأنجلوساكسونية المتعلقة بالتدبير.
 - أبرز بعض الباحثين إشكالية التعددية في نمط التدبير الكندي وتأكيدهم على أهمية أخذ السياق الاجتماعي التاريخي بعين الاعتبار.
 - التدبير يجمع بين العلم والفن فذلك ما أظهرته العديد من الدراسات (Meryem Le saget/Henry Mintzberg)، كما أبرزت ارتباطه بمفاهيم جديدة كالحس والتخمين والروحانية واهتمامه بالثرثرة والإشاعات واعتبارها معطيات إستراتيجية كغيره من المواقف الإستراتيجية ومن هنا كانت هناك إمكانية لربطه بالظاهرة غير الرسمية وعليه يجب إيجاد إطار نظري متين لتدبير الظاهرة غير الرسمية بحيث لا يقتصر الأمر فقط على المنزل كمؤسسة غير رسمية من خلال "التدبير المنزلي".

الخاتمة:

تفتقر الممارسة التديريّة الخاصة بالظاهرة غير الرسميّة إلى وجود إطار نظري خاص بها هذا من جهة ومن جهة أخرى يحتاج الواقع الخاص بالمجتمعات التقليديّة إلى أخذه بعين الاعتبار؛ لأنّ الممارسة التديريّة تستمد خصائصها من البيئة الثقافيّة التي يتواجد بها الأفراد لذلك لا يمكن تعميم الطرح الأنجلوساكسوني للتدبير وعليه حاولنا من خلال هذه الدراسة السوسيو-إثنوغرافيّة ذات الطابع المجهري حول التخطيط المرن (استخدام الآليّات التفاعليّة لتحقيق الكسب) توضيح الكيفيّة التي يستخدم بها أفراد مجتمع إيموهاغ الريفي بمنطقة تافرفاست الآليّات التفاعليّة المختلفة لتحقيق المكاسب في عمليات البيع الصغيرة والعادة المكسبة وكيف يمكن اعتبارها ممارسة تديريّة بالأساس.

استلزمت طبيعة الدراسة الدمج بين الجانب النظري والميداني فقد تم من خلال النظري الاهتمام بالخلفيّة التاريخيّة للموضوع المدروس، كما تم الاهتمام بأهم الدراسات حول شعائر التبادلات في شمال أفريقيا لكل من (René Maunier) و(Pierre Bourdieu)، كما قامت الدراسة بالالتفات إلى الكسب الهبوي المعاصر عند مجموعة من أهم الباحثين والعلماء من أمثال (Testart Alain) و(Alain Caillé) أما من الناحيّة الميدانيّة فقد تم الاعتماد على طريقة المقارنة المستمرة، لأنّ الدراسة تتبّع الطريقة الاستقرائيّة.

ولأنّ أغلب طرق الكسب التقليديّة عند مجتمع إيموهاغ الريفي مشبعة من الدراسة فقد تم التركيز على طريقتين (حسب الاطلاع) لم يتم تناولهما (العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة) وقد تم اختيار مجتمع إيموهاغ الريفي بمنطقة تافرفاست بتمامت أقصى الجنوب الجزائري للتركيز على ملاحظة جماعة معينة.

من الصعوبة بمكان معرفة الكيفيّة التي تتدخل بها الآليّات التفاعليّة المختلفة لتحقيق الكسب عند أفراد مجتمع إيموهاغ الريفي دون فهم الكيفيّة التي تنشط بها تلك الآليّات التفاعليّة ضمن الشبكات التفاعليّة المختلفة ومن خلال البحث الميداني لاحظنا بأنّ الآليّات التفاعليّة تنشط تبعاً لعدة أبعاد على حسب مستواها فنجد منها الماكرويّة

والميكروية وعلى حسب البعد الذي ترتبط به، إذ تمثل الآليات التفاعلية التي ترتبط بالمكانة والسمعة الاجتماعية أكثرها تأثيراً في الأفراد، كما أنّ عامل الزمن يتدخل في نشاط الآليات التفاعلية، لذلك قد تستمر لسنوات وقد توصلنا أيضاً من خلال البحث الإمبريقي إلى أنّ عدد الأفراد المكونين للشبكة التفاعلية (حجم الشبكة التفاعلية لا يؤثر في مدى نشاط الآليات التفاعلية، لأنه بإمكان الأفراد غياب عن الشبكات التفاعلية المشاركة في تفعيل الآليات التفاعلية و/أو تحقيق كسب أو الاستفادة) إنّ وصف الكيفية التي تستطيع بها الآليات التفاعلية المختلفة تحقيق الكسب في العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة تتطلب وصف العديد من المواقف الإستراتيجية المختلفة التي يصعب حصرها فبالنسبة للعادة المكسبة، فإنّ الكيفية التي تتدخل بها تلك الآليات ترتبط بست حالات رئيسية:

1. على حسب مستوى الآليات التفاعلية (الميكرو والماكرو).
- لاحظنا بأنّ الآليات التفاعلية الماكروية أكثر ارتباطاً بالعادة المكسبة من الآليات التفاعلية الميكروية.
2. على حسب نمط الكسب المحقق (مستمر، غير مستمر، مرتفع، منخفض).
3. على حسب نوع البعد الذي ترتبط به (كالبعد الاجتماعي والمتمثل في المكانة الاجتماعية والسمعة).
- لذلك فالعادة المكسبة لا تحقق الكسب الاقتصادي فحسب بل والاجتماعي أيضاً.
4. على حسب إمكانية تحولها (كتحول الآلية التفاعلية السرية إلى عكسها).
5. على حسب مراحل العادة المكسبة.
6. على حسب نطاق العادة المكسبة ولأنّ النطاق يعكس، الأسرة، القبيلة، منطقة معينة فهو يرتبط بروح الجماعة، لذلك يتم استخدام الآليات الماكروية غالباً.
- كما أنّ مستوى المكاسب الاقتصادية في العادة المكسبة يتأثر بنوع المناسبة الاجتماعية أو الظرف الاجتماعي.

أما عن عمليات البيع الصغيرة فإنّ الكيفية التي يتم بها استخدام الآليات التفاعلية المختلفة يكون من خلال استخدامها كطرق ترويجية، كما أنّ الآليات التفاعلية

الميكروية تعد الأكثر ارتباطاً بعمليات البيع الصغيرة فهي تحقق الكسب من خلال تجاوزها لعاملي الزمان والمكان فهي تستمد حتى للأفراد الغياب عن الشبكات التفاعلية أما من ناحية الزمان فهي تمتد لفترات زمنية كما أنه بفضل الكسب المحقق يقرر بعض الأفراد ممارسة عمليات البيع الصغيرة.

المجتمع العلمي من خلال أبحاثه ودراساته المختلفة (فرنسا، كندا، جنوب إفريقيا، تنزانيا، والهند.. الخ) حول هيمنة الطرح الأنجلوساكسوني بالإضافة إلى إثبات ارتباطه بمفاهيم كالحس والانفعالات واللامنهجية.. الخ بعد أن كان يعتقد بأنه علم وتخصص تقني صرف؛ مما يعني أنه يجمع بين العلم والفن مما يسمح أكثر بربطه بالظاهرة غير الرسمية على غرار التدبير المنزلي الذي يرتبط بالمنزل كمؤسسة غير رسمية.

يتّصف التخطيط المرن وفقاً للمعطيات الميدانية بالتعقيد فهو يجمع بين العفوية والنظامية، كما أنّ العادة المكسبة وعمليات البيع الصغيرة تتكامل مع باقي الممارسات التدبيرية ذات الطابع التقليدي والأنشطة الرسمية المتذبذبة.

وفقاً للتجربة الميدانية التي تمت الاستفادة منها في هذه الدراسة، وجب الإشارة إلى أهمية القيام بدراسات ذات طابع نوعي واعتماد طرق التحليل مختلفة بدل إتباع طريقة التحليل -الاستنباطية- الفرضية غالباً في مجال علم الاجتماع المنظمات والمناجمنت. كما يُعد الاعتماد على مبدأ "وحدة العلوم" مسانداً لمبدأ "المرونة المنهجية" في البحوث والدراسات الميدانية (الكيفية)؛ للتوصل لدراسات أكثر عمقاً وجب المزوجة بين الأنثروبولوجيا الاقتصادية وعلم الاجتماع المنظمات والمناجمنت وباقي فروع علم الاجتماع؛ لأنّ كل من: مفهومي المناجمنت الأنجلوساكسوني الذي يقابله التدبير وكذلك مفهوم التنظيمات اللذان لا ينحصران في الكيانات الرسمية فحسب، كما لا يجب إقصاء الأنماط الأخرى من التنظيمات كما وجب السيطرة على الهوس الأكاديمي بالنظريات واسقاطها دون أخذ الواقع الخاص بعين الاعتبار؛ لأنّ ذلك من شأنه إلغاء الواقع الخاص بالجماعات المختلفة ولا نقصد بذلك إقصاء تاريخ العلم (نظرياته ورواده)، فالاقتراب النظري رغم أهميته في البحوث ذات المسعى الاستنباطي -الفرضي إلا أنه- غالباً -ما يتم إسقاطه بطريقة تُؤثر على تحليل وفهم الواقع الخاص، من هنا

كان للميدان أهمية قصوى.

من خلال مجريات الدراسة وما تم التوصل له وباعتبار أنّ البحث العلمي هو عملية حيوية - مستمرة وجب الإشارة أولاً إلى أنّ هناك نقص من حيث الدراسات التي تتناول مسألة الممارسة التدبيرية عند مجتمع إيموهاغ خاصةً "الكسب الهبوي" فالدراسة الحالية غير كافية "فمجتمع إيموهاغ الريفي والممارسة التدبيرية" هو محور بحثي واسع بحاجة إلى دراسات أشمل وأعمق إذ ينبغي تدعيمها بدراسات أخرى خاصة حول ما اصطلحنا عليه بـ "العادة المكسبة" عند مجتمع إيموهاغ، كما أنّ عدم دراستها من قبل باحثين على غرار المواضيع الأخرى يثير عدة تساؤلات، ثانياً وبشكل عام وجب تكثيف الدراسات في مجال التخصص حول الممارسات التدبيرية غير الرسمية ومحاولة كشف المزيد عنها خاصة وأنّ للأفراد القدرة على ابتداعها وباستمرار وذلك لأجل المساهمة في تكوين إرث نظري يخص الممارسة التدبيرية للظاهرة غير رسمية بدل بعض المواضيع المشبعة من الدراسة في ميدان التخصص، فمهمة الباحث السوسيولوجي تستلزم محاولة الكشف عن الأشكال الأخرى التي لم تتناولها الدراسات السابقة؛ فالظاهرة غير الرسمية لا تقل أهمية عن الجانب الرسمي.

ثالثاً، أهمية البحوث النوعية؛ لأنّه من خلالها يمكن تكوين القاعدة الأولية للتظير الخاص بالممارسة التدبيرية غير الرسمية، كما أنّها تتيح فرصة للواقع الخاص لبعض المجتمعات التقليدية بالظهور وبالتالي منح فرصة للمجتمع العلمي للتعرف عليها ومنه القضاء على هيمنة الأطر النظرية الغربية على الواقع الخاص.

وبما أنّ النقطة الأخيرة ذات علاقة بمحاولة تكوين إرث نظري حول الممارسة التدبيرية غير الرسمية فإنّه من الأهمية بمكان وكخطوة أولية تكثيف الدراسات ذات الطابع النوعي في ميدان التخصص، الدراسات الكيفية التي تفرض تعامل منهجي - إمبريقي خاص؛ لذلك كان لابد من الاهتمام أكثر بانتهاج طرق غير نمطية لتدريس مقياس "المنهجية" الذي يتطلب ديناميكية عالية.

فتدريس مقياس المنهجية بطريقة نمطية غير مجدي بتاتاً، لأنّه لا المجتمع ولا الميدان يتحرك بطريقة نمطية لذلك يتوجب على الأساتذة والأكاديميين في ميدان

السوسيولوجيا أن يكونوا مرنين فالانمطية في تدريس مقياس المنهجية تُعلم الطالب والباحث بأنّ البحوث التي يتم تقديمها هي ليست للتقييم فحسب بل هي مسألة "مبدأ أخلاقي"؛ ممّا يجعل التقنيات المرنة التي يتم توظيفها أكثر مصداقية وقبولاً من قبل القارئ ضمن الحس المشترك والباحث ضمن المجتمع الأكاديمي.

إذ يُفترض-على سبيل المثال لا على سبيل الحصر-القيام بملاحظات ميدانية لتعلم الكيفية التي تتم بها الملاحظة العلمية ومن ثم إيجاد تعريف لها من خلال ممارستها بدل تلقين مفهوم الملاحظة عن ظهر قلب.

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى إهمال إبراز التجربة المنهجية-الميدانية (على وجه الخصوص في الدراسات الكيفية) في الدراسات الأكاديمية مع أنّها لا تقل أهمية عن التفسيرات والنتائج المتوصل إليها في نهاية البحث ففي النهاية المنهجية تشكل الطريق لتلك المعطيات.

قائمة المصاحف والمراسم



فائمة المصادر والسراجم

1. الكتب بالعربية والكتب المترجمة إلى العربية .
 1. بشير محمد، علماء الاجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر (الرغيل الأول)، تلمسان-الجزائر، دار كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، 2018
 2. بن سعد محمد السعيد، المدون والمنطوق في المنتجات الثقافية (في الجنوب الجزائري)، عمان، دار الراءة للنشر والتوزيع، 2015
 3. تي هول إدوارد، اللغة الصامته، ترجمة لميس فؤاد يحيى، الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، 2007
 4. الجوهري محمد والخريجي عبد الله، طرق البحث الاجتماعي، ط5، القاهرة، بدون دار نشر، 2008
 5. حيدر فاروق عباس، تخطيط المدن والقرى، بدون بلد نشر، بدون دار نشر، 1994
 6. الخولي سناء، الأسرة والحياة العائلية، بيروت، دار النهضة العربية، 1984
 7. الزيات كمال عبد الحميد، العمل وعلم الاجتماع المهني (الأسس النظرية والمنهجية)، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001
 8. سبعون سعيد، الدليل المنهجي (في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع)، ط2، الجزائر، دار القصبه للنشر، 2012
 9. شارلين هس -بيير وسارتر بيشيالييفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، محمد الجوهري (مراجعة وتقديم)، "سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين" رقم 3، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2011.
 10. شاقا فرانكفورت-ناشميارو دافيد ناشمييار، طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة ليلي الطويل، سوريا-دمشق، بتر للنشر والتوزيع، 2004
 11. شرابي هشام، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، 1981

12. شروخ صلاح الدين، منهجية البحث العلمي، الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2003.
13. طعم الله خميس، مناهج البحث وأدواته في العلوم الاجتماعية، تونس، مركز النشر الجامعي، 2004
14. طلعت إبراهيم لطفي، علم الاجتماع التنظيم، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.
15. عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، الجزائر، دار الهدى، 2008.
16. علي فؤاد أحمد، مشكلات المجتمع الريفي في العالم العربي، بيروت، دار النهضة العربية، بدون سنة نشر.
17. عودة محمود، دراسات في علم الاجتماع الريفي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1983.
18. عودة محمود، الفلاحون والدولة (دراسات في أساليب الإنتاج والتكوين الاجتماعي للمجتمع التقليدي)، بيروت، دار النهضة العربية، 1983
19. غيث محمد عاطف، دراسات في علم الاجتماع القروي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بدون سنة نشر
20. غيدنز أنتوني، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005
21. كابان فيليب وجان فرانسوا دورتيه، علم الاجتماع (من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية - أعلام وتواريخ وتيارات)، ترجمة إياس حسن، سوريا - دمشق، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، 2010
22. الكبيسي عامر خضير، الفكر التنظيمي (بين الحداثة وما بعد الحداثة)، الرياض، دار جامعة نايف للنشر، 2017.
23. كريس هان وكيث هارث، الأنثروبولوجيا الاقتصادية (التاريخ والإثنوغرافيا والنقد)، ترجمة عبد الله فاضل، بيروت، المركز العربي للأبحاث

ودراسة السياسات، 2014،

24. مارك أوجيه، جان بول كولانين، الأنثربولوجيا، ترجمة جورج كتورة،

بيروت-لبنان، دار الكتاب الجديد المتجدة، 2008

25. محجوب محمد عبده، الاتجاه السوسيو أنثربولوجي لدراسة المجتمع،

الكويت، وكالة المطبوعات، بدون سنة نشر

II. القواميس والمعاجم والموسوعات

26. بن الحاج يحيى الجيلاني وآخرون، القاموس الجديد الألفبائي (عربي-عربي)،

ط12، بدون بلد نشر، سراس للنشر، 2003

27. جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الأول، تر: محمد الجوهري

وآخرون، ط2، بدون بلد نشر، بدون دار نشر، 2007.

28. سهيل إدريس، المنهل (قاموس فرنسي-عربي)، بيروت-لبنان، دار الآداب

للنشر والتوزيع، 2007

29. المعتمد (قاموس عربي-عربي)، ط3، بيروت-لبنان، دار صادر، 2004

30. هيئة الأبحاث والترجمة، الأداء (القاموس العربي الشامل عربي-عربي)،

بيروت، دار الراتب الجامعية، 1997.

31. فلاتي إبراهيم، قاموس عربي-عربي، عين مليلة-الجزائر، دار الهدى

للطباعة والنشر والتوزيع، بدون سنة نشر.

III. الرسائل الجامعية

32. رضوان بوجمعة، أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل "محاولة تحليل

أنثربولوجية، دراسة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة

الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، 2007

IV. وثائق رسمية

33. بوزناشة توفيق، دليل الجمهوريّة (ولايات وبلديات)، الجزء الأول، الجزائر،

تاكسوس تي في، 2013

V. مصادر شفوية

34. أ.ط. تامنغست. 2018/09/30.
35. ب. ز. تامنغست. 2018/10/03.
36. ب. ف. تامنغست. 2017/05/10.
37. ح. م. تامنغست. 2018/04/23.
38. د. ع. تامنغست. 2017/10/19.
39. مقابلة جماعية، تامنغست (تاهيفت)، 2017/07/20.
40. سنوسي كرزبكة، مجموعة من المصادر الشفوية.

VI. حصص إذاعية

37. حصة إذاعية من إذاعة الجزائر من تامنغست "الأهغار حضارة وتاريخ"، فيفري 2017
38. حصة إذاعية من إذاعة الجزائر من تامنغست "الأهغار حضارة وتاريخ"، سبتمبر 2016
39. حصة إذاعية من إذاعة الجزائر من تامنغست "أهغار حضارة وتاريخ: حول المرأة في مجتمع إيموهاغ"، جانفي 2017
40. حصة "تمدورت ننع"، الإذاعة الجزائرية القناة الثانية، 2017/12/17.

VII. Les Dictionnaires

41. Dubois-charlieret Françoise al, **Dictionnaire de la langue Française (40000 mots définitions, Exemples d'emplois)**, S.L, Hachette, 1993
42. Ferréol Gilles et al, **Dictionnaire de sociologie**, 4ème édition, Algérie, édition Mahdi, 2013
43. Lebaron Frédéric, **La sociologie de A à Z (250 mots pour comprendre)**, Paris, DUNOD, 2009
44. Etienne Jean et al, **Dictionnaire**, S.L, Hatier, S.d

VIII. Les ouvrages en français

45. Badi Dida, **les Touaregs de l'ahaggar et du Tassili n'azjer (réalité d'un mythe)**, Rouïba, Edition ANEP, 2004

46. Benhazera Maurice, **six mois chey les Touaregs du Hoggar**, Alger, S.N, 1908
47. Ben Yahia Farid, **Management (vade mecum du managers pilotes des entreprises)**, Ain-M' Lila-Algerie, Dar El-Houda, 2011
48. Bernezat Odette, **Compements Touaregs (moment de vie avec les nomades du Hoggar)**, S.L, Edition Glénat, 2008.
49. Bornand Sandra, Cécile Leguy, **Anthropologie de pratiques langagières**, collection " U" sciences humaines et sociales, Paris, Armand Colin, 2013
50. Demaziere Didier, **sociologie des chômeurs**, Paris, l'édition Découverte, 1995
51. Denis Pierre, **Hoggar (1958-1960)**, S.L, Gerard Klopp, S.d
52. Deliége Robert, **une histoire de l'anthropologie (écoles, auteurs, théories)**, S.L, Edition du Seuil, 2006
53. Depelteau François, **La démarche d'une recherche en sciences humains (de la question de départ à la communication des résultats)**, collection méthodes en science humaines, Canada, Les presses de l'université Laval, 2000
54. Dubar Claud, Tripier Pierre, **sociologie des professions**, Paris édition Armand Colin, 1998.
55. Duveyrier Henry, **Les Touaregs et leur pays**, Paris, L.Martinet, 1863
56. Expertise Collective, **jeux de hasard et d'argent (contextes et addictions)**, Paris, les éditions Inserm, 2008
57. Javeau Claude, **Sociologie de la vie Quotidienne**, 2em édition, collection ((que sais -je?)), n°7emille, Paris, PUF, S.d
58. H.Foley, **Moeurs et médecine des Touaregs de l'ahaggar**, Alger, La typo-Litho, 1930
59. Hiroko Norimatsuet Nathalie Plgem, **Les techniques d'observation en sciences humaines**, Paris, Armand Colin, 2008
60. Lévi-Strauss Claude, **Race et Histoire**, S.L, Denoel, S.d
61. Lhote Henri, **Les Touaregs du Hoggar**, deuxième édition, Paris, Payot, 1955
62. Le Breton David, **les passions ordinaires (anthropologie des émotions)**, Paris, Armand Colin, 2011.
63. Le Saget Maryem, **Le manager intuitif (une nouvelle force)**, 2em édition, Paris, DUNOD, 2006
64. Marceau Gast, **Alimentation Population de l'ahaggar (étude**

- ethnographique), Paris, Arts et métiers graphiques, 1968.
65. Marceau Gast, **Tikatoutin (†•††) un institeur chezles Touaregs**, itinéraire d'une apprentie ethnologue, Alger, CNRPAH, 2004
66. Medhar Slimane, **Tradition contre développent**, S.L, ENAP édition, 1992
67. Mintzberg Henry, **le management (voyage au Centre des organisations)**, traduit par Jean –Michel Bebar, S.L, 2ém édition d'organisation, 2004.
68. Paudolfi Paul, **Les Touaregs de l'ahaggar (Sahara algérien) parenté et résidence chez les dag-ghàli**, Paris, édition Karthala, 1998
69. Pandolfi Paul, **L'habitat du Hoggar (entre tente et maison : la hutte)**, Paris, Edition Karthala, S.d
70. Rabourdin Sabine, **Les sociétés traditionnelles au secours des sociétés modernes**, Paris, Delachaux et Niestlé, 2005
71. Saidouni Nacerddine, **L'Algerois Rural à la fin du l'époque ottomane (1791-1830)**, S.L. Dar Al-charb Al Islami, 2005
72. T. Godond Jacques., Caillé Alain, **l'esprit du don**, Montréal, Édition la Découverte, 1992
73. Tremblay Marc-Adélar, **Initiation à la recherche en sciences humains**, Montréal, Mc Graw –Hill Editeur, 1968.
74. Achevé D'imprumes sur les presses de l'entreprise nationale des arts graphiques, **Méthodes d'approches du monde rural**, Algérie, unité de Raghiaia, 1984

IX. Les theses en français

75. Athané François, **Le don (histoire du concept, évolution des pratiques)**, thèse doctorat en philosophie, Université Paris X, 4 Décembre 2008.
76. Daviet Stéphane, **étude du comportement humain grâce à la simulation multi-agents et aux méthodes de fouille de données temporelles**, mémoire de thèse spécialiste informatique, université de Naute, 13 mars 2009, /date09/03/2017./h12/35.
77. Maude Gauthier, **Intimité au Québec : étude ethnographique d'un réseau personnel**, thèse du grade philosophie Doctor (Ph.D) en communication, université de Montréal, Octobre 2014
- 78.

X. Les articles en français

79. Albouy Michel, Charreaux Gérard, Bernard Closse, Nathalie – Fabbe-Costes, Arnand Hatchuel, Alain-Charles Martinet et Roland Pérez, «**Le management n'est pas une science anglo-saxonne**», *Revue française de gestion*, vol11, N°278, 2019. [Cairn.info/revue-française-de-gestion-2019-1-page11-htm](http:// Cairn.info/revue-française-de-gestion-2019-1-page11-htm)

80. Bergmann Alexander, «**le management: un art ou une science**», *revue économique et sociale : bulletin d'études économiques et sociale*, jan n°54, 1996

81. Berthoin Ariane Antal et Sandrine Frémeaux, «**Don gratuit, spiritualité au travail, sens au travail (trois théories pour un management non instrumental du travail)**», *Revue Interdisciplinaire Management , Homme & Entreprise* , vol4, n°8, 2013, <https://www.cairn.info/revue-rimhe-2013-4-page-3.htm>

82. Boussena Fatima, «**L'intelligence émotionnelle en milieu du Travail, le facteur clé de la réussite professionnelle**», *Cahiers de Sociologie*, Edite par : université d'Alger2, Département de Sociologie. n°14, Décembre 2015

83. Chazot Isabelle, Hénau Valérie, «**Les lois secrètes du conformisme**», *Revue du MAUSS*, 2014, n°44. <https://www.cairn.info/revue-du-mauss-2014-2-page-101.htm.date04/30/2018.h12>.

84. Claudot –Hawad Héléne, «**nomadisme chez les Touaregs**», *encyclopédie Berbère*, n°34, 26nov2012, <https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00757429.date10/25/2017.,h12:36>

85. Isofofu Njifen, «**L'informalité : un nouveau paradigme de developpement et d'intégration «par le bas » en Afrique**», *Revue africaine de développement* , November2014, <http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/1467-8268.12090>

86. Gauthier François, «**Les resorts Symboliques du consumérisme. Au –delà marchandise, le symbole et le don**», *Revue du MAUSS*, 2014/2, n°44, p.139-141. <https://www.cairn.info/revue-du-mauss-2014-2-page-137.htm.date04/30/2018.h12>.

87. Jacquard Albert et Cuevas Fernando, «**L'altérité : Fondement de l'humanisme**», *Humanisme et Entreprise*, n°300- Novembre 2010.

88. Jean-Didier Lecaillon, Bruno Jérôme, «**Le comportement des acteurs du marché du don**», *Revue française d'économie*, vol.(XXVI),n°4,2011,<https://www.cairn.info/revue-française-d-economie-2011-4-page-57.htm>
89. Kefi Hajer, «**Mesures perceptuelles de l'usage des systèmes D'information : application de la théorie du comportement planifiés**», *Humanisme et entreprise*, n°297, Avril 2010
90. Laufer Romain, «**Pourquoi les chercheurs français en management interviennent –ils si peu dans le débat public ?**», *Revue française de gestion*, n°178-179,2007, /site : <https://www.cairn.info/revue-française-de-gestion-2007-9-page-211.htm/04/04/2020/h00:09>.
91. Marceau Gast ,«**école nomade au Hoggar une drôle histoire**», *revue du monde musulman et de la méditerranée*,n° 57,1990,.<http://www.persee.fr/date13/12/2017/h18/25>.
92. Moinet Nicolas, «**du savoir pour agir au connaitre et agir, l'intelligence économique face au défi de la communication**», *Les cahiers du numérique*, 2009,4v.5,<http://www.cairn.info/revu-les-cahiers-du-numérique/date09/22/2018>.
93. Museur Michel, «**un exemple spécifique D'économie Caravanière: l'échange sel-mil**», *journal des africanistes*, Tom47, 1977, / <http://www.persee.fr/date12/12/2018h21/55>.
94. Paul Paudolfi, «**Les Touaregs et nous : une relation triangulaire**», *Ethnologies comparées*, n°02 printemps2001,(*revue électronique du cerce*)
95. Paul Paudolfi, «**Hadj Ahmed**», volume n°21, *encyclopédie berbère*, 01juin 2011, <http://encyclopédie-berbere.revues.org/1849>, date 2/2/2017.
96. Pierre Bourdieu, «**La société traditionnelle :Attitude à l'égard du temps et conduite économique**», *Sociologie du travail*, 5em année n°01, Janvier-Mars 1963. /<http://www.persee.fr/doc/sotra date/07/04/2018.h23:14>
97. Poglia Miletì Francesca et al, «**A l'origine de la consommation, le don !socialisation économique et dette symbolique intergénérationnelle**», *Revue du MAUSS*, 2014/2, n°44.<https://www.cairn.info/revue-du-mauss-2014-2-page-173.htm.date04/30/2018.h12>.
98. René Maunier, «**recherches sur les échanges rituels en Afrique du nord**», *L'année Sociologique*, Tom II (1924-1923)

nouvelle série, Paris, Librairie Félix Alcan, 1927.,/http://www.jstor.org/date11/08/2018.h10/04.

99. Sylvain Dzimira, «**une vision du paradigme du don:don, juste milieu et prudence**», *Céteil*, le27Juillet2006,p03./w.www.revuedumauss.com.fr/date01/04/2018/h13/22.

100. Testart Alain, «**échange marchand, échange non marchand**», *Revue française de sociologie* ,42-4,2001

XI. Articles in English

101. Arseneault,R.,Deal,N.M.and Mills,A.J «**Reading Canadian management in context: development of English and French education**», *Journal of Management History*,vol.25,N°.2,2019

<https://www.emerald.com/at2/2/2020h23:14>

<https://doi.org/10.1108/jMH-12-2018-0067>

102. Bonau Sarah, «**A case for behavioural game theory**», *journal of game theory*,vol6,no1,2017,p.8.researchgate.net/publication/339254472/22/01/2018

103. El-seidy Essam, «**On the behavior of stratégie in Hawk-Dove game**», *journal of game theory*, vol 5,No.1,2016.article-sapub.org/10.5923j.jgt.20160501.02.html

104. Guérin Isabelle,Govindan Venkatasu bramanian,Santosh Kumar, «**Rethinking Saving :Indian Ceremonial gifts as relational and reproductive Saving**», *journal of cultural economy*,201910/02/2020/www.reseaechgate.net /12:12/DOI:10.1080/17530350.2019.1583594

105. TuliS.Msuya,Jafari Kideghesho, «**The role of traditional Management practices in enhancing sustainable use and conservation of medicinal plants in west usam bara mountains Tanzania**»,*Journal-Tropical Conservation Science* ,vol.2(1),2009.at/3/05/2018/www.reseaechgate.net/ DOI:10.1177/194008290900200109/h18:30

106. Uzo Uchenna Olamide Sarafadeen Shittu,Abel Kinoti Meru, «**Introduction :Indigenous Management Practices in Africain**», *Indigenous Management Practices in Africain(Advanced Series in Management)*,vol.20, August

2018,pp.87-98.<https://doi.org/10.1108/S1877-636120180000020001>

107. Vijayeta Priyadarshini ,Babita Behera, « **A comparative study on home management practices among working and non-working women in Rourkela city, Sundergarh, Odisha**», *International journal of applied home science*, volume5(2),february,2018,/site:<https://www.researchgate.net/publication/324530983>

108. Wilson T.D, «**Self –Employed Women in the Informal Economy: Beach Vendors in Acapulco**», *Production, Consumption, Business and the Economy :Structural Ideals and Moral Realities(Research in Economic Anthropology)*,Vol.34,Emerald Group Publishing Limited,2014.
<https://www.researchgate.net/publication/315399950>

XII. Books in English

109. Cummings Stephen Bridgman, Michael Kowlinson, John Hassard, **New history of management**, New York, Cambridge University Puss,2017

المسحوق



المحتوى

- 1) فهرس الجداول والأشكال والخرائط
- 2) ملخص الدراسة باللغة الأمازيغية (تماهق)
- 3) توضيح علاقة رسالة الماجستير بالدراسة الحالية
- 4) نموذج لمذكرة بحث.
- 5) قائمة المصطلحات (غير المألوفة)
- 6) وثائق إحصائية حول منطقة تافرغاست
- 7) أسئلة المقابلات الفردية (باللغة الأمازيغية - تماهق)
- 8) خطوات المعالجة اليدوية للمعطيات الكيفية (للدراسة الحالية)
- 9) عدد الذكور والإناث المتمدرس في ابتدائية "أبي ذر الغفاري" بقرية تاهيفت - تامنغست في الموسم الدراسي (2017-2018/2018-2019-2019-2020).
- 10) جداول كيفية تدعيمه
- 11) خريطة خاصة بمنطقة تاهيفت.
- 12) "Management" in Google Books 1800-2000
- 13) جدول يوضح أبرز الأحداث التاريخية المرتبطة بالجانب الاقتصادي وبالأخص التجارة القوافلية المتعلقة بإيموهاغ كيل أهفار.
- 14) إحصائيات ومعلومات متفرقة تخص منطقة تاهيفت وبعض البلديات
- 15) خريطة توضح طرق القوافل التجارية لإيموهاغ كيل أهفار قبل القرن العشرين.
- 16) صفحة مقتبسة من دراسة إثنوغرافية أجنبية "أطروحة دكتوراه" بعنوان: Intimité au Québec: etude ethnographique d'un réseau personnel (لتوضيح مسألة المرونة في البحوث الكيفية) من الصفحة 144-145.
- 17) دراسات جزائرية حول مجتمع إيموهاغ
- 18) عدد السياح (الوطنيين والأجانب) من 2012 إلى غاية 2019 الزائرين لمنطقة تامنغست
- 19) صور متنوعة تخص منطقة تافرغاست بقرية تاهيفت (تامنغست)
- 20) شكل يوضح الفصول الأربعة ومواسم الزراعة عند إيموهاغ

فهرس السبر اول



الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
1	يوضح مجالات الملاحظة التي تتمحور حولها الدراسة	30
2	يوضح التنظيم القبلي لإيموهاغ أهفار في بداية القرن الثامن عشر	65
3	وضح توزيع عدد الأسر والأفراد على التجمعات السكانية لمنطقة تافرغاست (جويلية 2019)	117
4	عدد الذكور والإناث في سن التمدرس أو تجاوزوا سن التمدرس والذين التحقوا بمقاعد الدراسة	120
5	العمالة الرجالية بمنطقة تافرغاست	123
6	أهم المناسبات ذات الطابع الاجتماعي-الروحي بمنطقة تافرغاست وما جاورها	125
7	تحليل محتوى حصة إذاعية من إذاعة الجزائر من تامنغست "الأهفار حضارة وتاريخ" فيفري 2017	130
8	تحليل محتوى حصة إذاعية من إذاعة الجزائر من تامنغست "الأهفار حضارة وتاريخ" سبتمبر 2016	131
9	يوضح تحليل محتوى لحصة إذاعية من إذاعة الجزائر من تامنغست (الأهفار حضارة وتاريخ/جانفي 2017) حول المرأة في مجتمع إيموهاغ	141
10	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (1) من الشبكات التفاعلية	143
11	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (2) من الشبكات التفاعلية	144
12	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (3) من الشبكات التفاعلية	146
13	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (4) من الشبكات التفاعلية	146
14	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (5) من الشبكات التفاعلية	147
15	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (6) من الشبكات التفاعلية	148
16	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (7) من الشبكات التفاعلية	149
17	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (8) من الشبكات التفاعلية	150
18	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (9) من الشبكات التفاعلية	151

152	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (10) من الشبكات التفاعلية	19
153	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (11) من الشبكات التفاعلية	20
154	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (12) من الشبكات التفاعلية	21
154	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (13) من الشبكات التفاعلية	22
155	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (14) من الشبكات التفاعلية	23
157	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (15) من الشبكات التفاعلية	24
157	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (16) من الشبكات التفاعلية	25
158	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (17) من الشبكات التفاعلية	26
159	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (18) من الشبكات التفاعلية	27
161	يوضح تحليل وتفسير النموذج رقم (19) من الشبكات التفاعلية	28
186	أهم الآليات المستخدمة في العادة المكسبة وحالة الكسب المحقق	29

فهرس الأشكال



الصفحة	عنوان الشكل	الرقم
19	يشرح مفهوم "التخطيط المرن"	1
21	كيفية استقاء مفهوم "التخطيط المرن" من الواقع الخاص	2
24	خطوات الطريقة الاستقرائية في البحث	3
25	كيفية الانتقال من الخاص إلى العام في الدراسة	4
31	كيف يكون التفاعل كمحور أساسي للدراسة	5
35	المرحلة الأولى من مراحل عملية المقارنة المستمرة	6
37	المرحلة الثانية من مراحل عملية المقارنة المستمرة	7
38	المرحلة الثالثة من مراحل عملية المقارنة المستمرة	8
44	العلاقة بين عنوان الدراسة والثغرات والآفاق البحثية للدراسات السابقة	9
51	عناصر تموهغة والعوامل المؤثرة فيها	10
53	درجات استخدام اسم إيموهاغ	11
55	الإنسان المعمم والملثم	12
62	المقارنة بين الريف والحضر ضمن حالتين متميزتين	13

72	علاقات القرابة وتمايزها عند أماهغ	14
73	العلاقات عند إيموهاغ وفقاً لـ (Paul Paudolfi)	15
85	الغزو كمنشأ اقتصادي عند بدو إيموهاغ قديماً	16
93	مراحل الحياة الاقتصادية لإيموهاغ	17
97	العمليات الحيوية الثلاثية للهبة حسب (Marcel Mauss)	18
108	الفرق بين التبادل التجاري واللاتجاري	19
110	العلاقة بين النقود والسلع والهبة	20
115	تقسيمات منطقة تافرفاست	21
117	دائرة نسبية تمثل توزيع عدد الأسر في منطقة تافرفاست	22
118	تمثل توزيع عدد الأفراد في منطقة تافرفاست	23
129	أنماط العطاء المادي عند إيموهاغ (قديماً وحديثاً)	24
133	آلية تمانهيق	25
135	ثنائية "تانفالت - الممازحة"	26
136	آلية تيمودا	27
139	تكامل آلية "تينوراف" و"الممازحة"	28
169	مراحل عملية "العادة المكسبة" وحيويتها	29
171	كيفية توزيع ما يتم تسديده في العادة المكسبة بين أفراد الأسرة الواحدة (الحالة أ)	30
172	كيفية توزيع ما يتم تسديده في العادة المكسبة بين أفراد الأسرة الواحدة (الحالة ب)	31
172	كيفية توزيع ما يتم تسديده في العادة المكسبة بين أفراد الأسرة الواحدة (الحالة ج)	32
174	علاقة ما يسمى بـ "تغهوت" بالعادة المكسبة ومشاركة مكاسب العادة المكسبة مع الآخرين	33
175	رسم توضيحي حول مستوى الكسب المحقق في العادة المكسبة عبر نقاط زمنية مختلفة	34
179	استخدام الآلية التفاعلية "ملكا" في عملية العادة المكسبة وعدم استمراريتها	35
180	استمرارية عملية العادة المكسبة وعدم استخدام الآلية التفاعلية "ملكا"	36
183	طرق خروج العادة المكسبة من نمط السرية	37

184	عدم الإرجاع واستخدام الآلية التفاعلية "إسكوار"	38
185	حده استخدام الآلية "إسكوار" ووجود تيرفيت بين العنصرين (أ) و(ب)	39
193	المصادر المالية لعمليات البيع الصغيرة	40
194	آلية "الممازحة" وعمليات البيع والشراء	41
195	استخدام الآلية التفاعلية "إسكوار-تماظ في عملية بيع وشراء	42
197	استخدام آلية إسكوار وتدخل أكثر من ثلاث عناصر	43
197	استخدام الآلية التفاعلية "تيمال" من قبل صاحب عملية البيع الصغيرة	44
198	استخدام الآلية التفاعلية "تيمال" لدفع للشراء من عملية البيع	45
200	استخدام آلية "تينوراف" وعمليات البيع الصغيرة المزدوجة	46
202	"مودا -مودا"	47
203	عملية بيع باستخدام "تينوراف" وتحويلها لمنطقة أخرى كعملية بيع جديدة	48
204	عملية بيع باستخدام آلية تينوراف بشكل غير مباشر	49
204	نمط من أنماط العطاء كآلية تفاعلية في عملية بيع وشراء	50
205	استخدام مجموعة من الآليات التفاعلية في إحدى عمليات البيع الصغيرة	51
207	غياب استخدام الآلية التفاعلية "الممازحة" وعمليات البيع الصغيرة	52
241	المتغيرات المؤثرة في مقدار الكسب المحقق من خلال التخطيط المرن (استخدام الآليات التفاعلية)	53
243	العلاقة بين عمليات البيع الصغيرة والعادة المكسبة	54
246	كيفية تكامل عمليات البيع الصغيرة "الصناعات التقليدية" مع عمليات الكسب التقليدية الأخرى	55
247	كيفية تكامل عمليات البيع الصغيرة "الأعشاب الطبية" مع عمليات الكسب التقليدية الأخرى والعادة المكسبة	56
248	كيفية تكامل عمليات البيع الصغيرة "مواد استهلاكية مصنعة" مع عمليات الكسب التقليدية الأخرى والعادة المكسبة	57
249	تكامل وتداخل ممارسة العادة المكسبة وطرق الكسب التقليدية الأخرى والأعمال الرسمية وغير الرسمية المتذبذبة	58

فهرس الخرائط



الصفحة	عنوان الخريطة	الرقم
50	التوزيع الجغرافي لجماعات إيموهاغ الأربعة	1
87	قبائل إيموهاغ المساهمة في التجارة القوافلية (1970-1971)	2

ملخص الدراسة باللغة الأمازيغية (تماهق)

توليات:

...: ةتتتتتت I: C: :EI +XOI.O+ A: +C:O+ EXC-.E
.ΛEΘE: I: C: .E: +X+ IΛ +E:OI , .E: , +E:Λ, +:-E#
E+...+XEO .Λ: + EI C: : .Λ: + I: .Λ +C.# A: .-θ:EO.
.Λ +EOX+EI .

+C+E +I C: : .: +θI I:O EOE EXEI IΛ .OθI.:A.:I.O
:Λ "θ: θΛIIE" :E: +θI I: +θI+ +I ΛX :IIE (1995), A: EIIE
"OΛ: θ: XCI" :E: +θI I: I-θEI ,.IθE+ A: .θ I: I+ I:EI
+θ. ΛC.Λ :I EXI I: C: : .θ E: +.θ .EXEI I: θ: I I EI
C: : I +O:I EI, +CEI+, .I:ΛC+ +I IOX.I.

A: .θE: I: ,.I. + :I.O I IOIO. .E: C:EI .: +θI I: .E: C:O
+θO'E+θI :O +C+:EI +EI EI θIIEΛ C: : IΛ I-θ.EI ,.I.O ΛθI
"Oθ: C:θ" (1927), "θEθO θ:OΛE:" (1966).

I: .IX.C .XOI, E:OI: .IXCE .IΛ I+ EI I: +θOX+EI
ΛIθ:EO. :O .Λ: + EI C: : ,θE+ I: .EI :O :I.Λ .-I+ E
EE:EI I: I: I+ E: +.θI I: .EIΛ: EΛE+ .-I+ :EE :I I+
:E:θI EI .Λ: + .X+EI I. ++#I EI ΛI:ΛC+ .IOX.I ,.ΛE+
+.C+E +: I CθI+ I +C+θ Λ I:ΛC+ -I: I. I :I: EI.OθI
:OXCE .O I: .I :ΛC+ +I .I -::: C. .

A: .θE: I: :I IC.Λ I +C:OIE I: C: : IX. I+I .X: +EI :

• A: :OE :EI EI :. .CEO .I+. : +XOI.O+ I: I
EOE+ I: .E Λ. :EΛ .I C: .I +C#: IOI (+CEI+, .I. ,
+EI:θEI.....).

• IO.O+I I+ A: .Λ: + ΛC:OI .

• .IX.CE A: I+ A: +θ:EI +EI .I#: . +XEI I: I
C: : IΛ "IX.O :E.O. :. +.OE:".

EIO .I:ΛC.+ +IX.C .θI I, I: + I+ A: .Λ: CΛ:

1. I+ :E- I +I. XI+, .E: , +θC:Λ, +X: E, +C: E-
, +I.O.I, C: : ., .θ: :O, +ECE+EIE- .I EI A: I+ I: EI
+θ. Λ: +EOX+EI ΛI θ:EO. A: .C:OI :EE A: I+
:O.I IO:O .

2. +EOXE+EI:

❖ +.θ. +. +I XEO +EOX+EI .Λ +C: E- , C: : , .E: ,
+I. θC.I I: I. .

❖ .I. + I+ :I+θEI +EOXE+EI XEO .Λ: + EI
C: : C: .θE+E IOI+ C: .I. # IΛ C: : . θEI .E: :O
C: : EI. +EOXE+EI .θΛ:

❖ .E: C: .Λ: + :OXEI I+ :E- I EI #OI A: +.X: E
, θE. .ΛC: I .I: .I .ΛIE: IΛ: .I XC.+ .X.O .ΛE- I .: .IX.C
A: +X: EI

توضيح علاقة رسالة الماجستير بالدراسة الحاليّة

الدراسة الحاليّة لها علاقة بدراسة الماجستير، وإن كان ظاهرياً يبدو العكس، فإكماًلاً منا لمسيرة البحث العلمي في ميدان التخصص، فرسالة الماجستير المعنونة بـ "عامل النظافة بين قيم العمل والمعطيات الفرديّة" قادتنا لموضوع الدراسة والمنهج المناسب لها وذلك من خلال:

✓ تم الاهتمام فيها بمسألة اختيار الأفراد لنوع العمل والدراسة الحاليّة تُعتبر إمتداد للدراسة السابقة بحيث أنّها وبطريقة غير مباشرة تتناول مسألة الاختيار، فهي تجيب وبصفة غير مباشرة لماذا اختار أفراد المجتمع قيد الدراسة طرق الكسب التقليديّة وذلك من خلال ما اصطّلحنا عليه بـ "مبدأ اللاتماثل بين الأفراد".

✓ أغلب عمال النظافة الذين كانوا يمثلون مجتمع الدراسة في رسالة الماجستير كانوا من "إيموهاغ" من الريف والمدينة.

✓ لاحظنا أنّ عدد عمال النظافة الموجود فعلياً لا يتناسب مع العدد المذكور في الوثائق الرسميّة، وبعد الاستفسار إتّضح بأنّ هناك عمال (البعض منهم ينتمي إلى المنطقة التي تم اختيارها للدراسة الحاليّة) قاموا بتحويل مناصب عملهم شكلياً من أجل التفرغ لحياة "أماهغ"، كالسفر والبحث عن الإبل وغيرها؛ ممّا يعني عدم الرغبة في التخلي على طرق الكسب التقليديّة، وتجدر الإشارة إلى أنّ ما سبق يُفصح عن ماهية الزمن عند مجتمع إيموهاغ.

✓ من خلال المقابلات ملء الاستمارات لاحظنا صعوبة التجاوب أغلبيّة المبحوثين، فالبحت الكمي لا يتناسب وطبيعة مجتمع إيموهاغ، خاصةً إنّ أخذنا مسألة الجندر بعين الاعتبار (الباحث إمراًة ومن ذات المجتمع)، حتى أنّ هناك بعض الباحثين الذين تواصلنا معهم والذين يقومون بدراسة مجتمع إيموهاغ توصلوا لنفس الفكرة.

✓ الدراسة تُحاول بطريقة غير مباشرة الإجابة عن السؤال الذي تم طرحه في خاتمة رسالة الماجستير والذي جاء نصه كما يلي: "هل يمكن القول بأنّ اهتمام الأفراد بالقيمة الاجتماعيّة للعمل له علاقة بعوامل أخرى كالعوامل الإثنوغرافيّة على سبيل المثال؟" ونقصد هنا "بالعوامل الإثنوغرافيّة" العوامل العرقيّة وبعبارة أدق طبيعة مجتمع إيموهاغ، ومنه طبيعة مجتمع إيموهاغ لا تتفصل عن عاداته وتقاليده.

المذكرة رقم 01: (ملخص)

النشاط: الرعي

تاريخ: 2017/07/18

الساعة: حوالي الساعة التاسعة

- هناك حالات لا يتم فيها احترام تقسيم الأدوار في عملية الرعي فالخوف على السمعة وشرف العائلة قد يكون سبباً لحرمان أحد الأفراد من الرعي ومنعه منعاً باتاً.
- قد يكون هناك رعي للماعز لا تعود إلى ملكية الرعاة .. قد يكون بسبب الشعور بالامتنان حيال المالكين الحقيقيين أو نظراً لصلة القرابة بينهم وبين المالكين القاطنين بالمدينة أو ربّما يعود الأمر إلى بدافع روحاني-رمزي كـ((غرو))، كأن يكون أحد رؤوس الماشية لـ((مولاي عبد الله)).
- استخدام أجهزة الهواتف النقالة من أجل الأمان.

التفاخر	إيبرافنُ/ibaragan	ḫḫo.ʔi
الاحترام، المحبة	سمغار/sémghar	ḫḫi.o
جاذبية	سرهو* /sarho	ḫḫi:
/	طامظا/tamza	+ḫḫ#.
عمليات استثمارية صغيرة	باشنوار/bachinoir	ḫ.ḫi.o
عمليات بيع	إمزنهان/imazanhan	ḫḫḫi.ḫ
/	ادخان/adokhan	ḫ.ḫ::ḫ
تحدي	تماظ/tinmaz	+ḫ.ḫ#
عوز (مادي و/أو معنوي)	تالقي/talaké	+ḫ.ḫ...ḫ
معايرة إيجابية /تحفيز	تيميئين* /timitén	+ḫḫḫ+ḫi
/	توقينتُ/tawa9int	+ḫ...ḫi+
/	آسوز/aswar	ḫ.ḫ.o
عطاء قبل السفر	تيزوناهُ/tizounah	+ḫḫi.ḫi
عطاء بعد الرجوع من السفر	تبداز/tibindar	+ḫḫ.ḫ
أجر رمزي	تيسمتُ نفوسُ /téssamt nafouss	+ḫḫḫ+ ḫ.ḫi.ḫ
الأجر	تلاويتُ/tala -wit	+ḫ.ḫ.ḫ+
/	تغھوتُ/taghahout	+ḫ.ḫi+
/	تدياوينُ/tidiyawain	+ḫḫ.ḫi

ملاحظة: المفردات المؤشر لها بعلامة (*) ترجمتها ليست دقيقة فهي تقريبية فقط، أما المؤشر لها بعلامة (/) فقد تعذرت علينا ترجمتها بكلمة أو كلمتين؛ لذلك اكتفينا بمعناها المشار له في متن هذه الدراسة.

قائمة بمصطلحات ومفردات أمازيغية (تماهق) مرتبطة بطرق الكسب التقليديّة قديماً

وسائل التخزين القديمة

نطق الاسم	الاسم بالأمازيغية	الوسيلة
adamouss	ⵏⴰⵎⵓⵙⵙ	أداموس
egand	ⴻⵓⵎⵏ	إفند
takhzana	ⵜⴰⵀⵣⴰⵏⴰ	تخزانة
aagara	ⵏⴰⵖⴰⵔⵓ	آفرا
amaytal	ⵏⴰⵎⵓⵙⵙⵏⵏ	أميتال

مفردات متعلقة بالفلاحة

الاسم بالأمازيغية	التعريف	المفردة
ⴻⵓⵎⵏ	يساعد في نظام السقاية للنباتين وهو أشبه بخندق	إيفلان
ⵜⴰⵀⵣⴰⵏⴰ	نهاية أفلي وهو عبارة عن حوض كبيرة يتجمع فيها الماء	تيهمت
ⴻⵓⵎⵏ	حجر مثقوب لخروج الماء	إنفيف
ⵜⴰⵀⵣⴰⵏⴰ	مصنوع من قماش ومستخلص من النخيل (آسان) وهو يستخدم لخلق أنفيف	تاكورث

وثائق إحصائية متعلقة بمنطقة تافرغاست

15

1 اسماء الأماكن Toponymes des Lieu habites	2 نوع المساكن Type des Lieux habites 1- Hameau 2- Lieu Dit 3- Const. Isolee	3 رقم البناية Numero de la construction	4 الترقيم التتابعية في كل مكان مسكون N° d'ordre de la Construction dans chaque Lieu habite	5 نوع البناية Type de Construction 1- Immeuble 2- Individuelle 3- Autre	6 استعمال البناية Usage de la Construction 1- Habitat 2- Mixte 3- Prof.	7 المساكن في البناية Logements dans la Construction	
						مسكونة Habites	سائرة Inhabites
كفر 16	2	1814	01	1	1	01	00
كفر 17	2	1815	02	1	1	01	00
كفر 18	2	1816	03	1	1	01	00
كفر 19	2	1817	04	1	1	01	00
كفر 20	2	1818	05	1	1	01	00
كفر 21	2	1819	06	1	1	01	00
كفر 22	2	1820	07	1	1	01	00
كفر 23	2	1821	08	1	1	01	00
كفر 24	2	1822	09	1	1	01	00
كفر 25	2	1823	10	1	1	01	00
كفر 26	2	1824	11	1	1	01	00
كفر 27	2	1825	12	1	1	01	00
كفر 28	2	1826	13	1	1	01	00
كفر 29	2	1827	14	1	1	01	00
كفر 30	2	1828	15	1	1	01	00
كفر 31	2	1829	16	1	1	01	00
كفر 32	2	1830	17	1	1	01	00
كفر 33	2	1831	18	1	1	01	00
كفر 34	2	1832	19	1	1	01	00
كفر 35	2	1833	20	1	1	01	00
كفر 36	2	1834	21	1	1	01	00
كفر 37	2	1835	22	1	1	01	00
كفر 38	2	1836	23	1	1	01	00
كفر 39	2	1837	24	1	1	01	00
كفر 40	2	1838	25	1	1	01	00
كفر 41	2	1839	26	1	1	01	00
كفر 42	2	1840	27	1	1	01	00
كفر 43	2	1841	28	1	1	01	00
كفر 44	2	1842	29	1	1	01	00
كفر 45	2	1843	30	1	1	01	00
كفر 46	2	1844	31	1	1	01	00
كفر 47	2	1845	32	1	1	01	00
كفر 48	2	1846	33	1	1	01	00
كفر 49	2	1847	34	1	1	01	00
كفر 50	2	1848	35	1	1	01	00
كفر 51	2	1849	36	1	1	01	00
كفر 52	2	1850	37	1	1	01	00
كفر 53	2	1851	38	1	1	01	00
كفر 54	2	1852	39	1	1	01	00
كفر 55	2	1853	40	1	1	01	00
كفر 56	2	1854	41	1	1	01	00
كفر 57	2	1855	42	1	1	01	00
كفر 58	2	1856	43	1	1	01	00
كفر 59	2	1857	44	1	1	01	00
كفر 60	2	1858	45	1	1	01	00
كفر 61	2	1859	46	1	1	01	00
كفر 62	2	1860	47	1	1	01	00
كفر 63	2	1861	48	1	1	01	00
كفر 64	2	1862	49	1	1	01	00
كفر 65	2	1863	50	1	1	01	00
كفر 66	2	1864	51	1	1	01	00
كفر 67	2	1865	52	1	1	01	00
كفر 68	2	1866	53	1	1	01	00
كفر 69	2	1867	54	1	1	01	00
كفر 70	2	1868	55	1	1	01	00
كفر 71	2	1869	56	1	1	01	00
كفر 72	2	1870	57	1	1	01	00
كفر 73	2	1871	58	1	1	01	00
كفر 74	2	1872	59	1	1	01	00
كفر 75	2	1873	60	1	1	01	00
كفر 76	2	1874	61	1	1	01	00
كفر 77	2	1875	62	1	1	01	00
كفر 78	2	1876	63	1	1	01	00
كفر 79	2	1877	64	1	1	01	00
كفر 80	2	1878	65	1	1	01	00
كفر 81	2	1879	66	1	1	01	00
كفر 82	2	1880	67	1	1	01	00
كفر 83	2	1881	68	1	1	01	00
كفر 84	2	1882	69	1	1	01	00
كفر 85	2	1883	70	1	1	01	00
كفر 86	2	1884	71	1	1	01	00
كفر 87	2	1885	72	1	1	01	00
كفر 88	2	1886	73	1	1	01	00
كفر 89	2	1887	74	1	1	01	00
كفر 90	2	1888	75	1	1	01	00
كفر 91	2	1889	76	1	1	01	00
كفر 92	2	1890	77	1	1	01	00
كفر 93	2	1891	78	1	1	01	00
كفر 94	2	1892	79	1	1	01	00
كفر 95	2	1893	80	1	1	01	00
كفر 96	2	1894	81	1	1	01	00
كفر 97	2	1895	82	1	1	01	00
كفر 98	2	1896	83	1	1	01	00
كفر 99	2	1897	84	1	1	01	00
كفر 100	2	1898	85	1	1	01	00
كفر 101	2	1899	86	1	1	01	00
كفر 102	2	1900	87	1	1	01	00
كفر 103	2	1901	88	1	1	01	00
كفر 104	2	1902	89	1	1	01	00
كفر 105	2	1903	90	1	1	01	00
كفر 106	2	1904	91	1	1	01	00
كفر 107	2	1905	92	1	1	01	00
كفر 108	2	1906	93	1	1	01	00
كفر 109	2	1907	94	1	1	01	00
كفر 110	2	1908	95	1	1	01	00
كفر 111	2	1909	96	1	1	01	00
كفر 112	2	1910	97	1	1	01	00
كفر 113	2	1911	98	1	1	01	00
كفر 114	2	1912	99	1	1	01	00
كفر 115	2	1913	100	1	1	01	00
كفر 116	2	1914	101	1	1	01	00
كفر 117	2	1915	102	1	1	01	00
كفر 118	2	1916	103	1	1	01	00
كفر 119	2	1917	104	1	1	01	00
كفر 120	2	1918	105	1	1	01	00
كفر 121	2	1919	106	1	1	01	00
كفر 122	2	1920	107	1	1	01	00
كفر 123	2	1921	108	1	1	01	00
كفر 124	2	1922	109	1	1	01	00
كفر 125	2	1923	110	1	1	01	00
كفر 126	2	1924	111	1	1	01	00
كفر 127	2	1925	112	1	1	01	00
كفر 128	2	1926	113	1	1	01	00
كفر 129	2	1927	114	1	1	01	00
كفر 130	2	1928	115	1	1	01	00
كفر 131	2	1929	116	1	1	01	00
كفر 132	2	1930	117	1	1	01	00
كفر 133	2	1931	118	1	1	01	00
كفر 134	2	1932	119	1	1	01	00
كفر 135	2	1933	120	1	1	01	00
كفر 136	2	1934	121	1	1	01	00
كفر 137	2	1935	122	1	1	01	00
كفر 138	2	1936	123	1	1	01	00
كفر 139	2	1937	124	1	1	01	00
كفر 140	2	1938	125	1	1	01	00
كفر 141	2	1939	126	1	1	01	00
كفر 142	2	1940	127	1	1	01	00
كفر 143	2	1941	128	1	1	01	00
كفر 144	2	1942	129	1	1	01	00
كفر 145	2	1943	130	1	1	01	00
كفر 146	2	1944	131	1	1	01	00
كفر 147	2	1945	132	1	1	01	00
كفر 148	2	1946	133	1	1	01	00
كفر 149	2	1947	134	1	1	01	00
كفر 150	2	1948	135	1	1	01	00
كفر 151	2	1949	136	1	1	01	00
كفر 152	2	1950	137	1	1	01	00
كفر 153	2	1951	138	1	1	01	00
كفر 154	2	1952	139	1	1	01	00
كفر 155	2	1953	140	1	1	01	00
كفر 156	2	1954	141	1	1	01	00
كفر 157	2	1955	142	1	1	01	00
كفر 158	2	1956	143	1	1	01	00
كفر 159	2	1957	144	1	1	01	00
كفر 160	2	1958	145	1	1	01	00
كفر 161	2	1959	146	1	1	01	00
كفر 162	2	1960	147	1	1	01	00
كفر 163	2	1961	148	1	1	01	00
كفر 164	2	1962	149	1	1	01	00
كفر 165	2	1963	150	1	1	01	00
كفر 166	2	1964	151	1	1	01	00
كفر 167	2	1965	152	1	1	01	00
كفر 168	2	1966	153	1	1	01	00
كفر 169	2	1967	154	1	1	01	00
كفر 170	2	1968	155	1	1	01	00
كفر 171	2	1969	156	1	1	01	00
كفر 172	2	1970	157	1	1	01	00
كفر 173	2	1971	158	1	1	01	00
كفر 174	2	1972	159	1	1	01	00
كفر 175	2	1973	160	1	1	01	00
كفر 176	2	1974	161	1	1	01	00
كفر 177	2	1975					

127

7	7		8	9	10	11	12	
	Logements dans la construction						Logements dans la construction	
المسكن في البناء	المسكن في البناء		عدد السكان في البناء	اسم شاعر البناء	ملاحظات	الرقم النهائي للمحافظة	مسكونة	شاعة
	المسكن	المجموع					Habites	Inhabites
Usage	Prof	Total	Population dans la construction	Nom de l'occupant	Observations	N° definitif du District		
00	01	05	05	زربية			01	05
00	01	08	08	زربية			01	08
00	01	01	01				01	01

128

7	7		8	9	10	11	12	
	Logements dans la construction						Logements dans la construction	
المسكن في البناء	المسكن في البناء		عدد السكان في البناء	اسم شاعر البناء	ملاحظات	الرقم النهائي للمحافظة	مسكونة	شاعة
	المسكن	المجموع					Habites	Inhabites
Usage	Prof	Total	Population dans la construction	Nom de l'occupant	Observations	N° definitif du District		
00	01	02	02				01	02
00	01	10	10				01	10
00	01	00	00				01	00

٨٤٥

7 المسكن في البناء Logements dans la construction	6 اسم المسكن Type des Lieux habites		3 رقم البناء Numero de la construction	4 الترتيب التسلسلي في كل مكان مسكون N° d'ordre de la Construction dans chaque Lieu habite	5 نوع البناء Type de Construction	6 استعمال البناء Usage de la Construction	7 المسكن في البناء Logements dans la construction	
	مسكونة Habites	شاغرة Inhabites						
صفر فاسيلا	2	712	0121	1	1	1	101	100
11	1	713	0212	2	1	1	101	000
11	2	714	0323	2	1	1	101	000
11	2	715	0424	2	1	1	101	000
11	2	716	0525	2	1	1	101	000
11	2	717	0616	2	1	1	101	000
11	2	718	0727	2	1	1	101	000
11	2	719	0828	2	1	1	101	000
11	2	720	0929	2	1	1	101	000

7 المسكن في البناء Logements dans la construction		8 عدد السكان في البناء Population dans la construction	9 اسم شاغل البناء Nom de l'occupant	10 ملاحظات Observations	11 الترتيب النهائي للمقاطعة N° definitif du District	12 الترتيب النهائي للمقاطعة N° d'ordre definitif de la Construction dans le district
المجموع Total	01	09				
استعمال Usage Prof.	00	01				
المجموع Total	01	01				
استعمال Usage Prof.	00	01				
المجموع Total	01	03				
استعمال Usage Prof.	00	01				
المجموع Total	01	11				
استعمال Usage Prof.	00	01				
المجموع Total	01	02				
استعمال Usage Prof.	00	01				
المجموع Total	01	01				
استعمال Usage Prof.	00	01				
المجموع Total	01	10				
استعمال Usage Prof.	00	01				
المجموع Total	01	05				

٨٤٥

7 المسكن في البناء Logements dans la construction	6 اسم المسكن Type des Lieux habites		3 رقم البناء Numero de la construction	4 الترتيب التسلسلي في كل مكان مسكون N° d'ordre de la Construction dans chaque Lieu habite	5 نوع البناء Type de Construction	6 استعمال البناء Usage de la Construction	7 المسكن في البناء Logements dans la construction	
	مسكونة Habites	شاغرة Inhabites						
صفر فاسيلا	2	712	0121	1	1	1	101	100
11	1	713	0212	2	1	1	101	000
11	2	714	0323	2	1	1	101	000
11	2	715	0424	2	1	1	101	000
11	2	716	0525	2	1	1	101	000
11	2	717	0616	2	1	1	101	000
11	2	718	0727	2	1	1	101	000
11	2	719	0828	2	1	1	101	000
11	2	720	0929	2	1	1	101	000

7 المسكن في البناء Logements dans la construction		8 عدد السكان في البناء Population dans la construction	9 اسم شاغل البناء Nom de l'occupant	10 ملاحظات Observations	11 الترتيب النهائي للمقاطعة N° definitif du District	12 الترتيب النهائي للمقاطعة N° d'ordre definitif de la Construction dans le district
المجموع Total	01	02				
استعمال Usage Prof.	00	01				
المجموع Total	01	10				
استعمال Usage Prof.	00	01				
المجموع Total	01	02				

ترجمة:

أسئلة

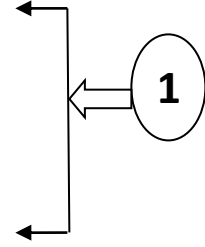
1. في البداية سنتحدث عن مجتمع إيموهاغ قديماً وحديثاً؟
2. هل يمكنك وصف طريقة تفاعلهم مع بعض؟
3. ما قولك حول الفرق بين إيموهاغ الريف والحضر؟
4. من وجهة نظرك ما طبيعة ما يسمى عند إيموهاغ "تيرفتين"؟
5. هل لك أن تُقارن بين "تيرفتين" عند إيموهاغ في الماضي والحاضر؟
6. قديماً، ما الذي كان يقوم أفراد مجتمع إيموهاغ بوهبه بكثرة؟
7. قديماً، أيهم أكثر مشاركة في العادة المكسبة الرجال أم النساء؟
8. فالنقل بأنّ هناك شخص معين يود تزويج أحد أبنائه، في رأيك من هم الأشخاص الذين سيقومون بالوهب له؟
9. ما قولك حول إيموهاغ وعمليات البيع؟

شكراً

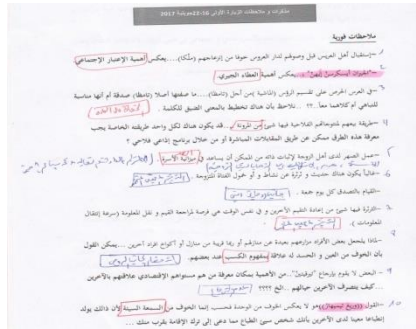
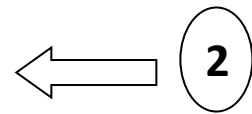
الملاحظات الفورية:

تدوينها عن طريق الهاتف NOTES

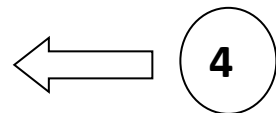
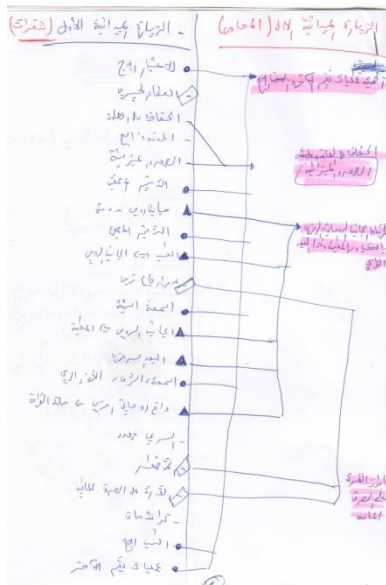
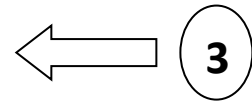
تدوينها ورقياً



WORD كتابتها آلياً

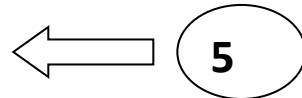


ترقيم الملاحظات وتفسيرها في كلمتين أو كلمة واحدة



منح الشفرات المتشابهة نفس الرمز وبعدها تقليص الشفرات المتشابهة في محور

تفسير



ملاحظة: تم اقتباس بعض الاستشهادات كما هي من المقابلات والملاحظات الفوريّة على حسب الأهميّة.

الوثائق السمعيّة البصريّة:

تحليل محتوى حلقات البرامج على حسب ما ورد في كتاب الدكتور سعيد سبعون "الدليل المنهجي (في إعداد المذكرات والرسائل الجامعيّة في علم الاجتماع).

عدد الذكور والإناث المتمدرس في ابتدائية "أبي ذر الغفاري" بقرية
تاهيفت - تامنغست في المواسم الدراسية (2017-2018/2018-
(2019/2019-2020)

المواسم الدراسية	ذكور	إناث
2017-2018	72	65
2018-2019	68	59
2019-2020	102	62

المصدر: ابتدائية أبي ذر الغفاري بقرية تاهيفت - تامنغست

الجدول رقم (01)

وجود جندي آخر	التقارب العمري بين الأفراد	وجود شبكة مجاورة		عدد الآليات التفاعلية	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الأفراد (بالتقريب)	المناسبة
X			نعم	1 تيمودا-ممازحة	3	13	عيادة مريض

الجدول رقم (02)

وجود جندي آخر	التقارب العمري بين الأفراد	وجود شبكة مجاورة		عدد الآليات التفاعلية	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الأفراد (بالتقريب)	المناسبة
X			نعم	1	4	7	عيادة مريض
	X	X	لا	ممازحة			

الجدول رقم (03)

وجود جندي آخر	التقارب العمري بين الأفراد	وجود شبكة مجاورة		عدد الآليات التفاعلية	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الأفراد (بالتقريب)	المناسبة
X			نعم	1	2	4	يوم عادي
	X	X	لا	ممازحة			

الجدول رقم (04)

وجود جندي آخر	التقارب العمري بين الأفراد	وجود شبكة مجاورة		عدد الآليات التفاعلية	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الأفراد (بالتقريب)	المناسبة
	X		نعم	1	3	4	يوم عادي
X		X	لا	ممازحة			

الجدول رقم (05)

وجود جندي آخر	التقارب العمري بين الأفراد	وجود شبكة مجاورة		عدد الآليات التفاعلية	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الأفراد (بالتقريب)	المناسبة
X			نعم	1	5	5	يوم عادي
	X	X	لا	ممازحة			

الجدول رقم (06)

وجود جندي آخر	التقارب العمري بين الأفراد	وجود شبكة مجاورة		عدد الآليات التفاعلية	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الأفراد (بالتقريب)	المناسبة
X			نعم	1	1	6	يوم عادي
	X	X	لا	ممازحة			

الجدول رقم (07)

وجود جندي آخر	التقارب العمري بين الأفراد	وجود شبكة مجاورة		عدد الآليات التفاعلية	عدد الأفراد الذين يقومون بتفعيل الآليات (بالتقريب)	عدد الأفراد (بالتقريب)	المناسبة
x			نعم	1	3	10	يوم عادي
	x	x	لا	ممازحة - أشك			

“Management” in Google Books 1800–2000

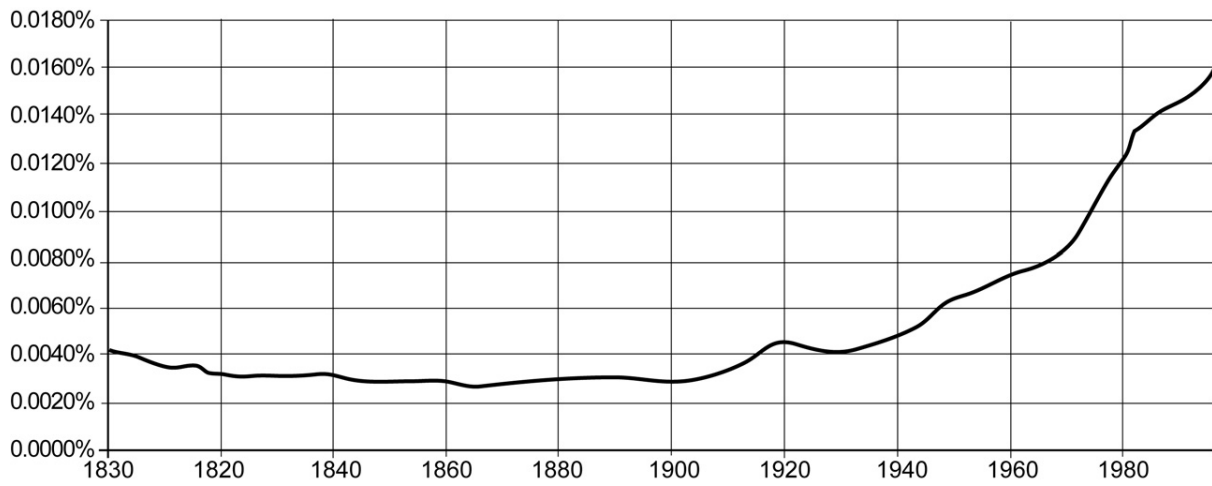


FIGURE 1.1 The Occurrence of

جدول يوضح أبرز الأحداث التاريخية المرتبطة بالجانب الاقتصادي وبالأخص التجارة القوافلية المتعلقة
بإيموهاغ كيل أهشار

التاريخ	الأحداث
1886	فصل ربيع ملفت بإنيكر وتسنو
1887	توفر القرنييط البري "الوات"
1891	قافلة لمليون جمل لكييل أهشار متجهة إلى التيدكلت بحثاً عن التمور
1894	أكسا: أي توفر الكلاّ وازدهار العشب .
1896	أول قافلة للذرة متجهة إلى "دمرفو" لقبيلة آجوه أنتهلي
1897	نقص الكلاّ في أهشار "منا" ومعاناة الإبل من جراء ذلك
1898	عام "أكسا"
1900	عام جفاف في "أتكور" وارتحال إيموهاغ للرعي في "إغرغر"
1901	أمطار غير اعتيادية بالأهشار ووفاة أمنوكال أهيتاغال.
1903	كيل أهشار ذهبوا للبحث عن التمور في "فزان" وقبيلة إسقمرن ذهبت للبحث في "تارفا" Tardja
1904	عام الكلا "أكسا" في Tainest
1905	قوافل كيل أهشار تتجه إلى تيدكلت للبحث عن التمور
1906	الرعي في Taouit
1907	اجتماع لجل قبائل أهشار في Tamaia
1908	كيل أهشار يتجهون إلى "قاوا" وأكثرهم من قبيلة إسقمرن، للتزو بالأرز بسبب مواجهة مشاكل في "دمرفو"
1910	كيل أهشار يشتكون الجفاف
1912	قبائل المؤونة تتجه إلى Adarambouka بحثاً عن الذرة .
1914	عام جفاف
1916	الاستقرار في أهشار ومقتل الأب فوكو
1918	عام هدنة وسلم في أهشار
1923	القوافل تبحث عن الذرة في "دمرفو"
1926	أكسا، القوافل تبحث عن الذرة قفي "دمرفو"
1928	القوافل الهشارية بإتجاه تديكلت

المصدر : Gast Marceau, Alimentation Population de l'ahaggar (étude ethnographique), op, cit. p .34-33

شركة الدراسات المختلفة والمساعدة التقنية

دراسة مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير

3 على صق

بلدية تمنراست

المراجعة الثانية



وزارة السكن و العمران
مديرية التعمير و البناء
مصلحة التعمير/ مكتب البيات التعمير
ولاية تمنراست

شركة الدراسات المختلفة و المساعدة التقنية.

S.E.D.A.T

هاتف : 029.71.37.64

فاكس : 020.76.89.13

سوق السبت/ ص.ب 788

ورقلة 30000.

تاريخ الاصدار : 2008/02/24

دراسة مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير *تمنراست*..... SEDAT

شبكة المياه الصالحة للشرب :

ان المعلومات التي تخص التزويد بالمياه الصالحة للشرب تؤكد لنا وجود عدد هام من المنشآت في هذا المجال و هذا منذ عام 1943 الشين الذي يوضح لنا الجهود التي تبذلها السلطات في ما يخص هذا القطاع .
كما ان 39.29 % من البنايات فقط مزودة بشبكة المياه الصالحة للشرب و هذا بمعدل تدفق قدر ب 50 ل/اليوم للسكان .

الموقع	الكمية المقترحة	المنجزة حتى : الخزانات	عدد	قدرة التخزين
تمنراست	65.25	58.94	11	10.24
عين كوف	6.00	6.00	1	250.00
تبركات	3.30	3.30	1	250.00
اسورو	2.99	2.93	1	250.00
مركز المدينة	235.54	229.17	14	10.94
تاهيفت	2.21	1.26	1	/
تييت	4.18	4.75	/	/
امسل	4.00	4.28	1	/
البلدية	245.93	239.44	16	11.29

من خلال الجدول نستنتج ان الطبقة التحتية هي وحدها المستعملة في الوقت الحالي لا يمكنها ان تستجيب لحاجيات السكان من حيث الماء و بالتالي عدم المساهمة في تطور البلاد و هذا نظرا للفترة الجافة التي عرفتها البلادو التي ادت الى تناقص المياه الجوفية و بالرغم من تشييد العديد من السدود في منطقة تمنراست بقدرة استيعاب و تخزين قدرت ب 50000 م³ و من هنا فان انشاء محطة تصفية بمنطقة فوقارة الزوة اصبح شئ لا بد منه .

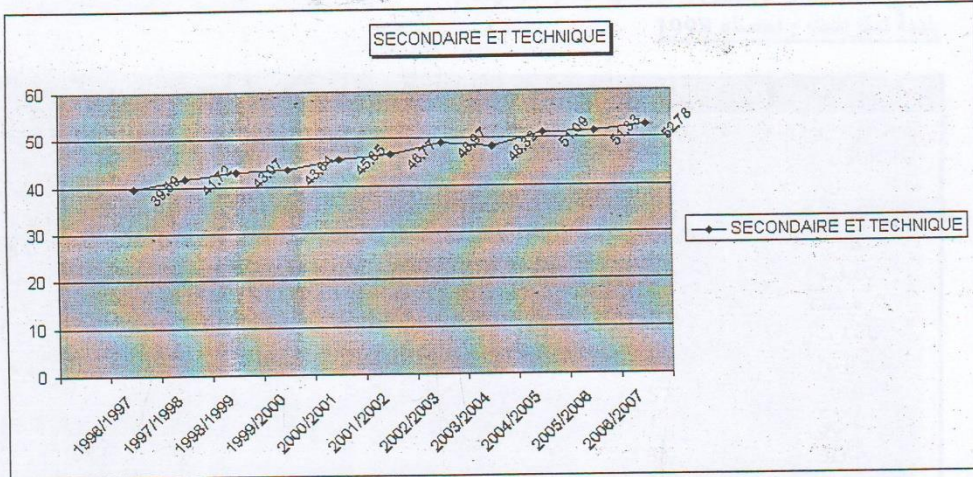
شبكة صرف المياه :

ان شبكة تصريف المياه لا تمس الا 20.56% من المنازل في المنطقة اد ان كبر و شساعة هذه الاخيرة و الطابع الصخري الذي يميزها يعد من اهم العوائق و العراقيل التي تواجه عملية تعميم هذه الشبكة .

البلدية	الكمية المبرمجة	المنشأة	في طور الانجاز	غير المنشأة
تمنراست	45.57 ملل	33.72 ملل	6.57 ملل	5.27 ملل
	948 مشعبة	628 مشعبة	42 مشعب	/
	محطة ضخ	محطة ضخ	خندق ارتياحي	

فيما يخص باقي انواع التوزيع للمياه القدرة تجدر الاشارة الى ان 37.72 % من المنازل تستعمل ما يسمى بالخنادق الارتياحية . كما ان 42.02 % منها تقوم بعملية الصرف في الهواء الطلق

دراسة مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير *تمنراست* SEDAT.....



توزيع المؤسسات الداخلية الابتدائية :

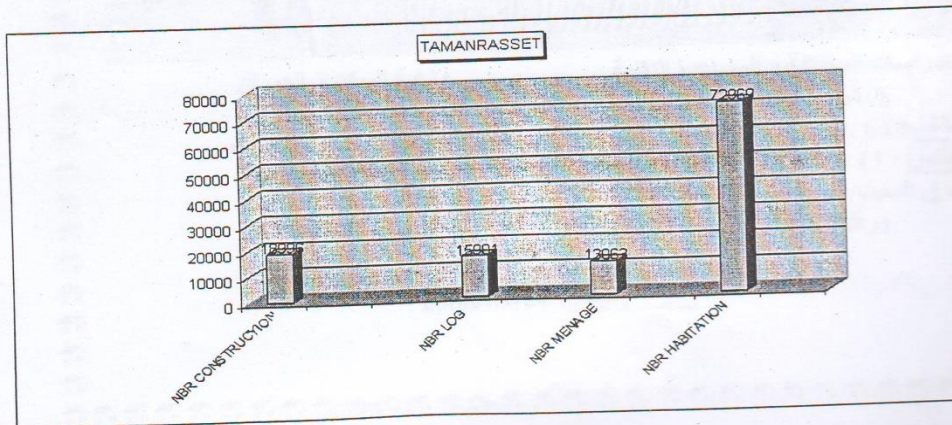
الاجمالي	عدد المستفيدين		الداخليات		البلدية
	عدد الاثاث	عدد الذكور	القدرة	العدد	
102	-	102	200	01	تمنراست
90	-	90	100	01	ابلسة
68	-	68	200	01	عين امقل
20	-	20	100	01	تزرؤك
199	-	199	100	01	ادلس
177	-	177	200	01	تاهيفت
100	-	100	100	01	سليت
110	-	110	200	01	عين قزام
282	-	282	100	01	تين زاواتين
1148	-	1148	1300	09	الاجمالي

المصدر : مديرية التربية و التعليم

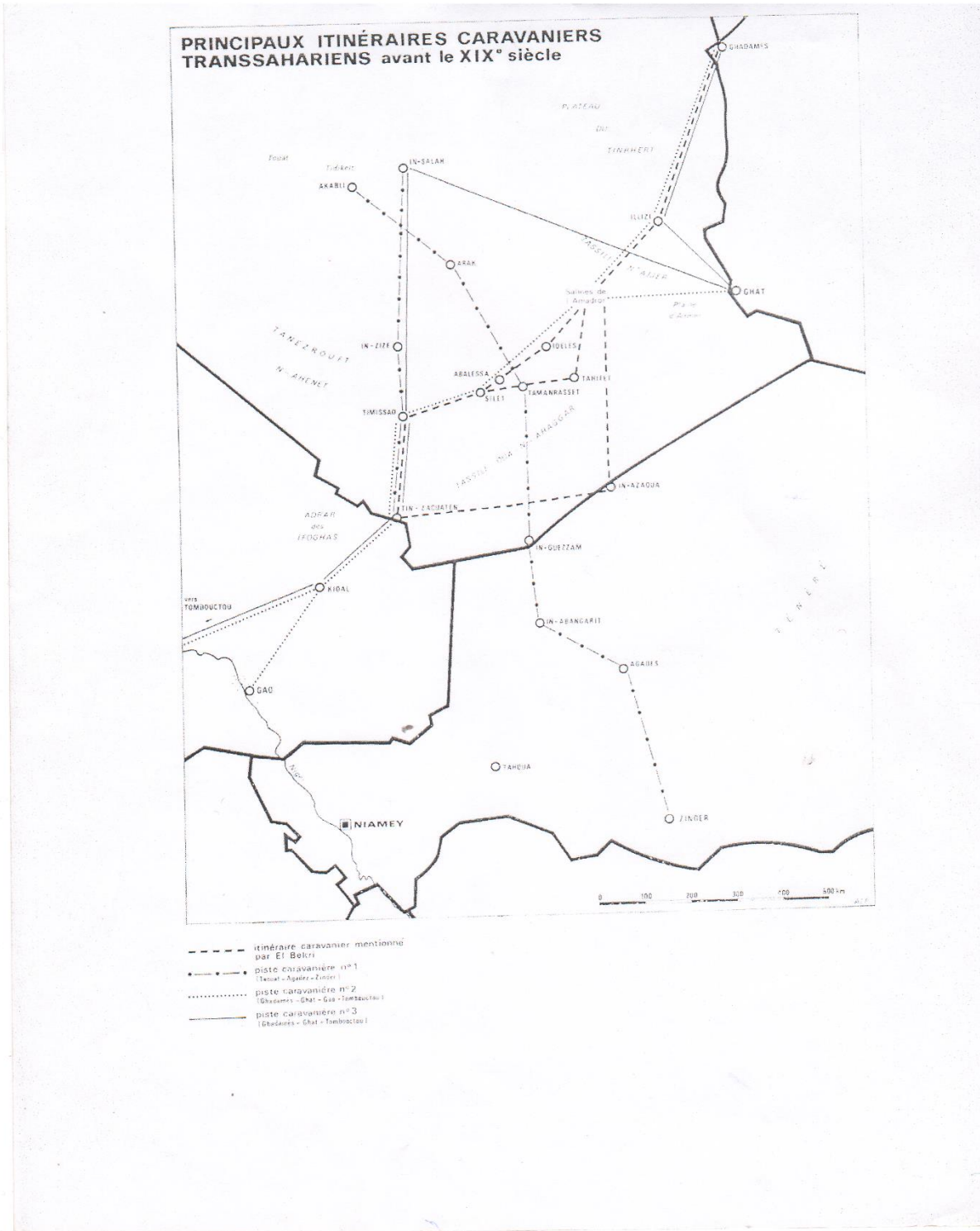
دراسة مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير *تمنراست* SEDAT.....

توزيع المنشآت و المساكن و مواقعها حسب البلديات :
بلدية تمنراست : احصاء 1998

عدد السكان	عدد العائلات	عدد المساكن	عدد النباتات	الموقع
65463	11850	14.06.9	17039	مركز المدينة
540	94	148	178	اوتول
742	116	170	170	امسل
587	85	151	160	تيت
211	39	87	93	اهلفن
339	50	106	112	تاهيفت
246	30	64	69	تارهيئات
271	33	72	77	تاقمارت
246	36	53	59	واد اوتول
170	27	52	57	افاك
79	14	16	17	تينامزي
94	19	38	38	تيقتاوين
115	22	27	27	ايديكال
245	42	50	52	تاقرميت
48	08	13	16	تيهيفوين
56	10	14	14	تاغمورت
102	14	19	19	اكلوجال
33	05	20	20	حامان
207	28	37	43	ايزاري
135	20	26	26	تاهار هيت
80	16	16	17	تاقوار فاست
130	21	25	26	ايندلاق
2.681	426	624	667	باقي المنطقة المشتة
149	58	-	-	البدو الرحل
72969	13063	15901	18996	الاجمالي



خريطة توضح طرق القوافل التجارية لإيموهاغ كيل أهفار قبل القرن العشرين



مثال حول: المرونة المنهجية في البحث الإثنوغرافي

رأى الباحث بأنّ هناك العديد من العوامل التي تتدخل في جعل علاقات الألفة ممكنة كالتقرب الجغرافي وتخطيط الأماكن، كأماكن وضع الأثاث وتوزيعه في المنزل أو الأثاث في حد ذاته أي التركيز على الفضاء المادي والبيئة وعليه طلب من المبحوثين أن يرسموا "منازلهم" وقد استخدم الباحث تلك الرسومات وقام بتحليلها.

Figure 11 : Chez-soi d'Emmanuelle

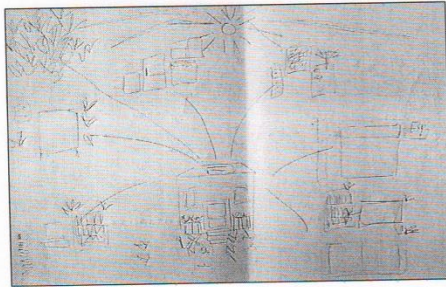


Figure 12 : Chez-soi de Mélissa

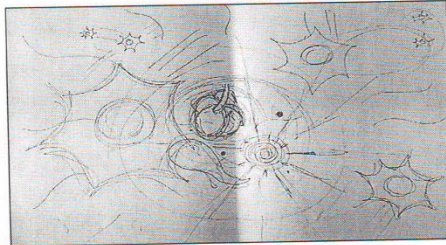
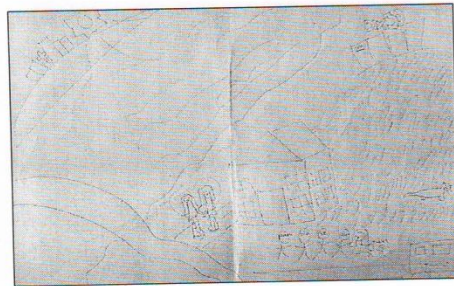


Figure 13 : Chez-soi de Stéphanie



au confort et à l'intimité, et des non-humains qui vivent avec eux (chat, plantes). D'autres choses ayant été mentionnées sortent du foyer proprement dit et concernent des lieux fréquentés régulièrement (par exemple, un bar ou un parc), un quartier ou encore le camion typique d'un commerce d'un quartier. Voici quelques exemples des dessins produits par les gens :

Figure 8 : Chez-soi d'Anne

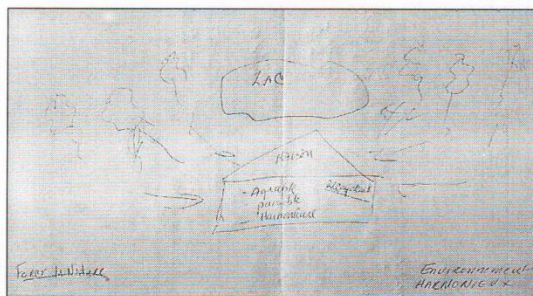
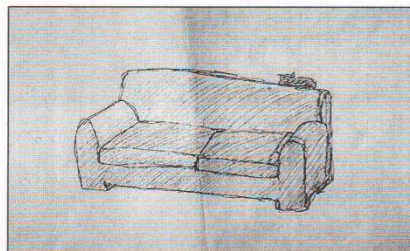


Figure 9 : Chez-soi de Sophie



Figure 10 : Chez-soi de Sarah



L'ALGÉRIE

[Salem CHAKER]

Globalement, les recherches touarègues en Algérie ont suivi le sort général des études berbères.

Pendant la période coloniale, elles ont connu un développement assez important, déterminé à la fois par la demande politico-militaire (conquête-exploration-administration) et par l'impulsion des milieux scientifiques (Université d'Alger).

Toute la phase de découverte des Touaregs Ahaggar/Ajjer (deuxième moitié du dix-neuvième siècle et premières décennies du vingtième) a donné lieu à des travaux et publications qui sont encore souvent fondamentaux pour la connaissance de l'histoire des Touaregs, de leur langue et de leur littérature. Très tôt l'Université d'Alger avec des hommes comme le berbésisant René BASSET, qui en fut Doyen, va développer une véritable tradition de recherches et de publications sur le Sahara et les Touaregs : les travaux sur la langue, la société, la littérature touarègues, l'histoire, la géographie du Sahara, l'étude du milieu naturel (géologie, botanique, zoologie) publiés en Algérie avant 1962 sont très nombreux. Ces recherches ont généralement été éditées par l'Université d'Alger (Annales de l'Institut d'Etudes Orientales, Institut de Géographie, Institut de Recherches Sahariennes...). Parfois aussi par des éditeurs privés algérois : il existait en effet plusieurs maisons d'édition spécialisées dans le domaine maghrébin et saharien : Carbone, Jourdan, la Typo-Litho... qui ont, entre autres, fait paraître des travaux de Ch. de FOUCAULD, MOTYLINSKI, CID KAOUL... sur la langue touarègue.

Toutes les revues de sciences humaines paraissant en Algérie (comme la *Revue Africaine*) portent aussi témoignage de cette activité intense de repérage, de description et analyse du monde saharien et touarègue.

On trouvera des informations complémentaires sur cette période des « études touarègues coloniales en Algérie » dans le chapitre consacré à la France.

A partir de 1937, le secteur touarègue est fortement encouragé par la création à l'Université d'Alger de l'Institut de Recherches Sahariennes. L'IRS publie de 1942 à 1968 les *Travaux de l'IRS* ainsi que plusieurs collections de mémoires et monographies sur le Sahara. Certes, les géographes en seront les principaux amateurs et les sciences de la nature (géographie, géologie, botanique, zoologie...) auront toujours une part prépondérante dans les activités de l'IRS, mais les études d'ethnologie, de géographie humaine et même de langue ne sont pas négligeables dans les publications de l'Institut.

En marge des instances universitaires, le *Bulletin de Liaison Saharienne* (organe d'une association animée par B. BLAUDIN DE THE) contient également de nombreuses notices concernant les Touaregs.

La découverte des gravures et peintures rupestres du Sahara, ainsi que certaines fouilles (REYGASSE) ont permis d'établir à partir des années 1925 une liaison durable entre ethnologie touarègue et recherche préhistorique et protohistorique au Sahara. Il en est de même pour l'écriture libyque et tifinagh qui constitue un lien entre la culture touarègue actuelle et la protohistoire du Maghreb et du Sahara.

qui à partir des années 1950, le Musée d'Ethnographie et de Préhistoire (Paris) associe travaux en ethnologie touarègues et recherches préhistoriques au sein d'un laboratoire d'anthropologie et d'archéologie préhistorique va devenir le Centre Algérien de Recherches Anthropologiques, Préhistoriques et Ethnologiques (CARAPE), puis (en 1962) le Centre de Recherches Anthropologiques, Préhistoriques et Ethnologiques (CRAPE).

En parallèle, sous ses dénominations successives, la revue *Libyca* (→ 1983) et une collection imposante de « Travaux et Mémoires ». La dominante y est nettement préhistorique, mais l'ethnographie touarègue (Ahaggar) va y occuper une place importante à partir de 1960. Sous l'impulsion de M. GAST, le CRAPE, dont les premières activités étaient essentiellement préhistoriques, développe alors un solide secteur ethnologique touarègue.

En liaison avec le Musée du Bardo, des collections touarègues sont constituées et publiées, les recherches engagées débouchent sur plusieurs publications importantes, en particulier dans le domaine de l'alimentation des Touaregs (GAST, 1968 et HART-ADRIAN, 1965...).

Après 1962, dans un premier temps, le CRAPE devient progressivement l'héritier de toute la tradition d'études sahariennes et touarègues. Il reçoit ainsi en dépôt une grande partie du fonds documentaire de l'IRS. M. MAMMEREI entame une collecte de notes touarègues. Un département d'ethnomusicologie est créé en 1968 (P. AUGIER) et commence à constituer des archives sonores. Deux ouvrages importants de langue touarègue sont même publiés sous le timbre du CRAPE et de l'IRS :

J. M. CORTADE, *Lexique français-touarègue* (1967)

J. M. CORTADE, *Essai de grammaire touarègue* (1969).

En 1968, le CRAPE, qui était resté organisme mixte algéro-français, passe sous le timbre algérien. L'essentiel de l'équipe scientifique française s'installe en France et forme le LAPMO à Aix-en-Provence.

On assiste alors à une lente régression, puis à une quasi disparition des études touarègues au CRAPE et dans l'ensemble de l'Algérie.

En fait, il n'existait pas de relève algérienne prête à maintenir ce secteur scientifique. De plus, le domaine touarègue, comme tout ce qui a trait aux Berbères, a toujours été l'objet de l'hostilité de l'autorité politique et de l'administration algériennes. Dans les années 1970 (notamment lors du Congrès de Sociologie de 1974 à Alger), cette hostilité ancienne est renforcée par une véritable condamnation officielle de l'ethnologie, dénoncée comme « science coloniale ».

Dans ces conditions, il était difficile que puisse se former et émerger une génération de chercheurs nationaux dans le domaine touarègue. Malgré cet environnement peu encourageant, deux jeunes chercheurs s'engagèrent dans cette voie au sein du CRAPE à partir de 1976 :

R. BELLIL, sociologue, a travaillé en particulier sur les problèmes du changement social en Ahaggar.

N. MECHERI-SAADA, musicologue, prend la succession de P. AUGIER, exploite les archives sonores du CRAPE et les enrichit (voir chapitre « Ethnomusicologie »). Elle soutient une thèse de Doctorat de 3ème cycle sur la musique de l'Ahaggar en 1987 (Paris-X).

Les publications périodiques du CRAPE (*Libyca* et surtout le *Bulletin Intérieur du CRAPE*) reflètent à partir de 1976 cette tentative de redémarrage des recherches

Touaregs

Salem Chaker, Etudes Touarègues (Bardou, Algérie, 1988).
Sociétés, EDI SUD, Paris, 1988.

Malheureusement, l'histoire institutionnelle ultérieure du centre n'a pas permis la consolidation que l'on pouvait espérer. En 1984, le CRAPE perd sa personnalité juridique pour être fondé dans le Centre National des Etudes Historiques, dépendant du Ministère de la Culture. Les recherches en ethnologie et anthropologie sont actuellement totalement absentes.

L'université algérienne, de son côté, ne pouvait offrir un cadre de rechange d'accueil puisque les études d'ethnologie y sont supprimées en 1973 (de même que le modeste et discret enseignement de berbère qui avait été toléré à partir de 1949). Il faut cependant signaler l'existence de quelques rares études non publiées au sein des questions de sociologie du développement, le changement social et la sédentarisation (mémoires universitaires, rapports d'organismes officiels, de responsables des administrations locales...). La plus importante est la volumineuse : *Etude d'aménagement des régions Hoggar-Tassili* (Alger, 1971, 2 vol., 862 p.), élaborée pour le compte du Gouvernement Algérien par un groupe d'experts Belges de l'Université de Bruxelles.

En général, ces travaux [notamment les quelques travaux universitaires préparés en Algérie ou à l'étranger] sont de qualité très médiocre et ne sont que de laborieuses (et souvent malhonnêtes) compilations.

En définitive, à l'heure actuelle, les études touarègues en Algérie se réduisent à quelques très rares chercheurs isolés et à l'existence d'un patrimoine **documentaire et muséographique** important, tout à fait sous-exploité et mal connu.

Sur le plan de la **documentation publiée**, la bibliothèque du CRAPE, avec son annexe IRS, reste certainement le fonds le plus riche et le plus accessible dans le domaine touareg (et berbère). Il a été tenu à jour jusqu'à ces dernières années.

La Bibliothèque Nationale et la Bibliothèque Universitaire d'Alger présentent également un intérêt réel, en particulier pour les périodes antérieures à l'indépendance et toutes les publications parues en Algérie qui y sont disponibles.

Pour ce qui est des **archives inédites** (d'origine privée ou officielle), une exploration des dépôts des Wilayas (préfectures) et services administratifs du pays touareg (surtout Ouargla — ancienne préfecture du département des Oasis —, mais aussi Tamanrasset et Djanet) mériterait d'être entreprise, les administrations locales ayant conservé la documentation ancienne traitant des Affaires économiques et sociales et de l'éducation. Mais pour l'heure, l'accès en est des plus problématiques.

Des **collections muséographiques touarègues** intéressantes existent au CRAPE et au Musée du Bardo (Section d'Ethnographie Saharienne). Elles ont servi de base à la publication des *Collections ethnographiques* — (Album 1-Touareg Ahaggar, 1959) qui n'ont malheureusement pas été poursuivies.

Les collections touarègues du Musée sont rassemblées dans deux salles où sont présentées les séries suivantes :

- Armement
- Harnachement
- Bijoux
- Récipients
- Costumes
- Cuir incisés
- Jouets d'enfants
- Mannequins (homme/femme)
- Artisanat
- vanneries
- éléments de transport
- à dos d'animal

Une exposition sur Tin-Hinan (reine-ancêtre mythique) des Touaregs Ahaggar a été organisée en 1984 par le Musée du Bardo sur la base de la collection préhistorique

WYVASSÉ. Elle a donné lieu à la publication d'un livret bilingue (français/arabe) : *Le tombeau de Tin Hinan (Abalassa)*, Alger, 1984, Ministère de la Culture [Collection du Musée du Bardo], s.p., [texte de F. Z. MATAOUI], (présente 39 objets provenant du tombeau de Tin Hinan).

Les objets touaregs ont également été présentés à l'occasion d'une exposition plus récente (1981) sur les bijoux d'Algérie. On se reportera au livret : *Bijoux algériens, Histoire des styles et des techniques*, Exposition du 3 au 31 janvier 1981, Alger, Musée du Bardo, Ministère de la Culture, s.p., [texte de T. BENFOUGHAL], (Cf. « Bijoux du Hoggar »).

Les multiples suggestions et initiatives pour créer un musée de tradition locale à Tamanrasset n'ont jamais pu — malgré quelques tentatives concrètes — aboutir à une réalisation durable.

CHERCHEURS ALGERIENS

- HELLIL (Rachid) Alger
- CHAKER (Salem) Aix/Tizi-Ouzou
- MAMMARI (Mouloud) Alger/Paris
- MICHERI-SAADA (Nadia) Alger

CHAPE (CNEH) et Musée du Bardo : 3 avenue Franklin Roosevelt, ALGER.

2019	2018	2017	2016	2015	2014	2013	2012	السنوات
114	109	114	112	93	1783	964	50	عدد السياح الوطنيين
550	910	810	717	59	98	25	854	عدد السياح الأجانب
664	1019	924	829	152	1881	989	904	المجموع

المصدر: مديرية السياحة والصناعة التقليدية لولاية تامنغست

صور متنوعة تخص منطقة تافرFAST بقريه تاهيفت (تامنغت)



الصورة(1): تافرFAST "تان عثمان"



الصورة(2): تاقرفاست "تانُ أداموسنُ"



الصورة(3): تاقرفاست "تانُ أداموسنُ"، بداية عملية الرعي .



الصورة (4)



الصورة (5): "أداموس" من الداخل /أحد وسائل تخزين الحبوب قديماً
تم التقاط الصورة في (تافرغاست "تانُ أداموسن")



الصورة (6): "أداموس" من الخارج/أحد وسائل تخزين الحبوب قديماً
تم التقاط الصورة في (تافرغاست "تان أداموسن")



الصورة (7): "إفند"، أحد وسائل تخزين الحبوب قديماً
تم التقاط الصورة في (تافرغاست "تان أداموسن")



الصورة(8):"شواري"، وسيلة توضع فيها السماد، يتم وضعها على البغال لسهيل عملية نثر السماد وهو مصنوع من "أسان" -النخيل تم التقاط الصورة في (تافرغاست "تان أداموسن")



الصورة(9):"أفرا"، مصنوع من الجلد يُستخدم لتخزين الحنطة تم التقاط الصورة في (تافرغاست "تان أداموسن")

شكل يوضح الفصول الأربعة ومواسم الزراعة عند إيموهاغ

